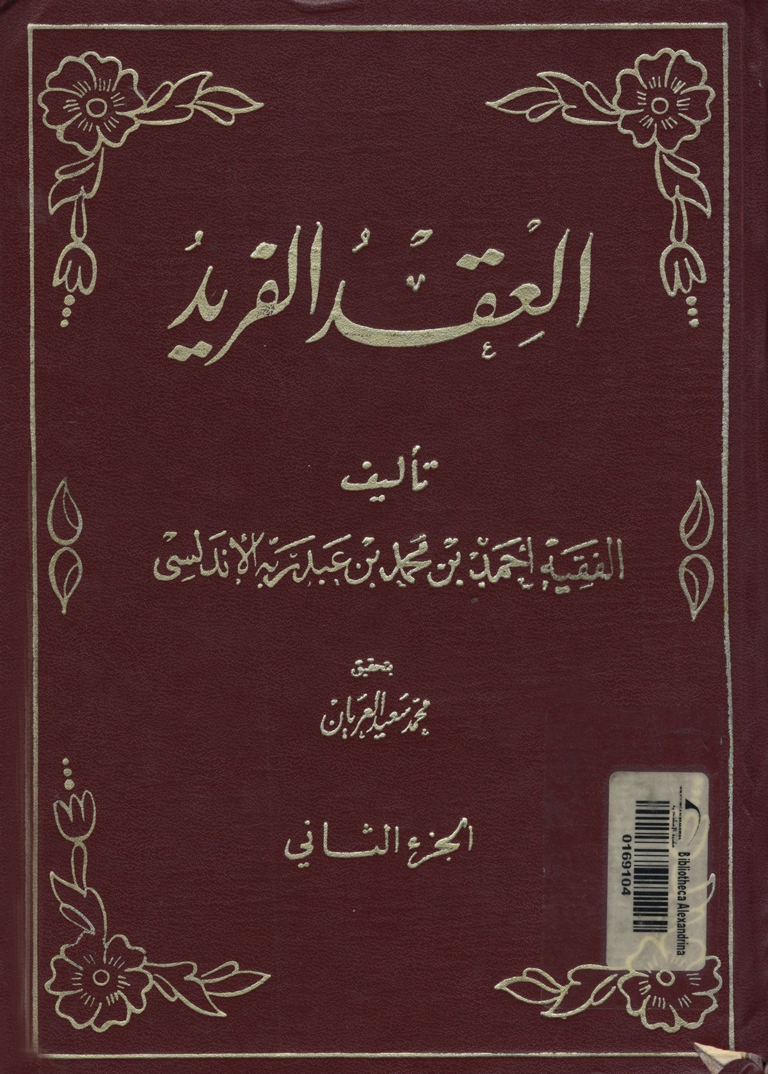


العقد الفريد
تأليف
الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
بتحقيق
محمد سعيد العريان
الجزء الثاني
Bibliotheca Alexandrina
0169104

العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الثالث

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

١٣٧٢ — ١٩٥٣

كتاب الجوهرة
في الأمثال

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

قد مضى قولُنا فى العلم والأدب وما يتولَّدُ منهما ويُنسبُ إليهما من الحِكمِ النادرة ، والفِطنِ البارعة .

ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الأمثال ، التى هى وشْيُ الكلام وجوْهَرُ اللفظِ ، وحَلْى المعانى ، والتى تخيَّرتها العرب ، وقدَّمتها العجم ، ونطَقَ بها كُلُّ زمان وعلى كل لسانٍ . فهى أبقى من الشِّعر ، وأشرفُ من الخطابة ، لم يسِرْ شىءٌ مسيرها ، ولا عمَّ عُمُومَها ، حتى قيل : أسْيَرُ من مَثَل .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مَثَلٌ سائرٌ * يعرِفُه الجاهِلُ والخابِرُ

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه ، وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلامه . قال الله عز وجل : ﴿ يا أيُّها الناسُ ضُرِب مثلٌ فاستمِعُوا لهُ ﴾ وقال : ﴿ وضرَبَ اللهُ مثلاً رجُلين ﴾ . ومثل هذا كثير فى آى القرآن .

فأول ما نبدأ به : أمثالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمثال العلماء ، ثم أمثال أكثم بن صيفى وبُزُرْجمهر الفارسى ؛ وهى التى كان يستعملها جعفر بن يحيى فى كلامه ؛ ثم أمثالُ العرب التى رواها أبو عُبيد ، وما أشبهها من أمثال العامة ؛ ثم الأمثال التى استعملها الشعراء فى أشعارهم فى الجاهلية والإسلام .

أمثال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ضربَ اللهُ مثلاً صِراطاً مُستقيما ، وعلى جَنبي الصراط أبوابٌ مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مُرخية ، وعلى رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوّجوا . فالصراط الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، والداعي القرآن .

وقال صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن كالخامة من الزرع : يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا . ومثل الكافر مثل الأرزة المُجْذِية على الأرض ، يكون انجعافها بمرة .

وسأله حذيفة : أبعد هذا الشر خير يا رسول الله ؟ فقال : جماعة على أقذاء، وهُدنة على دَخَن .

وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها ، فقال : إن مما يُنبت الربيعُ ما يَقتل حَبَطاً أو يُلِمّ .

وقال لأبي سفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا : كلُّ الصيد في جوف الفرا .

وقال حين ذكر الغلو في العبادة : إن المُنْبتّ لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى .

وقال صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدِّمَن . قالوا : وما خضراء الدمن؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء .

وذكر الرّبا في آخر الزمان ، وافتتان الناس به ، فقال : من لم يأكلهُ أصابه غُبارُه .

وقال الإيمانُ قيدَ الفتْكَ .

وقال صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

وقال في فرس : وجدْتُه بَحْرًا .

وقال : إن من البيان لَسِحْرًا .

وقال : لا ترفع عصاك عن أهلك .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين .

وقال : الحرب خدعة .

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله : أمثالٌ كثيرة غير هذه ، ولكنّا لم نذهب في كل باب إلى استقصائه ، وإنما ذهبنا إلى أن نكتفي بالبعض ، ونستدل بالقليل على الكثير ، ليكون أسهلَ مأخذاً للحفظ ، وأبرأ من المَلالة والهرب . وتفسيرها :

أما المثل الأول ، فقد فسَّره النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله « المؤمن كالخامة والكافر كالأرزة ، فإنه شبّه المؤمن فى تصرف الأيام به وما يناله من بلائها ، بالخامة من الزرع يقلبها الرِّيح مرة كذا ومرة كذا - والخامة فى قول أبي عُبيد : القَصبة الرطبة من الزرع ؛ والأرزة : واحدة الأَرز ، وهو شجر له ثمر يقال له الصنوبر . والجذية : الثابتة ، وفيها لغتان : جذا يجذو ، وأجذى يُجذى . والانجعاف : الانقلاع ، يقال جَعفت الرجل ، إذا قلعتْه وصرعْته وضربت به الأرض .

وقوله لحذيفة : هُدنة على دَخَن وجماعة على أقذاء . أراد ما تنطوى عليه القلوب من الضغائن والأحقاد ، فشبّه ذلك بإغضاء الجفون على الأقذاء . والدخَن : مأخوذ من الدخان ، جُعلا مثله لما فى الصدور من الغل .

وقوله : إنّ مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطا أو يُلم . فالحبط - كما ذكر أبو عبيدة عن الأصمعى : أن تأكل الدابة حتى ينتفخ بطنها وتمرض منه ، يقال : حبطت الدابة تحبط حبطا . وقوله : أو يلم . معناه : أو يقرب من ذلك . ومنه قوله : إذ ذكر أهل الجنة فقال : إن أحدهم إذا نظر إلى ما أعدّ الله له فى الجنة فلولا أنه شيء قضاه الله له لألمّ أن يذهب بصرُه ، يعنى لما يرى فيها . يقول : لَقرُب أن يذهب بصره .

وقوله لأبى سفيان : كل الصيد فى جوف الفرا . فمعناه أنك فى الرجال كالفرا فى الصيد ، وهو الحمار الوحشى ، وقال له ذلك يتألفه على الإسلام .

وقوله حين ذكر الغلو فى العبادة : إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى . يقول : إن المُغذّ فى السير إذا أفرط فى الإغذاذ عَطِبت راحلته من قبل أن يبلُغ حاجته أو يقضىَ سفره ، فشبَّه بذلك مَن أفرط فى العبادة حتى يبقى حسيرا .

وقوله فى الربا : من لم يأكله أصابه غباره . إنما هو مثل لما ينال الناسَ ٥ من حرمته ، وليس هناك غبار .

وقوله : الإيمان قيَّدَ الفَتْك . أى منع منه كأنه قَيد له . وفى حديث آخر : لا يَفتك مؤمن .

وقوله فى فرس : وجدته بحرا . وإن من البيان لسحرا ؛ إنما هو تمثيل لا على التحقيق .

١٠ وكذلك قوله : الولد للفراش وللعاهر الحجر . معناه أنه لاحق له فى نسب الولد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ترفع عصاك عن أهلك . إنما هو الأدب بالقول ، ولم يرد ألا ترفع عنها العصا .

وقوله : لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين . معناه أن لدْغ مرة يحفظ ١٥ من أخرى .

وقوله : الحرب خدعة . يريد أنها بالمكر والخديعة .

أمثال روتها العلماء

ابن بشير على منبر الكوفة

خطب النعمان بن بُشير على منبر بالكوفة فقال : يأهل الكوفة ، إنى وجدتُ مَثلى ومَثلكم كالضَّبُع والثعلب أتَيا الضبَّ فى جُحره ، فقالا : أبا حِسْل . قال : ٢٠ أجبتكما[1] قالا : جئناك نختصم . قال : فى بيته يُؤتَى الحَكم . قالت الضبع : فتحتُ عيْبتى[2]، قال : فِعل النساء فعلتِ . قالت : فلقطتُ تمرة . قال : حُلواً جنيتِ .

(١) فى بعض الأصول : « أجبتما » .

(٢) فى بعض الأصول : « عينى » .

قالت : فاختطفها ثُعالة . قال : لنفسه بَغَى[1] . ثعالة اسم الثعلب ، الذكر والأنثى .
قالت : فلطمته لطمة . قال حقًّا قضيت . قالت : فلطمني أخرى . قال : كان
حُرًّا فانتصر . قالت : فاحكم الآن بيننا . قال حدّث امرأة حديثين فإن لم
تَفهم فأربعة[2] .

ابن الزبير وأهل العراق

وقال عبد الله بن الزبير لأهل العراق : ودِدْت والله لو أن لى بكم من أهل
الشام صَرْف الدينار بالدرهم . قال له رجل منهم : أتدرى يا أمير المؤمنين
ما مَثَلُنا ومثلكم ومثل أهل الشام ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : ما قاله أعشى بكر
حيث يقول :

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلقتْ رجُـــلا ٭ غيرى وعُلِّق أخرى غيرها الرجُلُ

أحببناك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك
ابن مروان .

مثل فى الرياء

فخ الإسرائيلى والعصفورة

يحيى بن عبد العزيز : قال : حدّثنى نُعَيم عن اسماعيل عن رجل من ولد
أبى بكر الصدّيق رضوان الله عليه ، عن وهب بن مُنبه قال : نَصَب رجل من
بنى إسرائيل فَخًّا ، فجاءت عصفورة فنزلت عليه ، فقالت : مالى أراكَ مُنْحنيا ؟
قال : لكثرة صلاتى انحنيتُ . قالت : فمالى أراك بادية عظامُك ؟ قال : لكثرة
صيامى بدَت عظامى . قالت : فمالى أرى هذا الصُّوف عليك ؟ قال : لزهادتى
فى الدنيا لبِست الصوف . قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكَّأُ عليها
وأقضى بها حوائجى . قالت : فما هذه الحبّة فى يدك ؟ قال : قُرْبان إنْ مَرَّ بى
مسكينٌ ناولته إياه . قالت : فإنى مسكينة ! قال : فخذيها . فدنت فقبضت على الحبة ،
فإذا الفخ فى عنقها . فجعلت تقول : قَعِى قَعِى . تفسيره : لا غرَّنى ناسك مُراء
بعدك أبدا .

(١) فى مجمع الأمثال : « لنفسه بغى الخير » .
(٢) ويروى : « فاربع » أى كف .

اسرائيلي وقبرة

داود بن أبي هند عن الشّعبي : أن رجلا من بني إسرائيل صاد قُبَّرَة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بي؟ قال : أذبحكِ فآكلك! قالت : والله ما أَشْفِي من قَرَمٍ ولا أُغْنِي من جُوع ، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي : أما الواحدة فأعلمكها وأنا في يَدِكَ ، والثانية إذا صرتُ على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل .
٥ فقال: هاتِ الأولى، قالت : لا تتلهفن على ما فاتك . فخلّى عنها ؛ فلما صارت فوق الشجرة قال : هات الثانية . قالت : لا تُصَدِّقَن بما لا يكونُ أنه يكونُ . ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت : يا شقيُّ ! لو ذبحتني لأخرجتَ من حَوْصَلَتِي دُرّة فيها زنة عشرين مثقالا . قال : فعضّ على شفتيه وتلهّف ثم قال : هات الثالثة . قالت له : أنت قد نسيت الآثنتين ، فكيف أعلّمك الثالثة ؟ ألم أقل لك لا تتلهفنّ على
١٠ ما فاتك ؟ فقد تلهفت ! عليَّ إذ فُتُّك ، وقلت لك . لا تصدقن بما لا يكون ، أنه يكون ! فصدقت ! أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالا ، فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها ؟

من أمثال الهند

وفي كتاب للهند : مثَل الدنيا وآفاتِها ومخاوفها والموت والمعاد الذي إليه مصير الإنسان :

١٥ قال الحكيم : وجدت مثَل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات ، مثَل رجل ألجأه خوف إلى بئر تدلّى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ، ووقعت رجلاه على شيء فمدّهما . فنظر فإذا بحيَّات أربع قد أطْلَعْنَ رءوسهنّ من جُحُورهنّ ، ونَظر إلى أسفل البئر فإذا بثعبان فاغر فاه نحوه ، فرفع بصره إلى الغصن الذي يتعلق به فإذا في أصله جُرذان أبيض وأسود يقرضان الغصن دائبين لا يَفتُران ؛
٢٠ فبينما هو مغتم بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته ، إذ نظر فإذا بجانب منه جُحر نحل قد صنعن شيئاً من عسل ، فتطاعم منه فوجد حلاوته ، فشغلته عن الفكر في أمره والتماس النجاة لنفسه ، ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات لا يدري مَن تُساوره منهن ، وأن الجرذين دائبان في قرض الغصن الذي يتعلق به ، وأنهما إذا قطعاه وقع في لَهوة التنين . ولم يزل لاهياً غافلا حتى هلك .

قال الحكيم : فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف بالبئر ؛ وشبهت الأخلاط التى بنى جسد الإنسان عليها ، من المِرّتين والبلغم والدم بالحيات الأربع وشبهت الحياة بالغصنين اللذين تعلق بهما وشبهت الليل والنهار ودورانهما فى إفناء الأيام والأجيال بالجرذين الأبيض والأسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران ؛ وشبهت الموت الذى لابد منه بالتنين الفاغر فاه ؛ وشبهت الذى يرى الإنسان ويسمع ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مصيره بالعسيلة التى تطاعمها .

من ضرب به المثل من الناس

قالت العرب : أسخى مِن حاتِمٍ ، وأشجعُ مِن ربيعةَ بن مُكدَّم ، وأدهى[1] من قيْس بن زُهيْر . وأعزُّ من كُليْبِ بن وائلٍ . وأوْفى من السَّموْأل . وأذكى من إياس بن معاوية . وأسوَدُ من قيْس بن عاصمٍ . وأمنعُ من الحارث بن ظالمٍ . وأبلغُ من سُحبان بن وائلٍ . وأحلمُ من الأحنف بن قيْس وأصدقُ من أبى ذرٍّ الغِفاريِّ . وأكذَبُ من مُسَيْلِمة الحنفى . وأعْيا من باقِل . وأمضى من سُلَيْك المقانب . وأنعمُ من خُريمٍ الناعم . وأحمقُ من هَبَنَّقَةَ . وأفتكُ من البَرَّاض .

من يضرب به المثل من النساء

يقال : أشأمُ من البَسوس . وأحمق من دُغَة . وأمنع من أُمِّ قِرْفة وأقود[2] من ظُلْمة ، وأبصر من زَرقاءَ اليمامة .

البسوس : جارة جسّاس بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التى يقال لها حرب البسوس .

(١) فى بعض الأصول « وأنكى » .

(٢) فى بعض الأصول : « وأزنى » .

وأم قِرْفة : آمرأة مالك بن حُذيفة بن بَدر الفزارى ، وكان يُعلَّق فى بيتها خمسون سيفاً كل سيف منها لذى مَحْرم لها .

ودُغَة : آمرأة من عجل بن لُجيم ، تزوجت فى بنى العنبر بن عمرو بن تميم .

وزَرقاء بنى نُمير : آمرأة كانت باليمامة تبصر الشَّعرة البيضاء فى اللبن ، وتنظر الراكب على مَسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تُنذر قومَها الجيوش إذا غزتهم ، فلا يأتيهم جيش إلا وقد آستعدوا له ؛ حتى آحتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه فقطعوا شجراً أمسكوه أمامهم بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت : إنى أرى الشجر قد أقبل إليكم . قالوا لها : قد خَرِفت ورق عقلك وذهب بصرك . فكذبوها ، وصبّحتهم الخيل وأغارت عليهم وقُتلت الزرقاء . قال : فقوّروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت فى الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به .

وظُلمة : آمرأة من هُذيل زَنت أربعين عاما ، فلما عجزت عن الزنا والقَوْد آتخذت تَيساً وعنزا ، فكانت تُنزى التيس على العنز ، فقيل لها : لم تفعلين ذلك ؟ قالت : حتى أسمع أنفاس الجماع .

ما تمثلوا به من البهائم

قالوا : أشجع من أسد . وأجبن من الصَّافِر . وأمضى من ليْثِ عِفرِّين . وأحذرُ من غرابٍ . وأبصر من عُقابٍ . وأزْهى من ذُباب . وأذلُّ من قُرادٍ بِمنسِم . وأسمع من فرَسٍ . وأنوَمُ من فهدٍ . وأعْمَرُ من ضبٍّ . وأجبن من صِفْرِد . وأحقد من جمل . وأضرعُ من سِنَّوْرٍ . وأسرق من زَبابةٍ . وأصبر من عَوْدٍ وأظلم من حيَّةٍ . وأحَنُّ من ناب . وأكْذب من فاختَة . وأعزّ من بيْض الأنُوق . وأجوَع من كلبة حَوْمَل . وأعزُّ من الأبْلَق العَقوق .

الصافر : ذو الصفير من الطير . العَود : المُسن من الجمال . والأنوق : طير يقال إنه يبيض فى الهواء ، والزَّبابة : الفأرة تسرق دود الحرير ، وفاختة : طير يطير بالرطب فى غير أيامه .

ما يضرب به المثل من غير الحيوان

قالوا : أهدَى من النَّجمِ . وأجودُ من الدِّيَمِ . وأصبحُ من الصُّبح . وأسمحُ من البحرِ . وأنورُ من النهارِ . وأسودُ من اللَّيل . وأمضَى من السَّيْلِ . وأحمقُ من رجِلة . وأحسنُ من دُمْيـة . وأنزهُ من روْضَة . وأوسعُ من الدَّهناء . وآنَسُ من جدوَلٍ . وأضيَقُ من قرارِ حافرٍ . وأوحَشُ من مفازةٍ . وأثقلُ من جبـلٍ . وأبقى من الوحْيِ فى صُمِّ الصِّلابِ . وأخفُّ من ريشِ الحَواصِلِ .

وممـا ضربوا به المثل

قولهم : قوْسُ حاجب . وقُرْطُ مارية . وحجَّامُ سـاباط . وشـقائِقُ النُّعمان . وندامَة الـكُسَعِىِّ . وحديثُ خُرافةَ . وكَنْزُ النَّطِفِ . وخُفَّا حُنَيْن . وعِطرُ مَنْشِم .

أما قوس حاجب . فقد فسرنا خبره فى كتاب الوفود .

وأما قُرط مارية فإنها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الـكندى وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار . وابنها الحارث الأعرج الذى ذكره النابغة بقوله :

* والحارِثُ الأعرَجُ خيرُ الأنام *

وإيّاها يعنى حسان بن ثابت بقوله :

أولاد جَفْنَةَ حولَ قبْرِ أبيهِمُ * قبْرِ ابنِ مارِيَةَ الـكريمِ المُفْضِلِ

وأما حجّام ساباط ، فإنه كان يحجُم الجيوش بنسيئة إلى انصرافهم ، من شدة كساده ؛ وكان فارسيًّا . وساباط . هو ساباط كسرى .

ونُسب شقائق النعمان إليه ، لأن النعمان بنَ المُنذر أمر بأن تُحمى وتضرب قبته فيها آستحسانا لها ، فنُسبت إليه ، والعرب تسميها الشَّقِر .

وأما خُرافة ؛ فإنّ أنس بن مالك يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

لعائشة رضى الله عنها : إنّ من أصدق الأحاديث حديث خُرافة ، وكان رجلاً من بنى عُذرة سَبَتْه الجن ، وكان معهم ، فإذا استرقوا السمع أخبروه ، فيُخبر به أهلَ الأرض فيجدونه كما قال .

وأما كنز النَّطف ، فهو رجل من بنى يربوع كان فقيراً يحمل الماء على ظهره فينطفُ ، أى يقطُر ؛ وكان أغار على مالٍ بعث به باذانُ من اليمن إلى كسرى ، فأعطى منه يوماً حتى غربت الشمس ، فضربت به العرب المثل فى كثرة المال .

وأما خُفّا حنين ، فإنه كان إسكافاً من أهل الحيرة ، ساومه أعرابىّ بخُفين فاختلفا حتى أغضبه ، فأراد أن يغيظ الأعرابىّ ، فلما ارتحل أخذ أحد الخفين فألقاه فى طريق الأعرابى ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه . فلما مر الأعرابى بالخف الأول ، قال ما أشبه هذا بخف حنين ! لو كان معه صاحبُه لأخذته . فلما مرَّ بالآخر ندم على ترك الأول فأناخ راحلته ، وانصرف إلى الأول وقد كمن له حُنين ، فوثب على راحلته وذهب بها ؛ وأقبل الأعرابىّ ليس معه غير خُفى حُنين . فذهبت مثلا .

وأما عِطر مَنْشم ، فإنها كانت امرأة تبيع الحَنوط فى الجاهلية ، فقيل للقوم إذا تحاربوا : دقُّوا عطر مَنْشم . يُراد بذلك طيب الموتى .

وأما ندامة الكُسعى ، فإنه رجل رَمى فأصاب ، فظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، فلما علم ندم على كسر قوسه . فضُرب به المثل .

أمثال أكثم بن صيفى وبزرجمهر الفارسى

العقلُ بالتَّجارِبِ . الصاحِبُ مُناسِبٌ . الصديقُ مَن صدَق عيْنيْه . الغريبُ من لم يكن له حبيبٌ ، رُبَّ بعيدٍ أقربُ مِن قريبٍ . القريبُ من قَرُبَ نفعُهُ . لو تكاشفتُمْ ما تدَافنْتُم . خيرُ أهلِكَ من كفاكَ . وخيرُ سلاحِك ما وقاك . خيْرُ إخوانِكَ من لم تَخْبُرْهُ . رُبَّ غريبٍ ناصِحُ الجيْبِ ؛

وابنُ أبٍ متّهَمُ الغيب . أخوك مَن صدَقَك . الأخُ مِرآة أخيه . إذا عزّ أخوك فهُن . مُكرَهٌ أخوك لا بطَل . تباعدوا فى الديار وتقاربوا فى المحبة . أىُّ الرجالِ المهذَّب . مَن لك بأخيك كلّه . إنك إن فرَّجتَ لاق فرَجا . أَحسِنْ يُحسَنْ إليك . اَرحم تُرحَم . كما تَدينُ تُدان . مَن يُرَ يوما يُرَ به ، والدهرُ لا يُغتَرُّ به . عينٌ عَرفتْ فذَرفتْ . فى كلِّ خِبرةٍ عِبرة . مِن مأمَنِه يؤتَى الحذِر . لا يعدو المرءُ رزقَه وإن حرَص . إذا نَزل القدَرُ عَمِىَ البصر : وإذا نَزلَ الحَيْن نَزل بين الأُذُنِ والعين . الخمرُ مِفتاحُ كلِّ شرّ . الغِناءُ رُقْيةُ الزِّناء . القناعة مالٌ لا يَنفَد . خيرُ الغِنَى غِنَى النفس . مُنساقٌ إلى ما أنتَ لاقٍ . خذْ من العافيةِ ما أُعطِيت ، ليس الإنسانُ إلا القلبَ واللسان . إنما لك ما أَمضيْت . لا تتكلّف ما كُفِيت . القلمُ أحدُ اللسانَيْن . قِلّةُ العيالِ أحدُ اليسارَيْن . ربما ضاقتِ الدنيا باثنيْن . لن تَعدَمَ الحسناءُ ذامًا . لمْ يعدمِ الغاوى لائمًا . لا تكُ فى أهلك كالجنازة . لا تَسْخَرْ من شىءٍ فيحورَ بك . أَخِّرِ الشرَّ فإن شئتَ تعجَّلتَه . صغيرُ الشرِّ يوشِكُ أن يَكبَرْ . يُبصِرُ القلبُ ما يَعمىْ عنه البصر . الحُرُّ حرٌّ وإن مَسَّه الضُّر . العبدُ عبدٌ وإن ساعدَه جَدّ . مَن عرَفَ قدرَه استَبان أَمْرَه . مَن سَرَّه بنوهُ ساءتْه نفسُه . من تعظَّم على الزمانِ أهانَه . من تعرّض للسلطان أَذْراه ومن تطامَنَ له تخطَّاه . من خَطا يخطو . كلُّ مبذولٍ مملول . كلُّ ممنوعٍ مرغوبٌ فيه . كل عزيزٍ تحت القدرةِ ذليل . لكلِّ مَقامٍ مقال . لكلِّ زمانٍ رجال . لكل أجلٍ كتاب . لكل عملٍ ثواب . لكل نبإٍ مُستقَر . لكل سِرٍّ مستودَع . قيمةُ كلِّ إنسانٍ ما يُحسِن . اُطلُبْ لكل غلقٍ مِفتاحا . أكثِرْ فى الباطلِ يكن حقًّا . عند القَنَطِ يأتى الفرَج . عند الصباحِ يُحمَدُ السُّرَى . الصدقُ مَنجاة والكذبُ مَهواة . الاعترافُ يَهْدِمُ الاقتراف . رُبَّ قولٍ أنفذُ من صوْل . رُبَّ ساعةٍ ليس بها طاعة . رُبَّ عَجلةٍ تُعقِبُ رَيْثا . بعضُ الكلامِ أقطعُ من الحُسام . بعضُ الجهلِ أبلغُ من الحِلْم . ربيعُ القلبِ ما اشتَهى . الهوى شديدُ العمى . الهوى الإلٰهُ المعبود . الرأىُ نائمٌ والهوى يَقظان ، غلَبَ عليك من دعا إليك . لا راحةَ لحسود ، ولا وفاءَ لملُول .

لا سرورَ كطِيبِ النفس . العمرُ أقصرُ من أن يحتمل الهجر . أحق الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة . خيرُ العِلمِ مانفَع . خيرُ القولِ ما اتبِع . البِطنةُ تُذهِب الفِطنة . شرُّ العمى عمى القلب . أوْثقُ العُرى كلمةُ التقوى . النساء حَبائلُ الشيطان . الشبابُ شُعبةٌ من الْجنون ، الشقيُّ مَن شَقِيَ في بطنِ أُمِّه . السعيدُ من وُعِظ بغيره . لكل امرئ في بَدنِه شُغْلٌ . من يَعرِف البلاء يصبِرْ عليه . المقادير تُريكَ ما لايخطُر ببالِك . أفضلُ الزّادِ ما تُزُوِّدَ للمَعاد . الفحْلُ أحْمَى للشَّوْل .
صاحبُ الحَظوةِ غدا مَن بلغَ المَدى . عواقِبُ الصبرِ محمودة . لا تُبْلَغ الغاياتُ بالأماني . الصريمةُ على قدْرِ العزيمة . الضعيفُ يُثني أو يَذُمّ . من تفكّر اعتبر . كم شاهدٍ لك لا ينطِق ، ليس منك من غَشَّك . مانظَر لأمرئٍ مثلُ نفسِه . ماسَدَّ فقرَكَ إلا مِلْكُ يمينِك . ماعلى عاقِلٍ ضيْعة . الغِنى في الغُرْبةِ وطن . والمُقِلُّ في أهلِه غريب . أولُ المعرفةِ الاختبار . يدُك منك وإن كانت شَلَّاء . أنفُك منك وإن كان أجدَع . من عُرِف بالكذبِ لم يَجُزْ صِدْقُه ، ومن عُرِف بالصدق جاز كذبه . الصحة داعية السُّقم . الشبابُ داعيةُ الهرَم . كثرةُ الصياح من الفشَل .
إذا قدُمَتِ المصيبةُ تُركَتِ التعزية . إذا قدُم الإخاء سمُجَ الثناء . العادة أملَكُ من الأدب . الرفقُ يُمْنٌ والخُرْقُ شؤمٌ . المرأةُ ريْحانةٌ وليست بقَهرمانة . الدَّالُّ على الخيرِ كفاعِلِه . المُحاجزةُ قبلَ المُناجزة . قبلَ الرمايةِ تُملأُ الكَنائن . لكل ساقطةٍ لاقِطة . مقتلُ الرجلِ بين فَكَّيه . ترْكُ الحركةِ غَفْلة . الصَّمْتُ حُبْسة . مِن خيْرِ خبرٍ أنْ يُسمَعَ بمطر . كفى بالمرءِ خِيانةً أن يكون أميناً للخوَنة . قيِّدوا النِّعَمَ بالشكر . مَن يَزْرعِ المعروفَ يحصُد الشكر . لا تغترّ بمَودّة الأميرِ إذا غشّك الوزير . أعظمُ من المصيبةِ سوءُ الخلَفِ منها . من أراد البقاء فليوطِّنْ نفسَه على المصائب . لِقاءُ الأحبَّةِ مَسلاة للهَم . قطيعةُ الجاهل كصلة العاقل . مَن رضيَ عن نفسه كثُر الساخط عليه . قَتلتْ أرضٌ جاهلَها ، وقَتل أرضاً عارفها . أدوأُ الداء الْخلق الدَّنيّ واللسان البذيّ . إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله ربًّا . احذر الأمين ولا تأمن الخائن . عند الغاية يُعرف السبْق .

عند الرِّهان يُحمَد المِضمار . السؤال وإن قلّ أكثر من النوال وإن جل . كافئ المعروف بمثله أو انْشره . لا خَلّة مع عَيْلة . لا مروءة مع ضُرّ . ولا صبر مع شكوى . ليس من العدل سرعة العذْل . عبد غيرك حرٌ مثلك . لا يعدَم الخيار من استشار . الوضيع مَن وضع نفسه . المَهين من نزل وحده . مَن أكثر أهجَر . كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سَمع . كل إناء ينضح بما فيه . العادة طبع ثان . ٥

ومن أمثال العرب

ممـا روى أبو عبيد

جرّدناها من الآداب التى أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كتباً غير هذا ، وضَممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير . فمن ذلك قولهم : ١٠

فى حفظ اللسان

لعمر بن عبد العزيز : التقىّ مُلْجَم .

لأبى بكر الصدّيق : إن البلاءَ مُوَكَّل بالمنطِق .

لابن مسعود : ما شيءٌ أولى بطول سجن من لسان .

لأنس بن مالك : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحترز من لسانه ولسان غيره . ١٥

احذر لسانَك لا يَضرب عنقكَ . جُرْح اللسان كجُرح اليد . رُبَّ كلام أقطع من حُسام . القول يَنفذ ما لا تَنفذ الإبَر .

قال الشاعر :

وقد يُرجى لجَرح السيف بُرءٌ ٭ ولا بُرءٌ لِمـا جَرح اللسان

اجتلبنا هذا البيت لأنه قد صار مثلا سائراً للعامة . وجعلنا لأمثال الشعراء ٢٠ فى آخر كتابنا هذا بابا .

وقال أكثم بن صيفى : مَقتل الرجل بين فكّيه .

وقال : ربمـا أعلم فأذَر . يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم ؛ لمـا يحذر من عاقبته .

إكثار الكلام وما يتقى منه

قالوا : مَن ضاق صدره اتَّسع لسانه . مَن أكثر أهْجَر ـ أي خرج إلى الهجر ، وهو القبيح من القول . ٥

وقالوا : المِكثار كحاطِب ليل ، وحاطب الليل ربمـا نَهشتْه الحيَّة أو لسعتْه العقرب فى احتطابه ليلا .

وقالوا : أوَّل العِيِّ الاختلاط ، وأسوأُ القول الإفراط .

فى الصمت

١٠ قالوا : الصَّمت حُكم وقليل فاعِله .

وقالوا : عِيٌّ صامت خير من عِيّ ناطق ، والصمت يُكسب أهلَه المحبَّة .

وقالوا : آستكثَر من الهيبة الصَّمُوت : والندم على السُّكوت خير من الندم على الكلام .

وقالوا : السُّكوت سلامَة .

١٥ القصد فى المدح

منه قولهم : مَن حَفَّنا أو رَفَّنا فليقتصد . يقولون : من مدحنا فلا يغلُوَن فى ذلك .

وقولهم : لا تَهرف بما لا تعرف والهرف : الإطناب فى المدح والثناء .

ومنه قولهم : شاكِهْ أبا يسار من دون ذا يَنفُقُ الحمار .

٢٠ أخبرنا أبو محمد الأعرابى عن رجل من بنى عامر بن صعصعة قال : لقى أبو يسار رجلا بالمِرْبد يبيع حماراً ورجل يساومه : فجعل أبو يسار يُطرى الحمار ؛ فقال المشترى : أعرَفْت الحمار ؟ قال : نعم . قال : كيف سيره ؟ قال يُصطادُ به النَّعام

معقولا . قال له البائع : شاكِهْ أبا يسار ، من دون ذا ينفُق الحمار . والمشاكهة : المقاربة والقصد .

صـــدق الحديث

منه قولهم : من صدَقَ اللهَ نجا .

ومنه قولهم : سُبَّنِي واصدُقْ .

وقالوا : الكذبُ داءٌ والصِّدقُ شفاءٌ .

وقولهم : لا يكْذِبُ الرائد أهلَه معناه أن الذى يرتاد لأهله منزلا لا يكذبهم فيه .

وقولهم : صدَقنى سِنَّ بَكْرِه . أصله أنّ رجلا ابتاع من رجل بعيراً ، فسأله عن سنّه . فقال له : إنه بازل . فقال له : أنِخْهُ . فلما أناخه قال : هِدَعْ هِدَعْ . وهذه لفظة تسكّن بها الصغار من الإبل . فلما سمع المشترى هذه الكلمة قال : صدَقنى سنّ بَكْره .

ومنه قولهم : القوْل ما قالت حَذَامِ . وهى امرأة لُجَيم بن صَعب ، والد حَنيفة وعِجل ، ابنَى لجيم ، وفيها قال :

إذا قالت حَذام فصدِّقوها ۞ فإنّ القوْل ما قالت حذامِ

من أصاب مرة وأخطأ مرة

منه قولهم : شُخْبٌ فى الإناء . وشَخْبٌ فى الأرض . شُبِّه بالحالب الجاهل الذى يحلب شَخبا فى الإناء وشخبا فى الأرض .

وقولهم : يشُجُّ مرةً ويأسو أُخرى .

وقولهم : سهْمٌ لك وسهْمٌ عليْك .

وقولهم : اطْرُق ومِيشِى . والميش أن يخلط الشعر بالصوف . والمطراقة : العود الذى يُضرب به بين ما خُلط .

سوء المسألة وسوء الاجابة

قالوا : أساء سمعاً فأساء جابَةً . هكذا تحكى هذه الكلمة ، « جابة » بغير ألف ، وذلك أنه آسم موضوع يقال : أجابنى فلان جابة حسنة ، فإذا أرادوا المصدر قالوا : إجابة ، بالألف .

٥ وقالوا : حدِّثِ آمرأةً حديثَين فإن لم تفهَم فأربعةً . كذا فى الأصل ؛ والذى أحفظ : فاربْع ، أى أمسك .

وقولهم : إليك يُساق الحديثُ .

من صمت ثم نطق بالفهاهة

قالوا : سَكَت ألفاً ونطَق خَلْفاً . الخلف من كل شيء : الردىء .

١٠ المعروف بالكذب يصدق مرة

قولهم : من الخواطِئ سهْمٌ صائبٌ . ورُبَّ رَمْيةٍ منْ غير رامٍ .

وقولهم : قد يَصْدُق الكذُوبُ .

المعروف بالصدق يكذب مرة

قالوا : لكلِّ جَوَادٍ كَبْوةٌ ، ولكلِّ صارمٍ نَبْوةٌ ، ولكلِّ عالمٍ هفوة ، وقد ١٥ يَعثُر الجوادُ ، ومن لك بأخيك كلِّهِ ، وأىُّ الرجالِ المُهذبُ .

كتمان السر

قالوا : صدْرُك أوْسع لسِرِّك .

وقالوا : لا تُفش سِرَّك إلى أَمَةٍ ، ولا تَبُلْ على أَكَمَةٍ . يقول لا تُفْش سرك إلى امرأة فتبديه ، ولا تَبُل على مكان مرتفع فتبدو عورتك .

٢٠ ويقولون إذا أسرُّوا إلى الرجل : اجعل هذا فى وعاءٍ غيْرِ سَرَبٍ .

وقولهم سِرُّك من دمِك .

وقيل لأعرابى : كيف كتمانك السر ؟ فقال : ما صَدْرى إلا قبرٌ .

انكشاف الأمر بعد اكتتامه

قولهم : حَصْحَص الحقُّ

وقولهم : أبدَى الصريح عن الرَّغْوة . وفى الرغوة ثلاث لغات : فتح الراء، وضمها ، وكسرها .

وقولهم : صرح المَحْضُ عن الزَّبَدِ .

وقالوا : أفرَخَ القوْم بيْضتَهُم . أى أخرجوا فرختها ، يريدون أظهَروا سرهم .

وقولهم : بَرِح الخَفاءُ وكُشِف الغِطاءُ .

إبداء السر

قالوا : أفضيْتُ إليك بشُقورى . أى أخبرتك بأمرى ، وأطلعتك على سرى

وقولهم أخبرْتُك بعُجَرى وبُجَرى . أى أطلعتك على معايبى ، والعجر : العروق ١٠ المتعقدة ، وأما البُجَر فهى فى البطن خاصة .

وتقول العامة : لو كان فى جسَدى بَرص ماكتمتُه .

الحديث يتذكر به غيره

قالوا : الحديث ذو شُجون : وهـذا المثل لضبّة بن أدّ وكان له ابنان : سعد وسُعيد ، فخرجا فى طلب إبل لهما ، فرجع سعد ولم يرجع سعيد ، فكان ضبة كلما ١٥ رأى رجلا مقبلا قال : أسعدٌ أم سعيد، فذهبت مثلا . ثم إن ضبة بينما هو يسير يوما ومعه الحارث بن كعب فى الشهر الحرام إذ أتى على مكان ، فقال له الحارث : أترى هـذا الموضع ! فإنى لقيت فتى هيئته كذا وكذا ، فقتلتُه وأخذت منه هـذا السيف . فإذا بصفة سعيد، فقال له ضبة : أرنى السيف أنظر إليه . فناوله إياه فعرفه فقال له : إن الحديث ذو شجون . ثم ضربه به حتى قتله . فلامه الناس فى ذلك ، ٢٠ وقالوا : أقتلت فى الشهر الحرام ؟ قال : سَبَق السيْفُ العذَل . فذهبت مثلا .

ومنه : ذكَّرْتنى الطَّعْن وكنت ناسيا . وأصل هذا أن رجلا حمل ليقتل رجلا ،

وكان بيد المحمول عليه رمح ، فأنساه الدهش والجزع ما فى يده ، فقال له الحامل : ألق الرمح . قال الآخر : فإن رمحى مَعِى ، ذكَّرتَنى الطعن وكنتُ ناسيا . ثم كرّ على صاحبه فهزمه أو قتله . ويقال : إن الحامل : صَخر بن مُعاوية السلمى أخو الخنساء والمحمول عليه : يزيد بن الصَّعق .

العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه

٥

منه قولهم : رُبَّ سامع خَبَرى لم يسمع عذرى . ورُبَّ ملومٍ لاذنب له . ولعلَّ له عُذْراً وأنت تلومُ .

وقولهم : المرء أعلم بشأنِه .

الاعتذار فى غير موضعه

١٠ منه قولهم : تركُ الذنبِ أيسر من التِمَاس العذر ، وتَرْك الذنب أيسر من طلب التوْبة .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : أعَنْ صبُوح ترقق .

ومنه قولهم : إياك أعْنِي واسْمَعِي يا جارة .

المنُّ بالمعروف

١٥

قالوا : شَوَا أخوك حتى إذا أنضَج رَمَّد .

وقولهم : فضل القوْل على الفعل دناءَةٌ ، وفضل الفعل على القول مَكْرُمَةٌ .

الحمد قبل الاختبار

لا تَحمَدَنّ أمَةً عام اشترائها ولا حُرَّةً عامَ بنائها .

٢٠ وقولهم : لا تَهرِف قبل أن تعرف . يقول : لا تمدح قبل أن تختبر .

وقولهم : أوّل المعرفة الاختبار .

إنجاز الوعد

قالوا : أَنجزَ حُرٌّ ما وعَدَ .

وقولهم : العِدَةُ عطِيّةٌ .

وقولهم : منْ أخّرَ حاجةً فقد ضمِنَها .

وقالوا : وعْدُ الحُرِّ فِعلٌ ، ووعْدُ اللّئيمِ تسويف . ٥

وقالت العامة : الوعْدُ مِن العهدِ .

التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا

حسْبُكَ من شرٍّ سماعُهُ . وما اعتِذارُكَ من شىء قِيلَ .

الدعاء بالخير

منه قولهم للقادم من سفره : خيرُ ما رُدَّ فى أهلٍ ومالٍ ؛ أى جعلك ١٠ الله كذلك .

وقولهم : بلغَ اللهُ بك أَكْلأَ العُمُرِ . أى أقصاه .

وقولهم : نَعِمَ عوْفك . أى نعِم بالك .

وقولهم فى النكاح : على بَدْءِ الخيْرِ واليُمْنِ .

وقولهم : بالرِّفاء والبنينَ . يريد بالرفاء : الكثرة ، يقال منه : رفأته ، إذا ١٥ دعوت له بالكثرة .

وقولهم : هُنِّئْت ولا تُنْكَهْ . أى أصابك خير ولا أصابك ضر .

وقولهم : هَوتْ أُمُّهُ ، وهبِلَتْهُ أُمُّهُ . يدعون عليه وهم يريدون الحمد له .

ونحوه قاتله الله ، وأخزاه الله ؛ إذا أحسن . ومنه قول امرئ القيس :

* مالهُ لا عُدَّ من نفَره * ٢٠

تعيير الإنسان صاحبه بعيبه

قالوا : رمَتْنِى بِدائِها وانسلَّتْ .

وقولهم : عيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَه ، نسِىَ بُجَيْرٌ خبَرَه .

وقولهم : مُحْتَرِسٌ من مثْلِهِ وهو حارِسٌ .

وقولهم : تُبصِرُ القذَى فى عيْنِ أخيك ولا تُبْصِرُ الجذعَ فى عيْنيك .

الدعاء على الإنسان

٥ منه قولهم : فاهَا لِفِيكَ . يريد : الأرض لفيك .

وقولهم : بِفِيكَ الحجَرُ ، وبفيك الأثلبُ .

وقولهم : لِليدَيْنِ ولِلفمِ .

ولما أُتى على بن أبى طالب رضى الله عنه بسكران فى رمضان ، وقال له : لليدين وللفم [1] ؛ أولْدانُنا صِيامٌ وأنت مُفطِر . وضربه مائة سوط .

١٠ ومنه قولهم : لِجَنْبِهِ فلْيَكُنِ الوجْهُ . يريد الصرعة .

ومنه قولهم : مِنْ كِلاَ جانبيْك لا لَبَّيْك ، أى لا كانت لك تلبية ولا سلامة من كلا جانبيك . والتلبية : الإقامة بالمكان .

وقولهم : بِكَ لا بظَبْىٍ . وقال الفرزدق :

أقولُ لهُ لمَّا أتانِى نعِيــــهُ ٭ به لا بظَبْىٍ بالصَّرِيمة أعْفَرا

١٥ ومنه قولهم : جدَعَ اللهُ مسامِعَهُ .

وقولهم : عقْرًا حلْقاً ، يريد عقره الله وحلقه .

ومنه قولهم : لا لعاً لهُ : أى لا أقامه الله .

قال الأخطل :

٭ ولا لعاً لِبَنِى ذكْوانَ إذ عثَرُوا ٭

٢٠ ولحبيب :

صفْراءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قد ركَّبَت ٭ جُثمانَهُ فى ثوبِ سُقمٍ أصفرِ

قتلَتْهُ سِرًّا ثمَّ قالت جهْرَةً ٭ قولَ الفرزْدَقِ لابظَبْىٍ أعفَر

---

(١) فى بعض الأصول : « للمنخرين ».

رمى الرجل غيره بالمعضلات

منه قولهم : رماهُ بأقحافِ رأسِهِ ، ورماهُ بثالثةِ الأثافى ، يريد قطعة من الجبل يجعل إلى جنبها أثفيّتان وتكون هى الثالثة .

ومنه : يا للعضيهة والأفيكة ، إذا رماه بالبهتان .

وقولهم : كأنما أفرغَ عليْهِ ذَنُوباً ، إذا كلمه كلمة يُسكته بها . ٥

المكر والخلابة

منه قولهم : فتلَ فى ذِرْوتِهِ ، أى خادَعه حتى أزاله عن رأيه .

قال أبو عُبيد : ويروى عن الزبير حين سأل عائشة الخروج إلى البصرة فأبت عليه : فما زال يفتل فى الذّروة والغارب حتى أجابته .

وقولهم : ضربَ أخماساً لأسداس ، يريدون المناكرة . ١٠

وقال آخر :

إذا أراد امْرُؤٌ مكراً جنَى عِلَلًا ٭ وظلَّ يضرِبُ أخماساً لأسداسِ

ومنه قولهم : الذِّئبُ يأدُو للغزالِ ، أى يختِلُه ليوقعه .

اللهو والباطل

منه قولهم : جاءَ فلانٌ بالتُّرَّهِ . وجرى فلان السُّمَّه ، وهما من أسماء الباطل . ١٥

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أنا من دَدٍ ولا ددُ منِّى ، وفيه ثلاث لغات : ددٌ ، ودَدَا : مثل قفًا . وددَن : مثل حزن .

خُلف الوعــد

منه قولهم : ما وعْدُهُ إلا بَرقٌ خُلَّبٌ ، وهو الذى لا مطر معه .

ومنه ما وعْدُهُ إلا وعدُ عُرْقوب . وهو رجل من العماليق أتاه أخوه يسأله ٢٠

فقال : إذا أطلعتْ هذه النخلة فلك طلْعُها ، فأتاه للعدة ، فقال : دعها حتى تصير

بلحا . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير رطبا . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب لجزها ولم يعط أخاه شيئاً ، فصارت مثلا سائراً فى الخلف .

قال الأعشى :

٥ وعدْتَ وكان الخُلْفُ منك سَجِيَّةً ۝ مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بيثْرِبِ

اليمين الغموس

منه قولهم : جذَّها جذَّ العـيْرِ الصِّلِّيانةَ . وذلك أن العير ربما اقتلع الصِّليانة إذا ارتعاها .

ومنه الحديث المرفوع : اليمينُ الغَمُوس تدعُ الدِّيار بلاقِـعَ . قال أبو عبيد :

١٠ اليمين الغموس هى المصبورة التى يوقف عليها الرجل فيحلف بها ؛ وسُميت غموساً لغمسها حالفها فى المـأثم .

ومنه قولهم : اليمينُ حِنثٌ أو مَنْدَمَةٌ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من كان حالِفاً فليَحْلِفْ باللهِ .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم

١٥ ## فى الرجل المبرَّز فى الفضل

قولهم : ما يُشَقُّ غُبارُه ، وأصله السابق من الخَيل .

وقولهم : جرْى المُذكى حسَرَتْ عنه الحُمُر ، أى كما يسبق الفرس القارحُ الحمر .

وقولهم : جرْىُ المُذَكِّياتِ غلاءٌ أو غِلابٌ .

وقولهم : ليست لهُ هِمَّةٌ دون الغايَة القُصوَى .

٢٠ ## الرجل النبيه الذكر

قولهم : ما يُحجَرُ فلان فى العِكْمِ . العكم : الجوالق ، يريد أنه لا يخفى مكانه .

وقولهم : مايومُ حليمَةَ بِسِرٍّ وكانت فيه وقعة مشهورة قتل فيها المنذر بن

ماء السماء ، فضربت مثلا لكل أمر مشهور .

وقولهم : أشهر من أبْلَق .

وقولهم : وهل يَخفى على الناس النهار .

ومثله : وهل يَخفى على الناظر الصبح .

وقولهم : وهل يَجهل فلاناً إلا من يَجهل القمر . ٥

الرجل العزيز يعز به الدليل

منه قولهم : إنَّ البُغاث بأَرضنا تَسْتَنْسِرُ . البغاث : صغار الطير ، تستنسر : تصير نسورا .

وقولهم : لاحُرَّ بِوادى عوْف . يريدون عوف بن مُحلِّم الشيبانى ، وكان منيعا .

وقولهم : تَمرَّد مارد وعزَّ الأبلق . مارد : حصن بدُومة الجندل ، والأبلق : حصن السموأل . ١٠

وقولهم : من عزَّ بَزَّ . ومن قلَّ ذلَّ . ومن أَمِر فَلَّ . أَمِر : كثر .

الرجل الصعب

منه قولهم : فلان ألْوَى بعيد المُسْتَمَرّ .

وقولهم : ما بَلِلتُ منه بأفوق ناصل . وأصله السهم المكسور الفوق الساقط النصل ، يقول : فهذا ليس كذلك . ١٥

وقولهم : ما يُقعْقَع لى بالشنان .

وقولهم : ما يُصطلى بناره .

وقولهم : ما تُقرَن به الصَّعْبة .

النجد يلقى قِرنه ٢٠

منه قولهم :

* إن كنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً *

والحديد بالحديد يُفلَح . والفلح : الشق . ولا يفُل الحديدَ إلا الحديد . والنَّبْعُ يَقرَع بعضُه بعضا . ورُمِيَ فلان بحجره ، أي قرن بمثله .

الأريب الداهي

هو هِتْر أهْتار ، وصِلُّ أصلال . أصله من الحيات ، شبه الرجل بها .

ومثله : حية ذكر ، وحية واد .

وقولهم : هو عُضْلة من العُضَل . وهو باقِعَة من البَواقع . وحُوَّلٌ قُلَّب . ومُؤْدَم مُبْشَر . يقول : فيه لين الأدمة ، وخشونة البشرة

وفلان يعلم من حيث تُؤكل الكتِف .

التنبيه بلا منظر ولا سابقة

قال أبو عبيد : هو الذي تسميه العرب الخارجيّ ، يريدون : خَرَج من غير أوليِة كانت له . قال الشاعر :

ألا يا مروَ لستَ بخارجيّ ٭ وليس قديمُ مجدكَ بانتحالِ

وقولهم : تسمَع بالمُعَيْدي خير من أن تراه . وهو تصغير رجل منسوب إلى معد . وقالوا :

٭ نفسُ عصامٍ سوّدتْ عصاما ٭

الرجل العالم النحرير

قالوا : إنه لَنَقّاب . وهو الفَطِن الذكيّ .

وقالوا : إنه لَعِضّ . وهو العالم النِّحرير .

وقولهم : أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك ، وعُذَيقُها المُرَجّب .

قال الأصمعي : الجذيل : تصغير الجِذْل ، وهو عود ينصب للإبل الجرباء . لتحتك به من الجرب ، فأراد أن يُشفى برأيه . والعُذيق : تصغير عَذق ، والعَذق ـ بالفتح ـ النخلة نفسها ، فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناء

مرتفعا يدعمها لكيلا تسقط ، فذلك التّرجيب ، وصغرهما للمدح .

ومثله قولهم : إنه لجِذل حِكّاك .

ومنه قولهم : عَنِيَّته تَشفى الجرَب . والعنية : شىء تعالج به الإبل إذا جَربت .

وقولهم : « لِذى الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا »

وأول من قُرعت له العصا سعد بن مالك الكِنانى ، ثم قرعت لعامر بن الظرب العدوانى ، وكان حكم فى الجاهلية فكبر حتى أنكر عقله ، فقال لبنيه : إذا أنا زُغت فقوِّمونى . وكان إذا زاغ قُرعت له العصا ، فينزع عن ذلك . ٥

ومنه قولهم : إنه لألمعىّ . وهو الذى يُصيب بالظنّ .

وقولهم : ما حَكَكْت قَرْحة إلا أدميْتها .

وقولهم : الأمُور تَشابَهُ مُقبِلة وتَظهَر مُدبِرةً . ولا يَعرفُها مُقبِلة إلا العالم النِّحرير ، فإذا أدبَرتْ عرَفها الجاهل والعالم . ١٠

الرجل المجرب

منه قولهم : إنه لَشراب بأنْقُع . أى مُعاود للخير والشر .

وقولهم : إنه لخَرَّاج ولَّاج .

وقولهم : حَلَبَ الدَّهر أشطُرَه . وشرِب أفاوِيقَه . أى اختبر من الدهر خيره وشره . فالشطر . هو شطر الحلبة . والفيقة : ما بين الحلبتين . ١٥

وقولهم : رجل مُنجَّذ . وهو المجرب ، وأصله من النواجذ ، يقال : قد عضّ على ناجذه ، إذا استحكم .

وقولهم : أوّل الغَزو أخرَق .

وقولهم : لا تَعْدو إلا بغلام وقد غَدا . ٢٠

وقولهم : زاحِم بعود أو دَع .

وقولهم : العوَان لا تعلَّم الخِمرة .

وقالت العامة : الشارب لا يُصفَّر له .

الذب عن الحرم

قالوا : الفحل يَحمى شوْله . والخيل تَجرى على مساويها . يقول : إن الخيل وإن كانت لها عيوب فإن كرمها يحملها على الجرى .

٥ وقولهم : النساء لحم على وضم إلا ما ذُبَّ عنه .

وقولهم : النساء حبائل الشيطان .

وقولهم : كلُّ ذات صِدار خالة . يريد أنه يحميها كما يحمى خالته .

الصلة والقطيعة

منه قولهم : لا خيرَ لك فيمن لا يرى لك ما يَرى لنفسه .

١٠ وقولهم : إنما يُضَنّ بالضَّنين .

وقولهم : خلِّ سبيل مَن وَهَى سِقاؤُه .

وقولهم : أَلْقِ حبله على غاربه .

وقولهم : لو كرهتْنى يدى قطعتُها .

الرجل يأخذ حقه قسرا

١٥ منه قولهم : يَركب الصَّعْب مَن لا ذَلُول له .

وقولهم : مُجاهرةً إذا لم أجد مَخْتلا . يقول : آخذ حقى قسراً علانية إذا لم أصل إليه بالستر والعافية .

وقولهم : حَلَبْتها بالسَّاعِد الأشدّ . يقول : أخذتها بالقوة والشدة إذا لم أقدر عليها بالرفق .

٢٠ وقولهم : التجلُّد خير من التبلُّد ، والمَنيَّة خيرٌ من الدَّنيَّة ، ومَن عزَّ بَزَّ .

الإطراق حتى تصاب الفرصة

منه قولهم : مُخْرَنْبِق لِيَنْباع . مخرنبق : مطرق . لينباع : لينبعث . يقول :

سكت حتى يصيب فرصته فيثب عليها .

وقولهم : تَحسبُها حمقاء وهى باخِس .

وقولهم : خَيْرُه فى صدرِه .

وقولهم : أحمقُ بِلْغ . يقول : مع حمقه يدرك حاجته .

الرجل الجلد المصحح

٥

أطِرِّى فإنكِ ناعِلة . أصله أن رجلا قال لراعية له كانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرِّى . أى : خذى طرر الوادى . وهى نواحيه . فإنك ناعلة . يريد : فإن عليك نعلين .

وقولهم : به داءُ ظبي . معناه أنه ليس بالظبي داء .

وقالوا : الشجاعُ مُوَقًّى .

١٠

الذل بعد العز

منه قولهم : كان جملًا فاستَنوَق . أى صار ناقة

وقولهم : كان حِماراً فاستأْتَنْ . أى صار أتانا .

وقولهم : الحوْر بعد الكوْر .

وقولهم : ذُلٌّ لو أجِدُ ناصِراً . أصله أن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، سأل أنس بن أبى الحُجير عن بعض الأمر ، فأخبره ؛ فلطمه الحارث ، فقال أنس : ذل لو أجد ناصرا . فلطمه ثانية ، فقال : لو نُهيتُ الأولى لم تَلطِمِ الثانية . فذهبتا مثلين .

١٥

الانتقال من ذل إلى عز

منه قولهم : كنتُ كُرَاعاً فصِرْتُ ذِراعا .

٢٠

وقولهم : كنت عَنزاً فاستتيَسْت .

وقولهم : كنت بُغاثًا فاستنْسَرْت . أى صرت نسرا .

تأديب الكبير

قالوا : ما أشدَّ فِطامَ الكبير .

وقولهم : عوْدٌ يُقلَّح . أي جمل مُسن تُنقى أسنانه .

وقالوا : من العَناء رِياضةُ الهرِم .

٥ قال الشاعر :

وتَروضُ عِرسَكَ بعدَ ماهَرِمتْ * ومنَ العَناءِ رياضةُ الهرِمِ

وقولهم : أَعْيَيْتِنِى بأُشُرٍ ، فكيف بدُرْدُرٍ . يقول أعييتنى وأنت شابة ، فكيف إذا بدت درادرك ، وهى مغارز الأسنان .

الذليل المستضعف

١٠ منه قولهم : فلانٌ لا يَعوِى ، ولا ينبَحُ من ضَعْفِه . يقول : لا يتكلم بخير ولا شر .

وقولهم : أهونُ مظلومٍ سِقاءٌ مُروَّبٌ . وهو السقاء الذى يُلفّ حتى يبلغ أوانَ المخض .

وقالوا : أهونُ مظلومٍ عجوز معقومة .

١٥ وقولهم : لقد ذَلَّ مَن بالَتْ عليه الثعالِب .

الذليل يستعين بأذل منه

قالوا : عبدٌ صريخُه أمةٌ .

وقولهم : مُثقَلٌ آستعانَ بذَقنِه . وأصله : البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به ، فيعتمد على الأرض بذقنه .

٢٠ وقولهم : العبدُ من لا عبدَ له .

الأحمق المائق

قالوا : عدوُّ الرجلِ حُمقُه ، وصديقُه عقلُه .

وقولهم : خَرْقاءُ عَيَّابة . وهو الأحمق الذى يعيب الناس .

وقالوا فى الرجل إذا اشتدّ حمقه جدا : ثأطةٌ مُدَّت بماء . الثأطة الحمأة ، فإذا أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبة .

الذى تعرض له الكرامة فيختار الهوان

منه قولهم : تجنَّبَ روضةً وأحالَ يعدُو . يقول : ترك الخصب واختار الشقاء . ٥

وقولهم : لا يخلو مَسْكُ السوءِ مِن عَرْفِ السوء . يقول : لا يكن جلد رذل إلا والريح المُنتنة موجودة فيه .

ومنه قول العامة : قيل للشقىِّ هلُمَّ إلى السعادة . قال : حسْبى ما أنا فيه .

ومنه قول العامة :

* إنّ الشقىَّ بكلِّ حبْلٍ يختنِقُ * ١٠

وقولهم : لا يَعدَمُ الشقىُّ مُهَيْرا . أى لا يعدم الشقى رياضة مهر .

الرجل تريد إصلاحه وقد أعياك أبوه قبله

منه قولهم : لا تَقْتَنِ مِن كلب سُوءٍ جِرْوا .

وقال الشاعر :

ترجو الوليدَ وقد أعياكَ والِدُه * وما رجاؤك بعدَ الوالِدِ الوَلَدا ١٥

الواهن العزم الضعيف الرأى

منه قولهم : مالَهُ أُكُلٌ ولا صَيُّورٌ . أى ليس له رأى ولا قوة .

قال الأصمعى : طلب أعرابى ثوباً من تاجر ، فقال : أعطنى ثوباً له أُكل . يعنى قوة وحصافة .

ومنه قولهم : هو إمَّعةٌ . وهو إمَّرَة . قال أبو عبيد : هو الرجل الذى ٢٠ لا رأى له ولا عزم ، فهو يتابع كل أحد على رأيه ، ولا يثبت على شىء ، وكذلك الإمَّرة ، الذى يتابع كل أحد على أمره .

ومنه قولهم : بنت الجَبَل . ومعناه الصدى يجيبك من الجبل ، أى هو مع كل متكلم يجيبه بمثل كلامه .

الذى يكون ضارا ولا نفع عنده

منه قولهم : المِعْزى تُبْهِى ولا تُبْنِى . قال أبو عُبيد : معناه أن المعزى لا تكون منها الأبنية ، وهى بيوت الأعراب ، وإنما تكون من وبر الإبل ، وصوف الضأن ، ولا تكون من الشعر ، وربما صَعَدت المعزى إلى الخباء فخرقته ، فذلك قولهم تُبْهِى ، يقال : أبهيت البيت ، إذا خرقته ، فإذا انخرق قيل بيت باهٍ .

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه

ومنه قولهم : تَرى الفِتيان كالنخل ، وما يُدريك ما الدَّخل .

وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث : إنك لمَنْظرانىّ . قال : نعم ومَخْبَرانىّ .

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم

قال الأصمعى : ويقال : لن يزالَ الناس بخيرٍ ماتباينوا ، فإذا تساووْا هَلَكوا قال أبو عبيد : معناه أن الغالب على الناس الشر ، والخير فى القليل من الناس ، فإذا كان التساوى فإنما هو من الشر .

ومن أشد العجائب قول القائل : سَواسِيَةٌ كأسنان الحمار .

ومنه قولهم : الناسُ سواءٌ كأسنانِ المُشْطِ .

وقولهم : الناس أشباهٌ وشتى فى الشيَم .

وقولهم : الناس أَخْيافٌ . أى مفترقون فى أخلاقهم ، وكلُّهم يجمعه بيت الأَدَم . والأخيف من الخيل : الذى إحدى عينيه زرقاء ، والأخرى كحلاء .

ومنه قولهم : بيْتُ الإسكافِ فيه من كلِّ جلدٍ رُقعةٌ .

المتساويان فى الخير والشر

هما كفَرَسَىْ رِهانٍ . وكَرُكْبَتَىْ بعير . وهما زَنْدانِ فى وعاء . وهذا فى الخير .

وأما فى الشر ؛ فيقال : هما كحمارَى العِبادىّ . حين قال له : أىُّ حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا .

الفاضلان وأحدهما أفضل

منه قولهم : مَرْعًى ولا كالسَّعْدان .

وقولهم : ماءٌ ولا كَصَدّاء . وصدّاء : ركية ذات ماء عذب .

وقولهم : فتًى ولا كمالِكٍ .

وقولهم : فى كلِّ الشجر نارٌ وٱستمجد المَرْخُ والعَفار . وهما أكثر الشجر نارا .

الرجل يرى لنفسه فضلا على غيره

منه قولهم : كلُّ مُجْرٍ بالخلاءِ يُسَرّ . وأصله : الذى يُجرى فَرَسَه فى المكان الخالى فهو يُسَر بما يرى منه .

المكافأة

منه قولهم : سَنَةٌ بتلْكَ .

وقولهم : أضِئْ لى ، أَقْدحْ لك . أى كن لى أكن لك .

وقولهم : ٱسقِ رَقَاشِ سَقَّايةٌ . يقول : أحسنوا لها إنها مُحسنة .

الأمثال فى القربى

التعاطف بين ذوى الأرحام

قال الكلبى : منه قولهم : يا بعْضِى دع بعضا . وأصل هذا أن زُرارة بن عُدس زوّج ٱبنته من سويد بن ربيعة ، فكان له منها تسعة بنين . وأن سُويدا قَتل أخا صغيراً لعمرو بن هند الملك وهَرب ولم يقدر عليه ابن هند ؛ فأرسل إلى زُرارة أن ائتنى بولده من ٱبنتك ؛ فجاء بهم ، فأمر عمرو بقتلهم ، فتعلقوا بجدهم زُرارة ؛ فقال : يا بعضى دع بعضا . فذهبت مثلا .

ومن أمثالهم فى التحنن على الأقارب

قولهم : لكن على بَلْدَحَ قومٌ عَجفى .

وقولهم : لكنّ بالأثلاث لحمٌ لا يُظلّل .

وأصل هذا أن بيهسا الذى يُلقّب بنعامة كان بين أهل بيته وبين قوم حرب ، فقتلوا سبعة إخوة لبيهس وأسروا بيهسا ، فلم يقتلوه لصغره وارتحلوا به ، فنزلوا منزلا فى سفرهم ونحروا جزورا فى يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : ظللوا لحم جزوركم لئلا يفسد . فقال بيهس : لكن بالأثلاث لحم لا يظلل . يعنى لحم إخوته القتلى . ثم ذكروا كثرة ما غَنموا ، فقال بيهس : لكن على بَلْدح قوم عجفى . ثم إنه أفلت ، أو خلوا سبيله ، فرجع إلى أمه ، فقالت : أنجوت من بينهم ؟ وكانت لاتحبه ؛ فقال لها : لو خُيِّرْت لاخْتَرْتُ فلما لم يكن لها ولد غيره رقت له وتعطفت عليه . فقال بيهس : الثُّكْلُ أَرْأَمَها .

فذهبت كلماته هذه الأربع كلها أمثالا .

ومنه قولهم : لا يَعدَمُ الحُوار من أُمّهِ حَنَّةً .

وقولهم : لا يَضُرُّ الحُوارَ ما وطِئَتْهُ أُمُّهُ .

وقولهم : بأَبِى أَوْجُهَ اليتامى .

حماية القريب وإن كان مبغضا

من ذلك قولهم : آكل لحمى ولا أدَعُه يُؤكل .

ومنه : لا تَعْدَمُ منَ ابن عمِّك نصراً .

وقولهم : الحفائظُ تُحَلّل الأحقادَ .

وقولهم فى ابن العم : عدُوُّك وعدُوُّ عدُوِّك .

وقولهم : كفُّك منك وإن كانت شَلاءَ .

وقولهم : آنصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلوماً .

إعجاب الرجل بأهله

منه قولهم : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبةٌ .

وقولهم : القَرْنَبى فى عين أمها حسَنَةٌ .

وقولهم : زُيِّن فى عين والدٍ ولَدُه .

وقولهم : حَسنٌ فى كلِّ عين منْ تَوَدُّ . ٥

وقولهم : من يَمدح العرُوس إلّا أهلها .

تشبيه الرجل بأبيه

منه قولهم : من أشْبَه أباه فما ظلَم .

وقولهم : العُصَيَّةُ منَ العصا .

وقولهم : ما أشبه حَجَل الجبالِ بألوانِ صخرِها . ١٠

وقولهم : ما أشبه الحوَل بالقبَل . وما أشبه الليْلة بالبارحة .

وقولهم : شِنْشِنة أعرِفها مِن أخزَم . يقال هذا فى الولد إذا كانت فيه طبيعة من أبيه .

قال زُهير :

وهل يُنبِت الخطِّىَّ إلّا وشيجُهُ * وتُغرَس إلّا فى مَنابِتِها النخلُ ١٥

ومنه قول العامة : لا تلد الذئبةُ إلّا ذِئبا .

وقولهم : حَذْو النعل بالنعل . وحذوُ القُذَة بالقُذَة ، والقذة : الريشة من ريش السهم تُحذى على صاحبتها .

تحاسد الأقارب

من ذلك قولهم : الأقاربُ هم العقاربُ . ٢٠

وقال عمر : تزاوَروا ولا تجاوروا .

وقال أكثم : تباعدوا فى الدِّيار تقاربوا فى المحبّة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : زُرْ غبًّا تزدَدْ حُبًا .

ومنه قولهم : فرِّقْ بينَ مَعَدٍّ تَحابَّ . يريد أن ذوى القربى إذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا .

قولهم فى الأولاد

٥ قالوا : مَن سرَّهُ بنوهُ ساءَتْهُ نفسُهُ . أى من يرى فيهم ما يسره يرى فى نفسه ما يسوءه .

وقولهم :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَـةٌ صَيفِيُّونْ ٭ أفلحَ مَن كان له رِبْعيُّونْ

الولد الصيفى : الذى يولد للرجل وقد أسن . والربعى : الذى يولد له فى

١٠ عنفوان شبابه ؛ أخذ من ولد البقرة الربعى والصيفى .

ويقال للمرأة إذا تبنّت غير ولدها : آبنُكِ مَنْ دَمى عقبيّكِ .

الرجل يؤتى من حيث أمن

قالوا : من مأمَنِه يُؤتىٰ الحَذِر .

وقال عدى بن زيد العِبادى :

١٥ لو بغَيْرِ المـاءِ حلقِى شرِق ٭ كنتُ كالغصّانِ بالمـاءِ اعتِصارى

قال الأصمعى : هذا من أشرف أمثال العرب . يقول : إن كل من شرق بالماء لا مستغاث له .

وقال الآخر :

كنتُ من كُرْبتى أفِرُّ إليهم ٭ فهُمُ كُرْبتى فأين الفرارُ

٢٠ ومثله قول عباس بن الأحنف :

قلـبي إلى ما ضرَّنى داعِ ٭ يُهيج أحـزانى وأوجاعِى

كيفَ احتِراسِي منِ عدُوِّي إذا ٭ كان عدُوي بين أضلاعِى

وقال آخر :

من غصَّ داوَى بشرب الماء غُصَّته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

الأمثال فى مَكارم الأخلاق

الحـــلم

قال أبو عُبيد : من أمثالهم فى الحلم : إذا نَزا بك الشَّرُّ فاقعُدْ . أى فاحلم ولا تسارع إليه . ٥

ومنه قول الآخر : الحليمُ مَطِيَّةُ الجهولِ .

وقولهم : لا ينتَصِفُ حليمٌ من جاهِلٍ .

وقولهم : أَخِّرِ الشَّرَّ فإنْ شئْتَ تَعَجَّلْتَه .

وقولهم فى الحليم : إنه لواقِع الطَّيْرِ ، ولساكن الرِّيحِ . ١٠

وقولهم فى الحلماء : كأنما على رءوسِهِمُ الطَّيْرُ .

ومنه قولهم : رُبما أسمعُ فأذَرُ .

وقولهم : حِلْمِى أصمُّ وأُذُنِى غيرُ صَمَّاء .

العفو عند المقدرة

منه قولهم : ملَكتَ فأسْجِحْ . وقد قالته عائشة رضوان الله عليها لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها وكلمها فأجابته ملكت فأسجح . أى ظفرت فأحسن . فجهزها بأحسن الجهاز . وبعث معها أربعين امرأة ، وقال بعضهم : سبعين ــ حتى قدمت المدينة . ١٥

ومنه قولهم : إن المَقْدِرةَ تُذْهِبُ الحفِيظةَ .

وقولهم : إذا ارْجَحنَ شاصِياً فارفَعْ يدًا . يقول : إذا رأيته قد خضع واستكان فاكفف عنه . والشاصى : الرافع رجله . ٢٠

المساعدة وترك الخلاف

من ذلك قولهم إذا عز أخوكَ فهُنْ .

وقولهم : لولا الوِئامُ هَلَكَ اللِّئامُ . الوئام : المباهاة . يقول : لولا المباهاة لم يفعل الناس خيراً .

٥

مداراة الناس

قالوا : إذا لم تغلِبْ فاخلِبْ . يقول : إذا لم تغلب فاخدع ودار وألطف .

وقولهم : إلّا حظِيَّةَ فلا أَلِيَّةَ . معناه : إن لم يكن حظوة فلا تقصير . وألا يألو ، ويأتلى : أى يقصّر . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ .

١٠ وقولهم : سُوءُ الاستِمْساكِ خيْرٌ من حُسْنِ الصِّرعةِ .

ومنه قول أبى الدرداء : إنَّا لنَبَشُّ فى وجوهِ قومٍ وإنَّ قلُوبَنا لتلعنُهُمْ .

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : شِرارُ النَّاسِ من داراه النَّاسُ لشَرِّه .

ومنه قول شبيب بن شيبة فى خالد بن صفوان : ليسَ لهُ صديقٌ فى السِّرِّ

١٥ ولا عدُوٌّ فى العلانيةِ . يريد أن الناس يدارونه لشرّه ، وقلوب الناس تبغضه .

مفاكهة الرجل أهله

منه قولهم : كلُّ امْرِئٍ فى بيتِه صبى . يريد حسن الخلق والمفاكهة .

ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنّا إذا خلَوْنا قُلنا [1] .

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : خِيارُكم خيْرُكم لأهلِه .

٢٠ ومنه قول معاوية : إنّهُنَّ يغلِبْن الكِرام ويغلِبُهُنّ اللِّئامُ .

---

(١) فى بعض النسخ : « قللنا » من القلة .

اكتساب الحمد واجتناب الذم

قالوا : الحمدُ مغنَمٌ والذمُّ مغرَم .

وقولهم : إن قليلَ الذَمِّ غيرُ قليلٍ .

وقولهم : إنّ خيراً مِن الخيرِ فاعِلهُ ، وإنّ شَرًا من الشرِّ فاعِلُه .

وقولهم : ٥

الخيْرُ يبقَى وإن طالَ الزَّمانُ بِهِ ۞ والشرُّ أخبَثُ ما أوعيْتَ مِن زادِ

الصبر على المصائب

من ذلك قولهم :

۞ هوِّنْ عليك ولا تُولَعْ بإشفاقِ ۞

وقولهم : مَن أراد طولَ البقاء فليُوَطِّنْ نفسهُ على المصائب . ١٠

وقولهم : المصيبةُ للصّابرِ واحِدَةٌ وللجازِعِ اثنتانِ .

وقال أكثم بن صيفى : حِيلةُ من لا حيلةَ له الصّبْرُ .

وذكروا عن بعض الحكماء أنه أُصيب بابنٍ له ، فبكى حولا ثم سلا ، فقيل له: مالك لا تبكى ؟ قال : كان جُرْحاً فبَرِئَ .

قال أبو خراش الهذلى : ١٥

بلَى إنهــا تعفُو الكُلُومُ وإنمَــا ۞ نُوَكَّلُ بالأدنىٰ وإن جَلَّ ما يَمضى

ومنه قولهم : لا تلَهَّفْ على ما فات .

الحض على الكرم

منه قولهم : اصطِناعُ المعروفِ يقِى مصارعَ السوء .

وقولهم : الجودُ مَحبَّةٌ والبُخْلُ مبْغَضةٌ . ٢٠

وقول الحطيئة :

مَن يفعلِ الخيرَ لا يعْدَمْ جوازِيَهُ ۞ لا يذهَبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ

الكريم لا يجد

منه قولهم : بيتى يَبخل لا أنا .

وقولهم : بالساعِد تَبطش الكفُّ .

وقولهم :

٥ ما كلَّف اللهُ نفساً فوق طاقتِها * ولا تَجود يدٌ إلا بما تَجِد

وقال آخر :

يَرى المرء أحياناً إذا قلَّ مالُه * من الخير تاراتٍ ولا يستطيعُها
متى ما يَرُمْها قَصَّر[1] الفقر كفَّه * فيضعُف عنها والغنىُّ يُضيعها

القناعة والدعة

١٠ منه قولهم :

* وحسْبك من غنًى شِبَعٌ وريٌ *

وقولهم : يَكفيك ما بلَّغك المَحَلَّ .

وقال الشاعر :

من شاء أن يُكثِر أو يُقِلَّا * يكفيه ما بلَّغه المحلّا

١٥ ## الصبر على المكاره تحمده العواقب

قالوا : عواقب المكاره محمودة .

وقالوا : عند الصباح يَحمَد القوم السُّرى .

وقولهم : لا تُدرَك الراحة إلا بالتعب .

أخذه حبيب فقال :

٢٠ على أنى لم أحوِ مالاً مُجَمَّعاً * ففُزْت به إلا بشمل مُبدَّدِ
ولم تُعطِني الأيام نوما مُسكَّناً * ألَذُّ به إلا بنومٍ مُشرَّد

(١) فى بعض الأصول « يتّم » .

وأحسن منه قوله أيضا :

بَصُرْتَ بالراحة العليا فلم تَرَها ٭ تُنال إلا على جسر من التعب

الانتفاع بالمال

قالوا : خير مالِك ما نفَعك ، ولم يضِع من مالك ما وعظك .

ونظر ابن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك . ٥

وقولهم : تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره .

قال الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته ٭ فإذا أنفقته فالمال لكْ

المتصافيان ١٠

منه قولهم : هما كندْمانَىْ جذيمة .

قال الكلبي : هو جذيمة الأبرش الملك ، ونديمـاه رجلان من بلقيْن يقال لهما : مالك ، وعقيل . بلقين : يريد من بنى القين .

وقولهم :

وكلُّ أخٍ مُفارقه أخوه ٭ لَعمر أبيك إلا الفرْقَدانِ ١٥

ومنه قولهم : هما أطول صحبة من ابنَىْ شَمَامٍ . وهما جبلان .

خاصة الرجل

منه قولهم : عيبة الرجل . يريدون خاصته وموضع سره .

ومنه الحديث فى خزاعة : كانوا عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . مؤمنُهم وكافرُهم . ٢٠

من يكسب له غيره

منه قولهم : ليس عليك غزله فاسحب وجُر

وقولهم : رُبَّ ساعٍ لقاعد .

وقولهم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييْها .

٥ وقولهم : شرُّ الفقر الخضوع ، وخير الغنى القناعة .

ومنه الحديث المرفوع : أَجمِلوا فى الطَّلَب .

قال الشاعر :

فإذا افتقرت فلا تكنْ * مُتخشِّعاً وتجـمَّلِ

ومنه قول هُدبة العذرى :

١٠ ولستُ بمفراحٍ إذا الدهر سرَّنى * ولا جازعٍ من صرفه المُتقلِّبِ

ولا أتمنى الشر والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحمَل على الشرِّ أركب

المال عند من لا يستحقه

منه قولهم : خَرقاء وجدتْ صوفا . عبدٌ ملَك عبداً فأَولاه تبًّا .

وقولهم : مَن يَطُل ذيله يتمنْطَق به . ومرعًى ولا أكولة . وعُشْب ولا بعير .

١٥ يعنى مال ولا منفق .

الحض على الكسب

منه قولهم : اطلب تظفر .

وقولهم : مَن عجز عن زاده اتَّكل على زاد غيره .

وقولهم : من العجز نُتجت الفاقة .

٢٠ وقولهم : لا يَفترس الليثُ الظبيَ وهو رابض .

وقول العامة : كلب طوّاف خير من أسد رابض .

وقولهم :

أوْردها سعد وسعد مُشتمل ۞ ياسعد لا تَروَى على ذاك الإبلْ[(١)]

الخبير بالأمر البصير به

منه قولهم : على الخبير سقطتَ .

وقولهم : كفى قوما بصاحبهم خبيرا .

وقولهم : لكل أناس فى جَملهم خُبْر .

وقولهم : على يَدىَّ دار الحديث .

وقولهم : تعلّمُنى بضبّ أنا حرشْته . يقول : أتخبرنى بأمر أنا وليته .

وقولهم : ولّ القوس باريها .

وقولهم : الخيل أعلم بفرسانها .

وقولهم : كل قوم أعلم بصناعتهم .

وقولهم : قتل أرضاً عالمها ، وقتلتْ أرض جاهلها .

الاستخبار عن علم الشىء وتيقنه

من ذلك قولهم : ما وراءك يا عصام . أول من تكلم به النابغة الذبيانى لعصام صاحب النعمان ، وكان النعمان مريضاً فكان إذا لقيه النابغة قال له : ما وراءك يا عصام ؟

وقولهم :

۞ سيأتيك بالأخبار مَن لم تُزوِّدِ ۞

وقولهم : إليك يُساق الحديث .

انتحال العلم بغير آلته

منه قولهم : لكالحادى وليس له بعير .

(١) فى بعض النسخ : ما هكذا تورد يا سعد الإبل .

وقال الحطيئة :

* لكالماشى وليس له حِذاءُ *

وقولهم : إنباضٌ بغير توتير . وكقابِضٍ على الماء .

أخذه الشاعر فقال :

٥ ومَن يأمَنِ الدنيا يكن مثلَ قابِضٍ * على الماء خانتْهُ فروج الأصابِع

وخَرْقاء ذاتُ نِيقةٍ . يضرب للرجل الجاهلِ بأمرٍ يدّعى معرفتَه .

من يوصى غيره وينسى نفسه

يا طبيبُ طِبَّ لنفسك .

ومنه : لا تعِظِينى وتَعَظْعَظى . أى : لا توصينى وأوصى نفسك .

١٠ الأخذ فى الأمور بالاحتياط

منه قولهم : أنْ تَرِدَ الماء بماءٍ أكْيَسُ .

وقول العامة : لا تُصبَّ ماءً حتى تجدَ ماءً .

وقولهم : عَشِّ ولا تغْتَرّ . يقول : عش إبلك ، ولا تغتر بما تقدم عليه .

ويروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير أن رجلا أتاهم ، فقال :

١٥ كما لا ينفع مع الشرك عمل ، كذلك لا يضُر مع الإيمان تقصير . فكلهم قال : عَش ولا تغترّ .

وقولهم : ليس بأوَّلِ مَن غرَّهُ السَرابُ .

وقولهم : اشتَرِ لنفسِك وللسُّوق .

ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذى قال : أُرْسِلُ ناقتى وأتوكلُ . قال :

٢٠ اعقِلْها وتوكَّلْ .

الاستعداد للأمر قبل نزوله

منه قولهم : قبلَ الرمْىِ يُراشُ السهم .

وقولهم : قبلَ الرِّمايةِ تُملأُ الكنائن .

وقولهم : خُذِ الأمرَ بقوابِلِه . أى : باستقباله قبلَ أن يُدْبِر .

وقولهم : شَرُّ الرَّأْيِ الدبَرِيُّ .

وقولهم : المُحاجَزة قبلَ المُناجزة .

٥ وقولهم : التقدمُ قبلَ التندُّم .

وقولهم : يا عاقِدُ اذكُرْ حَلًّا .

وقولهم : خيرُ الأمورِ أحمَدُها مَغَبَّةً .

وقولهم : ليس للدهرِ بصاحب . من لم ينظرْ فى العواقِب .

طلب العافية بمسالمة الناس

١٠ قولهم : مَن سَلَكَ الجَدَدَ أمِنَ العِثار . واحذَرْ تَسْلَمْ .

ومنه قولهم : جُرَّ له الخطيرَ ما انجرَّ لك . الخطير : زمام الناقة .

ومنه قولهم : لا تكن أدْنَى العِيْرَيْنِ إلى السهم . يقول : لا تكن أدنى أصحابك إلى موضع التلف ، وكن ناحية أو وسطا .

قال كعب : إنّ لكل قومٍ كلباً فلا تكن كلبَ أصحابِك .

١٥ وتقول العامة : لا تكن لسانَ قومٍ .

توسط الأمور

من ذلك قولهم : لا تكن حُلواً فتُسترَط ، ولا مُرًّا فتُعْقَى . أى تلفظ . يقال : أعقى الشىء ، إذا اشتدت مرارته . قال الشاعر :

ولا تكُ آنياً حُلْواً فتُحْسَى ... ولا مُرًّا فتنشب فى الحِلاقِ

٢٠ وتقول العامة : لا تكن حُلواً فتؤكل ، ولا مُرًّا فتُلفَظ . وتوسُّط الأمورِ أدنَى إلى السلامة .

ومنه قول مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير : الحسنة بين السيئتين . وخير

الأمور أوساطها ، وشرُّ السير الحَقْحَقة . قوله : بين السيئتين ؛ يريد بين المجاوزة والتقصير .

ومنه قولهم : بين المُمِخّة والعجفاء ، يريد بين السمين والمهزول .

ومنه قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : خيرُ الناسِ هذا النَّمَطُ الأوسط ، يَلحَقُ بهم التالى ويَرجِعُ إليهمْ الغالى .

الإنابة بعد الإجرام

منه قولهم : أَقْصَرَ لمَّا أَبْصَر .

ومنه : أَتْبِعْ السيئةَ الحسنةَ ، والتائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له ، والندَمُ توبة ، والاعترافُ يَهدِمُ الاقتراف .

مدافعة الرجل عن نفسه

جاحَسَ فلانٌ عن خيْطِ رقبتِه . وخيط الرقبة : النخاع ، يقول : دافع عن دمه ومُهجته .

وقالت العامة :

« وأيّةُ نفسٍ بعدَ نفسِك تَنفَع »

ومنه : أَدْفَعُ عن نفسى إذا لم يكن عنها دافِع .

قولهم فى الانفراد

الذئبُ خالِياً أسدٌ ، يقول : إذا وجدك خالياً اجترأ عليك .

ومنه الحديث المأثور : الوحيد شيطان .

وفى الحديث الآخر : عليكم بالجماعة : فإن الذئبَ إنما يُصيبُ من الغنمِ الشاردة .

من ابتلي بشيء مرة مخافة أخرى

منه الحديث المرفوع : لا يُلْسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين . يريد أنه إذا لسع مرة تحفظ أخرى .

وقولهم : مَن لدغتْهُ الحية يَفْرَق من الرَّسن .

وقولهم : * مَن يشترى سيفى وهذا أَثْرُهْ * ٥

يضرب هذا المثل للذى قد اختُبِر وجُرِّب .

وقولهم : * كُلَّ الحِذاء يَحتذى الحافى الوَقِعْ *

الوقع : الذى يمشى فى الوَقَع ، وهى الحجارة . قال أعرابى :

يالَيْتَ لى نَعْلَيْنِ من جِلْدِ الضَّبُعْ * كلَّ الحِذاءِ يَحتذى الحافى الوَقِعْ

اتباع الهوى ١٠

قال ابن عباس : ماذَكَرَ اللهُ الهوى فى شىءٍ إلا ذَمّه .

قال الشَّعبى : قيل له هَوًى ؛ لأنه يُهوى به .

ومن أمثالهم فيه : حُبُّكَ الشىءَ يُعمِى ويُصِمّ .

وقالوا : الهوى إلهٌ معبود .

الحذر من العطب ١٥

قالوا : إنَّ السلامةَ منها تَرْكُ مافيها .

وقولهم : أعْوَر عيْنَك والحَجَر .

وقولهم : الليلَ وأهضامَ الوادى . وأصله أن يسير الرجلُ ليلا فى بطون الأودية . حذَّره ذلك .

وقولهم : دَعْ خيْرَها لشرِّها . ٢٠

وقولهم : لا تراهن على الصَّعْبة .

وقولهم : أعْذَرَ مَنْ أَنذر .

حسن التدبير والنهى عن الخرق

الرِّفق يُمْنٌ والخُرْق شُؤْمٌ . ورُبَّ أكْلةٍ تحرم أكَلات .

وقولهم : قلبَ الأمر ظَهراً لبطنٍ .

وقولهم : ضرَب وجهَ الأمر وعيْنَه ، وأجر الأمور على أذلالها . أى على وجوهها .

وقولهم : وَجِّه الحَجَر وِجْهةً ما له .

وقولهم : ولِّ حارَّها مَن ولِىَ قارَّها .

المشورة

قالوا : أولُ الحزْم المشورةُ .

ومنه لا يَهلِك امرؤ عن مَشورةٍ .

قال ابن المسيِّب : ما استَشَرت فى أمرٍ واستَخرْتُ وأُبالى على أىِّ جنْبَىَّ سقَطْت .

الجد فى طلب الحاجة

أَبْلِ عذراً وخَلاك ذَمّ . يقوله : إنما عليك أن تجتهد فى الطلب وتُعذِر ، لكيلا تُذم فيها وإن لم تكن تُقضى الحاجة .

ومنه : ٭ هذا أوان الشَّدِّ فاشتَدِّى زِيَمْ ٭

وقولهم : دَرِّبْ عليه جِرْوَتَك . أى وطِّن عليه نفسك .

ومنه : اجمع عليه جَراميزَك ، واشدُد له حيازيمَك .

وقولهم : شمِّر ذيْلا ، وادَّرِعْ لَيْلا .

ومنه : إيتِ به مِن حَسِّك وبَسِّك .

ومنه قول العامة : جئْ به من حيْث أيْسَ وليْس . والأيس : الموجود . والليس : المعدوم .

التأنى فى الأمر

من ذلك قولهم : رُبَّ عجَلةٍ تُعقِب رَيْثاً .

وقولهم : المنبَتُّ لا أرضاً قَطَع ولا ظهْراً أبْقى .

وقال القُطامى :

قد يُدرِك المُتأنى بعض حاجتِه ٭ وقد يكون مع المستعجل الزَّلل ٥

ومنه : ضحِّ رُوَيداً . أى لا تعجل . والرَّشْف أنْقع . أى أروَى يقال : شرب حتى نقع .

ومنه : لا يُرسِل السّاق إلا مُمسِكا ساقا .

ســـوء الجوار

منه قولهم : لا يَنفعك من جار سُوءٍ تَوقٍّ ، والجارُ السوء قطعةٌ من نارٍ . ١٠

ومنه : هذا أحقُّ منزلٍ بتَركٍ .

ومنه قولهم : الجارَ قبل الدار ، الرفيق قبل الطريق .

ومنه قولهم : بعت جارى ولم أبع دارى . يقول : كنت راغبا فى الدار ، إلا أنى بعتها بسبب الجار السوء .

ســـوء المرافقة ١٥

أنت تَئِقٌ وأنا مَئِقٌ فتى نتَّفِق . التئق : السريع الشر . والمئق : السريع البكاء ؛ ويقال : الممتلئ من الغضب . والتئق والمئق مهموزان .

وقولهم : ما يُجمع بين الأرْوَى والنَّعَام . يريد أن مسكن الأروى الجبل ومسكن النعام الرمل . والأروى ، جمع أرويّة .

ومنه : لا يَجتمع السَّيفان فى غِمد . ٢٠

ومنه : لا يَلْطاط هذا بصَفَرى . أى لا يلصق بقلبى .

العـــادة

قالوا : العادَةُ أمْلَك من الأدبِ .

وقالوا : عادة السُّوءِ شرٌّ من المَغْرم .

وقالوا : أعطِ العبْدَ ذراعاً يَطلبْ باعاً .

ترك العادة والرجوع إليها

٥ منه قولهم : عاد فلانٌ فى حافِرَته . أى فى طريقته . ومنه قوله تعالى : ﴿ أئنَّا لَمَرْدُودُونَ فى الحافِرَةِ ﴾ . ومنه : رجَع فلانٌ على قَرْوائه . ومنه الحديث : لا تَرجِعُ هذه الأمَّةُ عن قَرْوائها .

اشتغال الرجل بما يعنيه

١٠ منه : كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعٍ .

وقولهم : هَمُّك ما أهَمَّك . همُّك ما أذْأنك .

وقولهم : ولِّ حارَّها من تولَّى قارَّها .

قـــلة الاكتراث

منه قولهم : ما أُباليه بالةً . اسْمَحْ يُسمَحْ لك .

١٥ وسئل ابن عباس عن الوضوء من اللبن ؟ فقال : ما أُباليه بالةً .

وقولهم : الكلابَ على البقَر . يقول : خلِّ الكلاب وبقر الوحش .

قلة اهتمام الرجل بصاحبه

هانَ على الأملَسِ ما لاقى الدَّبِرْ .

وقولهم : ما يَلقَى الشَّجِى من الخلىّ . قال أبو زيد : الشجى مخفف ،

٢٠ والخلى : مشدد .

ومنه قول العامة : هان على الصَّحيح أن يقول للمريض : لا بأس عليك .

الجشع والطمع

منه قولهم: تُقطِّع أعناق الرِّجال المَطامعُ .

ومنه قولهم : غَثُّك خيرٌ لك من سَمِين غيرِك .

وقولهمْ : المسألةُ خُموشَ فى وجه صاحبِها .

وقال أبو الأسود فى رجل دنىء : إذا سُئل أرزَ وإذا دُعِيَ انتهز[1] ٥

ومنه قول عون بن عبد الله : إذا سَأل ألحفَ ، وإذا سُئل سوَّف .

الشره للطعام

منه قولهم : وحْمَى ولا حَبَل . أى لا يُذكر شىء إلا اشتهاه ، كشهوة الحُبلى . وهى الوحمى .

ومنه : المرءُ توَّاقٌ إلى ما لم يَنَل . ١٠

وقولهم : يَبعثُ الكلابَ على مَرابِضِها . أى يطردها طمعاً أن يجد شيئاً يأكله من تحتها .

ومنه قولهم : أراد أن يأكلَ بيدين .

ومنه الحديث المرفوع : الرَّغْبةُ شُؤمٌ .

الغلط فى القياس ١٥

مثل قولهم : ليس قَطاً مثل قُطَىٍّ .

وقال ابن الأسلت :

ليس قَطاً مثل قُطَىٍّ ولا الـــ ـمَرْعِيُّ فى الأقوام كالراعِى

ومنه قولهم : مُذكِّيةٌ تُقاسُ بالجِذاعِ . يُضرب لمن يقيس الكبير بالصغير والمذكية : هى المُسنة من الخيل . ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « اهتز » .

وضع الشيء في غير موضعه

منه : كَمُسْتَبْضِعِ التَّمرِ إلى هَجَرْ ، وهجر : معدن التمر .

قال الشاعر :

فإنا ومن يُهدِى القصائدَ نحونا * كَمُسْتَبْضِعٍ تمراً إلى أهلِ خيْبَرَا

٥ ومنه قولهم : كَمُعَلِّمةٍ أمّها الرَّضاعا

ومنه الحديث المرفوع : رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أفْقهُ منه .

وفيمن وضع الشيء في غير موضعه : ظَلَم مَنِ ٱسْتَرْعَى الذِّئبَ الغَنَم .

وقال ابن هرمة :

كتارِكةٍ بيْضَها بالعَــــراءِ * ومُلْحِفةٍ بيْضَ أخرى جَناحا

١٠ يصف النعامة التي تحضُن بيض غيرها وتضيع بيضها .

كفران النعمة

منه : سَمِّن كلبَكَ يأْكُلكَ . أحُشُّكَ وتَروُثُني . قال في مخاطبة فرسه : أأعْلِفُكِ الحشيش وتروث عليّ .

ومنه قول الآخر :

١٥ أعلّمهُ الرِّماية كلَّ يَوْمٍ * فلما اشْتدَّ ساعِدُهُ رماني

التبذير

منه قولهم : لا ماءكِ أبقيْتِ ، ولا دَرَنَكِ أنْقَيتِ .

وقولهم : لا أبوكَ نُشر ولا التُّرابُ نَفِد . أصل هذا المثل لرجل قال : ليتني أعرف قبر أبي حتى آخذ من ترابه على رأسي .

٢٠ ## التهمــــة

منه قولهم : عسَى الغُوَيْرُ أبْؤُسا . والأبؤس جمع بأس ، قال ابن الكلبي : الغوير : ماء معروف لكلب . وهذا مثَل تكلمت به الزباء ، وذلك أنها وجهت قصيرا

للخمى بالعير ليجلب لها من بزّ العراق ، وكان يطلبها بدم جذيمة الأبرش ، فجعل الأحمال صناديق ، وجعل فى كل صندوق رجلا معه السلاح ، ثم تنكب بهم الطريق وأخذ على الغُوير فسألت عن خبره ، فأخبرت بذلك ، فقالت : عسى الغَوير أبؤسا . تقول عسى أن يأتى الغوير بشر . وآستنكرت أخذه على غير الطريق . ٥

ومنه : سقَطَتْ به النَّصِيحَةُ على الظِّنَّةِ ، أى نصحته فاتهمك .

ومنه : لاتنقُش الشَّوْكة بمِثْلِها ، فإن ضلعها معها . يقول : لا تستعن فى حاجتك بمن هو للمطلوب منه الحاجة أنصح منه لك .

تأخير الشيء وقت الحاجة إليه

منه : لا عِطْرَ بعدَ عروسٍ ، وأصل هذا أن عروساً أُهديت فوجدها الرجل نفلة ، فقال لها : أين الطيب ؟ قالت : آدخرته . قال : لا عطر بعد عروس . ١٠

وقولهم : لا بقاء لِلْحَمِيَّةِ بعد الحُرْمةِ ؛ يقول : إنما يحمى الإنسان حريمه ، فإذا ذهب فلا حمية له .

الإساءة قبل الإحسان

منه : يَسْبِقُ دِرَّتَهُ غِرارُهُ ؛ الغرار : قلة اللبن . والدرة : كثرته . ويَسْبِقُ سيْلَهُ مطَرُهُ . ١٥

البخـــل

ما عِندَهُ خيْرٌ ولا ميْرٌ . سواءٌ هو والعدَم . العَدَم والعُدْم ، لغتان .

مابضَّ حجَرُهُ . والبض أقل السيلان .

ما تَبُل إحدَى يديْهِ الأُخرى[1] . ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول . « ما تبذل إحدى يديه لأخرى »

الجبن

إنّ الجبانَ حتْفُـهُ من فوْقِه ، ومثله فى القرآن : ﴿ يَحْسَبونَ كُلَّ صيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ .

ومنه : كلُّ أزَبَّ نفورٌ . وقفّ شـعْرُهُ . واقْشَعَرَّتْ ذُؤابتُـهُ . معناه : قام شعره من الفرع .

وشرِقَ بريقِهِ .

الجبان يواعد بـا لا يفعل

الصِّدقُ يُنْبِي عنكَ لا الوعيدُ . ينبى : يدفع عنك من ينبو .

ومنه : أوْسعْتُهُمْ شتما[1] وأوْدَوْا بالإبِلْ .

وقيل لأعرابى خاصم امرأته إلى السلطان : كَبَّها اللهُ لِوَجْهِها . فقال : ولو أمرَ بِى إلى السِّجْنِ .

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قولهم : إن ذهَبَ عيْرٌ فعَيْرٌ فى الرِّباطِ .

ومنـه : ٭ إذا غابَ منْها كوكَبٌ لاحَ كوْكَبُ ٭

وقولهم : رأْسٌ برأْسٍ وزيادةِ خَمْسِمائةٍ ، قالهـا الفرزدق فى رجـل كان فى جيش ، فقال : من جاء برأس فله خمسمائة درهم : فبرز رجل وقتل رجـلا من العدو ، فأعطاه خمسمائة درهم ؛ ثم برز ثانية ، فقتِل ، فبكى عليه أهله ، فقال لهم الفرزدق : أما ترضون رأسا برأس وزيادة خمسمائة ؟

المقـادير

منه قولهم : المقاديرُ تُريكَ ما لا يَخْطُر ببالِكَ .

---

(١) فى بعض الأصول : « سبا » .

وقولهم : إذا نَزلَ القَدَرُ غشَّى البصَر . وإذا نَزلَ الحَيْنُ غَطَّى العيْنَ . ولا يُغْني حذَر منْ قدَرٍ . من مأمَنِهِ يُؤْتَى الحَذِرُ .

وقولهم : وكيفَ تَوَقَّى ظهْرَ ما أنتَ راكِبُه .

الرجل يأتى إلى حتفه

منه قولهم : أتتْكَ بحائنٍ رِجْلاهُ . لا تكُنْ كالباحِثِ عنِ المُدْيَةِ . ٥

وقولهم : حتْفَها تحمِلُ ضأنٌ بأظلافِها .

ما يقال للجانى على نفسه

يداكَ أوكَتَا وفوكَ نفَخَ . وأصله أن رجلا نفخ زقًّا وركبه فى النهر ، فانحل الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل . فاستغاث بأعرابى على ضفة النهر ، فقال : يداك أوكتا وفوك نفخ . ١٠

جالب الشر إلى أهله

منه قولهم : دلَّتْ على أهْلِها بَراقِشُ . وبراقشُ كلبة لحى من العرب مرَّ بهم جيش ليلاً ولم ينتبهوا لهم ، فنبحت براقش فدلت عليهم .

وقالوا : كانت علَيْهِمْ كراغيَةِ البَكْرِ . يعنون ناقة ثمود .

وقال الأخطل : ١٥

ضفادِعُ فى ظلْماءِ ليْلٍ تجاوَبَتْ ٭ فدَلَ عليْها صوْتُها حيَّةَ البَحْرِ

تصرف الدهر

منه قولهم : مرةً عيْشٌ ومرَّةً جيْشٌ .

ومنه : اليوْم خمْرٌ وغداً أمْرٌ : قاله امرؤ القيس ، أو مهلهل أخو كليب ، لما أتاه موت أخيه وهو يشرب . ٢٠

وقالوا : عِشْ رجباً تَرَ عجَباً .

وقالوا : أتى الأبدُ على لُبَد .

وقال الشاعر :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرُّ

وقولهم : مَنْ يجتمعْ تتقعقعْ عُمُده . وأنشد :

أجارَتنا مَن يجتمِعْ يتفرّقِ ... ومَن يَكُ رَهْناً للحوادث يَغْلَقِ

٥ الأمر الشديد المعضل

منه قولهم : أظْلَمَ عليه يومُه ، وأين يَضَعُ المخنوقُ يدَه .

ومنه قولهم : لو كان ذا حِيلةٍ لتحوّل .

ومنه قولهم : رأى الكوكبَ ظُهراً . قال طرفة :

... وتُرِيهُ النَّجمَ يَجرِى بالظُّهُر ...

١٠ هلاك القوم

منه قولهم : طارت بهِمُ العَنقاء . وطارت بهِمْ عُقابٌ مَلَاعٌ . يقال ذلك فى الواحد والجمع . وأحسبُها معدولةً عن مليع .

والمَنايا على الحَوَايا . قال أبو عبيد : يقال إن الحوايا فى هذا الموضع مَرْكب من مراكب النساء ، واحدتها حَوِيّة ، وأحسب أصلها أنّ قوماً قتلوا ، فحُملوا

١٥ على الحوايا ، فظنّ الراءون أنّ فيها نساء ، فلما كشفوا عنها أبصروا القتلى ، فقالوا ذلك ؛ فصارت مثلا .

ومنه : أَتتْهُمُ الدُّهَيمِ تَرْمى بالرَّضْف . معناه الداهية العظيمة .

وهذا أمرٌ لا يُنادَى وَلِيدُه . معناه أن الأمر اشتدّ حتى ذَهِلت المرأة أن تدعو وليدها .

٢٠ ومنه : التَقتْ حَلْقتا البِطان . وبَلَغ السيْلُ الزُّبَى . وجاوزَ الحِزامُ الطُّبْيَيْن .

وتقول العامة : بلغ السِّكِّينُ العظْم .

إصلاح ما لا صلاح له

منه قولهم : * كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ *

حلم : فسد . وكتب الوليد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت :

فإنك والكتابَ إلى عليٍّ * كدابغةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ

فى شعرٍ له .

صفة العدوّ

يقال فى العدوّ : هو أَزْرقُ العين . وإن لم يكن أزرق . وهو أسودُ الكبد . وأَصْهَبُ السِّبَال .

البخيل يعتل بالعسر

منه قولهم : قبلَ البُكاءِ كان وجهُكَ عابِساً .

ومنه : قبلَ النِّفاسِ كنتِ مصفَرَّة .

اغتنام مايعطى البخيل وإن قل

منه : خُذْ من الرَّضْفةِ ماعليها . وخذ مِن جَذَع ما أعطاك .

قال ابن الكلبى : وأصل هذا المثل أنّ غسان كانت تؤدِّى إلى ملوك سَلِيح دينارين كل سنة عن كل رجل ، وكان الذى يلى ذلك سبطة بن المنذر السَّليحى . فجاء سبطة إلى جَذَع بن عمرو الغسّانى يسأله الدينارين . فدخل جَذع منزلَه واشتمل على سيفه ، ثم خرج فضرب به سَبَطة حتى سكت ، ثم قال له : خُذ من جذع ما أعطاك ! فامتنعت غسّان من الدينارين بعد ذلك ، وصار الملك لها حتى أتى الإسلام .

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه

منه قولهم : سَمْنُكم هُريقَ فى أَدِيمِكم .

ومنه : يا مُهدِيَ المالِ كُلْ ما أَهْدَيْتَ .

ومنه قول العامة : الحمار جَلَبَه والجمار أكَلَه .

موت البخيل وماله وافر

منه : مات فلانٌ عريضَ البطان . ومات ببطنتِه لم يتَغَضغَض منها شيءٌ .

٥ والتغضغض : النقصان .

البخيل يعطى مرة

منه قولهم : ماكانت عطيَّتُه إلا بيْضةَ العُقْر . وهي بيضة الديك .

قال الزبيري : الدِّيكُ ربما باضَ بيْضة .

وأنشد لبشار :

١٠ قد زُرتِني زَوْرةً في الدهر واحدة ٭ ثنّي ولا تجعَليهــا بيْضةَ الدِّيكِ

ومنه قول الشاعر :

لا تعجبنّ لخــير زلّ من يده ٭ فالكوكبُ النحسُ يسقي الأرض أحيانا

ومنه قولهم : من الخواطئ سهم صائب .

والليلُ طويلٌ وأنتَ مُقْمِرٌ . وأصل هـذا أنّ سُليك بن سلكة ، كان نائما

١٥ مشتملا ، فجثم رجل على صدره . وقال له : استأسِرْ . فقال له : الليل طويل وأنت مقمر . ثم قال له : استأسر ياخبيث . فضمه ضمة ضرط منها ، فقال له : أضَرطاً وأنتَ الأعلى . فذهبت أيضاً مثلا .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تَسْألُني بِرامَتين سَلْجَما . وأصله أن امرأة تشَهَّتْ على زوجها

٢٠ سَلجما وهو ببلد قفر ، فقال هذه المقالة ؛ والسلجم : اللفت .

ومنه : شر مانال امرؤ مالم يَنل .

ومنه : السائلُ فوقَ حقِّه مستحقّ الحرمان .

ومنه قولهم :

إنكِ إنْ كلَّفتنى ما لم أُطِقْ ‏* ساءكِ ما سرَّك منى مِن خُلقْ

الرضا بالبعض دون الكل

منه : قد يَركَب الصَّعْب مَن لا ذلول له .

وقولهم : خُذْ من جِذْعٍ ما أعطاك .

وقولهم : خُذ ما طَفَّ . لك أى أرض بما أمكنك .

ومنه قولهم : زوْجٌ مِن عودٍ خيْرٌ من قُعودٍ .

وقولهم : ليس الرِّىُّ [عن] التَّشافِّ . أى ليس يروى الشارب بشرب الشفافة كلها ، وهى بقية الماء فى الإناء ، ولكنه يَروى قبل بلوغ ذلك .

وقولهم : لمْ يُحرَم مَن فُصِد له . ومعناه أنهم كانوا إذا لم يقدروا على قِرَى الضيف فَصدوا له بعيراً وعالجوا دمه بشىء حتى يمكن أن يأكله .

ومنه قول العامة : إذا لم يكن شحمٌ فنفَسٌ . أصل هذا أن امرأةً لبست ثيابا ، ثم مشت وأظهرت البَهر فى مشيتها بارتفاع نفَسها ، فلقيها رجل ، فقال لها : إنى أعرفك مهزولة ، فمن أين هذا النفس ؟ قالت : إن لم يكن شحم فنفس ، وقال ابن هانئ :

قال لى : تَرضَى بِوعْدٍ كاذبٍ ‏* قلت إن لم يكُ شحمٌ فنفَسٌ

التنوّق فى الحاجة

منه قولهم : فعلْتُ فيها فعل من طَبَّ لمن حَبَّ .

ومنه قولهم : جاء تَضِبُّ لِثاتُه على الحاجة . معناه لشدة حرصه عليها .

وقال بشر بن أبى خازم : ‏* خَيْلٌ تَضِبُّ لِثاتُها للمغنم ‏*

استتمام الحاجة

أتبِع الفَرَس لجامَها . يريد أنك قد جُدت بالفرس واللجامُ أيسر خَطْباً . فأتمَّ الحاجة

ومنه : تمامُ الرّبيع الصَّيْفُ . وأصله فى المطر ؛ فالربيع أوله، والصيف آخره .

المصانعة فى الحاجة

من يَطلب الحسناء يُعْط مَهْرها .

وقولهم : المصانعة تُيَسِّر الحاجة ، ومَنِ آشترى فقد آشتوى . يقول : من
٥ اشترى لحماً فقد أكل شواء .

تعجيل الحاجة

قولهم : السَّراحُ من النَّجاح ، والنَّفْس مُولعة بِحُبِّ العاجلِ .

الحاجة تمكن من وجهين

منه قولهم : كِلاَ جانِبَىْ هَرْشى لهنّ طريق . هرشى : عقبة .
١٠ ومنه : هو على حَبْل ذِراعِك . أى لا يُخالفك .

من منع حاجة فطلب أخرى

منه قولهم : إلّا دَهٍ فَلاَ دَهٍ . قال ابن الكلبى : معناه أنّ كاهنا تقاضى إليه
رجلان من العرب . فقالا : أخبرنا فى أى شىء جئناك ؟ قال : فى كذا وكذا .
قالا : إلّا ده . أى انظر غير هذا النظر . قال : إلّاده فلاده . ثم أخبرهما بها .
١٥ قال الأصمعى : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن .

الحاجة يحول دونها حائل

منه قولهم : قد عَلِقَت دلْوَك دلْوٌ أُخرى .

وقولهم : الأمر يَحدُث دونه الأمر .

وقولهم : أَخلَف رُوَيْعِياً مَظنُّه . وأصله أن راعيا اعتاد مكانا ، فجاء يرعاه ،
٢٠ فوجده قد تغير وحال عن عهده .

ومنه قولهم : سَدَّ ٱبن بيْضٍ الطريق سَدًّا . وابن بيض : رجل عقر ناقة فى رأس ثنية فسدَّ بها الطريق .

اليأس والخيبة

منه قولهم : منْ لى بالسانِح بعد البارِح . أى من لى باليُمن بعد الشؤم .

وقولهم : جاء بِخُفَّىْ حُنيْن . وقد فسرناه فى الكتاب الذى قبل هذا . ٥

ومنه : أطال الغيْبَةَ وجاء بالخيْبة .

ونظير هـذا قولهم : سكَتَ ألْفاً ونطَق خَلفاً . أى أطال السكوت وتكلم بالقبيح ، وهذا المثل يقع فى باب العىّ ، وله هاهنا وجه أيضاً .

وقال الشاعر :

وما زِلتُ أقطع عرْض البلادِ ٭ منَ المشرقَيْن إلى المغربيْن ١٠

وأدَّرِعُ الخوْف تحت الدُّجى ٭ وأستَصحِبُ النَّسْر والفرْقدَيْن

وأطْوى وأنشُرُ ثوبَ الهموم ٭ إلى أن رجَعْتُ بخُفَّىْ حُنَيْنْ

طلب الحاجة فى غير موضعها

قالوا : لم أجد لشفرتى محزا .

وقولهم : كَدَمْتُ غير مَكْدَم . ١٥

وقولهم : نفختَ لو تنفخ فى فحم .

وقالت العامة : يضرب فى حديد بارد .

طلب الحاجة بعد فوتها

منه قولهم : لا تَطلُب أثراً بعد عيْن .

وقولهم : الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَن . معناه أن الرجل إذا لم يُطرِق ماشيته فى الصيف كان مضيِّعاً لألبانها عند الحاجة . ٢٠

الرضا من الحاجة بتركها

منه قولهم : من نَجا برأسِه فقد رَبح .

وقولهم : رضِيت منَ الغَنيمةِ بالإيابِ

وقول العامة : الهزيمة مع السّلامة غنيمةٌ .

٥ وقال امرؤ القيس :

وقد طَوّفْت فى الآفاق حتى ٭ رضيت منَ الغَنيمة بالإياب

وقال آخر :

الليْل داجٍ والكباشُ تَنتَطِحْ ٭ فمن نجا برأسِه فقد رَبحْ

من طلب الزيادة فانتقص

١٠ منه : كطالب القَرْن [جُدِعَتْ] أُذُنُه .

وقولهم : كطالب الصّيْد فى عِرّيسة الأسَد .

وقولهم : سَقَط العَشاء بها على سِرْحان . يريد دابة خرجت تطلب العشاء فصادفت ذئباً .

ونظير هذا من قولنا :

١٥ طَلَبت بك التّكثيرَ فازْددْتَ قِلّةً ٭ وقد يَخسرُ الإنسان فى طلب الرِّبح

الخلاء بالحاجة

منه قولهم : ٭ خَلا لك الجوُّ فبيضى واصفرى ٭

ومنه : رُمِىَ برِيشِك على غارِبك . وهذا المثل قالته عائشة لابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ذهبت والله ميمونة ورُمى بريشك

٢٠ على غاربك .

إرسالك فى الحاجة من تثق به

« أرْسِل حكيماً ولا تُوصِهِ »

وقولهم : الحريصُ يصيدُ لك لا الجوادُ . يقول : إن الذى يحرص بحاجتك هو الذى يقوم بها ، لا القوىّ عليها ولا هوى له فيها .

ومنه قولهم : لا يُرَحِّلَنَّ رحْلَكَ مَن ليس معَك . ٥

ومنه فى هذا المعنى : الحاجة يجعلها نُصْبَ عينَيْهِ ، ويَحْملها بين أُذُنِه وعاتِقِه . ولم يَجعلْها بظَهْرٍ .

قضاء الحاجة قبل السؤال

منه قولهم : لا تسأل الصَّارِخَ وانظُرْ مالهُ . يريد : لم يأتك مستصرخاً إلا مِن ذعر أصابه ، فأغثه قبل أن يسألك . ١٠

ومنه : كفَى برُغائِها مُنادِيًا .

ومنه : يُخبِرُ عن مجهولِهِ معلومُه .

وقولهم : فى عينِه فرارُهُ . يعنون فى نظرك إلى الفرس ما يُغنيك عن أن تَفرّه .

الانصراف بحاجة تامة مقضية

جاء فُلانٌ ثانياً من عِنانِه . فإن جاء بغير قضاء حاجة ، قالوا : جاء يضرِبُ أصدرَيْهِ ، أى عِطفيه . ١٥

وجاء وقد لفظ لِجامَه . وجاء سَبَهْلَلاً .

فإن جاء بعد شدة قيل : جاء بعدَ اللّتَيَّا والتى . وجاء بعدَ الهِياطِ المِياطِ .

تجديد الحزن بعد أن يبكى منه

منه قولك : حرِّكْ لها حُوَارها تَحِنّ . وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام : أخرج إليهم قميصَ عثمان ٢٠

رضوانُ الله عليه الذى قُتل فيه . ففعل ذلك معاوية . فأقبلوا يبكون . فعندها قال عمرو : حَرِّكْ لها حُوارها تحنّ .

جامع أمثال الظلم

منه قولهم : الظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وخيمٌ .

وفى الحديث : الظُّلْم ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ . ٥

ومنه : إنّك لا تَجْنى مِنَ الشَّوْكِ العنَبَ .

وقولهم : الحرْبُ غشُومٌ .

الظلم من نوعين

منه : أحشَفاً وسوء كِيلَة .

ومنه : أغُدَّةً كغُدَّةِ البعيرِ ، وموْتٌ فى بيْتِ سلُوليَّة . ١٠

وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون فى انصرافه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فلجأ إلى امرأة من سلول فهلك عندها .

ومنه : أغَيْرةً وجُبْنًا . قالته امرأة من العرب، لزوجها تعيّره حين تخلّف عن عدوه فى منزله ، ورآها تنظر إلى القتال فضربها . فقالت : أغيرة وجُبناً ؟

وقولهم : أ كَزَفاً وإمساكاً . أصله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع بخل ومنع . ١٥

وقولهم : ياعبْرَى مُقبِلةً وسَهْرَى مُدْبِرةً . يضرب الأمر الذى يُكره من وجهين .

ومنه قول العامة :

* كالمُسْتغيثِ مِنَ الرَّمْضاءِ بالنارِ * ٢٠

وقولهم : لِلموْتِ يفْزَعُ وللموْتِ يدَرَ .

وقولهم : كالأشقرِ : إن تقدَّمَ نحرَ ، وإن تأخّرَ عُقر .

وقولهم : كالأرقم إن يُقْتَلْ يَنْقم ، وإن يُتْرَكْ يلْقم . يقول : إن قتلته كان له من ينتقم له منك ، وإن تركته قتلك .

ومنه : هو بين حاذِفٍ وقاذِفٍ . الحاذف : الضارب بالعصا ، والقاذف : الرامى بالحجر .

من يزاد غما على غمه ٥

منه قولهم : ضِغْثٌ على إبَّالةٍ . الضغث : الحزمة الصغيرة من الحطب ، والإبالة : الكبيرة .

ومنه قولهم : كِفْتٌ إلى وئيَّة . الكفت القدر الصغيرة ، والوئيَّة : القدر الكبيرة . يُضرب للرجل يحمل البلية الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة .

ومنه قولهم : وقَعوا فى أُمِّ جُنْدُب ، إذا ظلَموا . ١٠

المغبون فى تجارته

منه قولهم : صفْقَةٌ لم يشْهَدْها حاطبٌ . وأصله أن بعض أهل حاطب باع بيعة غَبن بها .

ومنه قولهم : أعطاهُ اللّفاء غيْرَ الوفاء .

سرعة الملامة ١٥

منه : ليس مِنَ العذْلِ سُرْعةُ العذْلِ .

ومنه : رُبَّ ملُومٍ لا ذنبَ له .

وقولهم : الشّعيرُ يُؤكلُ ويُذَمُّ .

وقول العامة : أكْلاً وذمًّا .

وقول الحجاج : قُبِّح والله منَّا الحَسَنُ . ٢٠

الكريم يهتضمه اللئيم

لو ذاتُ سِوارٍ لطَمَتْني .

ومنه : ذُلٌّ لو أَجِدُ ناصِراً .

الانتصار من الظلم

هذهِ بتِلْك ، والبادى أظلمُ . ٥

ومنه : مَنْ لم يَذُدْ عن حوْضِهِ يُهدَّمِ .

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه

قالوا : من حفَرَ مُغوَّاةً وقعَ فيها . والمغواة : البئر تحفر للذئاب ، ويجعل فيها جدى ليسقط الذئب فيها ليصيده ، فيُصطاد .

ومنه : يعْدُو على كُلِّ امْرِئٍ ما يأْتَمِر . ١٠

ومنه : عادَ الرَّمْىُ على النَّزَعَةِ . وهم الرماة يرجع عليهم رميهم .

وتقول العامة : كالباحِثِ عنِ المُدْيَةِ .

ومنه قولهم : رُمِىَ بِحَجرِهِ ، وقُتِلَ بسِلاحِهِ .

المضطر إلى القتال

مُكْرَهٌ أخوكَ لا بطَلٌ . ١٥

* قد يَحْمِلُ العيْرُ مِنْ ذَعْرٍ على الأَسَدِ *

المأخوذ بذنب غيره

جانِيكَ مَنْ يَجْنِي عليْكَ .

ومنه : * كذِى العرِّ يُكْوَى غيْرُهُ وهو راتِعُ *

ومنه : * كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لمَّا عافَت البقَرُ * ٢٠

يعنى : عافت الماء

وقال أنس بن مُدْرِك :

إنى وقتْلى سُلَيْكا ثم أَعْقِلَه ٭ كالثَّوْرِ يُضرَبُ لما عافتِ البقَرُ

يعنى ثور الماء . وهو ثورانه ، يقال : ثار الماء ثَوراً وثورانا .

ومنه قولهم : كلُّ شاةٍ بِرِجلِها تُناطُ . يريد : لا يؤخذ رجل بغير ذنبه .

المتبرئ من الشيء ٥

ما هو مِن ليلِهِ ولا سَمَرِهِ . ما هو من بَزِّى ولا من عِطْرِي . مالى فيه ناقةٌ ولا جملٌ .

ومنه قولهم : بَرِئتُ منه إلى الله .

ومنه : لستُ منكَ ولستَ مِنى . وما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ مِنِّى .

سوء معاشرة الناس ١٠

قالوا : الناسُ شجرةُ بَغْى . لا سبيلَ إلى السلامةِ من أَلْسِنةِ العامّة . ورضا الناسِ غايةٌ لا تُدْرَك .

ومنه الحديث المرفوع : الناسُ كإبلٍ مائةٍ لاتكادُ تجدُ فيها راحلة .

ومنه قولهم : الناسُ يُعيِّرون ولا يَغفِرون ، واللهُ يَغفِرُ ولا يعيِّر .

وقال مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره قولُ الناس فيه . ١٥

وقول أبى الدرداء : إن قارضتَ الناس قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك .

الجبان وما يذم من أخلاقه

منه قولهم : إنّ الجبانَ حَتْفُه مِن فوقِه . وهو قول عمر بن مامة :

لقد وَجدْتُ الموتَ قبلَ ذوْقِه ٭ إنّ الجبانَ حتْفُه مِن فوقِه .

قال أبو عبيد : أحسبه أراد أن حذره وتوقِّيه ليس بدافع عنه المنيّة . وهذا ٢٠ غلط من أبى عبيد عندى ، والمعنى فيه أنه وصف نفسه بالجبن ، وأنه وجد الموت قبل أن يذوقه ، وهذا من الجبن ، ثم قال : إنّ الجبان حتفه من فوقه :

يريد أنه نظر إلى منيته كأنما تحوم على رأسه .

كما قال تبارك وتعالى فى المنافقين إذ وصفهم بالجبن : ﴿ يَحسَبونَ كلَّ صيحة عليهم هُمُ العدوّ ﴾ .

وقال جرير للأخطل يُعيِّره إيقاع قيس بهم :

٥ حملتْ عليك رِجال قيس خيْلَها ٭ شُعْثاً عوابِسَ تَحمِلُ الأبطالا

مازِلتَ تحسب كلَّ شىء بَعدَهم ٭ خيلًا تكُرُّ عليكمُ ورجالا

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عبيد ماكان معناه يدخل فى هذا الباب ؛ لأنه باب الجبان وما يذم من أخلاقه ، وليس الأخذ فى الحذر من الجبن فى شىء ، لأن أخذ الحذر محمود وقد أمر الله به ، والجبن مذموم من كل وجه .

١٠ ومنه الشعر الذى تمثّل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لَبِثْ قليلا يُدرِكِ الهيْجا جَمَلْ ٭ ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجل

ومنه قولهم : كلُّ أزَبَّ نَفور . وإنما يقال فى الأزبِّ من الإبل لكثرة شعره ، ويكون ذلك فى عينيه ، فكلما رآه ظنّ أنه شخص يطلبه فينفر من أجله .

١٥ ومنه قولهم : بَصْبَصْنَ إذ حُدِينَ بالأذناب .

ومنه قولهم ٭ دَرْدَبَ لمَّا عَضّه الثقافُ ٭

وقولهم : حالَ الجَريضُ دون القريضِ . وهذا المثل لعَبيد بن الأبرص ، قاله للنعمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له : أنشدنى شعرك :

٭ أقْفرَ من أهلِهِ مَلحوبُ ٭

٢٠ فقال عبيد : حالَ الجريضُ دون القريض .

ومنه : قَفَّ شَعْرُه ، واقشعرَّتْ ذُؤابَتُه . معناه قام شعره من الفزع .

إفلات الجبان بعد إشفائه

منه قولهم : أفْلَتَ وآنحصَّ الذَّنَب .

ومنه : أفلت وله حُصاص .

ويروى فى الحديث : إن الشيطان إذا سَمع الأذان أدبَر وله حُصاص .

ومنه أفلتنى جُريْعة الذَّقن . إذا كان منه قريبا كقرب الجرعة من الذقن ، ثم أفلته .

ومنه قول العامة : إن يُفلَت الطير فقد ذَرَق . ٥

وقولهم : أفلت وقد بَلَّ النَّيْفَق . الذى تسميه العامة : النِّيفَق .

الجبان يتهدد غيره

منه قولهم : جاء فلان ينفُض مِذْرَوَيْه . أى يتوعد ويتهدّد . والمذروان : فرعا الأليتين . ولا يكاد يقال هذا إلا لمن يتهدد بلا حقيقة .

ومنه : أبرِق لمن لا يعرفُك . واقصد بذَرْعك . ولا تُبْق إلا على نفسك . ١٠

تصرف الدهر

منه : من يَجتمع تتقَعْقَع عُمُدُه . أى أن الاجتماع داعية الافتراق .

ومنه : كل ذات بعْل ستَئِيم .

ومنه البيت السائر :

وكل أخٍ مُفارِقُه أخوه ‫*‬ لعَمْر أبيك إلا الفرقدانِ ١٥

ومنه : لم يَفُت من لم يَمت .

الاستدلال بالنظر عن الضمير

منه قولهم : شاهِد البُغض اللَّحْظ . وجَلِّى مُحبٍّ نظَره .

قال زهير :

فإن تكُ فى صديق أو عدوٍ ‫*‬ تُخبِّرْك العيون عن الضمير ٢٠

وقال ابن أبى حازم :

خُذ من العيش ماكفى ‫*‬ ومن الدهر ما صَفا

عينُ مَن لا يُحِبُّ وصْـ ـلَكَ تُبدِى لك الجفا

نفى المال عن الرجل

منه قولهم : ما له سَعْنَة ولا مَعْنة . معناه لا شىء له .

ومنه : ما له هِلع ولا هِلْعة . وهما الجدى والعَناق .

٥ ومنه : ما له هارب ولا قارِب ، معناه ليس له أحد يهرب منه ، ولا أحد يقرب إليه ؛ فليس له شىء .

وقولهم : ما له عافِطة ولا نافِطة ؛ وهما الضائنة والماعزة . وما به نبض ولا حَبض .

قال الأصمعى : النبض : المتحرك ، ولا أعرف الحبض .

١٠ وقال غيره : النبض والحبض فى الوتر ، والنبض : تحرك الوتر ، والحبض : صوته . قال :

* والنبْل يَهوِى نَبضاً وحَبضا *

ومنه قولهم : ما له سَبَد ولا لَبَد . هما الشعر والصوف .

ولم يعرف الأصمعى السَّعْنة والمعْنة .

١٥ إذا لم يكن فى الدار أحد

منه قولهم : ما بالدار شَفْر ؛ ولا بها دُعْوِى ؛ ولا بها دُبِّىّ . بمعناه ما بها من يدعو ومن يدب ، وما بها من غريب . ولا بها دُورِىٌّ ولا طورِىٌّ ؛ وما بها وابِر ، وما بها صافِر ، ولا بها ديَّار ، وما بها نافخ ضرَمَة ، وما بها أرَم . معنى هذا كله ما بها أحد ، ولا يقال منها شىء فى الإثبات والإيجاب ، وإنما يقولونها ٢٠ فى النفى والجحد .

اللقاء وأوقاته

ومنه : لَقِيتُ فلاناً أوّل عين . يعنى أوّل شىء .

وقال أبو زيد : لقيتُه أوّل عائِنة . ولقيته أوّل وهْلة . ولقيتُه أوّل ذات يَدين . ولقيتُه أوّل صَوْك وأول بَوك . فإن لقيته فجأة من غير أن تريده ، قلت : لقيته نِقاباً ؛ ولقيتُه التِقاطا ، إذا لقيته من غير طلب . وقال الراجز :

* ومَنْهل وردْتُه الْتِقاطا *

وإن لقيته مواجهة قلت : لَقِيتُه صِفاحا . ولقيتُه كِفاحا . ولقيته كفّة كفّة . ٥

قال أبو زيد : فإن عرض لك من غير أن تذكره قلت : رُفِع رفْعاً ؛ وأُشِبّ لى إشْبابا . فإن لقيته وليس بينك وبينه أحد ، قلت : لقيته صَحْرة بَحْرة . وهى غير مجراة . فإن لقيته فى مكان قفر لا أنيس به قلت : لقيته صحرة بَحرة أَصْحَت ، غير مجرّى أيضا . ولقيته بين سَمْع الأرض وبصرها . فإن لقيته قبل الفجر قلت : لقيته قبل [كلّ] صَبْح ونَفْر . النفر : التفرق . وإن لقيته بالهاجرة قلت : لقيته صَكّة عُمَىٍّ . وصكّة أعمى . ١٠

قال رؤبة يصف الفلاة إذا لمعت بالسراب فى الهاجرة :

شبيهةً بسهم قوسٍ لَمَعَا * صَكَّ عُمَىٍّ زاجراً قد بَرَعا [١]

فإن لقيته فى اليومين والثلاثة قلت : لقيته فى الفَرَط . ولا يكون الفرط فى أكثر من خمس عشرة ليلة . فإن لقيته بعد شهر ونحوه ، قلت : لقيته فى عَفَر . فإن لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لقيته عن هُجْر . فإن لقيته بعد أعوام قلت : لقيته ذاتَ العُوَيْم . فإن لقيته فى الزمان قلت : لقيته ذات الزُّمَيْن . والغبّ فى الزيارة ، وهو الإبطاء فيها . والاعتمار فى الزيارة . وهو التردّد فيها . ١٥

فى ترك الزيارة

منه قولهم : لا آتيك ما حَنت النِّيب . وما أطت الإبل . وما اختلف الدرّة ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول :

شبيه يَمّ بين عِبْرَين مَعا * صكّةَ أعمى زاخرٍ قد أُتْرِعا

والجِرّة . وما اختلف المَلَوان . وما اختلف الجديدان . ولا آتيك السَّمَر والقمر وأبَد الأبَد .

ويقال : أبَد الآبِدِين . ودهْر الداهِرِين . وحتى يَرجع السَّهْم إلى فُوقِه . وحتى يَرجع اللبَن فى الضَّرْع . ولا آتيك سِنَّ الحِسْل .

٥ تفسيره : النيب : جمع ناب ، وهى المُسنة من الإبل . والدرة : الحلبة من اللبن . والجرة : من اجترار البعير . والملوان والجديدان : الليل والنهار . والحسل : هو ولد الضب . يقول : حتى تسقط أسنانه ، ولا تسقط أبداً حتى يموت .

استجهال الرجل ونفى العلم عنه

منه قولهم : ما يَعرفُ الحوَّ من اللوِّ . وما يَعرف الحىَّ من اللّىِّ . ولا هريراً

١٠ من غَرير . ولا قَبيلا من دبير . وما يَعرف أىُّ طَرَفيه أطول وأكبر . وما يعرفِ هرًّا من برّ ، أى ما يعرف من يَهُرُّه ممن يَبَرُّه . والقبيل : ما أقبلت به من فَتْل الحبل ، والدبير : ما أدبرت به منه . وأى طرفيه أطول : أنسب أبيه أم نسب أمه .

أمثال مستعملة فى الشعر

١٥ قال الأصمعى : لم أجد فى شعر شاعر بيتاً أوّله مثَل وآخره مثَل إلا ثلاثة إبيات : منها بيت الحطيئة :

مَن يَفعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوازيَهُ * لا يَذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

وبيتان لامرئ القيس :

وأفلتَهنَّ عِلبـــاءٌ جريضاً * ولو أدركْنَه صَفِرَ الوِطاب

٢٠ وقاهُمْ جـــدُّهم ببنى أبيهم * وبالأشْقَيْنَ ماكان العقاب

ومثـل هذا كثير فى القديم والحديث ، ولا أدرى كيف أغفل القـديمَ منه

الأصمعى . فمنه قول طرفة :

ستُبدى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلا * ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزوّدِ

وفى هذا مثلان من أشرف الأمثال . ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع هذا البيت ، فقال : إن معناه من كلام النبوّة .

ومن ذلك قولُ الآخر : ٥

ما كلَّفَ اللهُ نفساً فوق طاقتِها * ولا تجودُ يدٌ إلا بما تَجِدُ

ومن ذلك قولُ الحسن بن هانئ :

أيها المُنتابُ عن عُفُرِه * لستَ من ليلِى ولا سَمَرهْ

لا أذُودُ الطيرَ عن شجرٍ * قد بلوْتُ المُرَّ من ثمرهْ

إن العرب تقول : انتاب فلان عن عقره : أى تباعد عن أصله . لستَ من ليلى ولا سمره : مثل ثان ، وليس فى البيت الثانى إلا مثلٌ واحد . ١٠

ومن قولنا فى بيت أوّله مثل وآخره مثل :

قد صرَّحَ الأعداء بالبيْنِ * وأشرقَ الصبحُ لذى العين

وبعده أبيات فى كل بيت منها مثل ، وذلك قولنا :

وعاد مَن أهواهُ بعد القِلَى * شقيقَ رُوحٍ بين جِسمين ١٥

وأصبح الداخلُ فى بيننا * كساقطٍ بين فِراشين

قد ألبِسَ البغضاءَ مِن ذا وذا * لا يَصلُحُ الغِمدُ لِسيفين

ما بالُ مَن ليست له حاجةٌ * يكونُ أنفاً بين عينين

ومن قولنا الذى هو أمثال سائرة :

قالوا شبابَكَ قد وَلَّى فقلتُ لهم * هل من جديدٍ على كرِّ الجديدينِ ٢٠

صِلْ مَن هَوِيتَ وإن أبدى معاتبةً * فأطيبُ العيشِ وصْلٌ بين إلْفين

واقطَعْ حبائلَ خِلّ لا تُلائمُه * فربما ضاقتِ الدنيا على اثنين

وقلت بعد هذا فى المدح :

فكَّرْتُ فيكَ أبَحْرٌ أنتَ أَمْ قمرٌ * فقد تَحيَّرَ فكرى بين هٰذيْنِ

إنْ قلتُ بحراً وجدتُ البحرَ مُنحسِراً * وبَحْرُ جودِكَ ممتدُّ العبَابيْنِ

أَوْ قلتُ بدراً رأيتُ البدرَ مُنتقصاً * فقلتُ شتَّانَ ما بينَ البُدَيْرَيْنِ

٥ ومن الأمثال التى لم تأت إلا فى الشعر أو فى قليل من الكلام ، من ذلك قول الشاعر :

ترجو النجاةَ ولم تسلُكْ مسالِكَها * إنّ السفينةَ لا تَجرى على اليبَسِ

وقال آخر :

متى تنقضى حاجات من ليس صابراً * على حاجة حتى تكون له أخرى

١٠ قيل ولما بلغ حاتما قولُ المتلمِّس :

وأعلم علم صدق غيرَ ظنٍ * لَتَقْوَى الله من خير العَتاد

وحفظ المال أيسر من بُغاهُ * وسير فى البلاد بغير زاد

وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

قال : قطع الله لسانَه ! يحمل الناس على البخل : ألا قال :

١٥ لا الجود يُفنى المال قبل فنائه * ولا البخل فى مال الشحيح يزيد

فلا تلتمس مالا بعيش مُقَتِّرٍ * لكل غد رزق يعود جديد

وقال غيره :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخٍ * وقلت أكافيه فأين التفاضل

فإن أقطع الإخوان فى كل عُسرة * بقيت وحيداً ليس لى من أواصل

٢٠ ولكننى أغضى الجفون على القذى * وأصفح عما رابنى وأجامل

متى ما يَرِبْنى مَفْصِل فقطعتُه * بقيتُ ومالى للنهوض مفاصل

ولكن أداويه فإن صحّ سرّنى * وإن هو أعيا كان فيه التحامل

وقال :

يُديفون لى سمًّا وأسقيهم الحَيا * ويَقْرونني شرا وشرى مؤخَّر
كأنى سلبت القوم نور عيونهم * فلا العذر مقبول ولا الذنب يُغفر
وقد كان إحسانى لهم غير مرة * ولكن إحسان البغيض مكفَّر

ولغيره : ٥

لم يبق من طلب الغِنى * إلا التعرُّض للحتوف
فلأُقبلنّ وإن رأيـ * ـت الموت يلمع فى الصفوف
إنى آمرؤ لم أوتَ من * أدب ولا حظّ سخيف
لكنه قَدَرٌ يزو * ل من القوىّ إلى الضعيف

كتاب الزمردة
في المواعظ والزهد

لابن عبد ربه قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الأمثال ، وما تفننوا فيها على كل لسان ، ومع كل زمان ؛ ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول فى الزهد ورجاله المشهورين به ، ونذكر المُنتخل من كلامهم ، والمواعظ التى وعظت بها الأنبياء ، واستخلصتها الآباء للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ؛ ومقامات العُبّاد بين أيدى الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ادْعُ إلى سبيل ربِّك بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجادِلْهُم بالتى هىَ أحْسنُ إنّ ربَّك هو أعلمُ بمَنْ ضَلَّ عن سبيلِه وهو أعلمُ بالمُهْتدين ۞ وإنْ عاقَبْتمْ فعاقِبوا بمِثْلِ ما عوقِبتمْ به ولئِنْ صَبَرْتمْ لهُوَ خيْرٌ للصَّابِرين ۞ واصْبِر وما صبْرُك إلّا باللهِ ولا تحزَنْ عليهم ولا تَكُ فى ضَيْقٍ مّما يَمكُرونَ ۞ إنّ الله مع الذين اتّقوْا والذين همْ مُحْسِنون ﴾ .

وقال جل ثناؤه : ﴿ كيف تَكفرونَ باللهِ وكنتم أمْواتاً فأحْياكمْ ثم يُميتُكم ثم يُحْيِيكمُ ثم إليه تُرجَعونَ ﴾ .

وقال : ﴿ أوَ لمْ يَرَ الإنسانُ أنا خَلقناهُ من نُطْفةٍ فإذا هو خصيمٌ مُبين ۞ وضَرَب لنا مثلاً ونَسِيَ خَلقَه قال من يُحيِ العِظام وهى رميمٌ ۞ قلْ يُحْيِيها الذى أنشأها أوّل مرّةٍ وهو بكلّ خلقٍ عليمٌ ﴾ .

فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ .

ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العُبّاد بين أيدى الخلفاء ، ثم قولهم فى الزهد ورجاله المعروفين به ، ثم المشهورين من المنتسبين إليه .

والموعظة ثقيلة على السمع مُحرِّجة[1] على النفس، بعيدة من القبول، لاعتراضها الشهوة، ومُضادّتها الهوى، الذى هو ربيع القلب، ومراد الروح، ومربع اللهو، ومسرح الأمانى؛ إلا من وعظه علمُه، وأرشده قلبُه؛ وأحكمته تجربتُه قال الشاعر:

لن تَرجِعَ الأنفُس عن غَيِّها ✽ حتى يُرى منها لها واعظ ٥

وقالت الحكماء: السعيد من وُعظ بغيره. لا يَعنون من وعظه غيره، ولكن من رأى العِبَر فى غيره فاتعظ بها فى نفسه. ولذلك كان يقول الحسن: اقدَعُوا هذه النفوس فإنها طلِعة، وحادثوها بالذِّكر فإنها سريعة الدثور، واعصوها فإنها إن أُطيعت نَزَعت إلى شَرِّ غاية.

١٠ وكان يقول عند انقضاء مجلسه وخَتم موعظته: يالها من موعظة لو صادفتْ من القلوب حياة.

لابن السماك — وكان ابن السماك يقول إذا فرغ من كلامه: ألسُنٌ تَصِف، وقلوبٌ تَعرِف، وأعمال تخالَف.

وقال يونس بن عُبيد: لو أُمِرْنا بالجزَع لصَبَرنا. يريد ثقل الموعظة على السمع، ١٥ وجنوح النفس إلى مخالفتها. ومنه قولهم:

✽ أحبُّ شىءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا ✽

وقولهم: ✽ والشىءُ يُرْغَبُ فيه حين يَمتنعُ ✽

والموعظة مانعة لك مما تشتهى، حاملة لك على ما تكره، إلا أن تلقاها بسمعٍ قد فتقته العِبرة، وقلب قدحت فيه الفِكرة، ونفس لها من عِلمها زاجر، ٢٠ ومن عقلها رادع؛ فيفتح لك باب التوبة، ويُوضح لك سبيل الإنابة.

للنبى صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم: حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات. يريد أن الطريق إلى الجنة احتمالُ المكروه فى الدنيا، والطريق إلى النار ركوب الشهوات.

(١) فى بعض الأصول: «مستحرجة».

وخير الموعظة ما كانت من قائل مخلص، إلى سامع مُنصف.

لبعضهم

وقال بعضهم: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.

وقالوا: ما أحسنَ التاجَ! وهو على رأس الملك أحسن. وما أحسنَ الدر، وهو على نَحْر الفتاة أحسنُ. وما أحسنَ الموعظةَ! وهى من الفاضل التقىّ أحسن.

لزياد

وقال زياد: أيها الناس، لا يمنعْكم سوء ما تعلمون منا، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا. قال الشاعر:

اْعمل بقوْلى وإنْ قَصَّرْتُ فى عملى ۞ ينفعْك قولى ولا يَضْرُرْك تقْصيرى

لابن عباس فى كلام لعلى

وقال عبد الله بن عباس: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلامٍ كَتَبه إلىّ علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه، كتب إلىّ:

أما بعد: فإن المرء يَسُرُّه إدراك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوتُ ما لم يكن ليدركه. فليكن سرورُك بما نلت من أمرِ آخرتِك، وليكن أسفُك على ما فاتك منها؛ وما نلت من أمر دنياك فلا تكن به فرحا. وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا. وليكن همك ما بعد الموت.

حكيم بباب بعض الملوك

وقف حكيم بباب بعض الملوك فحجب، فتلطّف برقعة وأوصلها إليه، وكتب فيها هذا البيت:

ألمْ تَر أنّ الفقْر يُرجَى له الغِنى ۞ وأنّ الغِنى يُخشَى عليه من الفَقْر

فلما قرأ البيت لم يلبث أن انتعل وجعل لاطئةً على رأسه، وخرج فى ثوب فِضَال، فقال له: والله ما اتعظتُ بشىء بعد القرآن اتّعاظى ببيتك هذا! ثم قضى حوائجه.

مواعظ الأنبياء

عليهم السلام

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال أبو بكر بن أبي شَيبة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : يَكْفِى أحدَكم من الدنيا قدْرُ زاد الراكِبِ .

وقال صلى الله عليه وسلم : ابنَ آدمَ . اغْتنِمْ خَمساً قبل خَمسٍ : شبابَك قبْل هرَمِك ، وصِحَّتَك قبل سقمِك ، وغناك قبل فقْرِك ، وفراغَك قبل شُغلك ، وحياتَك قبل موْتك .

عبد الله بن سلام قال : لما قَدِم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتيتُه ، فلما رأيت وجهه علمت أنه ليس بوجهِ كذّاب ؛ فسمعتُه يقول : أيها الناسُ ، أطعِموا الطّعام ، وأفشُوا السلام ، وصلُّوا والناس نيام .

لعيسى عليه السلام

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : ألا أُخبركم بخيركم مجالسة ؟ قالوا : بلى يا روح الله . قال : من تُذكّركم بالله رؤيته ، ويَزيد فى عملكم منْطِقُه ، ويُشوّقُكم إلى الجنة عملُه .

وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين : ويْلَكم يا عَبيد الدنيا ! كيف تُخالفُ فروعُكم أصولَكم ، وأهواؤكم عقولَكم . قولكم شِفاء يُبرئُ الدَّاء ، وفعلُكم داء لا يقبل الدّواء . لستم كالكَرمة التى حَسُن ورقُها ، وطاب ثمرُها ، وسهُل مرتقاها . ولكنكم كالسمُرة التى قلّ ورقها ، وكثر شوكها ، وصعُب مرتقاها . ويلكم يا عبيد الدنيا ! جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رءوسكم لا يُمكِن تناولها ؛ فلا أنتم عبيدٌ نُصحاء ، ولا أحرارٌ كِرام . ويلكم يا أُجَراء السوء ! الأجر تأخذون ، والعملَ تُفسدون ، سوف تلقَوْن ماتحذَرون ، إذا نظر ربُّ العمل فى عمله الذى أفسَدتم ، وأجرِه الذى أخذتم .

وقال عليه السلام للحواريين : اتخذوا المساجد بيوتاً ، والبيوت منازل ، وكلوا بَقل البرية ، واشربوا الماء القَراحَ ، وانجوا من الدنيا سالمين .

وقال عليه السلام للحواريّين : لا تنظُروا فى أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظُروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ؛ فإنما الناس رجلان : مبتلًى ومعافًى ؛ فارحموا أهل البلاء ، واحمَدُوا الله على العافية .

وقال عليه السلام لهم أيضا : عجباً لكم ، تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ؛ ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل . ٥

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للمكذّبين من بنى إسرائيل : يا نَسْل الأفاعى ، من دلّكم على الدخول فى المساخط المُوبقة بكم ؟ ويلكم ! تقرّبوا بعمل صالح ، ولا تغرّنكم قرابتُكم من إبراهيم عليه السلام . فإن الله قادر على أن يستخرج من هذه الجنادل نسلاً لإبراهيم . إن الفأس قد وُضعت فى أصول الشجر ، فأَخْلِقْ بكلِّ شجرة مُرّة الطعم أن تُقطَعَ وتُلْقَى فى النار . ١٠

وقال شَعياء لبنى اسرائيل ، إذ أطلق الله لسانه بالوحى : إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة لِينا ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوةً . إنّ الجسد إذا صلَح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صحّ كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم عابد قد أفسده العُجْب . يا بنى إسرائيل ، اسمعوا قولى ، فإن قائلَ الحكمة وسامعَها شريكان ، وأولاهما بها من حقّقها بعمله . ١٥

وقال المسيح صلى الله عليه وسلم : إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجلها إذ نظروا إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتهم ، وتركوا ما علموا أن سيتركهم ؛ هم أعداء لما سالم الناس ، وسِلْم لما عادى الناس ، لهم خيرٌ [1] ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، وبهم عُلِم الهدى وبه عَمِلوا ، لا يرون أمانا دون ما يرجون ، ولا خوفا دون ما يحذرون . ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول «لهم خبر عجيب» .

داود عليه السلام

وَهب بن مُنبه قال : قال داود عليه السلام : يارب ، ابنُ آدم ليس منه شعرة إلا وتحتها لك نعمة وفوقها لك نعمة ، فمن أين يكافئك بما أعطيته ؟ فأوحى الله إليه : يا داودُ ، إنّى أُعطِى الكثيرَ ، وأرضى من عبادى بالقليل ، وأرضَى من شُكْر نعمتى بأن يعلم العبدُ أن ما به من نعمة فمِنْ عِندى لا من عندِ نفسه .

إبراهيم عليه السلام

ولما أمر الله عز وجل إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم بذبح ولده وأن يجعله قربانا ، أسرَّ ذلك إلى خليل له يقال له العازر ، وكان له صديقاً ؛ فقال له الصديق إن الله لا يَبتلى بمثل هذا مثلَك ، ولكنه يُريد أن يَختبرك أو يختبر بك ؛ وقد علمتُ أنه لا يبتليك بمثل هذا ليفتنك ، ولا ليُضلك ولا ليُعنتك ، ولا لينقُص به بصيرتك وإيمانك ويَقينك ؛ فلا يَرُوعنّك هذا ، ولا يسوأن بالله ظنُّك ؛ وإنما رفع اللهُ اسمَك فى البلاء عنده [1] على جميع أهل البلايا ، حتى كنت أعظمَهم محنة فى نفسك وولدك . ليرفعك بقدر ذلك فى المنازل والدرجات والفضائل : فليس لأهل الصبر فى فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك ، وليس لأهل الثواب فى فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك . وليس هذا من وجوه البلاء الذى يَبْتَلِى اللهُ به أولياءه ؛ لأن الله أكرم فى نفسه ، وأعدل فى حكمه وأرحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطّيب بيد الوالد النبى المصطفَى . وأنا أعوذُ بالله أن يكون هذا منى حَتما على الله أو ردًّا لأمره ، أو سُخطاً لحكمه ، ولكن هذا الرجاء فيه والظنُّ به : فإن عَزم ربُّك على ذلك فكن عند أحسن علمه بك ؛ فإنى أعلم أنه لم يُعرِّضك لهذا البلاء الجسيم ، والخطْب العظيم ، إلا لحسن علمه بك ، وصِدْقك وتصبُّرك ؛ ليجعلك إماما ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ومن وحى الله تعالى إلى أنبيائه

أوحى الله عز وجل إلى نبيٍ من أنبيائه : إنى أنا اللهُ مالكُ الملوك ؛ قلوبُ الملوك بيدى ؛ فمن أطاعنى جعلتُ الملوك عليه رحمةً ؛ ومن عصانى جعلتُ الملوكَ عليه نِقْمَةً .

(١) فى بعض الأصول : « الملأ » .

المسيح عليه السلام

ومما أنزل الله على المسيح فى الإنجيل : شَوَّقْناكم فلم تشتاقوا ؛ ونُحْنا لكُمْ فلم تَبْكُوا ؛ يا صاحبَ الخمسين ، ما قدمت وما أخرت ؟ يا صاحبَ الستين ، قد دنَا حَصَادُك ! يا صاحبَ السبعين ، هَلُمَّ إلى الحساب .

وفى بعض الكتب القديمة المنزلة : يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا عبادى طالما ظَمِئْتُم ، وتَقلَّصتْ فى الدنيا شفاهُكم ، وغارت أعينُكم عطشا وجوعا : فكُلُوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية .

وأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه : هَب لى من قلبك الخشوع ، ومن نفسك الخضوع ، ومن عينيك الدُّموع ؛ وسلْنى فأنا القريب المُجيب .

وفى بعض الكتب : عبدى ، كم أتحبّبُ إليك بالنعم وتتبغّض إلىّ بالمعاصى ؛ خيرى إليك نازل ، وشرُّك إلىّ صاعد .

وأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه : إن أردت أن تسكن غدا حظيرةَ القُدْس ، فكن فى الدنيا فريداً ، وحيدا ، طريداً ، مهموما ، حزينا ؛ كالطير الوُحدانىّ : يظل بأرض الفلاة ، ويَرِدُ ماء العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ؛ فإذا جنّ عليه الليل أوى وحده ، استيحاشا من الطير واستئناسا بربه .

ومما أوحى الله إلى موسى فى التوراة : ياموسى بن عمران ، يا صاحب جبل لبنان ، أنت عبدى وأنا إلٰهكَ الدَّيّان ، لا تَسْتَذِلَّ الفقير ، ولا تَغْبِطِ الغنى بشىء يسير ، وكن عند ذِكرِى خاشعا ، وعند تلاوةِ وحْيى طائعا ؛ أَسْمِعْنى لذاذة التوراة بصوت حزين .

موسى عليه السلام

وقال وهب بن مُنبِّه : أوحى الله إلى موسى عند الشجرة : لا تُعْجِبنَّك زينةُ فرعونَ ولا ماُمتِّعَ به ، ولا تَمُدَّنَّ إلى ذلك عينَك ؛ فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينةُ المترفين ؛ ولو شئتُ أن أوتيَكَ زينةً يعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عنها فعلتُ ؛ ولكنى أرغبنك عن ذلك وأزوَيْته عنك ؛ فكذلك أفعلُ بأوليائى ؛ إنى لأذودهم عن نعيمها ولذاذتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة ؛ وإنى لأحميهم عيشها وحلوتها ، كما يحمى الراعى ذوده عن مَبارك العُرّ .

يوسف عليه السلام

وذُكر عن وهب بن مُنبه أن يوسف لما لبث فى السجن بضع سنين ، أرسل الله جبريل إليه بالبشارة بخروجه ، فقال : أما تعرفنى أيها الصِّدِّيق ؟ قال يوسف : أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لا يشبه أرواح الخاطئين . قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين . قال يوسف : فما أدخلك مداخل المُذنبين ، وأنت سيد المُرسلين ، ورأس المقرَّبين ؟ قال : ألم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطُهر النبيين . وأن البُقعة التى تكون فيها هى أطهر الأرضين ، وأنّ الله قد طهّر بك السجن وما حوله يا بن الطاهرين . قال يوسف : كيف تُشبهنى بالصالحين ، وتُسمينى بأسماء الصادقين ، وتعدُّنى مع آبائى المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟ قال جبريل : لم يَكْلِم قلبك الجَزَعُ ، ولم يُغَيِّرْ خُلُقَكَ البلاء ، ولم يتعاظمْك السجنُ ، ولم تطأ فراش سيِّدِك ، ولم يُنسِك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تُنسِك نفسُك أباك ، ولا أبوك ربَّك ، وهذا الزمانُ الذى يفكُّ الله فيه عُنقك ، ويعتق فيه رقبتك ، ويُبَيِّنُ للناس فيه حِكْمتَك ، ويُصدِّقُ رؤياك ، ويُنصِفُك ممن ظلمك ، ويجمع لك أحبَّتك ويَهَبُ لك مُلْكَ مصر تَملِكُ ملوكها ، وتُذل جبابرتَها ، وتُصغِّر عظماءها ، ويُذِلُّ لك أعزتها . ويُخدمُك سوقتَها ، ويُخوِّلك خَوَلَها ، ويَرحم بك مساكينَها ، ويُلقى لك المودةَ والهيبةَ فى قلوبهم ، ويَجعل لك اليدَ العليا عليهم ، والأثر الصالح فيهم ، ويُرى فِرعونَ حلماً يفزَع منه حتى يسهرَ ليلَه ، ويذهبَ نومُه ، ويُعمَّى عليه تفسيره وعلى السحرةِ والكهنةِ ، ويُعلِّمكَ تأويلَه .

مواعظ الحكماء

لعلى

قال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه : أُوصيكم بخمس لو ضُرِبتْ عليها آباطُ الإبل لكان قليلا : لا يرجُوَنَّ أحدكم إلا ربَّه ، ولا يخافنّ إلا ذنبَه ، ولا يستَحِي إذا سُئِل عما لا يعلم أن يقولَ لا أعْلَم ، وإذا لم يعْلَم الشىء أن يتعلّمه . واعلموا أنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد .

وقال أيضا : من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشيرة ، فليتحوّلْ من ذُل المعصية إلى عزّ الطاعة ؛ أبَى الله إلا أن يذِل من عصاه .

الحسن — وقال الحسن : من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كل شيء ، ومن خاف النّاسَ أخافه اللهُ من كل شيء .

٥ لبعضهم — وقال بعضهم : من عمل لآخرته كفاه الله أمْرَ دنياه ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أخلص سريرته أصلح الله علانيته .

كلمات أربع للعرب والعجم — قال العُتبي : اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات ، قالوا : لا تحملن على قلبك ما لا تُطيق ، ولا تَعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمـال وإن كثر .

١٠ لأبي بكر فى موته يوصى عمر — وقال أبو بكر الصدّيق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند موته حين استخلفه : أُوصيك بتقوى الله ؛ فإنّ لله عَملا بالليل لا يَقبلُه بالنهار ، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل ؛ وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدَّى الفرائض . وإنمـا ثقلتْ موازين من ثقُلَت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحق وثِقَله عليهم ؛ وحُقّ لميزان لا يُوضَع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا . وإنمـا خَفت موازين من خَفَّت موازينه ١٥ يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفّته عليهم ؛ وحق لميزان لا يوضَع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا . وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتَجاوز عن سيئاتهم ، فإذا سمعْتَ بهم قلت : إنى أخاف ألّا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حسناتهم ؛ فإذا سمعت بهم قلت : أنا خير من هؤلاء . وذَكر آيةَ الرحمة مع آية العذاب : ليكون العبد راغباً راهبا ، ٢٠ لا يتمنى على الله غير الحق . فإذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائبٌ أَحبَّ إليك من الموت ، وهو آتيك ؛ وإن ضيعت وصيتى فلا يكونن غائبٌ أكرهَ إليك من الموت ، ولن تُعجزه .

الحسن وابن الأهتم — ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ؛ فرآه يصوِّب بصره فى صُندوق فى بيته ويُصعِّده ، ثم قال : أباسعيد ، ما تقول

فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤدّ منها زكاة ولم أصِل منها رحما ؟ قال : ثكلتك أمك ! ولمن كنت تجمعُها ؟ قال : لروعة الزمان ؛ وجفوة السلطان ؛ ومُكاثرة العشيرة . قال : ثم مات ، فشهده الحسن . فلما فرغ من دفنه قال : انظروا إلى هذا المسكين ! أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه ، وجَفوة سلطانه ، ومُكاثرة عشيرته ، عما رزقه الله إياه وغمره فيه ؛ انظروا كيف خرج منها مسلوبا محزونا ، ٥ ثم التفت إلى الوارث فقال : أيها الوارث ، لا تُخدَعَنّ كما خُدع صُويحِبُك بالأمس ، أتاك هذا المال حلالا فلا يكونَنّ عليك وبالا . أتاك عفواً صفوا ، ممن كان له جَمُوعا مَنُوعا ؛ من باطل جَمَعه ، ومن حقٍّ منَعه ؛ قَطع فيه لُجَج البحار ، ومَفاوز القِفار ، لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين . إن يوم القيامة يومٌ ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالَك فى ميزان غيرك . فيا لها ١٠ عثرةً لا تقالُ . وتوبة لا تُنال .

لحكيم يعظ قوما

ووعظَ حكيمٌ قوماً فقال : ياقوم ، استبدلوا العوارىَ بالهبات تَحمدوا العقبى ، واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النُّعمى ، واستديموا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة . واعرِفوا فضل البقاء فى النعمة والغنى فى السلامة قبل الفتنة الفاحشة ، والمَثُلة البينة ، وانتقال العمل ، وحلول الأجل ؛ فإنما أنتم فى الدنيا أغراضُ ١٥ المنايا ، وأوطان البلايا ، ولن تنالوا نعمةً إلا بفراق أخرى ، ولا يَستقبل منكم مُعمَّرٌ يوما من عُمُره إلا بانتقاص آخر من أجله ، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر ، فأنتم أعوان الحُتوف على أنفسكم ، وفى معاشكم أسبابُ مناياكم ، لا يَمنعكم شىء منها ، ولا يَشغلكم شىء عنها ، فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف ، وستكونون أسلافا بعد الأخلاف ، بكل سبيل منكم صريع مُنعفر ، وقائم ينتظر ، فمن أى وجه ٢٠ تطلبون البَقاء ، وهذان الليل والنهار لم يرفعا شيئاً قط إلا أسرعا الكرة فى هَدمه ، ولا عقدا أمراً قط إلا رجعا فى نقضه .

لأبى الدرداء

وقال أبو الدَّرداء : ياأهل دمشق ، مالكم تَبنون مالا تسكنون ، وتأملون مالا تُدركون ، وتجمعون مالا تأكلون ؟ هذه عاد وثمود قد ملئوا ما بين بُصرى

وعدن أموالا وأولادا ، فمن يشترى منى ما تركوا بدرهمين .

لابن شبرمة

وقال ابن شُبرمة : إذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب ، وإذا كان القلب مغرما بحُب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة .

لابن خثيم

وقال الربيع بن خُثيم : أَقْلِلِ الكلام إلا من تِسع : تكبير ، وتهليل، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك الخير ، وتعوُّذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وقراءتك القرآن .

لحكيم يعظ

قال رجل لبعض الحكماء : عِظْنى ! قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يَفقِدُك من حيث أمَرَك .

وقيل لحكيم : عظنى ! قال : جميع المواعظ كلِّها منتظمة فى حرف واحد . قال : وما هو ؟ قال : تُجمِع على طاعة الله فإذا أنت قد حويت المواعظ كلها .

أبو جعفر وسفيان

وقال أبو جعفر لسفيان : عِظْنى ! قال : وما عَمِلْتَ فيما علِمتَ فأعظك فيما جَهِلْت ؟

الرشيد وابن السماك

قال هارون لابن السمّاك : عظنى ! قال : كفى بالقرآن واعظا . يقول الله تبارك وتعالى ﴿ألم تَرَ كيف فعَل ربُّك بعادٍ ، إرَمَ ذاتِ العِمادِ التى لم يُخلَق مثْلُها فى البلادِ ، وثَمودَ الذين جابُوا الصَّخْر بالوادِ ، وفرعونَ ذى الأوتَادِ ، الذين طَغَوْا فى البلاد ، فأكثَروا فيها الفسادَ ، فصَبَّ عليهم ربُّك سوْطَ عذابٍ ، إنَّ ربَّك لبالمرصَادِ﴾ .

مكاتبة جرت بين الحكماء

بين حكيمين

عتب حكيم على حكيم ، فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى ، إن أيام العُمر أقصَر من أن تحتمل الهجر . فرجع إليه .

الحسن وعمر بن عبد العزيز

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ؛ فكأنك بالدنيا لم تكنْ ، وبالآخرة لم تَزل . والسلام .

وكتب إليه عمر : أما بعد فكأن آخر من كتِب عليه الموتُ قد مات ، والسلام .

بين سلمان وأبي الدرداء

ابن المبارك قال : كتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء : أما بعد ؛ فإنك لن تَنال ما تُريد إلا بترك ماتشتهى ، ولن تنالَ ما تأمُل إلا بالصبر على ما تكره . فليكن كلامُك ذِكرا ، وصمتُك فِكرا ، ونظرُك عِبَرا ؛ فإن الدنيا تتقلب وبهجتُها تتغير فلا تغترَّ بها ، وليكن بيتُك المسجد . والسلام .

٥ فأجابه أبو الدرداء : سلام عليك ، أما بعد ؛ فإنى أُوصيك بتقوى الله ، وأن تأخذ من صحتك لسَقمِك ، ومن شبابك لهرَمِك ، ومن فراغِك لشُغُلك ، ومن حياتِك لموتِك ؛ ومن جفائك لمودّتك ، واذكر حياةً لا موتَ فيها فى إحدى المنزلتين . إما فى الجنة ، وإما فى النار ؛ فإنك لا تدرى إلى أيهما تصير .

أبو موسى وعامر ابن عبد القيس

وكتب أبو موسى الأشعرى إلى عامر بن عبد القيس : أما بعد ؛ فإنى عاهدتك ١٠ على أمر وبلغنى أنك تغيرت ، فإن كنت على ماعهدتُك فاتق الله ودُمْ ، وإن كنت على مابلغنى فاتق الله وعُدْ .

ابن النضر وأخ له

وكتب محمد بن النضر إلى أخ : أما بعد ؛ فإنك على مَنهج وأمامك منزلان لابد لك من نزول أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتتكل .

بين حكيمين

وكتب حكيم إلى آخر : اعلم حفظك الله أن النفوس جُبلت على أخذ ١٥ ما أُعطيَتْ ومنع ماسئلت ؛ فاحملها على مطيّة ، لا تُبطئ إذا رُكبت . ولا تسبق إذا قُدِّمَتْ ؛ فإنما تحفظ النفوس على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب . فإذا استطعت أن يكون معك خوف المُشفق وقناعة الراضى فافعل .

من عمر بن عبد العزيز إلى ابن حيوة

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حَيْوة : أما بعد ، فإنه من أكثر ٢٠ من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومَن عَلِمَ أن الكلامَ عملٌ قلَّ كلامُه إلا فيما يَنفعه .

من عمر بن الخطاب إلى ابن غزوان

وكتب عمر بن الخطاب إلى عُتبة بن غَزْوان عامِله على البصرة : أما بعد ؛ فقد أصبحت أميراً تقولُ فيسمعُ لك ، وتأمر فينفُذَ أمرُك ؛ فيالها نعمةً إن لم ترفعْك فوق قدرك ، وتُطغيك على من دونك ؛ فاحترس من النعمة أشدَّ من احتراسك

من المصيبة ؛ وإياك أن تَسقط سقطة لا لعاً لها ـ أى لا إقالة لها ـ وتعثر عثرة لا تُقالها . والسلام .

من الحسن إلى عمر

وكتب الحسن إلى عمر : إنّ فيما أمرك اللهُ به شُغُلا عما نهاك عنه ، والسلام .

بين عمر بن عبد العزيز والحسن

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : اجمعْ لى أمْرَ الدنيا ، وصِفْ لى أمْرَ الآخرة . ٥

فكتب إليه : إنما الدنيا حُلمٌ ، والآخرةُ يقظة ، والموتُ متوسط ؛ ونحن فى أضغاث أحلام . من حاسبَ نفسه رَبِحَ ، ومن غفَل عنها خَسِر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضلّ ، ومن حلُمَ غَنِم ، ومن خاف سلِم ؛ ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهِم ، ومن فهم علِم ، ومن علِم عمل ، فإذا زللتَ فارجع ، ١٠ وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك . واعلم أنّ أفضل الأعمال ما أُكرِهَت النفوسُ عليه .

مواعظ الآباء للأبناء

للقمان يوصى ابنه

قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا فى ذكر الله فأجِل سهمك مع سهامهم ، وإن أفاضوا فى غير ذلك ١٥ فتخلّ عنهم وانهض [1] .

وقال : يا بُنَيَّ ؛ استعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

لأكثم

ومثل هذا قول أكثم بن صيفى : احذر الأمين ولا تأتمن الخائن ، فإن القلوب بيد غيرك .

للقمان يعظ ابنه

وقال لقمان لابنه : لا تركنْ إلى الدنيا ، ولا تَشغل قلبك بها ، فإنك ٢٠ لم تخلق لها ، وما خلق اللهُ خلقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولا بلاءها عُقوبة للعاصين . يا بُنى ، لا تضحك من غير عجب ، ولا تَمْشِ فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يَعنيك . يا بنى ، لا تضيِّعْ مالك وتصلح

(١) فى بعض الأصول : « وانفض ثوبك » .

مال غيرك ؛ فإنما لك ماقدمت ، ولغيرك ما تركت . يابنى ؛ إنه من يرحم يُرحم ، ومن يَصْمُتْ يسلم ، ومن يَقُل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملكْ لسانه يندم . يابنى ، زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ؛ فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .

ابن صفوان ينصح ابنه

٥ وقال خالد بن صفوان لابنه : كن أحسنَ ما تكون فى الظاهر حالا ، أقلَّ ما تكون فى الباطن مآلا . ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك فى العلانية .

لأعرابى يوصى ابنه

وقال أعرابى لابنه : يا بنى ، إنه قد أسمعك الداعى ، وأعذر إليك الطالب ، وانتهى الأمر فيك إلى حدّه ؛ ولا أعرف أعظمَ رزية ممن ضيّع اليقين وأخطأه الأمل .

لعلى بن الحسين يوصى ابنه

١٠ وقال على بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بنى هاشم : يا بنى ، اصبر على النوائب ، ولا تَعرَّضْ للحتوف ، ولا تُجب أخاك من الأمر إلى ما مضرّته عليك أكثر من منفعته لك .

لحكيم فى مثله

وقال حكيم لبنيه ، يا بَنىّ ؛ إياكم والجزَع عند المصائب ؛ فإنه مَجلَبَة للهمّ ، وسوء ظنّ بالرب ، وشماتة للعدو . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها ١٥ آمنين ؛ فإنى والله ما سَخِرْتُ من شىء إلا نزل بى مثلُه ؛ فاحذروها وتوقّعوها . فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تتعاوره السهام ، فمجاوزٌ له ومقصِّر عنه ، وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبَه بعضها . واعلموا أنّ لكل شىء جزاء ، ولكل عمل ثوابا . وقد قالوا : كما تدين تُدان ؛ ومن برّ يوما بُرّ به .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

٢٠ إذا ما الدهرُ جَرَّ على أُناسٍ * حوادثَهُ أناخَ بآخَرينا

فقُلْ للشامِتين بنا : أفيقوا * سيَلقى الشامِتون كما لَقِينا

لحكيم يعظ ابنه

وقال حكيم لابنه : يا بنى إنى مُوصيك بوصية ؛ فإن لم تحفظ وصيتى عنى لم تحفظها عن غيرى . اتق الله ما استطعت . وإن قدرت أن تكون اليوم خيراً منك أمس ، وغداً خيراً منك اليوم فافعل . وإياك والطمع ، فإنه فقرٌ حاضر .

وعليك باليأس فإنك لن تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه . وإياك وما يُعْتَذَر منه ، فإنك لن تعتذر من خير أبداً ، وإذا عثر عاثر فاحمد الله ألّا تكون هو . يا بنى ، خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله ، وإذا قمت إلى صلاتك فصلِّ صلاة مُوَدِّعٍ وأنت ترى ألّا تصلى بعدها .

لعلى بن الحسين فى مثله

٥ وقال على بن الحسين عليهما السلام لابنه : يا بنى ، إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذّرنى منك . واعلم أنّ خير الآباء للأبناء من لم تَدْعُه المودّة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يَدْعُه التقصير إلى العقوق له .

لحكيم فى مثله

وقال حكيم لابنه : يا بنى ، إن أشدّ الناس حسرة يوم القيامة : رجلٌ كَسَب ١٠ مالا من غير حِلّه فأدخله النار ، وأورثه مَن عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .

ابن عتبة وأبوه

عمرو بن عُتبة قال : لما بلغتُ خمس عشرة سنة قال لى أبى : يا بنى ؛ قد تقطعت عنك شرائع الصِّبا فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزايله فتبين منه ؛ ولا يغرّنك من آغترّ بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ؛ فإنه مَن قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رَضى ، قال فيك من الشر مثله إذا سَخِط . فاستأنِسْ ١٥ بالوُحدة من جلساء السوء تسلَمْ منْ غبّ عواقبهم .

لعبد الملك يوصى بنيه

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كفُّوا الأذى ، وآبذلوا المعروف ، واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سُئلتم ، ولا تُلْحِفوا إذا سألتم ؛ فإنه من ضَيّق ضُيّق عليه ، ومن أعطى أخلَف الله عليه .

للأشعث فى مثله

وقال الأشعث بن قيس لبنيه : يا بنى ، لا تَذِلّوا فى أعراضكم ، وانخدعوا فى ٢٠ أموالكم : ولتخفَّ بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمائهم ؛ فإنّ لكل آمرئ تبعة ؛ وإياكم وما يُعتذر منه أو يستحى : فإنما يُعتذر من ذنب ، ويستحى من عيب ؛ وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، وكفوا عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى بالردّ مَنعا ؛ وأجملوا فى الطلب حتى يوافق الرزق قدَراً ؛ وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت يتأسّى بكم الكريم ، ويتشرف

بكم اللئيم ، وكونوا فى عوام الناس ما لم يضطرب الحبل ، فإذا اضطرب الحبل فالحَقُوا بعشائركم .

من عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله فى غيبة غابها : أما بعد فإن من اتق الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن اقترضه جزاه . فاجعل التقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك . فإنه لا عمل لمن لا نيّة له ، ولا خير لمن لا خَشية له ، ولا جديد لمن لا خَلَق له . ٥

من على إلى ابنه الحسن

وكتب على بن أبى طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : من علىّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان ، المقرّ للزمان ، المستسلم للحدثان ، المُدبر العُمر ، المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هَلك ، غرَض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وأسير المنايا ، وقرين الرزايا ، وصريع الشهوات ، ونُصب الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد ؛ يا بنى ، فإن فيما تفكرت فيه من إدبار الدنيا عنى ، وإقبال الآخرة علىّ . وجُموح الدهر علىّ ما يرغّبنى عن ذكر سوائى ، والاهتمام بما ورائى ، غير أنه حيث تفرد بى همُّ نفسى دون همّ الناس ، فصدَقنى رأيى ، وصرَفنى عن هواى ، وصرح بى محض أمرى ، فأفضى بى إلى جِدٍ لا يُزْرى به لعب ، وصِدْقٍ لا يَشوبه كذب ، ووجدتُك يا بنى بعضى ، بل وجدتك كُلّى ، حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابنى ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتانى . فعند ذلك عنانى من أمرك ما عنانى من أمر نفسى . كتبت إليك كتابى هذا يا بنى مستظهرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت ، فإنى مُوصيك بتقوى الله ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله فإن الله تعالى يقول : ﴿ وٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ولا تَفَرَّقوا وٱذْكُروا نِعمةَ اللهِ عليكُمْ إذ كنتم أعْداءً فألّفَ بين قلوبكُمْ فأصبحتم بنِعْمَتِه إخواناً ﴾ . وأى سبب يا بنى أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به ، أحيِ قلبك بالموعظة ، ونَوِّره بالحكمة وأمِتْه بالزهد ، وذلّله بالموت ، وقوِّه بالغنى عن الناس ، وحَذِّره صولة الدهر ؛ وتقلّب الأيام والليالى ، وٱعرض عليه أخبار الماضين وسِرْ فى ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا ، ١٠ ١٥ ٢٠

وأين حلوا ، فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة . وكأنك عن قليل يا بنى قد صرت كأحدهم ، فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك بدنياك . ودع القول فيما لا تعرف ، والأمر فيما لا تُكلَّف ، وأمُرْ بالمعروف بيدك ولسانك ، وآنْهَ عن المنكر بيدك ولسانك ، وباينْ مَن فعَله ، وخُض الغمرات إلى الحق ، ولا يأخذك فى الله لومةُ لائم ، واحفظ وصيَّتى ولا تذهب عنك صَفحاً ، فلا خير فى علم لا ينفع . واعلم أنه لاغنى لك عن حُسن الآرتياد مع بلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به فى معادك فاغتنمه ، فإن أمامك عقبة كئوداً لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا فأَجْمِلْ فى الطلب ، وأحسن المكتَسب . فرُب طلبٍ قد جرَّ إلى حرَب . وإنما المحروب من حُرِب دينه ، والمَسلوب من سُلب يقينَه . وآعلم أنه لا غنى يَعدِل الجنة ؛ ولا فَقر يعدل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

منه إلى ولده ابن الحنفية

وكتب إلى آبنه محمد بن الحنفية : أنْ تَفقَّهْ فى الدين ، وعوِّدْ نفسك الصبر على المكروه ، وكِلْ نفسك فى أمورك كلها إلى الله عز وجل ، فإنك تكلها إلى كهف[1] حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة له ، وآعلم أن من كان مطيته الليل والنهار فإنه يُسارُ به وإن كان لا يسير ، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن قدرت أن تزهد فيها زُهْدَك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتى إياك فاعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولا تعدُوَ أجلَك ، فإنك فى سبيل[2] من كان قبلك ، فأكرمْ نفسك عن كل دَنيَّة وإن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ، وإياك أن توجِفَ بك مطايا الطمع وتقول : متى ما أُخِّرت نَزَعت ، فإن هذا أهلك من هَلك قبلك ، وأمسِك عليك لسانَك ، فإنّ تلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر عليك من إدراك مافات من منطقك ،

(١) فى بعض الأصول : « كاف » .

(٢) فى بعض الأصول : « فى ديوان » .

وٱحفظ ما فى الوعاء بشَدِّ الوكاء ، فحُسْن التدبير مع الاقتصاد أبقَى لك من الكثير
مع الفساد والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ،
ولربما سعى فيما يضره ، وإياك والاتكال على الأمانى ، فإنها بضائع النَّوْكَى ،
وتُثَبِّط عن الآخرة والأولى ، ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح ، فقارن أهل
الخير تكن منهم ، وباينْ أهل الشر تَبِنْ عنهم ، ولا يَغلِبَنَّ عليك سوء الظن ، فإنه ٥
لن يدعَ بينك وبين خليلٍ صُلحاً . أذْكِ قلبَك بالأدب كما تُذْكى النارَ بالحطب ،
واعلم أن كُفر النعمة لؤمٌ ، وصُحبةَ الأحمق شُؤْمٌ ، ومن الكرم مَنعُ الحرم ، ومن
حَلُم ساد ، ومن تفهم ازداد . ٱمحَض أخاك النصيحة ، حسنةً كانت أو قبيحة .
لا تَصرم أخاك على ارتياب ، ولا تَقطعه دون استعتاب ، وليس جزاء من سرك
أن تسوءه . الرزق رزقان : رزقٌ تطلبه ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك ، واعلم ١٠
يا بنى أنه مالك من دنياك إلا ما أصلحت به من مثواك ، فأنفق من خيرك . ولا تكن
خازنا لغيرك ، وإن جزعت على ما يُفلت من يديك ، فاجزع على ما لم يصل إليك
ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه ، وأبصر الأعمى رشده ، ولم يَهلك ٱمرؤ ٱقتصد ، ولم
يَفتقر من زَهد . من ائتمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه . رأس الدين
اليقين ، وتمام الإخلاص ٱجتناب المعاصى ، وخير المقال ما صدّقه الفعال . سل ١٥
عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، واحمل لصديقك عليك ، واقبل
عذرَ من اعتذر إليك ، وأخرِّ الشر ما ٱستطعت ، فإنك إذا شئت تعجّلته . لا يكن
أخوك على قَطيعتك أقوى منك على صِلته ، وعلى الإساءة أقوى منك على
الإحسان . لا تُملِّكَنَّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست
بقَهرمانة ، فإنّ ذلك أدوم لحالها ، وأرخى لبالها ، واغضُض بصرها بسترك ، ٢٠
واكفُفها بحجابك ، وأكرِم الذين بهم تصول ، فإذا تطاولت تطول . أسأل الله
أن يُلهِمك الشكر والرشد : ويُقوِّيك على العمل بكل خير ، ويصرف عنك كل
محذور برحمته . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجليل بين يدى المهدى فقال له : إنه لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك ، قُمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله
٥ صلى الله عليه وسلم ، بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى [عند] انقطاع عذر الكِتمان ، ولا سيما حين اتسمتَ بمِيْسم التواضع ، ووعدتَ الله وحَمَلَة كتابه إيثارَ الحقّ على ما سواه ، فجمعَنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التمحيص . وقد جاء فى الأثر : مَن حَجبَ الله عنه العلم عذّبه على الجهل ، وأشدُّ منه عذاباً مَنْ أقبلَ إليه العلمُ فأدبَرَ عنه . فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدَى إليك من ألسنتنا قَبُولَ
١٠ تحقيق وعمل ، لا قَبولَ سُمْعةٍ ورياء ؛ فإنما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو وقد وطّن الله عز وجل نبيه على نزولهما ، فقال تعالى : ﴿ وإمّا يَنزَغنَّكَ من الشيطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بالله إنّهُ سميعٌ عليم ﴾ .

مقام رجل من العبّاد عند المنصور

بينما المنصور فى الطواف ليلا إذ سمع قائلا يقول اللهمّ إنى أشكو إليك
١٥ ظهورَ البغى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى الرجلُ ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة

فقال المنصور : ما الذى سمعتُك تذكر من ظهور الفساد والبغى فى الأرض ، وما الذى يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوتَ
٢٠ مسامعى ما أرمضنى .

فقال : إن أمّنتنى يا أمير المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أصولها ، وإلا احتجزت منك واقتصرت على نفسى فلى فيها شاغل .

قال : فأنت آمن على نفسك فقل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر فى الأرض من الفساد والبغى لأنتَ . فقال : فكيف ذاك ويحك ! يَدْخُلُنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى ، والحلو والحامض عندى؟ قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم ، فأغفلت أمورَهم ، واهتممتَ بجَمْع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجصِّ والآجرّ ، وأبواباً من الحديد ، وحُرَّاساً معهم السلاح ، ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها ، وبعثتَ عُمَّالك فى جباية الأموال وجمعها وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكراع ، وأمرت ألا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلّا فلان وفلان ، نفراً سَمَّيْتَهم ، ولم تأمُرْ بإيصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العارى ، ولا الضعيف الفقير إليك ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتَ أن لا يُحْجبوا دونك، تَجْبِى الأموال وتَجْمَعُها . قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نَخونُه . فائتمروا ألّا يصل إليك من علم أخبار الناس شئ إلا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خوّنوه عندك ونفَوْه ، حتى تسقطَ منزلتُه ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناسُ وهابوهم وصانعوهم ، فكان أولَ من صانعهم عمالُك بالهدايا والأموال ، ليَقْوَوْا بها على ظُلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذَوُو المقدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم مَن دونهم ، فامتلأت بلادُ الله بالطمع ظُلما وبغيا وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ، فإن جاء متظلّم حيل بينك وبينه ، فإن أراد رَفْعَ قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك ، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ، فإذا أُجهِدَ وأُحرِجَ ثم ظهرتَ صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مبرحاً يكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فما

تنكر ! فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنتُ يا أميرَ المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتُها مرة وقد أصيب مَلِكُهم بسمعه ، فبكى بكاء شديداً ، فحثه جلساؤه على الصبر فقال : أما إنى لست أبكى للبليّة النازلة ، ولكنى أبكى لمظلوم يصرُخ بالباب فلا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب ، نادوا فى
٥ الناس أن لا يلبَس ثوباً أحمرَ إلّا مُتَظلّم . ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا أمير المؤمنين مُشركٌ بالله ، بلغتْ رأفتُه بالمشركين هذا المبلغ ، وأنت مؤمنٌ بالله من أهل بيت نبيّه لا تغلبك رأفتُك بالمسلمين على شُحِّ نفسك ! فإن كنت إنما تَجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبَرًا فى الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مالٌ ، وما من مال إلا ودونه يدٌ شحيحة
١٠ تحويه ، فما يزال الله يلطُف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبةُ الناس إليه . ولستَ الذى تعطى ، بل اللهُ تعالى يُعطى من يشاء ما يشاء . فإن قلت إنما تجمع المال لتشديد السلطان ، فقد أراك الله عِبَرًا فى بنى أمية ، ما أغنى عنهم جمعُهمْ من الذهب وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد . وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها . فوالله ما فوق
١٥ ما أنت فيه إلا منزلةٌ ما تُدرَك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين . هل تُعاقِبُ من عصاك بأشد من القتل . فقال المنصور : لا . فقال : فكيف تصنع بالملِك الذى خوَّلك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب الأليم . قد رأى ما عُقِد عليه قلبُك ، وعملتْه جوارحُك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت إليه رجلاك . هل يغنى عنك ما شححتَ عليه
٢٠ من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب؟ قال : فبكى المنصور ، ثم قال : ليتنى لم أُخلَقْ ! ويحك كيف أحتال لنفسى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم فى دينهم ، ويرضون بهم فى دنياهم ، فاجعلهم بطانتك يرشُدوك ، وشاوِرْهم فى أمرك يُسَدِّدوك . قال : قد بعثت إليهم فهربوا منى . قال: خافوك أن تحملَهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسَهِّل حجابك ، وانصر

المظلوم ، واقمع الظالم ، وخُذ الفيء والصدقات على حلها ، واقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة .

وجاء المؤذّنون فآذنوه بالصلاة[1] ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطُلب الرجل فلم يوجد.

مقام الأوزاعى

بين يدى المنصور

قال الأوزاعى : دخلت عليه فقال لى : ما الذى بطأ بك عنى ؟ .

قلت : وما تريد منى يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الاقتباس منك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنظر ما تقول ، فإن مكحولا حدثنى عن عطية بن بُسْر[2] ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ بلغتْه عن الله نصيحة فى دينه فهى رحمة من الله سيقَتْ إليه ، فإن قبلها من الله بِشُكر وإلا فهى حجةٌ من الله عليه ليزدادَ إثماً ويزدادَ الله عليه غضباً . وإن بلغه شىء من الحق فرضى فله الرضا ، وإن سخط وله السخط ومن كرهه فقد كره الله عز وجل لأن الله هو الحق المبين .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة وقد عُرِضَتْ على السموات والأرض فأبيْن أن يَحمِلْنها وأشفقن منها . وقد جاء عن جدك عبد الله ابن عباس فى تفسير قول الله عز وجل : ﴿لا يُغادِرُ صغيرَةً ولا كبيرَةً إلَّا أحصاها﴾ قال : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : الضحك . فما ظنك بالقول والعمل ؟ فأُعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « يا صفيَّةُ عمَّةَ محمد ، ويافاطمةُ بنتَ محمد ، اسْتَوْهِبا أنفُسَكما من الله ، فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئا » . وكذلك جدُّك العباس ، سأل إمارةً من النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى عَمِّ

(١) فى بعض الأصول : « فسلموا عليه » .

(٢) فى بعض الأصول : « بشير » .

نفْسٌ تحيها خيرٌ لك من إمارة لا تحصيها ؛ نظراً لعمه وشفقة عليه من أن يَلِيَ فيَحيدَ عن سنَّته جناح بعوضة ، فلا يستطيعُ له نفعاً ولا عنه دفعا . وقال صلى الله عليه وسلم : مامن راعٍ يبيتُ غاشًا لرعيته إلا حَرَم الله عليه رائحةَ الجنة . وحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ، ولِمَا استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالحق فيهم قائما ، فلا يتخوف محسنُهم رَهَقا ، ولا مسيئُهم عدوانا ؛ فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، ما هذه الجريدة التى معك ! اتركها لا تملأ قلوبهم رعبا ! فما ظنك بمن سفك دماءهم ، وقطع أستارهم ، ونهب أموالهم ! يا أمير المؤمنين ، إنّ المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القِصاص من نفسه بخَدش خَدَشه أعرابيا لم يتعمده ؛ فقال جبريل : يا محمد ، إنّ الله لم يبعثك جباراً تَكْسِرُ قرون أمتك . واعلم يا أمير المؤمنين أن كل مافى يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ؛ ولو أن ثوباً من ثياب أهل النّار عُلق بين السماء والأرض لأَهْلَكَ الناسَ رائحتُه ، فكيف بمن يتقمَّصه ! ولو أن ذَنوباً من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الدنيا لأَحَمَّه ، فكيف بمن يتجرعه ! ولو أن حلْقةً من سلاسل جهنم وُضِعتْ على جبل لأذابته ؛ فكيف بمن يُسْلَك فيها ؛ ويُرَدُّ فَضْلُها على عاتقه .

كلام أبى حازم

لسليمان بن عبد الملك

حج سليمان بن عبد الملك ؛ فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبى حازم الأعرج وعنده ابن شهاب . فلما دخل قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فِيمَ أتكلمُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى المخرج من هذا الأمر . قال : يسيرٌ إن أنت فعلته . قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا مِن حِلِّها ، ولا تضعْها إلا فى أهلها . قال : ومن يَقْوَى على ذلك ؟ قال : من قلَّده الله من أمر الرعية ماقلَّدَك . قال :

عظنى أبا حازم ! قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشِرْ علىّ . قال : إنما أنت سوق ، فما نفق عندك حُمِلَ إليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين ؟ إن أدنيتَنى فتنتَنى ، وإن أقصيتنى أخزيتَنى ؛ وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندى ما أخافُك عليه ! قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطانى منها قبلت ، وما منعنى منها رضيت .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

دخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عظنى يا ابن السماك وأوجز .

قال : كفى بالقرآن واعظاً يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ بسم اللهِ الرحْمٰنِ الرحيم * ويلٌ للمطفِّفِين الذين إذا اكتالوا على الناسِ يَسْتَوْفون * وإذا كالوهُمْ أو وزَنوهم يُخسِرون * ألَا يَظُنُّ أولٰئك أنّهم مبعوثون لِيومٍ عظيم * يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالَمِين ﴾ . هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف فى الكيل ، فما ظنك بمن أخذه كله ! وقال له مرة : عظنى . وأُتى بماء ليشربه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حُبِستْ عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم . قال : فلو حبس عنك خروجُها أكنت تفديها بملكك ؟ قال : نعم ! قال : فما خيرٌ فى ملك لا يساوى شربة ولا بَوْلة ! قال : يا ابن السماك ، ما أحسن ما بلغنى عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن لى عيوباً لو اطلع الناس منها على عيب واحد ماثبتت لى فى قلب أحد مودة ؛ وإنى لخائف فى الكلام الفتنة وفى السر الغرة وإنى لخائف على نفسى من قلة خوفى عليها .

كلام عمرو بن عبيد

عند المنصور

دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدى ، فقال له أبو جعفر : هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ؛ ورجائى أن تدعو له . فقال : ٥ يا أمير المؤمنين ، أراك قد رضيت له أموراً يصير إليها وأنت عنه مشغول فاستعبر أبو جعفر وقال له عظنى أبا عثمان ! قال يا أمير المؤمنين ! إنّ الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها . هذا الذى أصبح فى يديك لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل إليك ! قال : أبا عثمان أعِنّى بأصحابك ، قال : ارفع علم الحق يَتْبعْك أهلُه ؛ ثم خرج ، فأتْبَعه أبو جعفر بصُرَّة ، فلم يقبلها ؛ وجعل ١٠ [المنصور] يقول :

كلكم يَمشى رُوَيْدْ ٭ كُلُّكم خاتِل صيْدْ
غيرَ عمرِو بن عُبَيْدْ

خبر سفيان الثورى

مع أبى جعفر

١٥ لقى أبو جعفر سفيان الثورى فى الطواف ، وسفيان لا يعرفه ، فضرب بيده على عاتقه وقال : أتعرفنى ؟ قال : لا ، ولكنك قبضت على قبْضةَ جبَّار ، قال : عظنى أبا عبد الله . قال : وما عملتَ فيم علمتَ فأعظَك فيما جهلت ؟ قال : فما يمنعك أن تأتينا ؟ قال : إن الله نهى عنكم فقال تعالى ﴿ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلَموا فتمسَّكمُ النارُ﴾ فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال : ألقيْنا ٢٠ الحَب إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فِرارا .

كلام شبيب بن شبة

للمهدى

قال العتبى : سألت بعض آل شبيب بن شيبة : أتحفظون شيئاً من كلامه ؟ قالوا : نعم ، قال للمهدى : يا أمير المؤمنين ، إن الله إذا قسم الأقسام فى الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها ، فلا تَرض لنفسك فى الآخرة إلا مثل مارضى لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت ؛ ومنكم أُخذت ، وإليكم ترد .

من كره الموعظة

لبعض ما فيها من الغلظ أو الخرق

بين الرشيد وواعظ

قال رجل للرشيد : يا أمير المؤمنين ، إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها ، قال : كلا ، إنّ الله أَمَرَ من هو خير منك بالإلانة القول لمن هو شر منى : قال لنبيّه موسى إذ أرسله إلى فرعون ﴿ فقُولا له قوْلا ليّناً لعلّه يتذكّر أو يَخشى ﴾ .

سليمان بن عبد الملك وأعرابى

دخل أعرابىّ على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلّمك بكلام ، فاحتمله إن كرهته ، فإن وراءه ما تُحب إن قبلته ، قال : هات يا أعرابى ، قال : إنى سأطلق لسانى بما خرستْ عنه الألسن من عظتك ، تأدية لحق الله تعالى وحق إمامتك : إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب الآخرة سِلْم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالا ، والأمانةَ تضييعا ، والأمةَ عسفاً وخسفا ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صَفقة يوم القيامة وأعظمَهم غبنا ، من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابى فقد سَلَلت لسانك وهو أحد سيفيك . قال : أجل يا أمير المؤمنين ،

لك لا عليك .

المأمون وواعظ

ووعظ رجل المأمون فأصغى إليه منصتا ، فلما فرغ قال : قد سمعت موعظتك ، فأسأل الله أن ينفعنا بها ، وربما عملنا ، غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا إلى المعاونة بالمقال ، فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون .

٥ العتبي قال : دخل رجل من عبد القيس على أبي فوعظه ، فلما فرغ قال أبي له : لو اتعظنا بما عَلمنا لانتفعنا بما عملنا ، ولكنا علمنا علما لزمتنا فيه الحجة ، وغَفلنا غفلة من وجبت عليه النقمة ، فوُعظنا فى أنفسنا بالتنقل من حال إلى حال ، ومن صِغر إلى كبَر ، ومن صحة إلى سَقم ، فأبينا إلا المُقام على الغفلة ، إيثاراً لعاجل لا بقاء لأهله ، وإعراضاً عن آجلٍ إليه المصير .

عتبان ابن أبي سفيان و بعض القراء

١٠ سعد القصير قال : دخل أناس من القراء على عُتبة بن أبي سفيان فقالوا : إنك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف ، وجئت بها عشوة[1] خفيّة . قال : كذبتم ! بل سلطت الحق وبه سُلطت ، فاعرفوا الحق تعرفوا السيف ، فإنكم الحاملون له حيث وضْعُه أفضل ، والواضعون له حيث عَمله أعْدل ، ونحن فى أول زمان لم يأت آخره ، وآخرِ دهر قد فات أوله . فصار المعروف عندكم ١٥ مُنكرا ، والمنكر معروفا . وإنى أقول لكم مهلا ، قبل أن أقول لنفسى هلا ! قالوا : فنخرج آمنين ؟ قال غير راشدين ولا مهذبين .

راهب وضالون فى سفرهم

حاد قوم سَفْر عن الطريق ، فدفعوا إلى راهب منفرد فى صومعته ، فنادوْه ، فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ههنا . وأومأ بيده إلى السماء ، فعلموا ما أراد ، فقالوا : إنا سائلوك . قال : سلوا ولا تكثروا : فإن النهار لا يرجع ٢٠ والعمر لا يعود ، والطالب حثيث ! قالوا : علام الناس يوم القيامة ؟ قال : على نياتهم وأعمالهم . قالوا : إلى أين الموئل ؟ قال : إلى ما قدمتم . قالوا : أوصنا . قال : تزوّدوا على قدر سفركم ، فخير الزاد ما بلّغ المحل . ثم أرشدهم الجادة وانقمع .

وقال بعضهم : أتيت الشامَ فمررت بدير حرملة ، فإذا فيه راهب كأن عينيه

(١) العشوة من الأمر: الملتبس . وفى بعض الأصول : « عشواء صعبة » .

مزادتان ، فقلت له : ما أشدّ ما يبكيك ! قال : يا مسلم ، أبكى على ما فرطت فيه من عمرى ، وعلى يوم يمضى من أجلى لم يحسن فيه عملى ! قال : ثم مررت بعد ذلك ، فسألت عنه ، فقيل لى إنه قد أسلم وغزا الروم وقُتل !

الحيرى وثوبان فى لبس الرهبان

قال أبو زيد الحِيرى : قلت لثوبان الراهب : ما معنى لُبس الرهبان هذا السواد ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ! قلت : وكلكم معشرَ الرهبان قد أصيب بمصيبة ؟ قال : يرحمك الله ، وهل مُصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها . قال أبو زيد : فما أذكر قوله إلا أبكانى .

آزادمرد

حبيبٌ العدَوىّ عن موسى الأُسوارى قال : لما وقعت الفتنة أردتُ أن أحرز دينى ، فخرجت إلى الأهواز ، فبلغ آزادمَرْدَ قُدومى ، فبعث إلىّ متاعا ، فلما أردت الانصراف بلغنى أنه ثقيل ، فدخلت عليه ، فإذا هو كالخُفّاش ، لم يبق منه إلا رأسه ، فقلت : ما حالك ؟ قال : وما حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس ، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة ؟ ثم خرجت نفسه .

بين العتبى وبعض الرهبان

العتبى قال : مررت براهب باك ، فقلت : ما يُبكيك ؟ قال : أمرٌ عرفته وقَصرت عن طلبه ، ويوم مضى من عمرى نَقص له أجلى ولم ينقص له أملى .

باب

من كلام الزهاد وأخبار العباد

لبعض العباد

قيل لقوم من العبّاد : ما أقامكم فى الشمس ؟ قالوا : طلب الظل .

لعلقمة والأسود

قيل لعلقمة الأسود بن يزيد : كم تعذّب هذا الجسد الضعيف ؟ قال : لا تُنال الراحةُ إلا بالتعب .

لآخر

وقيل لآخر : لو رفقت بنفسك ! قال : الخير كلُّه فيما أُكرِهَت النفوس عليه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : حُفَّت الجنّة بالمكاره .

مسروق الأجدع

وقيل لمسروق بن الأجدع : لقد أضررت ببدنك . قال : كرامتَه أُريد . وقالت له امرأته فيروز لما رأته لا يُفطر من صيام ولا يفتر من صلاة : ويلك يا مسروق !

أما يعبدُ الله غيرُك ، أما خُلقت النارُ إلا لك؟ قال لها : ويْحَكِ يافيروز ! إن طالب الجنة لا يسأم ، وهارب النار لا ينام .

أبو الدرداء وزوجه

وشكت أم الدرداء إلى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها : تصبَّري ، فإن أمامنا عقبة كئودا لا يجاوزها إلا أخف الناس حِملا .

أبو حازم

٥ ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال : موعدُكِ الجنةُ .

ومر بالجزارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سمين فاشتر . قال : ليس عندى ثمنُه . قالوا نؤخرك . قال : أنا أؤخر نفسى .

وكان رجل من العُبَّاد يأكل الرُّمَّانَ بقِشره ، فقيل له : لِمَ تفعلُ هذا ؟ فقال إنما هو عدوٌّ فأثخن [1] فيه ما أمكنك .

على بن الحسين

١٠ وكان علىُّ بن الحسين عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدَة ، فسئل عن ذلك ، فقال : ويحكم ! أتدرون إلى مَن أقوم ومن أريد أن أناجى ؟

يونس بن عبيد

وقال رجل ليونس بن عُبيد : هل تعلم أحداً يعمل بعمل الحسن [2] ؟ قال : لا والله ولا أحداً يقول بقوله .

لمحمد بن على

وقيل لمحمد بن على بن الحسين أو لعلىّ بن الحسين عليهم السلام : ما أقلَّ ولدَ

١٥ أبيك ؟ قال : العجبُ كيف ولِدتُ له وكان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يتفرغ للنساء ؟ وحج خمساً وعشرين حجة راجلا .

ابن المسيب وامرأة

ولما ضُرب سعيد بن المسيب وأقيم للناس قالت له امرأة : لقد أُقِمتَ مقام خزية ! فقال : من مقام الخزية فررْتُ .

لابن دينار فى قحط

وشكا الناس إلى مالك بن دينار القحط . فقال : أنتم تستبطئون المطر وأنا

٢٠ أستبطئ الحجارة !

لابن عياض فى مثله

وشكا أهل الكوفة إلى الفُضيل بن عِياض القحطِ . فقال : أمُدبِّراً غيرَ اللهِ تريدون ؟

---

(١) فى بعض الأصول : « فأدخل » .

(٢) هو الحسن البصرى وكان يونس من أصحابه .

لأبى حنيفة فى السختيانى

وذكر أبو حنيفة أيوب السَّختيانى . فقال : رحمه الله تعالى - ثلاثا - لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت : لأقعدن إليه لعلى أتعلق منه بسقطة . فقام بين يدى القبر مقاما ما ذكرته إلا اقشعرّ له جِلدى .

ابن أبى رباح

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبى رباح فيكم ؟ قالوا : كان مثل العافية التى لا يُعرف فضلها حتى تفقد . وكان عطاء أفطس أسود أشل أعرج ثم عمى وأمه سوداء تسمى بركة . ٥

الأوقص المخزومى

وكان الأوقص المخزومىّ قاضيا بمكة ، فما رؤى مثلُه فى عفافه وزهده ؛ فقال يوما لجلسائه : قالت لى أمى : يا بُنى ، إنك خُلقت خلقة لا تصلح معها لمجامعة الفِتيانِ عند القيان ؛ فعليك بالدين ؛ فإن الله يرفع به الخسيسة ؛ ويتم به النقيصة ، فنفعنى الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليت القضاء . ١٠

بين ابن واسع وابن دينار

الفضيل بن عياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار فى مجلس بالبصرة ، فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع ما هو كما تقول ، ليس إلا عفو الله أو النار . قال مالك : صدقت . ثم قال مالك : إنه يعجبنى أن يكون للرجل معيشة قدر ما يقوته . قال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ولكن يعجبنى أن يصبح الرجل وليس له غداء ، ويمسى وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل . قال مالك : ما أحوجنى إلى أن يُعلمنى مثلك . ١٥

لابن مهدى فى بعض العباد

جعفر بن سليمان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما رأيت أحداً أقشف من شعبة ، ولا أعبد من سفيان الثورى ، ولا أحفظ من ابن المبارك . وما أحب أن ألقى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بشر بن منصور ، مات ولم يدع قليلا ولا كثيرا . ٢٠

بشر بن منصور على فراش الموت

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلت على بشر بن منصور وهو فى الموت ، فإذا به من السرور فى أمر عظيم ؛ فقلت له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخرج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمغتابين ، وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر .

الرشيد وعابد بمكة

حج هارون الرشيد ، فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة معتزل فى جبال تهامة فأتاه هارون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له : أوصنى ومُرنى بما شئت ، فوالله لا عصَيتك ! فسكت عنه ولم يرد عليه جواباً ؛ فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابه ما منعك إذ سألك أن تأمره بما شئت وحلف ألاّ يعصيك ـ أن تأمره بتقوى ٥ الله والإحسان إلى رعيته ؟ فخط لهم فى الرمل : إنى أعظمت الله أن يكون يأمره فيعصيه ، وآمره أنا فيطيعنى .

سفيان الثورى

على بن حمزة ابن أخت سفيان الثورى قال : لما مرض سفيان مرضه الذى مات فيه ذهبت ببوله إلى دَيرانى ، فأريته إياه فقال : ماهذا ببول حنيفى . قلت : بلى والله من خيارهم . قال : فأنا أذهب معك إليه ، قال : فدخل عليه وجس ١٠ عِرقه ، فقال : هذا رجل قطع الحزن كبده .

ابن سيرين

مورّق العِجلى قال : ما رأيت أحداً أفقهَ فى ورعه ولا أورع فى فقهه من محمد بن سِيرين ، ولقد قال يوماً : ما غشيتُ امرأة قط فى نوم ولا يقظة ، إلا امرأتى أم عبد الله فإنى أرى المرأة فى النوم ؛ فأعلم أنها لا تحل لى فأصرف بصرى عنها .

بعض العباد

١٥ الأصمعى عن ابنَ عون قال : رأيت ثلاثة لم أر مثلهم : محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام .

العتبى قال : سمعت أشياخنا يقولون : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين : عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبى الحسن البصرى ، وهرم بن حيان ، وأبى مُسلم الخولانى ، وأُويس القُرنى ، والربيع بن خُثيم ومَسروق بن الأجدع ، ٢٠ والأسود بن يزيد .

كيف يكون الزهد

للنبى صلى الله عليه وسلم

العتبى يرفعه قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أما إنه ما هو بتحريم الحلال ، ولا إضاعة المال ، ولكن الزهدَ

فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أغنى منك عما فى يدك .

للزهرى — وقيل للزهرى : ما الزهد ؟ قال : أما إنه ليس تشعيث اللِّمّة ، ولا قَشَفَ الهيئة ؛ ولكنه صرف النفس عن الشهوة .

لبعضهم — وقيل لآخر : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرامُ صبرَك ، ولا الحلالُ شكرَك . ٥

للنبى صلى الله عليه وسلم — وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، من أزهد الناس فى الدنيا ؟ قال : من لم ينس المقابر والبِلى ، وآثَرَ ما يَبقَى على ما يفنى ، وعَدَّ نفسَه مع الموتى .

لابن واسع — وقيل لمحمد بن واسع : من أزهد الناس فى الدنيا ؟ قال : من لا يبالى بِيَد مَن كانت الدنيا . ١٠

للخليل — وقيل للخليل بن أحمد : من أزهد الناس فى الدنيا ؟ قال من لم يطلبِ المفقود حتى يَفقِدَ الموجود .

للنبى صلى الله عليه وسلم — وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الزُّهدُ فى الدنيا مِفتاحُ الرَّغبةِ فى الآخرة ، والرغبة فى الدنيا مفتاح الزهد فى الآخرة .

١٥ قالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من جعل الدنيا أكبرَ همِّه نزَعَ اللهُ خوفَ الآخرى من قلبه ، وجعل الفقرَ بين عينيه ، وشغَلَه فيما عليه لا له .

لابن السماك — وقال ابن السماك : الزاهدُ الذى إن أصاب الدنيا لم يَفرَحْ ، وإن أصابتهُ الدنيا لم يَحزَن ، يضحكُ فى المَلا ، ويَبْكى فى الخلا . ٢٠

للفضيل — وقال الفضيل : أصل الزهد فى الدنيا الرضا عن الله تعالى .

صفة الدنيا

لعلى — قال رجل لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، صف لنا

الدنيا . قال : ما أصف من دار أوّلها عَناء ، وآخرُها فَناء ، حَلالُها حساب ، وحرامُها عقاب ، من استغنى فيها فُتن ، ومن افتقر فيها حَزن !

قيل لأرسطاطاليس : صف لنا الدنيا . فقال : ما أصف من دار أولها فوْت ، وآخرُها موْت .

لحكيم

٥ وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا . قال : أمَلٌ بين يديك ، وأجل مُطِل عليك ، وشيطان فتان ، وأماني جرّارة العنان ، تدعوك فتستجيب ؛ وترجوها فتَخيب .

لعامر بن عبد القيس

وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا . قال : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضةٌ للمُبْرَم ، مُرتجعة العطية وكل من فيها يجرى إلى ما لا يدرى .

لبكر المزنى

وقيل لبكر بن عبد الله المزنى : صف لنا الدنيا . فقال : ما مضى منها فحُلمْ ؛

١٠ وما بقى فأمانى .

لابن ثعلبة

وقيل لعبد الله بن ثعلبة : صف لنا الدنيا . قال : أمْسُكَ مذموم فيك ، ويومك غيرُ محمودٍ لك ، وغدُك غير مأمون عليك .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الدنيا سِجْنُ المؤمنِ وجنةُ الكافر .

وقال : الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منه البَر والفاجر . والآخرة وَعْدٌ صدقٌ

١٥ يحكم فيها مَلِكٌ قادر ، يَفصِلُ الحق من الباطل .

وقال : الدنيا خضِرةٌ حُلوة ، فمن أخذها بحقها بُورِك له فيها ، ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لا يَشْبَع .

لابن مسعود

وقال ابن مسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيف على الدنيا ومالُهُ عاريةٌ ؛ فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

للمسيح عليه السلام

٢٠ وقال المسيح عليه السلام : الدنيا لإبليسَ مزرعةٌ وأهلها حَرّاثون .

وقال إبليس : ما أبالى إذا أحب الناس الدنيا أن لا يعبدوا صنما ولا وثنا ، الدنيا أفْتنُ لهم من ذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الدنيا أُمّ دفر . الدفر : النتن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سُفيان : ماطعامُك ؟ قال : اللحم واللبن . قال : ثم إلى ماذا يصير ؟ قال يصير إلى ما قد علمت . قال : فإن الله عز وجل ضرب مايخرج من ابن آدم مثلا للدنيا .

للمسيح عليه السلام

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه : اتخذوا الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تَعْمُروها .

٥

من الأثر

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : من خدَمَنى فاخدُميه ، ومن خدَمك فاستَخْدِميه .

لنوح عليه السلام

وقيل لنوح عليه السلام : ياأبا البَشر وياطويل العُمر ، كيف وجدت الدنيا ؟ قال كبيْتٍ له بابان ، دخلت من أحدِهما وخرجت من الآخر .

للقمان

١٠

وقال لقمان لابنه : إن الدنيا بحرٌ عريض ، قد هلك فيه الأولون والآخِرون ، فإن آستطعت أن تجعل سفينتك تقوى الله ، وعُدَّتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح . فإن نجوت فبرحْمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

لابن الحنفية

وقال ابن الحنفية : من كرُمَت عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

وقال : إن الملوك خلَّوْا لكم الحكمة فخَلُّوا لهم الدنيا .

لابن واسع

١٥

وقيل لمحمد بن واسع : إنك لترْضى بالدّون . قال : إنما رضى بالدون مَن رضِيَ بالدنيا .

وقال المسيح عليه الصلاة والسلام للحواريين : أنا الذى كفأت الدنيا على وجهها ، فليس لى زوجةٌ تموت ، ولا بيتٌ يخرب .

لابن عبيد

شكا رجل إلى يونس بن عبيد وجعاً يجده ، فقال له : يا عبد الله ، هذه دار لا توافقك فالتمس لك داراً توافقك .

٢٠

لراهب

لقى رجل راهباً فقال : ياراهب ، صف لنا الدنيا . فقال : الدنيا تُخلِقُ الأبدان . وتُجدد الآمال ، وتُباعد الأُمْنِيّة ، و تقرّب المَنِيَة . قال : فما حال أهلها ؟ قال : من ظفِر بها تعِب ، ومن فاتته نَصِب . قال . فما الغنى عنها ؟ قال :

قطع الرجاء منها. قال. فأين المخرج؟ قال: فى سلوك المنهج. قال: وماذاك؟
قال: بذل المجهود، والرضا بالموجود.

لبعض الشعراء

قال الشاعر:

ما الناسُ إلّا مع الدنيا وصاحبِها * فحيثما انقلبَتْ يوْماً به انقلبوا
٥ يُعَظِّمون أخا الدنيا وإن وثَبَتْ * يوماً عليه بما لا يَشتَهى وثَبوا

وقال آخر:

يا خاطِبَ الدُّنيا إلى نفسِها * تَنَحَّ عن خِطبتِها تَسْلَمِ
إنّ التى تخطُبُ غَرّارة * قريبةُ العُرْس من المأْتَمِ

عبد الواحد ابن الخطاب

داود بن المُحبَّر قال: أخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال: أقبلنا قافلين
١٠ من بلاد الروم، حتى إذا كنا بين الرُّصافة وحمص سمعنا صوتا من تلك الجبال،
تسمعه آذاننا ولم تبصره أبصارنا، يقول: يا مستورُ يا محفوظ، انظر فى سِتر
من أنت؛ إنما الدنيا شوك، فانظر أين تضع قدميك منها!

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية:

رضِيتَ بِذى الدُّنيا ككلِّ مُكاثِرٍ * مُلِحٍّ على الدُّنيا وكلِّ مُفاخِرِ
١٥ ألمْ تَرَها تسقيه حتى إذا صبا[1] * فَرَتْ حلْقَه منها بِشَفْرةِ جازِر
ولا تَعدِلُ الدُّنيا جناح بعوضةٍ * لدَى اللهِ أو معْشار نَغْبة طائرِ
فلم يَرْض بالدنيا ثوابا لمؤمنٍ * ولم يَرض بالدنيا عِقاباً لكافرِ

وقال أيضاً:

هىَ الدنيا؛ إذا كَمَلتْ * وتَمَّ سرورُها خَذَلتْ
٢٠ وتَفعلُ فى الذين بقُوا * كما فيمن مَضى فَعَلتْ

قال بعض الشعراء يصف الدنيا:

لقد غرَّتِ الدنيا رجالا فأصبحوا * بمنزلةٍ ما بعدها مُتحوَّلُ

---

(١) فى بعض الأصول: « ترقيه حتى إذا سما ».

فســاخطُ أمرٍ لا يُبدَّلُ غيره ٭ وراضٍ بأمرٍ غيره سيُبدَّلُ
وبالغ أمرٍ كان يَأْمُلُ دونَه ٭ ومخترَمٌ[١] من دون ما كان يأمُلُ

للرشيد

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صِفِى لنا نفسَك ، وكانت ممن ينطق ، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبى نواس :

٥

إذا امتحن الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفت ٭ له عن عدوٍّ فى ثياب صديقِ
وما الناسُ إلّا هالكٌ وابن هالكٍ ٭ وذو نَسَبٍ فى الهالكين عريقِ

لبعض الشعراء

وقال آخر فى صفة الدنيا :

فرُحنا وراح الشّامتون عشيّةً ٭ كأنّ على أكتافنا فِلَقَ الصَّخْرِ
لحَا اللهُ دُنيا تُدخِلُ النّارَ أهلَها ٭ وتَهتِك ما بين الأقارب من سِتْرِ

١٠

لأبى العتاهية

ولأبى العتاهية :

كُلنا نُكثِر الملامةَ للدنــيا وكل بحبِّها مفتونُ
والمقاديرُ لا تناولها الأو ٭ هامُ لطفاً ولا تَراها العيونُ
ولركب الفناء فى كلّ يوم[٢] ٭ حركاتٌ كأنهنّ سُكونُ

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى وصف الدنيا :

١٥

ألاَ إنما الدُّنيا نضارةُ أيكةٍ ٭ إذا اخضرّ منها جانبٌ جفّ جانبُ
هىَ الدار ما الآمال إلّا فجائعٌ ٭ عليها ولا اللّذّاتُ إلّا مصائبُ
فكم سَخِنت بالأمس عينٌ قريرةٌ ٭ وقَرّتْ عيون دمعُها اليومَ ساكبُ
فلا تكتحل عيناك فيها بِعَبْرةٍ ٭ على ذاهبٍ منها فإنك ذاهبُ

وقال أبو العتاهية :

٢٠

أصبَحت الدنيا لنا فِتْنةً ٭ والحمــدُ للهِ على ذلكا
قد أجْمَع الناسُ على ذَمّها ٭ ما إنْ ترى منهم لها تاركا

(١) فى بعض الأصول : « ومختلج » .
(٢) فى بعض الأصول : « ويمر الفتى وفى كل يوم » .

لابن أدهم

وقال إبراهيم بن أدهم :

نُرقِّع دُنيانا بتمزيقِ ديننا ٭ فلا دِينُنا يبقى ولا ما نُرقّعُ

وما سمعت فى صفة الدنيا والسبب الذى يُحبها الناس لأجله بأبلغ من قول القائل .

٥ نُراعُ بذكرِ الموْت فى حين ذِكْرِه ٭ وتَعترِض الدُّنيـا فنلْهو ونلعبُ

ونحن بنو الدُّنيا خُلِقْنا لغيرها ٭ وما كنتَ منه فهو شىءٌ مُحَبَّبُ

فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الإنسان منه فهو محبب إليه .

واعلم أن الإنسان لا يحب شيئاً إلا أن يجانسْه فى بعض طبائعه ، وأن الدنيا جانست الإنسان فى طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه .

ابن شبرمة وولده

١٠ وقال بعض ولد ابن شبرمة : كنت مع أبى جالساً قبل أن يلى القضاء فمرّ به طارق بن أبى زياد فى موكب نبيل ، فلما رآه أبى تنفّس الصُّعداء وقال :

أُراها وإنْ كانت تحَبُّ كأنها ٭ سَحابة صَيْفٍ عن قليلٍ تَقشَّعُ

ثم قال : اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فلما ابتلى بالقضاء ، قلت : ياأبت ، أتذكر يوم طارق ؟ فقال : يا بنى إنهم يجدون خلفا من أبيك وإن أباك لا يجد خلفاً منهم

١٥ إن أباك خطب[1] فى أهوائهم وأكل من حلوائهم .

للشعبى

وقال الشعبى ما رأيت مَثَلَنا ومَثَل الدنيا إلا كما قال كُثَيِّر عزة :

أسِيئى بنا أو أَحْسِنِى لاملومةً ٭ لديْنا ولا مَقْلِيّةً إنْ تَقَلَّت

وأحكم بيت قيل فى تمثيل الدنيا قول الشاعر :

ومَن يأْمَن الدُّنيا يكن مثل قابضٍ ٭ على الماءِ خانتْه فُروجُ الأصابع

الأصمعى فى بيت يستحسنه

٢٠ وحدّث العبّاس بن الفرج الرياشى ، قال : رأيت الأصمعى يُنشد هـذا البيت ويستحسنه فى صفة الدنيا :

ما عُـــذْرُ مُرْضِعةٍ بكا ٭ سِ الموْتِ تَفطِم مَن غَذَتْ

---

(١) فى بعض الأصول : « حط » .

لقطرى — ولقطرى بن الفُجاءة فى وصف الدنيا خطبةٌ مجردة تقع فى جملة الُخطب فى كتاب الواسطة .

قولهم فى الخوف

لابن عباس — سئل ابن عباس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صدَقوا الله فى مخافة وعيده ، قلوبُهم بالخوف قرِحة ، وأعينُهم على أنفسهم باكية ، ودموعهُم على خدودهم جارية ، يقولون كيف نفرح والموتُ مِنْ ورائنا . والقبورُ من أمامِنا ، والقيامةُ موعِدنا ، وعلى جهنم طريقُنا ، وبين يدى ربنا موقفُنا ! ٥

لعلى — وقال علىّ كرّم الله وجهه : ألا إن لله عباداً مخلصين ، كمن رأى أهل الجنة فى الجنة فاكهين ، وأهل النار فى النار معذبين ؛ شرورُهم مأمونة وقلوبُهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجُهُم خفيفة ، صبروا أياما قليلة لعقبىْ راحة طويلة ، أما بالليل فصَفُّوا أقدامَهُم فى صلاتهم ؛ تجرى دموعهم على خدودهم ، يَجْأرُون إلى ربهم : ربَّنا ربَّنا ! يطلبون فَكاكَ قلوبهم ؛ وأما بالنهار فعُلماء حُلَماء بررة أتقياء ؛ كأنهم القِداح . القداح : السهام ، يريد فى ضمرتها ـ ينظر إليهم الناظر فيقول مَرْضى ، وما بالقوم من مرض ؛ ويقول : خولِطوا ؛ ولقد خالط القومَ أمر عظيم . ١٠ ١٥

لابن عمار فى الزهد — وقال منصور بن عمار فى مجلس الزهد : إن لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالا بين أعينهم ، وقطعوا الأسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا ؛ فهم أنضاء عبادته ، حلفاء طاعته ، قد نضحوا خدودَهم بوابل دموعهم ، وافترشوا جباههم فى محاريبهم ، يناجون ذا الكبرياء والعظمة فى فكاك رقابهم . ٢٠

عمر بن عبد العزيز فى مرضه — ودخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه فى مرضه وفيهم شاب ذابل ناحل ؛ فقال له عمر : يافتى ، ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقامٌ ! قال له عمر : لتَصْدُقَنّى . قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذقت

يوما حلاوة الدنيا فوجدتها مرة عواقبُها ؛ فاستوى عندى حجرها وذهبها ؛ وكأنى أنظر إلى عرش ربنا بارزا ؛ وإلى الناس يساقون إلى الجنة والنار ؛ فأظمأت نهارى وأسهرت ليلى ؛ وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه فى جنب ثواب الله وخوف عقابه .

لابن أبى الحوارى
وقال ابن أبى الحوارى : قلت لسفيان : بلغنى فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إلّا مَنْ أتى اللهَ بقلْبٍ سليمٍ ﴾ : الذى يلقى ربه وليس فيه أحد غيره . فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا التفسير .

للحسن
وقال الحسن : إن خوفك حتى تلقى الأمْنَ خيرٌ من أَمْنِك حتى تلقى الخوف

وقال : ينبغى أن يكون الخوف أغلبَ على الرجاء . فإن الرجاء إذا غلب الخوفَ فَسَدَ القلب .

وقال : عجبا لمن خاف العقاب ولم يكُفّ ، ولمن رجا الثواب ولم يعْمَل .

لعلى
وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لرجل : ما تصنع ؟ فقال : أرجو وأخاف . قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لابن عياض
وقال الفضيل بن عياض : إنى لأستحى من الله أن أقول : توكّلت على الله. ولو توكلت عليه حقّ التوكل ما خفت ولا رجوت غيره .

لبعضهم
وقالوا : من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كل شىء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء .

وقال : وعدٌ من الله لمن خافه أن يدخله الله الجنة . وتلا قوله عز وجل : ﴿ ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ جنَّتانِ ﴾ .

لابن ذر
وقال عمر بن ذرّ : عباد الله ؛ لا تغتروا بطول حِلْمِ الله واحذروا أسفَهُ ؛ فإنه قال عز وجل : ﴿ فلمَّا آسفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فأغْرَقْناهُمْ أجْمَعِين . فجَعلْناهُم سلَفاً ومثلًا للآخِرِينَ ﴾ .

لابن سلام
وقال محمد بن سلّام : سمعتُ يونس بن حبيب[1] يقول : لا تأمن من قطع

(١) فى بعض الأصول «يوسف بن عبيد»

فى خمسة دراهم أشرفَ عُضوٍ فيك أن تكون عقوبتُه فى الآخرة أضعاف ذلك .

لابن خثيم وقال الربيع بن خُثيم : لو أن لى نفسين إذا علقتْ إحداهما سعت الأخرى فى فكاكها ، ولكنها نفس واحدة ، فإن أنا أوثقتُها . من يفكُّها ؟

في الحديث وفى الحديث : من كانت الدنيا همَّهُ ، طال فى الآخرة غمُّه . ومن خاف الوعيد ٥ لها عمَّا يُريد ، ومن خاف ما بين يدَيه ضاقَ ذرعا بما فى يدِه .

للوراق وقال محمود الوراق :

يا غافلاً ترْنو بعيْنَىْ راقدٍ ۞ ومُشاهِداً لِلأمْرِ غيرَ مُشاهِدِ
تصِلُ الذنوبَ إلى الذُّنوبِ وترْتجِى ۞ دَرْكَ الجِنانِ بها وفوْزَ العابِدِ
ونَسِيتَ أنَّ اللهَ أخْرَجَ آدماً ۞ منها إلى الدُّنيا بِذَنْبٍ واحِدِ ١٠

للنابغة الشيبانى وقال نابغة بنى شيبان :

إنَّ مَنْ يَرْكَبُ الفواحِشَ سِرًّا ۞ حينَ يَخْلو بِسِرِّهِ غيْرُ خالِ
كيف يَخْلو وعِنْدهُ كاتِباهُ ۞ شاهِداهُ وربُّهُ ذو الجلالِ

قولهم فى الرجاء

للعلماء قال العلماء : لا تشهَدْ على أحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نار ؛ يُرجَى للمحسن ١٥ ويُخاف عليه ، ويُخافُ على المسىء ويُرجَى له .

فى الأثر وفى الحديث المرفوع : إن الله يغفر ولا يعيِّر ، والناس يعيِّرون ولا يغفرون .

وفى حديث آخر : لا تكفِّروا أهل الذنوب .

فتى توفى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفى رجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مسرفا على نفسه ٢٠ فرفع رأسه ، وهو يجود بنفسه ، فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : ما يبكيكما؟ قال : نبكى لإسرافك على نفسك ! قال : لا تبكيا . فو الله ما يسرنى أن الذى بيد الله من أمرى بأيديكما . ثم مات . فأتى جبريلُ عليه الصلاة والسلام

النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن فتى توفى اليوم فاشهده فإنه من أهل الجنة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله ، فقالا : ما علمنا عنده شيئاً من خير ، إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مِن هاهنا أُوتِيَ ؛ إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده .

عمر بن ذر ورجل توفى

٥ وتوفى رجل بجوار ابن ذر ، وكان مُسرفا على نفسه ، فتحامى الناس جنازته وبلغ ذلك عمر بن ذر ، فأوصى أهله : إذا جهزتموه فآذنونى . ففعلوا ؛ فشهده والناس معه ، فلما أدلى وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان ؛ فلقد صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وذى خطايا ؟

معاوية عند الموت

١٠ وتمثل معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموت لا مَنْجَى من الموت والذى ٭ نحاذر بعـــد الموت أنكى وأفظعُ

ثم قال : اللهم فأقل العثرة ، واعفُ عن الزَّلة ، وعُد بحلمك على جهل من لم يَرْجُ غيرك ، ولم يثق إلا بك فإنك واسع المغفرة . يارب أين لذى الخطأ مهرب إلا إليك .

١٥ قال داود بن أبى هند : فبلغنى أن سعيد بن المسيَّب قال حين بلغه ذلك : لقد رغب إلى من لا مَرْغَبَ إلا إليه كرها ، وإنى أرجو من الله له الرحمة .

لأعرابى فى عائشة

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول فى دعائه وابتهاله : إلٰهى ، ما توهمت سعة رحمتك إلا وكأن نعمة عفوك تقرع مسامعى : أن قد غفرتُ لك ؛ فصدِّق ظنِّى بك ، وحقق رجائى فيك يا إلٰهى .

لبعض الشعراء

٢٠ ومن أحسن ما قيل فى الرجاء هذا البيت :

وإنى لأرجُو الله حتى كأننى ٭ أرَى بجميلِ الظَّنِّ ما اللهُ صانعُ

قولهم فى التوبة

للمسيح عليه السلام

مر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من بنى إسرائيل يبكون ، فقال لهم : مايبكيكم ؟ قالوا : نبكى لذنوبنا ! قال : آتركوها تُغفر لكم .

لعلى

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : عجباً لمن يهلك ومعه النجاة ؛ قيل له : وما هى ؟ قال : التوبة والاستغفار . ٥

فتى من بنى إسرائيل

وقالوا : كان شاب من بنى إسرائيل قد عبد الله عشرين حِجة ، ثم عصاه عشرين حِجّة ؛ فبينما هو فى بيته يتراءى فى مرآته ، نظر إلى الشيب فى لحيته ، فساءه ذلك ؛ فقال : إلهى ، أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة ؛ فإن رجعتُ إليك تقبلنى ؟ فسمع صوتاً من زاوية البيت ، ولم ير شخصاً : أحببتنا فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك . ١٠

ابن العلاء فى عابد

عبد الله بن العلاء قال : خرجنا حُجّاجا من المدينة ، فلما كنا بالحليفة نزلنا ، فوقف علينا رجل عليه أثواب رثّة له منظر وهيئة ، فقال : من يبغى خادما ؟ من يبغى ساقيا ؟ من يملأ قربة أو إداوة ؟ فقلنا : دونَكَ هذه القِربَ فاملأها . فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا ، فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ، ثم قال : لكم غير هذا ؟ قلنا : لا . وأطعمناه قارصاً حاذرا [1] ، فأخذه وحمد الله وشكره ؛ ثم اعتزل وقعد يأكل أكلَ جائع ، فأدركتْنى عليه الرِّقة ، فقمت إليه بطعام طيب كثير ؛ وقلت : قد علمتُ أنه لم يقع منك القرصُ موقعا ، فدونك هذا الطعام فكُلْه . فنظر فى وجهى وتبسم ؛ وقال : يا عبد الله ، إنما هى فَورة ، هذه النار قد أطفأْتُها ــ وضرب بيده على بطنه ــ فرجعتُ وقد انكسف بالى لِمَا رأيت من هيبته ؛ فقال إلى رجل كان إلى جانبى : أتعرفه ؟ قلت : ما أعرفه . قال : هذا رجل من بنى هاشم ، من ولد العباس بن عبد المطلب ؛ كان يسكن البصرة ؛ فتاب وخرج منها ، ففُقد وما يُعرف له أثر . فأعجبنى قوله ؛ ثم لحقت به وناشدته الله ؛ وقلت له : ١٥ ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « قرصاً بارداً » .

هل لك أن تعادلني فإن معى فضلا من راحلتى وأنا رجل من بعض أخوالك؟ فجزانى خيرا، وقال: لو أردت شيئاً من هذا لكان لى مُعَدًّا. ثم أنِسَ إلىّ وجعل يحدثنى؛ وقال: أنا رجل من ولد العباس، كنت أسكن البصرة، وكنت ذا كِبْر شديد وجبروت وبذخ؛ وإنى أمرت خادماً لى أن تَحْشُو لى فراشاً من حرير بورد نثير، ومخدّة؛ ففعلتْ؛ فإنى لنائم إذ أيقظنى قِمعُ وردةٍ أغفلته الخادم؛ فقمت إليها فأوجعتها ضربا؛ ثم عدت إلى مضجعى بعد أن خرج ذلك القمع من المخدة؛ فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة، فهزنى وزَبرنى، وقال: أفِقْ مِن غشيتك وأبصِر من حيرتك. ثم أنشأ يقول:

يا خُدُّ إنك إن تُوَسَّدُ لَيِّناً ... وُسِّدْتَ بعدَ الموتِ صُمَّ الجَنْدَلِ
فامْهَدْ لنفسِك صالحاً تنجو به ... فلَتَنْدَمَنَّ غداً إذا لم تَفْعَلِ

فانتبهت فزعا، وخرجت من ساعتى هارباً بدِينى إلى ربى.

في التوبة

وقالوا: علامة التوبة الخروجُ من الجهل، والندم على الذنب، والتجافى عن الشهوة، وترك الكذب، والانتهاء عن الخلق السوء.

وقالوا: التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وأول التوبة الندم.

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى:

يا وَيْلَنا من مَوقِفٍ ما بِهِ ... أَخْوَفُ من أن يَعدِلَ الحاكمُ
أُبارِزُ اللهَ بعِصْيانِهِ ... وليس لِي مِن دونِه راحِمُ
يا ربِّ غُفرانَكَ عن مُذْنِب ... أسرَفَ إلا أنه نادِمُ

لبعض المفسرين

وقال بعض أهل التفسير فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا تُوبوا إلى اللهِ توبةً نَصُوحاً ﴾. إن التوبة النصوح: أن يتوب العبد عن الذنب ولا ينوى العود إليه.

لابن عباس

وقال ابن عباس فى قول الله عز وجل: ﴿ إنما التوبة على اللهِ للذين يعملونَ السُّوءَ بجَهالة ثم يتوبونَ من قريبٍ ﴾. إن الرجل لا يركب ذنباً ولا يأتى فاحشةً إلا وهو جاهل. وقوله: ثم يتوبون من قريب. قال: كل من كان دون

المعاينة فهو قريب، والمعاينة : أن يؤخذ بكَظَمِ الإنسان ، فذلك قوله : ﴿إذا حضَرَ أحدَهم الموتُ قال إنّى تُبْتُ الآن﴾ قال أهل التفسير : هو إذا أُخذ بكَظْمه .

لابن شبرمة — وقال ابن شبرمة : إنى لأعجب ممن يحتمى مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة النار .

المبادرة بالعمل الصالح

٥

قال الله عز وجل ﴿وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنة﴾ .

وقال تعالى ﴿والسابقون السابقونَ أولـئك المُقرَّبون﴾ .

للحسن — وقال الحسن : بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل ، فإن لكم ما أمضيتم ، لا ما أبقيتم .

لبعضهم — وقالوا : ثلاثة لا أناة فيهن : المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن الميت ، وإنكاح الكفء . ١٠

للنبي صلى الله عليه وسلم — وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ابن آدم : اغتنم خمساً قبلَ خمس : شبابَك قبل هَرَمك ، وصحّتَك قبل سقمك ، وفَراغك قبل شُغلك ، وحياتَك قبل موتِك ، وغِناك قبل فقرِك .

وقال الحسن : صمْ قبل أن لا تقدرَ على يوم تصومه ، كأنك إذا ظمئت لم تكن رويت ، وكأنك إذا رويت لم تكن ظمئت . ١٥

ليزيد الرقاشي — وكان يزيد الرَّقاشي يقول : يا يزيد ، من يصوم عنك أو يصلّى لك أو يترضى لك ربك إذا مت .

لابن معدان — وكان خالد بن معدان يقول :

إذا أنتَ لم تَزرعْ وأبصرْتَ حاصداً ٭ نَدمتَ على التَّفْريطِ فى زمنِ البذْرِ ٢٠

لابن المبارك — وقال ابن المُبارك : كنت مع محمد بن النَّضر فى سفينة ، فقلت : بأى شىء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت له : ما تقول فى الصوم فى السفر ؟ فقال : إنما هى المُبادرة يابن أخى . فجاءنى والله بفتيا غير فتيا إبراهيم والشعبى .

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

بادِرْ إلى التوبةِ الخلصاءِ مُبتدئاً[1] ٭ والموتُ ويْحَكَ لم يَمدُدْ إليك يدا
وارْقُب من الله وعداً ليس يُخلفُه ٭ لا بُدّ لله من إنجازِ ما وعَدا

لعلى

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : فيم أنتم ؟ قالوا : نرجو
٥ ونخاف . قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

ترجو النجاةَ ولم تَسلُك مَسالِكَها ٭ إنّ السفينةَ لا تجرى على اليبَسِ

وقال آخر :

اعْمَل وأنتَ من الدنيا على حذَرٍ ٭ واعلم بأنك بعد الموتِ مبعوثُ
١٠ واعلم بأنك ما قدّمتَ من عملٍ ٭ يُحصَى عليك، وما خلّفت موروث

النبى صلى الله عليه وسلم وعائشة

وقدّمت عائشة رضى الله عنها إلى النبى صلى الله عليه وسلم صَحْفة فيها خبزُ
شعير وقطعة من كَرِش ، وقالت : يا رسول الله ، ذبحنا اليوم شاة فما أمسكنا منها
غير هذا . فقال : بل كلّها أمسكتم غير هذا .

العجز عن العمل

مؤرق وشاك

١٥ قال رجل لمؤرق العجلى : أشكو إليك نفسى ؛ إنها لا تريد الصلاة ، ولا تستطيع
الصبر على الصيام . قال : بئس الثناء [ما] أثنيتَ على نفسك ، فإذا ضعفت عن
الخير ، فاضعف عن الشر ؛ فإن الشاعر قال :

احزنْ على أنك لا تَحزنُ ٭ ولا تُسئْ إنْ كنتَ لا تُحسِنُ
واضعُف عن الشرّ كما تدّعِى ٭ ضَعفاً عن الخير وقد يُمكنُ

لبكر بن عبد الله

٢٠ وقال بكر بن عبد الله : اجتهدوا فى العمل ، فإن قصّر بكم ضعفٌ فأمسكوا
عن المعاصى .

---

(١) فى بعض الأصول : « مجتهدا » .

للحسن — وقال الحسن رحمه الله : من كان قويا فليعتمد على قوته فى طاعة الله ؛ وإن كان ضعيفاً فليكفّ عن معاصى الله .

لعلى — وقال علىّ : لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتى ، فيبتغى الزيادة فيما بقى ؛ وينهى الناس ولا ينتهى .

٥ وكان الحسن إذا وَعظ يقول : يا لها موعظة لو صادفت من القلوب حياة ! أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ، ما لهم تفاقدوا عقولهم ؟ فراش نار وذباب طمع .

لابن السماك — وكان ابن السماك إذا فرغ من موعظته يقول : ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف .

وقال : الحسنة نور فى القلب ، وقوة فى العمل ؛ والسيئة ظلمة فى القلب ، ١٠ وضعف فى العمل .

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب ، ثم ظنوا أن تركها لهم توبة ؛ وليتهم إذا ذهبتْ عنهم لم يَتَمَنَّوْا عَودها إليهم .

لابن دينار — وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فطام الكبير . وينشد :

١٥ وتَروضُ عِرْسَكَ بعدما هرمتْ ٭ ومن العَناءِ رياضةُ الهرِمِ

لابن وضاح — ومن حديث محمد بن وضّاح قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتُب ، مسح إبليس بيده على وجهه وقال : بأبى وجهٌ لا أفلحَ أبدا .

لبعض الشعراء — قال الشاعر :

فإذا أَى إبليسُ غرَّةَ وَجْهِهِ ٭ حيَّا وقال فديْتُ مَن لا يُفلِحُ

٢٠ الحسن ورجل — وقال رجل للحسن : أبا سعيد ، أردت البارحة أن أصلى فلم أستطع ، قال : قيَّدتْك ذنوبُك .

قولهم فى الموت

بين النبي صلى الله عليه وسلم وابن الخطاب

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ما عندَك من ذكر الموت أبا حَفْصٍ ؟ قال : أُمْسِى فما أرى أنّى أُصبِح ، وأُصبح فما أرى أنى أمسى ! قال : الأمر أوشكُ من ذلك أبا حفص ، أما إنه يَخرج عنى نفَسى فما أرى أنه يعود إلىَّ !

لابن شداد

وقال عبد[1] الله بن شداد : أرى داعىَ الموت لا يُقْلِع ، ومن مضى لا يَرجع ، ومن بقِىَ فإليه يَنزع .

للحسن

وقال الحسن : ابنَ آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يومك فقد مضى بعضُك .

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية :

الناسُ فى غفَلاتِهم ٭ ورحَى المنيَّةِ تَطْحَنُ

لعمر ابن عبد العزيز

وقال عمر بن عبد العزيز : مَن أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ، ومَن علم أن الكلام عملٌ : قلّ كلامُه إلا فيما ينفع .

أبو الدرداء

وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال : اُغدِى فإنا رائحون ، أو رُوحى فإنا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلان فجأة . فقال : لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات .

ليعقوب عليه السلام

وقال يعقوب صلوات الله عليه للبشير الذى أتاه بقميص يوسف : ما أدرى ما أُثيبك به ، ولكن هوّن اللهُ عليك سكرات الموت .

ابن العلاء وجرير

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جلستُ إلى جرير وهو يملى على كاتبه :

٭ ودِّعْ أُمامةَ حانَ منك رحيلُ ٭

ثم طلعت جنازة فأمسك وقال : شيَّبتْنى هذه الجنازة . قلت : فلم تسابّ

(١) فى بعض الأصول : « عبيد » .

الناس ؟ قال : يبدءوننى ثم لا أعفو ، وأعتدى ولا أبتدى . ثم أنشأ يقول :

تُروِّعُنا الجنائزُ مُقبِلاتٍ ٭ فنَلهو حين تَذهَبُ مُدْبِراتِ
كروْعةِ ثَلَّةٍ لِمُغارِ سَبْعٍ ٭ فلما غابَ عادتْ راتِعاتِ

لبعضهم — وقالوا : من جعل الموت بين عينيه ، لَهَا عما فى يديه .

٥ وقالوا : اتخذ نوح بيتاً من جصّ ، فقيل : لو بنيتَ ما هو أحسن من هذا ! قال : هذا كثير لمن يموت .

لأمية — وأحكم بيت قالته العرب فى وصف الموت ، بيت أمية بن أبى الصلت حيث يقول :

يوشِكُ مَن فَرَّ من منيَّته ٭ فى بعضِ غِرَّاتِهِ يُوافِقُها
من لم يَمُتْ عَبْطةً يَمتْ هَرَماً ٭ للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائقُها

١٠ لأصبغ فى عابد — وقال أصبغ بن الفرَج : كان بنَجْران عابد يصيح فى كل يوم صيحتين بهذين البيتين :

منعَ البقاءَ مَطالِعُ الشمسِ ٭ وغُدُوُّها من حيث لا تُمسِى
وطُلوعُها حمراءَ قانيةً ٭ وغُروبُها صفراءَ كالوَرْسِ
اليومَ يُخبِرُ ما يَجىءُ بهِ ٭ ومضى بفَصْلِ قضائه أمْسِ

١٥ لبعض الشعراء — وقال آخر :

زَيَّنْتَ بيتَكَ جاهِلًا وعَمَرْتَهُ ٭ ولعلَّ صِهْرَكَ [1] صاحبَ البيْتِ
من كانتِ الأيامُ سائرةً به ٭ فكأنه قد حَلَّ بالموت !
والمرءُ مُرْتَهَنٌ بسوفَ وليْتَنى ٭ وهلاكُهُ فى السَّوْفِ واللَّيْت
للهِ دَرُّ فتًى تَدَبَّرَ أمْرَهُ ٭ فغَدا وراح مُبادِرَ الموت [2]

٢٠ لصريع الغوانى — وقال صريع الغوانى :

كم رأينا من أُناسٍ هلَكوا ٭ قد بَكوْا أحبابَهم ثم بُكوا

(١) فى بعض الأصول : « غيرك » .
(٢) فى بعض الأصول : « الفوت » .

تَركوا الدُّنيـا لمنْ بعدهُم ٭ وُدُّهم لو قدَّموا ما تَركوا
كم رأينا من ملوكٍ سُوقة ٭ ورأينا سُوقةً قد مَلَكوا

للصلتان

وقال الصَّلتان العبديّ :

أشابَ الصَّغيرَ وأفنَى الكبيـــرَ كَرُّ الغَداة ومَرُّ العشِى
إذا ليـــلةٌ هَرَمتْ يومَها ٭ أتى بَعد ذلك يومٌ فتِي
نرُوح ونغـــدُو لحاجاتِنـا ٭ وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنقضى
تموت مع المرءِ حاجاته ٭ وتبْقى له حاجة ما بقِى

٥

وكان سفيان بن عيينة يستحسن قول عدى بن زيد :

أين أهلُ الدِّيار من قوْم نوحٍ ٭ ثم عادٌ من بعـــدِها وثمودُ
بينما هُمْ على الأسِرَّة والأنْـــماط أفْضَتْ إلى الترابِ الخدودُ
وصحيـحٌ أمسى يعود مريضا ٭ وهو أدْنى للموْتِ ممنْ يعودُ
ثم لم يَنقَضِ الحديث ولكن ٭ بعد ذا كلِّه وذاك الوعيـــدُ

١٠

لأبي العتاهية

وقال أبو العتاهية فى وصف الموت :

كأنَّ الأرض قد طُويَت علَيَّا ٭ وقد أُخرجْتُ مما فى يَديَّا
كأنى[1] صِرت مُنفرداً وحيداً ٭ ومُرْتهِـناً لديْك بمـا علَيَّا
كأنَّ الباكِيـاتِ علىَّ يوْماً ٭ ولا يُغنى البُكاءِ علىَّ شَيَّا
ذَكَرْن مَنيَّتى فنعَيْتُ نفْسى ٭ ألا أَسْعِد أُخيَّك يا أُخَيَّا

١٥

وقال :

ستَخْلق جِدَّةٌ وتَحُولُ حالُ ٭ وعند الحقِّ تُختبَر الرِّجالُ
وللدُّنيـــا ودائعُ فى قلوبٍ ٭ بها جرَتِ القَطيعةُ والوصالُ
تَخوَّفُ ما لعـــلَّك لا تراهُ ٭ وتَرجو ما لعلَّك لا تنـالُ
وقد طَلَع الهلالُ لهدم عُمْرى ٭ وأفرَحُ كلما طلَع الهلالُ !

٢٠

---

(١) فى بعض الأصول « كأن قد » .

وله أيضاً :

من يعِشْ يكبَرْ ومن يكْبَرْ يمتْ ⁕ والمَنايا لا تُبالى من أتتْ
نحنُ فى دارِ بلاءٍ وأذًى ⁕ وشَقاءٍ وعَناءٍ وعَنَتْ
منزلٌ ما يَثبُت المرءُ به ⁕ سالمًا إلّا قليلاً إن ثبَتْ
أيها المغرورُ ماهذا الصِّبا ⁕ لو نَهيْتَ النفْسَ عنه لانتهتْ ٥
رَحم الله امرأً أنصَفَ من ⁕ نفسِه إذ قال خيْرًا أو سكتْ

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى ذكر الموت :

من لى إذا جُدْتُ بين الأهْلِ والولدِ ⁕ وكان مِنّىَ نحو الموْت قيْس يَدى
والدَّمع يَهمل والأنفاسُ صاعدةٌ ⁕ فالدَّمع فى صبَبٍ والنَّفْس فى صَعدِ
ذاك القضاء الذى لاشىءَ يَصرِفُه ⁕ حتى يُفرِّقَ بين الرُّوح والجسدِ ١٠

ومن قولنا فيه :

أتلهو بين باطيَةٍ وزير ⁕ وأنت من الهلاك على شفير؟
فيامن غَرَّه أملٌ طويلٌ ⁕ يُؤدِّيه إلى أجلٍ قصيرِ
أتفرحُ والمنيَّةُ كلَّ يومٍ ⁕ تُريكَ مكان قبرك فى القبورِ؟
هى الدُّنيا فإن سرَّتْك يوْماً ⁕ فإنّ الحُزنَ عاقبةُ السرورِ ١٥
سَتُسْلَب كل ما جَمَّعْت منها ⁕ كعاريَةٍ تُردُّ إلى المُعيرِ
وتَعتاض اليقين من التَّظنّى ⁕ ودارَ الحقِّ من دارِ الغُرورِ

لأبى العتاهية — ولأبى العتاهية :

وليس من منزلٍ يأويه مُرْتَحِلٌ[1] ⁕ إلّا وللموْت سيْفٌ فيه مسلولُ

وله أيضاً : ٢٠

ماأقرَب الموتَ منا ⁕ تجاوز اللهُ عنا
كأنه قد سَقانا ⁕ بكاسِه حيث كنا

---

(١) فى بعض الأصول : « ذو نفس » .

وله أيضاً :

أُؤَمِّلُ أنْ أُخلَّد والمنايا * يَثِبن علىَّ من كلِّ النواحى
وما أدرى إذا أمسَيْتُ حيًّا * لعلِّى لا أعيش إلى الصباح

وقال الغزّال :

٥ أصبحْتُ واللهِ مجهوداً على أمل * من الحياة قصيرٍ غير مُمتدِّ
وما أُفارقُ يوماً مَن أُفارقُه * إلّا حسِبْت فِراقى آخر العهدِ
انظرْ إلىّ إذا أُدرِجت فى كفنى * وانظرْ إلىّ إذا أُدرِجتُ فى لَحْدِى
واقعُدْ قليلا وعاين مَن يُقيم معى * ممنْ يُشيِّع نعْشِى من ذوى وُدِّى
هيهات ! كلُّهُمُ فى شأنِه لعبٌ * يَرمى التراب ويَحْثُوه على خدِّى

١٠ وقال أبو العتاهية :

نَعى لك ظِلَّ الشّبابِ المشيبُ * ونادتْك باسم سواك الخُطوبُ
فكن مُستعدًا لريْب المنونِ * فإنّ الذى هو آتٍ قريبُ
وقبلَك داوَى الطَّبيبُ المريض * فعاش المريض ومات الطَّبيبُ
يَخاف على نفسِه من يتوبُ * فكيف تَرى حال من لا يتوبُ ؟

١٥ وله أيضاً :

أخى آدَّخرْ مهما استطعـــت ليوم بُؤْسِك وافتقارِكْ
فلَتَنْزِلَنّ بمـــنزلٍ * تحتاجُ فيه إلى ادِّخارِكْ

وقال أبو الأسود الدؤلى :

أيها الآملُ ما ليس له * ربمـا غرَّ سفيهاً أملُهْ
٢٠ ربَّ من مات يُمنِّى نفسَه * حال من دونِ مُناه أجلُهْ
والفتَى المُختالُ فيما نابه * رُبما ضاقتْ عليه حيَلُهْ
قل لمن مثَّل[1] فى أشعاره * يَهلِك المرء ويبقى مَثَلُهْ

(١) فى بعض الأصول : « لمن قد مات ».

نافِس المُحْسِنَ فى إحسانِه ٭ فسيكفيك سناءٌ[1] عمَلُهْ

لعدى بن زيد

وقال عدى بن زيد العبادى :

أين كِسْرى كِسْرى الملوك أنوشِرْ ٭ وانَ أم أين قبْلَهُ سابورُ

وبنو الأصفَرِ الكرامُ مُلوكُ الرُّ ٭ ومِ لم يَبق منهمُ مَذكور

أخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْـلةُ تُجبَى إليـه والخابورُ ٥

شادَه مَرْمَرًا وجلَّلَه كِلْساً ٭ فللطَّير فى ذُراه وُكورُ

لم يَهَبْه رَيبُ المَنونِ فبادَ الـ ٭ ـمُلك عنه فبابُه مهجورُ

وتفكَّرْ[2] رَبّ الخَوَرْنَق إذ أصْـ ٭ ـبح يوماً وللهُدى تفكيرُ

سَرَّهُ حالُه وكثرةُ ما يَمْـ ٭ ـلِكُ والبحر مُعْرِضاً والسَّدير

فارْعَوَى قلبه فقال : وما غِبْـ ٭ ـطةُ حىٍّ إلى المَمات يصيرُ ؟ ١٠

ثم بعد الفَلاح والمُلْكِ والنِّعْـ ٭ ـمةِ وارتْهُمُ هناك القُبورُ

ثم صاروا كأنهم ورقٌ جَـ ٭ ـفَّ فألْوَت به الصَّبا والدَّبور

لحريث بن جبلة

وقال حريث بن جَبلة العذرى :

يا قلبُ إنك فى الأحياءِ مغْرورُ ٭ فاذكرْ وهل ينفعَنْك اليوْم تذكيرُ

حتى متَى أنت فيها مُدْنفٌ وله ٭ لا يستفِزّنْك منها البدرُ والحورُ ١٥

قد بُحْت بالجهل لا تخفيه عن أحد ٭ حتى جرَتْ بك أطلاقٌ مَحاضيرُ

تريد أمراً فما تدرى أعاجله ٭ خيرٌ لنفسِك أم ما فيه تأخيرُ

فاستقْدِرِ الله خيراً وارضَيَنّ به ٭ فبينما العُسر إذ دارتْ مياسيرُ

وبينما المرءُ فى الأحياءِ مغْتبطاً ٭ إذ صارفى الرّمسِ تعفوه الأعاصيرُ

حتى كأنْ لم يكن إلّا توهُّمُه ٭ والدهرُ فى كلِّ حالَيْه دَهاريرُ ٢٠

يبكى الغريبُ عليه ليس يعرِفُه ٭ وذو قرابتِه فى الحىِّ مسرورُ

---

(١) فى بعض الأصول : « مسيئا » .

(٢) فى بعض الأصول : « وتبين » .

فذاك آخِرُ عهدٍ منأخيكَ إذا ✽ ما ضُمِّنَتْ شِلْوَهُ اللَّحدُ المحافيرُ

قولهم فى الطاعون

عمر بن الخطاب وابن الجراح فى الطاعون

قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن الطاعون وقع فى الشام فانصرف بالناس : أفِراراً من قَدرِ الله يا أمير المؤمنين ؟ قال : لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدة ! نعم نَفِرُّ من قدَرِ الله إلى قدر الله ؛ أرأيتَ لو أن لك إبلا هبطت بها واديا له جهتان إحداهما خصيبة والأخرى جديبة ، أليس لو رعيت فى الخصيبة رعيتَها بقدَر الله ، ولو رعيت الجديبة رعيتها بقدر الله ؟ وكان عبد الرحمن بن عوف غائباً فأقبل ، فقال : عندى فى هذا علمٌ سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا سمِعْتُمْ به فى أرضٍ فلا تقْدَموا عليها ، وإذا وقَعَ فى أرضٍ وأنتم بها فلا تَخرُجوا فِراراً منه . فحمد اللهَ عمرُ ، ثم انصرف بالناس .

للوليد بن عبد الملك فى مثله

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرّ من الطاعون : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : ﴿ قُل لَنْ ينفعَكمُ الفِرارُ إنْ فرَرْتُمْ من الموت أوِ القتل وإذاً لا تُمتَّعونَ إلا قليلا ﴾ . قال : ذلك القليلَ نطلُب .

من شريح إلى صديق له فر من الطاعون

العتبى قال : وقع الطاعون بالكوفة ، فخرج صديق لشُريح إلى النَّجف ، فكتب إليه شريح : أما بعد ؛ فإن الموضع الذى هربتَ منه لم يَسُقْ إلى أجلك تمامَه ، ولم يسلبه أيامَه ؛ وإن الموضع الذى صرتَ إليه لبِعيْنِ من لا يُعجزه طالب ، ولا يفوته هرب ؛ وإنا وإياك على بساط ملك ، والنجف من ذى قدرة لَقريب .

الحسين فى الطاعون الجارف

لما وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسين ، فقال : ما أحسن ماصنع بكم ربُّكم ؛ أقْلعَ مُذْنِب وأنفَق مُمْسك .

لأعرابى هرب من الطاعون

وخرج أعرابى هارباً من الطاعون فلدغته أفعى فى طريقه فمات . فقال أخوه يرثيه :

طافَ يَبغِى نَجْوةً ✽ مِن هلاك فهلَكْ

لَيْتَ شِعْرِى ضَلَّةً ◦ أىُّ شىءٍ قتَلكْ
أَجُحافٌ سائلٌ ◦ من جِبالٍ حَمَلكْ
والمَنايا رَصَدٌ ◦ للفتَى حيث سَلكْ
كلُّ شىءٍ قاتِلٌ ◦ حين تَلْقَى أجَلكْ

ابن وهب وابن الزيات

حكى [1] أن ماء المطر اتصل فى وقت من الأوقات ، فقطع الحسنَ بنَ وهب عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيات ، فكتب إليه الحسن : ٥

يُوضِحُ العُذْرَ فى تَراخِى اللِّقاءِ ◦ ما تَوالَى من هذه الأنْواءِ
فسلامُ الإلٰهِ أُهْدِيهِ منِّى ◦ كلَّ يومٍ لسيدِ الوزراءِ
لستُ أدرى ماذا أذُمُّ وأشكو ◦ من سماءٍ تعُوقُنى عن سماءِ
غيرَ أنى أدعو لهاتِيكَ بالثُّكْلِ وأدعو لهذه بالبَقاءِ ١٠

ابن الزيات وابن أبى دواد

اتصل بأحمد بن أبى دُواد أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون بيتا ، فقال :

أحسنُ من تسعينَ بيتاً سُدًى ◦ جَمْعُكَ معناهنَّ فى بيْتِ
ما أحوجَ النـاسَ إلى مَطْرةٍ ◦ تُزِيلُ عنهم وَضَرَ الزيْتِ

فبلغ قوله محمداً فقال : ١٥

يأيها المأفونَ رأياً لقد ◦ عرَّضتَ بى نفسَكَ للموتِ
قَيَّرْتُمُ المُلْكَ فلَمْ نُنْقِهِ ◦ حتى غسَلنا القارَ بالزيْتِ
الزيتُ لايُزْرِى بأحسابِنا ◦ أحسابُنا معروفةُ البيْتِ

لابن أبى دواد

وقيل لابن أبى دواد : لم لاتسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك ؟ فقال : لا أحب أن أعلمه شأنى . ٢٠

مقتل زيد ابن حسين

وقد حدث أبو القاسم جعفر ، أن محمد الحسنى قال : أخبرنا محمد بن زكريا

---

(١) هذا الخبر غريب عن هذا الباب ؛ وقد ذكر فى باب الزيارة ، وهناك موضعه فيما نرى .

الغَلَابىُّ ، قال : حدثنا محمد بن نجيع النّوبختى ، قال : حدثنا يحيى أنّ سليمان قال : حدثنى أبى ، وكان ممن لحق الصحابة ، قال : دخلت الكوفة ، فإذا أنا برجل يحدث الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : بكر بن الطرماح ؛ فسمعته يقول : سمعت زيد بن حسين يقول : لما قُتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، أتى بنعيه إلى المدينة كلثومُ بن عمرو ، فكانت تلك الساعة التى أتى فيها أشبَهَ بالساعة التى قُبض فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، من باك وباكية ، وصارخ وصارخة ، حتى إذا هدأتْ عَبرة البكاء عن الناس ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعالوْا حتى نذهب إلى عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام الناس جميعاً حتى أتوا منزل عائشة رضى الله عنها ، فاستأذنوا عليها ، فوجدوا الخبر قد سبق إليها ، وإذا هى فى غمرة الأحزان وعَبرة الأشجان ، ماتفتر عن البكاء والنحيب منذ وقتِ سمعتَ بخبره ، فلما نظر الناس إلى ذلك منها انصرفوا ؛ فلما كان من غد قيل إنها غدت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق فى المسجد أحد من المهاجرين إلا استقبلها يسلم عليها ، وهى لا تسلم ولا تردُّ ولا تطيق الكلام ؛ من غزرة الدمعة ، وغمرة العبرة ، تختنق بعبرتها ، وتتعثر فى أثوابها ، والناس من خلفها ، حتى أتت إلى الحجرة ، فأخذت بعضادَتَى الباب ، ثم قالت : السلام عليك يا نبى الهدى ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا رسول الله وعلى صاحبيك ، يا رسول الله ؛ أنا ناعية إليك أحظى أحبابك ، وذاكرة لك أكرم أودّائك عليك ، قُتل والله حبيبُك المجتبى ، وصفيُّك المرتضى ، قتل والله من زوجتُه خيرُ النساء ، قتل والله من آمن ووفى ، وإنى لنادبةٌ ثَكْلَى ، وعليه باكيةٌ حَرَّى ، فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرمهم عليك ، وأحظاهم لديك ؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك منى ماتعرضتُ له منذ اليوم ، والله يُجرى الأمور على السداد .

قال المبرد : عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع ، فقال : عُظِّم أجركم ،

ورحم الله [1] فقيدكم ؛ وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالًا يجمع شملكم ، ويلم شعثكم ، ولا يفرق ملأكم .

وقيل لأعرابية مات لها بنون عدة : ما فعل بنوك ؟ قالت : أكلهم دهرٌ لا يشبع .

رجل يعزى الرشيد

وعزى رجلٌ الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان العزاء لك لا عنك . ٥

لابن عباس

ومما روى أنّ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نُعِىَ إليه ابنُه وهو فى السفر ، فاسترجع ثم قال : عورةٌ سترها الله ، ومؤنةٌ كفاها الله ، وأجرٌ ساقه الله .

النبى صلى الله عليه وسلم فى ابنته

وقال أسامة بن زيد رضى الله عنهما لما عُزِّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية . قال : الحمدُ لله . دفْنُ البنات من المَكْرُمات . وفى رواية : من المكرمات دفن البنات . ١٠

ملك كندة وأعرابى عزاه فى ابنته

وقال الغزّال : ماتت ابنة لبعض ملوك كندة ، فوضع بين يديه بدرة من الذهب ، وقال : من أبلغ فى التعزية فهى له ! فدخل عليه أعرابى فقال : أعظم الله أجرَ الملكِ ! كُفِيت المؤنة ! وسترتَ العورة ! ونعم الصهرُ القبر ! فقال له الملك : أبلغتَ وأوجزتَ . وأعطاه البدرة . ١٥

من أحب الموت ومن كرهه

فى الحديث

فى بعض الأحاديث : لا يتمنى أحدُكم الموتَ ؛ فعسى أن يكون مُحْسِناً فيزدادَ فى إحسانه ، أو يكون مسيئاً فيَنْزِعَ عن إساءته .

وقد جاء فى الحديث : يقول الله تبارك وتعالى : إذا أَحبَّ عبدى لِقائى أَحْبَبْتُ لِقاءه ، وإذا كَرِهَ لقائى كَرِهْتُ لِقاءه . ٢٠

وليس معنى هذا الحديث حبَّ الموت وكراهتَه ، ولكن معناه من

(١) فى بعض الأصول : « ووجه إلى فقيدكم » .

أحب الله أحبه الله ، ومن كره الله كرهه الله .

لأبي هريرة

وقال أبو هريرة : كَرِه الناسُ ثلاثاً وأحببْتُهن : كرهوا المرض وأحببته ، وكرهوا الفقر وأحببته ، وكرهوا الموت وأحببته !

بشر بن منصور

عبد الأعلى بن حماد قال : دخلنا على بشر بن منصور وهو فى الموت ، ٥ وإذا هو من السرور فى أمر عظيم ؛ فقلنا له : ما هذا السرور ؟ قال : سبحان الله ! أخْرُج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين والباغين وأقدم على أرحم الراحمين ولا أُسَرُّ .

عبد الملك وشيخ

ودخل الوليد بن عبد الملك المسجد ، فخرج كل من كان فيه ، إلا شيخاً قد حناه الكبر ؛ فأرادوا أن يُخرجوه ، فأشار إليهم [الوليدُ] أن دعوا الشيخ . ثم ١٠ مضى حتى وقف عليه ، فقال له : يا شيخ ، تحب الموت ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ؛ ذهب الشباب وشره ، وأتى الكبرُ وخيرُه ؛ فإذا قمت حمدت الله ، وإذا قعدتُ ذكرته ؛ فأنا أحب أن تدوم لى هاتان الخلتان .

النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمر

قال عبد الله بن عمر : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما لى لا أحب الموت ؟ قال : هل لك مال ؟ قال : نعم . قال : فقدِّمه ١٥ بين يديك . قال : لا أطيق ذلك ! فقال النبي عليه السلام : المرء مع ماله ؛ إن قدّمه أحب أن يلحقه ، وإن أخره أحب أن يتخلف معه !

لبعض الشعراء

وقال الشاعر فى كراهية الموت :

قامت تشجِّعنى هندٌ فقلتُ لها * إنّ الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ

لا والذى مَنعَ الأبصارَ رؤيتَه * ما يشتهى الموتَ عندى مَن له أرَب

للحكماء

٢٠ وقالت الحكماء : الموت كريه .

وقالوا : أشدّ من الموت ما إذا نزل بك أحببتَ له الموت ؛ وأطيبَ من العيش ما إذا فارقتَه أبغضت له العيش .

التهجـــد

النبي صلى الله عليه وسلم

المُغيرة بن شُعبة قال : قام النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى ورِمتْ قدماه .

وقيل للحسن : ما بال المُتهجدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : إنهم خلوْا بالرحمن فأسفر نورهم من نوره .

لبعضهم

وكان بعضهم يصلى الليل حتى إذا نظر إلى الفجر قال : عند الصباح يَحمد القوم السُّرى . ٥

وقالوا : الشتاء ربيع المؤمنين ؛ يطول ليلُهم للقيام ، ويقصُر نهارُهم للصيام .

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : أطعِموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام .

وقال الله تبارك وتعالى ﴿وبالأسحارِ هم يَستغفرون﴾ . ١٠

وهذا يوافق الحديث الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى يَنزل إلى سماء الدنيا فى الثلث الآخير من الليل فيقول : هل من سائل فأُعطيَه ، هل من داعٍ فأستجيبَ له ، هل من مُستغفر فأغفر له ، هل من مستغيث فأُغيثه .

المغيرة والنخعى

أبو عَوانة عن المُغيرة قال : قلتُ لإبراهيم النَّخَعى : ما تقول فى الرجل يرى الضوء بالليل ؟ قال : هو من الشيطان ، لو كان خيراً لَأُرِيَه أهل بدر . ١٥

البكاء من خشية الله عز وجل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : حرّم الله على النار كلَّ عين تبكى من خشية الله ، وعينٍ غضت عن محارم الله .

يزيد الرقاشى

وكان يزيد الرقاشى قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه . ٢٠

لغالب بن عبد الله

وقيل لغالب بن عبد الله : أما تخاف على عينيك من العَمَى من طول البكاء ؟ فقال : شِفاءها أريد .

لابن مزيد

وقيل ليزيد بن مزيد : ما بال عينك لا تجف ؟ قال : أى أخى ، إن الله أوعدنى إن عصيتُه أن يحبسنى فى النار : ولو أوعدنى أن يحبسنى فى الحمّام لكنتُ حَريًّا أن لا تجف عينى .

لابن ذر

قال عمر بن ذرّ لأبيه : مالكَ إذا تكلمت أبكيت الناس ، فإذا تكلم غيرُك لم يُبكهم ؟ قال : يا بنى ، ليست النائحة الثَّكلى مثل النائحة المستأجَرة . ٥

وقال الله لنبىّ من أنبيائه : هب لى من قلبك الخشوع ، ومن عينيك الدموع ؛ ثم آدعنى أستجب لك .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى البكاء :

مدامعٌ قد خدَّدتْ فى الخُدود ✽ وأعين مكحولةٌ بالهُجود

ومعْشر أوْعدَهم ربُّهم ✽ فبادَروا خشيةَ ذاك الوعيد ١٠

فهُم عُكوفٌ فى مَحاريبِهم ✽ يبكون من خوفِ عقابِ المجيد

قد كاد أن يُعْشِبَ من دمعِهم ✽ ما قابلتْ أعينُهم فى السُّجود

لابن الأصم

وقال قيس بن الأصمّ فى هذا المعنى :

صلَّى الإله على قومٍ شهدْتُهُم ✽ كانوا إذا ذَكروا أو ذُكِّروا شهِقوا

كانوا إذا ذَكروا نارَ الجحيمِ بكوْا ✽ وإن تَلا بعضُهم تخوّفاً صَعِقوا ١٥

مِن غير همزٍ من الشيطان يأخذهم ✽ عند التّلاوة إلا الخوفُ والشَّفَق

صَرْعَى من الحُزن قد سجُّوْا ثيابهم ✽ بقيَّة الرُّوح فى أوْداجهم رمَق

حتى تَخالَهمُ لو كنتَ شاهدَهم ✽ من شدّة الخوف والإشفاقِ قد زَهِقوا

النهى عن كثرة الضحك

فى الحديث

فى الحديث المرفوع : كثرة الضحك تُميت القلبَ وتُذهبُ بهاءَ المؤمن . ٢٠

وفيه : لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا .

وفيه : إن الله يكره لكم العبثَ فى الصلاة : والرفث فى الصيام ، والضحك فى الجنائز .

الحسن وقوم يضحكون

ومر الحسن بقوم يضحكون فى شهر رمضان ، فقال : ياقوم ، إنّ الله جعل رمضانَ مِضْماراً لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته ؛ فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهى فى اليوم الذى فاز فيه السابقون ، وخاب فيه المتخلفون ! أما والله لو كُشف الغطاء لشغل محسناً إحسانُه ومُسيئاً إساءتُه . ٥

عبدالله وضاحك

ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك مستغرقا ، فقال له : أتضحك ولعل أكفانك قد أُخذت من عند القصّار ؟

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وكم من فتًى يُمْسى ويُصْبِحُ آمِناً * وقد نُسِجتْ أكفانُهُ وهو لايدرى

النهى عن خدمة السلطان وإتيان الملوك ١٠

لابن الخطاب

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله .

أبو جعفر وسفيان

أرسل أبو جعفر إلى سفيان ، فلما دخل عليه قال : سلنى حاجتك أبا عبد الله ! قال : وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : فإن حاجتى إليك أن لا ترسل إلىّ حتى آتيَك ، ولا تعطينى شيئاً حتى أسألك ! ثم خرج ؛ فقال أبو جعفر : ١٥ ألقينا الحَبَّ إلى العلماء فلقطوا ، إلا ما كان من سفيان الثورى ، فإنه أعيانا فِرارا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الدخولُ على الأغنياء فتنةٌ للفقراء .

زياد وأصحابه

وقال زياد لأصحابه : مَن أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه . قال : كلا ؛ إنّ لأعواد المنبر لهيبة ، ولقرع لجام البريد لفَزْعة . ولكن أغبط الناس عيشاً رجل له دار يسكنها ، وزوجة صالحة يأوى إليها ، فى كفاف من عيش ، ٢٠ لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإن عرفَنا وعرفْناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه .

وقال الشاعر :

إنّ الملوكَ بَلاءٌ حيثُما حَلُّوا * فلا يكنْ لك فى أكنافِهم ظِلُّ

ماذا تريد بقوم إن هُمُ غضبوا * جاروا عليك وإن أرضيتَهم مَلُّوا
فاستَغْن بالله عن إتيانِهم أبداً * إنّ الوقوف على أبوابِهم ذُلُّ

وقال آخر:

لا تَصحبَنّ ذوى السُّلطانِ فى عملٍ * تُصْبِحْ على وَجَل تُمسى على وجَلِ
كلِ التُّرابَ ولا تَعمَل لهم عملا * فالشَّرُّ أجمعُه فى ذلك العمل ٥

من كليلة ودمنة — وفى كتاب كليلة ودمنة: صاحب السلطان مثل راكب الأسد: لا يدرى متى يهيج به فيقتله.

مالك بن دينار وسجين — ودخل مالك بن دينار على رجل فى السجن يزوره، فنظر إلى رجل جنديّ قد اتكأ فى رجليه كُبولٌ قد قَرنتْ بين ساقيه، وقد أُتى بسفرة كثيرة الألوان؛ فدعا مالك بن دينار إلى طعامه؛ فقال له: أخشى إن أكلت من طعامك هذا أن ١٠ يُطرح فى رجلى مثل كُبولك هذه.

من كتاب للهند — وفى كتاب الهند: السلطان مثل النار: إن تباعدتَ عنها احتجت إليها، وإن دنوت منها أحرقتْك.

أيوب وأبو قلابة فى القضاء — أيوب السختيانى قال: طُلِب أبو قِلابة لقضاء البصرة، فهرب منها إلى الشام، فأقام حينا ثم رجع، قال أيوب فقلت له: لو وَلِيت القضاء وعدلت كان لك ١٥ أجران. قال: يا أيوب، إذا وقع السابح فى البحر فكم عسى أن يسبح!

إبراهيم يعظ بقية — وقال بقية: قال لى إبراهيم: يا بقية، كن ذَنَباً ولا تكن رأسا؛ فإن الرأس يهلِك والذنب ينجو.

لابن عبد ربه — ومن قولنا فى خدمة السلطان وصحبته:

تَجنَّب لباسَ الخزِّ إن كنت عاقلا * ولا تَختتم يوماً بفصِّ زَبرجدِ ٢٠
ولا تتغلَّلْ[1] بالغوالى تعطُّراً * وتَسحَب أذيال المُلاءِ المُعضَّد
ولا تتبخْتَر صيِّت النَّعل زاهياً * ولا تتصدَّرْ فى الفِراش المُمهَّد

(١) فى بعض الأصول: «تطيب».

وكن همِلا فى الناسِ أغبَر شاعثاً ۞ تَروح وتغدو فى إزارٍ وبُرجُدِ
ترى جلدَ كبْشٍ تحته كلُّ ما استوى ۞ عليه سَريرٌ فوق صرْحٍ مُمرَّدِ
ولا تَطمَحِ العيْنانِ منك إلى امرئٍ ۞ له سَطواتٌ باللِّسان وباليدِ
تَراءتْ له الدُّنيا بِزبْرِجِ عيْشِها ۞ وقادتْ له الأطماعُ غير مُقوَّدِ
فأسْمَن كَشْحَيْه وأهزَل دينَه ۞ ولم يَرتقِبْ فى اليوم عاقبةَ الغدِ ٥
فيوْماً تراه تحت سوْطٍ مُجرَّداً ۞ ويوْماً تراه فوق سَرْجٍ منضَّدِ[1]
فيُرْحم تاراتٍ ويُحسَدُ تارةً ۞ فذا شر مرحومٍ وذا شرُّ مُحسَدِ

القول فى الملوك

الأصمعى قال : بلغنى أن الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسير الجوع ، صريع الشبع ؛ إن قوما لبسوا هذه المطارف العتاق . والعمائم الرقاق ، ووسعوا دورهم ، ١٠ وضيقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابهم ، وأهزلوا دينهم ، يتكئ أحدهم على شماله ، ويأكل من غير ماله فإذا أدركته الكظّة قال : يا جارية ، هاتى ماضومَكِ ! ويلَك ! وهل تهضم إلا دينَك ؟

لمالك — يحيى بن يحيى قال : جلس مالك يوما فأطرق مليا ، ثم رفع رأسه فقال : يا حسرة على الملوك ! لاهم تُركوا فى نعيم دنياهم ، وماتوا قبل أن يموتوا حزنا على ١٥ ما خلَّفوا ، وجزعا مما استقبلوا !

للحسن — وقال الحسن ، وذُكر عنده الملوك : أما إنهم وإن هُمْلِجَتْ لهم البغال ، وأطافت بهم الرجال ، وتعاقبت لهم الأموال ، إن ذل المعصية فى قلوبهم ؛ أبى الله إلا أن يُذِلَّ من عصاه !

لعبد الله بن الحسن — الأصمعى قال : خطب عبد الله بن الحسن على مِنْبر البصرة فأنشد على المنبر : ٢٠
أين الملوكُ التى عن حظِّها غَفَلتْ ۞ حتى سقاها بكأس الموْتِ ساقيها

---

(١) فى بعض الأصول : « مجوّد » .

بلاء المؤمن فى الدنيا

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن كالخامة من الزرع : تميل بها الريح مرة كذا ومرة كذا ؛ والكافر كالأرزة المجذية على الأرض يكون انجعافها مرة .

ومعنى هذا الحديث : تَرَدُّد الرزايا على المؤمن ، وتجافيها عن الكافر ليزداد إثما .

لوهب بن منبه

٥ وقال وهب بن منبه : قرأت فى بعض الكتب : إنى لأذود عبادى المخلصين عن نعيم الدنيا ، كما يذود الراعى الشفيق إبله عن موارد الهلكة .

لابن عياض

قال الفضيل بن عياض : ألا ترون كيف يَزوى الله الدنيا عمن يحب من خلقه : يمررها عليه مرة بالجوع ، ومرة بالعرى ، ومرة بالحاجة ؛ كما تصنع الأم الشفيقة بولدها : تفطمه بالصبر مرة ، ومرة بالحُضَض ؛ وإنما يريد بذلك

١٠ ماهو خير له .

وفى الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أخبرنى جبريل عن الله تبارك وتعالى أنه قال : ما ابتليت عبدى ببلية فى نفسه أو ماله أو ولده فتلقاها بصبر جميل إلا استحييت يوم القيامة أن أرفع له ميزانا أو أنشر له ديوانا .

كتمان البلاء إذا نزل

١٥ قال النبي صلى الله عليه وسلم : من آبْتُلِيَ ببلاء فكتمه ثلاثة أيام صبراً واحتسابا ، كان له أجر شهيد .

وسَمع الفضيل بن عياض رجلا يشكو بلاءً نزل به ، فقال : ياهذا ، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك .

وقال : من شكا مصيبةً نزلتْ به فكأنما شكا ربَّه .

لدريد بن الصمة يرثى أخاه

٢٠ وقال دُريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله بن الصمة :

قليل التَّشكِّى للمصائبِ ذاكراً ٭ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ

لتأبط شرا

وقال تأبط شرا :

قليـــل التَّشكِّى للمُـلِمِّ يُصيبُه ٭ كثير النَّوى شتى الهوى والمسالِكِ

لشريح — الشيبانى قال : أخبرنى صديق لى قال : سمعنى شُريح وأنا أشتكى بعض ما غمّنى إلى صديق ، فأخذ بيدى وقال : يابن أخى . إياك والشكوى إلى غير الله ؛ فإنه لا يخلو مَن تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدوا ؛ فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدو فيشمت بك . انظر إلى عينى هذه ـ وأشار إلى إحدى عينيه ـ فو الله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً[1] منذ خمس عشرة سنة ، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الغاية . أما سمعت قول العبد الصالح : إنما أشكو بَثِّى وحُزنى إلى الله ! فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك ؛ فإنه أكرم مسئول ؛ وأقرب مدعو .

بين عقيل بن أبى طالب وأخيه على — كتب عقيل إلى أخيه علىّ بن أبى [طالب] رضوان الله عليهما ، يسأله عن حاله ؛ فكتب إليه :

فأن تسألنّى كيف أنت فإننى * جليدٌ على ريْب الزمانِ صليبُ
عزيزٌ علىّ أن تُرى بى كآبةٌ * فيَفْرحَ واشٍ أو يُساء حبيبُ

لابن شبرمة — وكان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سحابة صيفٍ عن قليلٍ تَقشّع .

وكان يقال : أربع من كنوز الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع .

القناعة

للنبى صلى الله عليه وسلم — قال النبى صلى الله عليه وسلم : من أصبح وأمسى آمنا فى سربه معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ؛ كان كمن حِيزت له الدنيا بحذافيرها .

السِّرب : المسلك ؛ يقال : فلان واسع السرب : يعنى المسلك والمذهب .

لقيس بن عاصم — وقال قيس بن عاصم : يابَنى ، عليكم بحفظ المال ، فإنه مَنْبَهة الكريم ، ويُستغْنى به عن اللئيم ؛ وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل .

لسعد بن أبى وقاص — وقال سعد بن أبى وقاص لابنه : يابُنى ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنها

(١) فى بعض الأصول : « صديقا » .

مال لا ينفد ؛ وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر ؛ وعليك باليأس ، فإنك لم تيأس من شيء قط إلا أغناك الله عنه .

لبعضهم

وقالوا : الغَنِيّ من استغنى بالله ، والفقيرُ من افتقر إلى الناس .

وقالوا : لا غنى إلا غنى النفس .

لابن أبي حازم

٥ وقيل لأبي حازم : ما مالكَ ؟ قال : مالانِ : الغنى بما في يدي عن الناس ، واليأسُ عما في أيدي الناس !

وقيل لآخر : ما مالك ؟ فقال : التجمل في الظاهر ، والقصد في الباطن .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

لا بُدَّ مِمَّا ليس منه بُدُّ ☆ اليأسُ حُرٌّ والرجاء عبْدُ

١٠ وليس يُغْنِي الكدَّ إلَّا الجِدُّ

وقالوا : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة الحرص التعب .

للبحتري

وقال البحتري :

إذا ما كانَ عندي قوتُ يوْمٍ ☆ طرحْتُ الهمَّ عنِّي يا سعيدُ

ولم تخطُرْ هُمومُ غدٍ ببالي ☆ لأنَّ غداً لهُ رزقٌ جديدُ

لعروة بن أذينة

١٥ وقال عروة بن أُذَينة :

لقد علِمْتُ وخيْرُ القوْلِ أَصدقهُ ☆ بأَنّ رزقي وإن لم يأْت يأْتيني

أسعَى له فيُعَنِّيني تطَلُّبُهُ[1] ☆ ولو قعَدْتُ أتاني لا يُعَنِّيني

عبدالملك وعروة بن أذينة

وفد عروة بن أذينة على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ، فقال له عبد الملك : ألست القائل يا عروة :

٢٠ ☆ أسعَى لهُ فيُعَنِّيني تطلبُهُ[1] ☆

فما أراك إلا قد سعيت له . فخرج عنه عروة وشخص من فوره ذلك إلى المدينة . فافتقده عبد الملك، فقيل له : توجَّهَ إلى المدينة . فبعث إليه بألف دينار؛

(١) في بعض الأصول : « أسعى إليه فيعييني تطلبه » .

فلما أتاه الرسول قال : قل لأمير المؤمنين : الأمر على ما قلتُ ؛ قد سعيتُ له فعنّانى تطَلُّبُهُ ، وقعدتُ عنه فأتانى لا يُعنِّينى .

النبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن روحَ القدُس نفث فى روعِى أنّ نفساً لن تموت حتى تَسْتَوْفِىَ رزقَها . فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

وقال تعالى فيما حكَى عن لقمان الحكيم : ﴿ يا بُنَىَّ إنَّها إنْ تَكُ مثقالَ حبَّةٍ مِنْ خَرْدَل فتكن فى صخْرَة أو فى السَّمٰواتِ أو فى الأرضِ يأْتِ بها اللهُ ، إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ ﴾ .

الحسن

وقال الحسن : ابن آدم ، لستَ بسابِقٍ أجلَك ، ولا ببالغٍ أمَلك ، ولا مغلوبٍ على رزق ، ولا بمرزوق ما ليس لك ؛ فعلامَ تقتل نفسك ؟ .

لابن عبد ربه

قال ابنُ عبد ربّه : قد أخذت هذا المعنى فنظمتُه فى شعرى فقلت :

لستُ بقاضٍ أمَلِى ٭ ولا بعادٍ أَجَلِى
ولا بمغلُوبٍ على الرّ ٭ زقِ الذى قُدِّرَ لى
ولا بمُعطًى رِزْقَ غيْ ٭ رِى بالشّقا والعمَلِ
فليْتَ شِعْرى ماالّذِى ٭ أدخلَنى فى شُغُلِى !

لبعض الشعراء

وقال آخر :

سيكُونُ الذى قُضِى ٭ غضِبَ المرءُ أم رضِى

للوراق

وقال محمود الوراق :

أما عجَبٌ أن يكْفل النّاسَ بعضُهُمْ ٭ ببعضٍ فيَرْضى بالكفيلِ المطالِبُ
وقد كفلَ اللهُ المَلِىّ بنفسِه ٭ فلم يرْض والإنسانُ فيه عجائبُ
عليمٌ بأن الله مُوفٍ بوعدِهِ ٭ وفى قلبه شكٌّ على القلبِ دائبُ
أَبَى الجهلُ إلّا أن يصيرَ بعِلْمِهِ ٭ فلم يُغْنِ عنه علْمهُ والتّجاربُ

وله أيضاً :

أتطلُبُ رزقَ اللهِ من عندِ غيْرِه ٭ وتصبِحُ من خوْفِ العواقِبِ آمِنا

وترضَى بصرّافٍ وإن كان مُشْرِكا ٭ ضميناً ، ولا ترضَى بِربِّك ضامِنـا !

وقال أيضاً :

غِنَى النفسِ يُغنيهـا إذا كنتَ قانِعاً ٭ وليَس بمُغْنيك الكثيرُ مَن الحِرْصِ

وإنّ اعتِقادَ الهمِّ لِلْخيْرِ جامِعًا ٭ وقِلّة همِّ المرءِ يدعو إلى النَّقْص

٥ وله أيضاً :

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم ٭ يقْنَعْ ، فذاكَ الموسِرُ المعْسِرُ

وكلُّ مَنْ كان قنوعاً وإنْ ٭ كان مُقِـلا ، فهو المُكْثِرُ

الفقرُ فى النفسِ وفيها الغِنَى ٭ وفى غِنى النفسِ الغِنَى الأكبَرُ

وقال بكر بن حماد : لبكر بن حماد

١٠ تباركَ مَنْ ساسَ الأُمورَ بعِلْمِهِ ٭ وذلّ له أهل السَّمٰواتِ والأَرْضِ

ومَن قَسَمَ الأرزاقَ بينِ عبـادِه ٭ وفضَّل بعضَ الناسِ فيها على بعضِ

فمن ظنّ أنّ الحِرصَ فيهـا يزيدُهُ ٭ فقولُوا له يَزْداد فى الطُّول والعرْضِ!

وقال ابن أبى حازم : لابن أبى حازم

ومُنتظِرٍ للموْتِ فى كلّ ساعةٍ ٭ يشيـدُ ويبْنِى دائبـاً ويُحصِّنُ

١٥ له حينَ تبلُوهُ حقيقـةُ مُوقِنٍ ٭ وأفعالهُ أفعال مَن ليس يوقِنُ

عِيانٌ كإنكارٍ ، وكالجهلِ عِلْمُهُ ٭ يشُكُّ به فى كلِّ ما يُتَيقَّنُ

وقال أيضاً :

اَضْرعْ إلى اللهِ لا تضْرعْ إلى الناسِ ٭ واَقنَعْ بيأسٍ فإنّ العِزَّ فى اليأسِ

واَستغْنِ عن كلِّ ذى قُرْبَى وذى رحِمٍ ٭ إنَّ الغَنىَّ مَن استغْنَى عنِ النّاسِ

٢٠ وله أيضاً :

فلا تَحرِصنّ فإنّ الأُمورَ ٭ بِكفِّ الإلهِ مقاديرُها

فليس بآتيكَ مَنْهيُّهـا ٭ ولا قاصِرٍ عنكَ مأمورُها

وله أيضاً[1] :

كم إلى كم أنتَ لِلحِرْ * صِ وللآمالِ عبْدُ ؟
ليس يُجدِى الحِرْصُ والسَّعْىُ إذا لم يَكُ جِدُّ
ما لِمَا قد قُدِّرَ اللهُ مِنَ الأمرِ مَرَدُّ
قد جرَى بالشَّرِّ نحْسٌ * وجرى بالخيرِ سعْدُ
وجرى الناسُ على جَرْ * يِهما قبلُ وبعدُ
أَمِنوا الدَّهرَ وما للدهرِ والأيامِ عهدُ
غالهُمْ فاصْطَلمَ الجَمْ * عُ وأفنَى ما أعدُّوا
إنها الدُّنيا ـ فلا تحفَلْ بها ـ جزْرٌ ومدُّ

الأضبط بن قريع وقال الأضبط بن قريع :

ارضَ منَ الدهرِ ما أتاكَ بِهِ * مَنْ يَرْضَ يوماً بعيْشِهِ نفَعهْ
قد يجمعُ المالَ غيْرُ آكِلِه * ويأكُلُ المالَ غيْرُ مَن جَمَعَهْ

لمسلم بن الوليد وقال مسلم بن الوليد :

لن يُبْطِئَ الأمرُ ما أمّلتَ أوبَتَهُ * إذا أعانكَ فيه رِفقُ مُتّئِدِ
والدهرُ آخِذُ ما أعطى، مُكدِّرُ ما * أصفى ، ومُفسِدُ ما أهوَى له بيَدِ
فلا يغُرّنكَ من دهرٍ عطِيّتُهُ * فليْسَ يتْرُكُ ما أعطَى على أحَدِ

لكلثوم العتابى وقال كلثوم العتابى :

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهِليّةٌ * لوَى الدهرُ عنها كل طِرْفٍ وتالد
رأتْ حولها النّسوانَ يَرْفُلن فى الكُسا * مُقلَّدةً أجيادُها بالقلائِدِ
يسُرُّكِ أنّى نِلْتُ ما نال جعفرٌ * وما نالَ يَحْيى ـ فى الحياةِ ـ بنُ خالدِ
وأنّ أميرَ المُؤمنين أعضّنى * معَضَّهُما بالمُرْهفاتِ الحدائدِ
ذرِينى تَجِئْنى مُنْيَتى مُطْمَئِنّةً * ولم أتجشّمْ هولَ تِلكَ المواردِ

(١) فى بعض الأصول : « وقال محمود الوراق » .

فإن الذى يسمُو إلى الرتَب العُلى ﴿ سيُرمَى بألوان الفِرى والمكايِدِ
وجدتُ لذاذاتِ الحياة مَشوبَةً ﴿ بمُستودَعاتٍ فى بُطون الأساوِد

وقال[1] :

حتى متَى أنا فى حلٍّ وترحالِ ﴿ وطُولِ شُغل بإدبار وإقبالِ
٥ ونازِح الدار ما أنفكّ مُغتربا ﴿ عن الأحِبّة ما يَدرون ما حالى
بمشرقِ الأرض طوْرا ثم مغربِها ﴿ لا يَخطر الموتُ من حرصٍ على بالى
ولو قنِعتُ أتانى الرزق فى دَعَةٍ ﴿ إن القُنوع الغنَى ، لا كثرةُ المال

لابن عباس — وقال عبد الله بن عباس : القناعة مال لا نفاد له .

لعلى — وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق
١٠ يطلبك فإن لم تأته أتاك .

لحبيب — وقال حبيب :

فالرِّزق لا تَكمَدْ عليه فإنه ﴿ يأتى ولم تَبعث إليه رسولا

من كتاب الهند — وفى كتاب للهند : لا ينبغى للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذى به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعبه وغمه .

١٥ للحكماء — ومن هذا قالت الحكماء : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى !

لأبى ذؤيب — وقال أبو ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها ﴿ وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تَقنعُ

المسيح عليه السلام — وقال المسيح عليه السلام : عجبا منكم ! إنكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بلا عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل .

٢٠ للحسن — وقال الحسن : عيَّرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر ؛ فقال : من الغنى أُتيتم .

للوراق — أخذ هذا المعنى محمود الورّاق فقال :

يا عائبَ الفقر ألا تَزدجرْ ﴿ عيبُ الغنَى أكثرُ لو تَعتبرْ

(١) فى بعض الأصول : « وقال غيره » .

من شرَف الفقر ومن فضله * على الغنَى إنْ صحَّ منك النظرْ :

... أنَّك تَعصى كى تَنال الغنَى * ولستَ تَعصى اللهَ كى تَفتقر

لإبراهيم — سفيان عن مُغيرة عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون الطلب فى أطارف الأرض .

الأعمش والبنانى — وقال الأعمش : أعطانى البُنانىّ مضاربه[1] أخرج بها إلى ماء ، فسألت إبراهيم ، فقال لى : ما كانوا يطلبون الدنيا هذا الطلب وبين ماء وبين الكوفة عشرة أيام . ٥

ليونس بن حبيب — الأصمعى عن يونس بن حبيب قال : ليس دون الإيمان غنى ولا بعده فقر .

لخالد بن صفوان — قيل لخالد بن صفوان : ما أصبرك على هذا الثوب الخلق ! قال : رُبَّ مملول لا يُستطاع فراقه .

بين حكيمين — وكتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهره : إنه ليس من أحد أنصفه زمانُه فتصرَّفت به الحال حسب استحقاقه ، وإنك لا ترى الناس إلا أحد رجلين : إما مُقدَّم أخَّره حظُّه ، أو متأخر قدَّمه جَدُّه ؛ فارضَ بالحال التى أنت عليها . وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختيارا ، وإلا رضيت بها اضطرارا . ١٠

للأحنف — وقيل للأحنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب ؟ فقال : أحق ما صُبِرَ عليه ما ليس إلى مفارقته سبيل . ١٥

بين الأصمعى وأعرابية — قال الأصمعى : رأيت أعرابية ذات جمال تسأل بمِنى ؛ فقلت لها : يا أمة الله ، تسألين ولك هذا الجمال ؟ قالت : قدر الله فما أصنع ؟ قلت : فمن أين معاشكم ؟ قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم . قلت : فإذا ذهب الحاجُّ فمن أين ؟ فنظرتْ إلىَّ وقالت : يا صَلْتَ الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا !

لرجل من أهل المدينة — وقيل لرجل من أهل المدينة : ما أصبرك على الخبز والتمر ! قال : ليتهما صَبَرا علىَّ . ٢٠

(١) المضارب : جمع مضرب ، وهو الفسطاط الكبير .

الرضا بقضاء الله

قالت الحكماء : أصل الزهد الرضا عن الله . للحكماء

وقال الفضيل بن عياض : استخيروا الله ولا تتخيروا عليه ؛ فربما اختار العبد أمراً هلاكُه فيه . لابن عياض

٥ وقالت الحكماء : رب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوط بنعمة هى بلاؤه .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

قد يُنعِم الله بالبلوَى وإن عظُمتْ * ويَبتلى اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعمِ

وقالوا : من طلب فوق الكفاية ، رجع من الدهر إلى أبعد غاية .

١٠ من قتّر على نفسه

وترك المال لوارثه

زياد عن مالك قال : من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره ؛ لأن نفسه أولى الأنفس كلها ؛ فإذا ضيّعها فهو لما سواها أضيع ؛ ومن أحب نفسه حاطها وأبقى عليها وتجنب كل ما يعيبها أو ينقصها ؛ فجنبها السرقة مخافة القطع ، والزنا ١٥ مخافة الحدّ ، والقتل خوف القصاص . لمالك

داود بن على الكاتب قال : لما افتتح هارون الرشيد هِرَقلة وأباحها ثلاثة أيام ، وكان بطريقها الخارج عليه « فسيل » الرومى ؛ فنظر إليه الرشيد مقبلا على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه . فدعا به وقال له : لِمَ تركت النظر إلى الانتهاب والغنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه ؟ فقال : ٢٠ يا أمير المؤمنين ، قرأت فى هذا الجدار كتاباً هو أحب إلىّ من هرقلة وما فيها . قال له الرشيد : ما هو ؟ قال « بسم الله الملك الحق المبين . ابنَ آدم ، غافِص الفرصةَ عند إمكانها . وكل الأمور إلى وليها . ولا تحمل على قلبك همَّ يوم ولم يأت بعدُ ؛ الرشيد وبطريق هرقلة

إن يكن من أجلكَ يأتك الله برزقك فيه ؛ ولا تجعل سعيك فى طلب المال أسوة المغرورين ، فربّ جامع لبَعْل حليلته ، واعلم أن تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره ، فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها » قال له الرشيد : أعِدها علىّ يا فسيل . فأعادها عليه حتى حفظها .

٥ وقال الحسن : ابنَ آدم ، أنت أسير فى الدنيا ، رضيت من لذتها بما ينقضى ، ومن نعيمها بما يمضى ، ومن ملكها بما ينفد ، فلا تجمع الأوزارَ لنفسك ، ولأهلك الأموالَ ، فإذا متّ حملت الأوزار إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك .

لأبى العتاهية

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

أبقيْتَ مالكَ ميراثاً لوارثِهِ * فليتَ شِعرىَ ما أبقى لك المالُ ؟

١٠ القومُ بعدَك فى حالٍ تَسوءهم * فكيف بعدَهم دارتْ بك الحالُ ؟

مَلوا البكاء فما يَبكيك من أحدٍ * وآستَحكمَ القيلُ فى الميراث والقالُ !

من الحديث

وفى الحديث المرفوع : أشدُّ الناس حسرة يوم القيامة رجلٌ كسَبَ مالا من غير حلّه فدخل به النار ، وورِثه مَن عمِل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة .

لابن عمر فى وفاة ابن حارثة

وقيل لعبد الله بن عمر : توفى زيد بن حارثة وترك مائة ألف . قال : ١٥ لكنها لا تتركه .

الحسن وابن الأهتم فى مرضه

ودخل الحسن علَى عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضه ، فرآه يُصعِّدُ بصره فى صندوق فى بيته ويصوِّبه ، ثم التفت إلى الحسن فقال : أبا سعيد ، ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤدِّ منها زكاة ولم أصِل منها رَحِما ؟ فقال له : ثكِلتْك أُمك ! ولمن كنتَ تجمعُها ؟ قال : لروْعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومُكاثرة العشيرة . ثم مات ، فشهد الحسن جنازته ، فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على ٢٠ القبر ثم قال :

انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته ، عما استودعه الله إياه ، وغمره فيه ، انظروا إليه يَخرج منها مذْموما مدْحورا .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخدعنّ كما خُدِعَ صُوَيْحِبُك بالأمس : أتاك هذا المالُ حلالا فلا يكونَنَّ عليك وبالا ، أتاك عفواً صفوا ، ممن كان له جَموعا مَنوعا ؛ من باطل جمعه ، ومن حق منعه ؛ قطع فيه لجج البحار ، ومفاوز القِفار ؛ لم تكدح فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جَبين ؛ إن يوم القيامة يومُ حسرة وندامة ، وإن مِنْ أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك فى ميزان غيرك ؛ فيالها حسرةً لا تقال ، وتوبةً لا تُنال .

٥

هشام بن عبد الملك حين حضرته الوفاة

لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة ، نظر إلى أهله يبكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدنيا وجُدتم له بالبكاء ، وترك لكم ماجمَع ، وتركتم عليه ماحَمل ؛ ما أعظم منقلَب هشام إن لم يغفر الله له .

١٠

نقصان الخير وزيادة الشر

لمعاذ بن جبل

عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال : إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاءً وفتنةً ، ولا يزيد الأمر إلا شدة ، ولا الأئمة إلا غِلظا ، وما يأتيكم أمرٌ يهولكم إلا حقّره ما بعده .

لبعض الشعراء

قال الشاعر :

الخير والشر مُزْدادٌ ومُنتقَصٌ ٭ فالخيرُ مُنتقَصٌ والشر مُزدادُ

١٥

وما أُسائلُ عن قومٍ عرَفْتُهُمُ ٭ ذوِى فضائلَ إلا قيلَ قد بادوا

العزلة عن الناس

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : استأنِسوا بالوحدة عن جُلساء السوء .

وقال : إن الإسلامَ بدأ غريباً ولا تقومُ الساعة حتى يعودَ غريباً كما بدأ .

للعتابى

وقال العتابى : مارأيتُ الراحة إلا مع الخلوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة .

٢٠

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : خيركم الأتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُفتَقدوا .

وقال : لا تدَعوا حظكم من العزلة ؛ فإن العزلة لكم عبادة .

لقمان يعظ ابنه وقال لقمان لابنه : آستعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

لابن أدهم وقال إبراهيم بن أدهم : فِرَّ من الناس فرارَك من الأسد .

وقيل لإبراهيم بن أدهم : لِمَ تجتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :

٥ آرضَ باللهِ صاحبًا * وذَرِ النـاسَ جانبا

قَلِّب الناس كيف شئـتَ تجـدهم عقاربا

لابن الزيات وكان محمد بن عبد الملك الزيات يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء ؛ فسئل عن ذلك فقال : مؤنة التحفظ شديدة !

لابن محيريز وقال ابن مُحيريز : إن استطعتَ أن تَعرف ولا تُعرَف ، وتَسأل ولا تُسأل ، ١٠ وتمشى ولا يُمشى إليك ، فافعل .

للسختيانى وقال أيوب السختيانى : ما أحب اللهُ عبداً إلا أحب أن لا يُشعَر به .

وقيل للعتابى : من تجالس اليوم ؟ قال : من أبصُق فى وجهه ولا يغضب ! قيل له : ومن هو ؟ قال : الحائط .

لدعبل وقيل لدعبل الشاعر : ما الوحشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناس ! ثم ١٥ أنشأ يقول :

ما أكثرَ الناسَ لابل ما أقلَّهُم * اللهُ يعلمُ أنّى لم أقُلْ فَنَدا

إنى لأفتحُ عينى حين أفتحُها * على كثيرٍ ولكنْ لا أرى أحدا

لابن أبى حازم وقال ابن أبى حازم :

طِبْ عن الإمْرةِ نفسًا * وآرضَ بالوَحشةِ أُنسا

٢٠ ما عليهـا أحـدٌ يَسْوَى * على الخِـبْرةِ فَلْسا

لبعض الشعراء وقال آخر :

قد بَلَوْتُ النـاسَ طُرًّا * لم أجِدْ فى الناسِ حُرّا

صارَ أحْلَى الناس فى العَـيْنِ إذا ما ذِيقَ مُرّا

إعجاب الرجل بعلمه

لابن الخطاب — قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات ، شُحٌّ مُطاع ، وهوًى متَّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه .

فى الحديث — وفى الحديث : خير من العُجب بالطاعة ، أن لا تأتى طاعة .

٥ وقالوا : ضاحِك معترفٌ بذنبه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربه .

وقالوا : سيِّئة تسيئك ، خير من حسنة تعجبك .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يُزَكُّونَ أنفسَهُم بلِ اللهُ يُزكِّى منْ يشاء ﴾ .

للحسن — وقال الحسن : ذمّ الرجل لنفسه فى العلانية مدح لها فى السريرة .

١٠ لبعضهم — وقالوا : من أظهر عيب نفسه فقد زكاها .

وقيل : أوحى الله إلى عبده داود : ياداود ، خالِق الناسَ بأخلاقهم واحتجز الإيمان بينى وبينك .

للبنانى — وقال ثابت البُنانى : دخلت على داود ، فقال لى : ما جاء بك ؟ قلت : أزورك . قال : ومَن أنا حتى تزورَنى ؟ أمِنَ العُبّاد أنا ؟ لا والله ! أم مِن الزهاد ؟ لا والله ! ١٥ ثم أقبل على نفسه يوبِّخها . فقال : كنت فى الشبيبة فاسقا ، ثم شِبْتُ فصرت مرائيا ؛ والله إن المُرائى شر من الفاسق .

بين عابدين — لقى عابد عابدا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله إنى أحبك فى الله . قال : والله لو اطلعت على سريرتى لأبغضتنى فى الله .

معاوية وبعض الرجال — وقال معاوية بن أبى سفيان لرجل : مَن سيد قومك ؟ قال : أنا ! قال : لوكنت ٢٠ كذلك لم تقله .

للوراق — وقال محمود الوراق :

تَعصِى الإلهَ وأنت تُظهِرُ حُبَّه ٭ هذا مُحالٌ فى القياس بديعُ
لوكنت تُضمِر حُبَّه لأطعتَه ٭ إن المُحبَّ لمن أحبَّ مُطيعُ

في كل يوم يبتليك بنعمة * منه وأنت بشكر ذاك مُضيعُ

تواضع ابن سيرين

وقال أبو الأشعث : دخلنا على ابن سيرين فوجدناه يصلى ، فظن أنَّا عجبنا بصلاته ، فلما انفتل منها التفت لنا فقال : الرياء أخاف .

للنبي صلى الله عليه وسلم

زياد عن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والشِّرْك الأصغر . قالوا : وما الشِّرْك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرياء . ٥

وقال عبد الله بن مسعود : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا رياء ولا سمعة ، مَنْ سَمَّع سَمَّع الله به .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أسرَّ امرُؤ سريرةً إلّا ألبسه الله رداءها : إنْ خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرّ .

لقمان يعظ ابنه

وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدة هى أهل للحذر . قال : وما هى ؟ ١٠ قال : إياك أن تُرى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .

وفى الحديث . من أصلح سريرتَه أصلح الله علانيتَه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وإذا أظهرْتَ شيئاً حسناً * فليكنْ أحسنَ منه ما تسِرّ

فمُسِر الخيرِ موْسومٌ به * ومُسِرُّ الشَّرِّ موْسوم بشَرّ ١٥

للأشعث فى تخفيف الصلاة

صلى أشعث فخفف الصلاة ، فقيل له : ما أخف صلاتك ! قال : إنه لم يخالطها رياء .

وصلى رجل من المُرائين ، فقيل له : ما أحسن صلاتك ! فقال : ومع ذلك إنى صائم !

بين طاهر والمروزى

وقال طاهر بن الحسين لأبى عبد الله المروزى : كم لك منذ نزلت بالعراق ؟ ٢٠ قال : منذ عشرين سنة ، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .

ابن الخطاب

الأصمعى قال : أخبرنى إبراهيم بن القعقاع بن حكيم قال : أمر عمر بن الخطاب

لرجل بكيس ، فقال الرجل : آخذ الخيط ؟ قال عمر : ضع الكيس !

بين الحسن وبعضهم

قال رجل للحسن وكتب عنده كتابا : أتجعلنى فى حِلٍّ من تراب حائطك ؟ قال : يابن أخى ، بلى ، ورَعُك لا يُنكر .

الوراق

وقال محمود الوراق :

٥ أظهَروا للناس دِيناً * وعلى الدِّينارِ داروا

وله صاموا وصَلَّوْا * وله حَجُّوا وزاروا

لو بدَا فوْق الثُّريَّا * ولهم ريشٌ لطاروا !

لمساور

وقال مساور الوراق :

شَمِّرْ ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ * واحكُكْ جبينَك للقضاء بثُومِ

١٠ وعليك بالغنوى[1] فاجلس عنده * حتى تُصيبَ وديعةً ليتيمِ

وإذا دخلت على الرَّبيع مُسَلِّماً * فاخصُصْ سبابةَ منك بالتَّسليم

وقال :

تصوَّف كى يقال له أمينٌ * وما معنى التَّصوُّف والأمانهْ

ولم يُردِ الإله به ولكن * أراد به الطريق إلى الخِيانهْ

للغزال

١٥ وقال الغزال :

يقول لِىَ القاضى مُعاذٌ مُشاوراً * وولَّى امرأً فيمايَرى من ذوى العدْل

قعيدك ماذا تحسبُ المرء فاعلاً * فقلتُ وماذا يفعل الدَّبْر فى النحلِ

يدُقُّ خلاياها ويأْكلُ شُهْدَها * ويَترِكُ للذِّبان ماكان من فضلِ

المازنى

وقال أبو عثمان المازنى لبعض من راءى فهتك الله عز وجل ستره :

٢٠ بينَا أنا فى توبتى مُستعبراً * قد شبَّهونى بأبى دُواد

وقد حملتُ العلمَ مُستظهرا * وحـدَّثوا عنى بإسـناد

(١) فى بعض الأصول « بالعلوى »

إذ خطر الشيطانُ لى خَطْرةً * نُكِسْتُ منها فى أبى جاد[1]

أبو العتاهية ومتصوف

وقال ابن أبى العتاهية : أرسلنى أبى إلى صوفىّ قد قَيَّرَ إحدى عينيه أسأله عن المعنى فى ذلك ؛ فقال : النظر إلى الدنيا بكلتا عينَىَّ إسراف . قال : ثم بدا له فى ذلك ، فاتصل الخبر بأبى فكتب إليه :

مُقَيِّرٍ عينِه ورَعا * أردتَ بذلك البِدعا
خَلَعْتَ وأجبثُ الثقليـــن صوفىٌّ إذا خَلَعا

فخ الإسرائيلى والعصفورة

يحيى بن عبد العزيز قال : حدثنى نعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبى بكر الصديق ، عن وهب بن منبه ، قال : نصب رجل من بنى إسرائيل فخًّا فجاءت عصفورة فوقعت عليه ، فقالت : مالى أراك منحنيا ؟ قال : لكثرة صلاتى انحنيت قالت : فمالى أراك باديةً عظامُك ؟ قال : لكثرة صيامى بدت عظامى ! قالت : فمالى أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتى فى الدنيا لبست الصوف ! قالت : فما هذه العصا عندك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضى بها حوائجى . قالت : فما هذه الحبة فى يديك ؟ قال : قربان إن مرَّ بى مسكين ناولته إياه ! قالت : فإنى مسكينة ! قال : فخذيها . فقبضت على الحبة فإذا الفخ فى عنقها ؛ فجعلت تقول : قعِى قعِى ! قال : الخُشنى[2] : تفسيره : لا غرنى ناسك مُرَاءٍ بعدك أبداً .

الدعاء

للنبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم : الدعاءُ سلاحُ المؤمن .

وقال : الدعاء يَرُدُّ القدر والبِرُّ يزيد فى العُمُر .

وقال : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : استقبلوا البلاء بالدعاء .

(١) يعنى : عاد مختلط الأمر مضطربا . أو لعله يعنى أنه عاد بعد الاشتهار بالعلم إلى مثل حال الصبى الذى لم يزل يتعلم أول دروسه .

(٢) فى بعض الأصول : « الحسن » .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدعونى أَستجبْ لكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فلَوْلا إذ جاءهُم بَأْسُنا تضَرَّعوا ولكن قَسَتْ قلوبهُمْ ﴾ .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : إذا دعوتَ الله فاجعل فى دعائك الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الصلاةَ عليه مقبولة ، واللهُ أكرم من أن يقبل بعض دعائك ويردّ بعضا . ٥

لابن المسيب

وقال سعيد بن المسيب : كنت جالساً بين القبر والمنبر ، فسمعتُ قائلا يقول: اللهم إنى أسألُك عملًا بارًّا ، ورزقا دارًا ، وعيشا قارًّا . فالتفتُّ فلم أر أحدا .

لعائشة والنبي صلى الله عليه وسلم

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت نائمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان ، فلما لصق جلدى بجلده أغفيت ؛ ثم انتبهت ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندى ؛ فأدركنى ما يدرك النساء من الغيرة ، فلففت مرطى ـ أما والله ما كان خزًّا ولا قزًّا ، ولا ديباجا ، ولا قطنا ولا كتانا ، قيل : فما كان يا أُمَّ المؤمنين ؟ قالت : كان سداه من شعر ، ولحمته من أوبار الإبل ـ قالت : فخنوت عليه أطلبه حتى ألفيته كالثوب الساقط على وجهه فى الأرض وهو ساجد يقول فى سجوده : ١٠

« سجد لك خيالى وسَوادى ، وآمن بك فُؤادى ؛ هذه يدى وما جنيت بها على نفس . تُرْجَى لكلِّ عظيمٍ ، فاغفرلى الذنب العظيمَ » فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، إنك لنى شأن وإنى لنى شأن . فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال : أعوذُ بوجهك الذى أضاءتْ له السمواتُ السبعُ والأرضون السبع ، من فَجْأة نِقمتك ، وتحوُّلِ عافيتك ؛ ومن شر كتاب قد سبق ؛ وأعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . ١٥ ٢٠

فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلتُ البيت ولى نفَسٌ عال ، فقال : مالك يا عائشة ؟ فأخبرته الخبر ، فقال : ويح هاتين الركبتين ما لقيتا فى هذه الليلة ! ومسح عليهما ؛ ثم قال : أتدرين أى ليلة هذه يا عائشة ؟ فقلت : الله ورسوله

أعلمُ . فقال صلى الله عليه وسلم : هذه الليلة ليلةُ النِّصفِ من شعبان ، فيها توقت الآجال وتثبت الأَعمال .

ابن ذر ودعاء له

العتبي عن أبيه قال : خرجت مع عمر بن ذَرّ إلى مكة ، فكان إذا لبَّى لم يُلَبِّ أحدٌ من حُسْن صوته ؛ فلما جاء الحَرَمَ قال يا رب ، ما زلنا نَهبط وهْدة ونصعد أكمة ، ونعلو نشرا ، ويبدو لنا علَمٌ ، حتى جئناك بها نقبةً أخفافها ، دبِرة ظهورُها ، ذابلةً أسنمتُها ؛ وليس أعظم المؤنة علينا إتعاب أبداننا ، ولكن أعظم المؤنة علينا أن تُرجعنا خائبين من رحمتك ، يا خيرَ من نزل به النازلون .

لبعضهم في الدعاء

وكان آخرُ يدعو بعرفات : ياربِّ ، لم أعصك إذ عصيتك جهلا منى بحقك ، ولا استخفافا بعقوبتك ؛ ولكن الثقة بعفوك ، والاغترار بسترك المُرْخَى علىّ ، مع الشِّقوة الغالبة والقَدَرِ السابق ؛ فالآن من عذابك مَن يستنقذنى ؟ وبحبل من أعتصم إن قطعتَ حبلك عنى ؟ فيا أسفى على الوقوف بين يديك ، إذا قيل للمُخِفِّين جوزوا ، وللمذنبين حطوا .

لعروة بن الزبير في مناجاته

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزبير يقول فى مناجاته بعد أن قطعت رجلُه ومات ابنه : كانوا أربعةً - يعنى بنيه - فأخذتَ واحداً وأبقيْتَ ثلاثةً ؛ وكنّ أربعاً - يعنى يديه ورجليه - فأخذتَ واحدةً وأبقيت ثلاثا ؛ فلئن ابتليتَ لطالما عافيْت ، ولئن عاقبْت لطالما أنعمتَ .

دعاء داود

وكان داود إذا دعا فى جوف الليل يقول : نامت العيون ، وغارت النجوم وأنت حىٌّ قيوم : اغفرلى ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر الذنب العظيمَ إلا العظيمُ ؛ إليك رفعتُ رأسى ، نظر العبدِ الذليل إلى سيده الجليل .

من دعاء يوسف

وكان من دعاء يوسف : يا عُدَّتى عند كُربتى ، وياصاحبى فى غُربتى ، وياغِياثى عند شدتى ، ويارجائى إذا انقطعت حيلتى ، اجعل لى فرجاً ومَخْرجا .

دعاء ابن ثعلبة

وكان عبد الله بن ثعلبة البصرى يقول : اللهم أنت من حلمك تُعصَى فكأنك لا ترى ، وأنت من جودك وفضلك تُعطى فكأنك لا تعْصَى ، وأىُّ زمان لم نَعصِك فيه سكان أرضك فكنت عليهم بالعفو عوَّادا ، وبالفضل جواداً .

من دعاء علي ابن الحسين

وكان من دعاء عليّ بن الحسين رضى الله عنهما : اللهم إنى أعوذ بك أن تحسُن فى مرأى العيون علانيتى ، وتقبُحَ فى خفيّات القلوب سريرتى ؛ اللهم كما أسأتُ فأحسنتَ إلىّ . . . . . . فإذا عدتُ فعُدْ علىّ ، وارزقنى مواساةَ من قتّرتَ عليه ما وسّعْتَ علىّ .

دعاء لبعضهم

٥ الشيبانى قال : أصاب الناس ببغداد ريحٌ مظلمة ، فانتهيتُ إلى رجل فى المسجد وهو ساجد يقول فى سجوده : اللهم احفظ محمداً فى أمته ، ولا تشمت بنا أعداءنا من الأُمم ؛ فإن كنت أخذت العوام بذنبى ، فهذه ناصيتى بين يديك !

دعاء لابن عياض

وكان الفضيل بن عياض يقول : إلهى ، لو عذبتنى بالنار لم يخرُج حُبُّك من قلبى ، ولم أنس أياديك عندى فى دار الدنيا !

لابن مسعود

١٠ وقال عبد الله بن مسعود : اللهم وسع علىّ فى الدنيا وزهّدنى فيها ، ولا تُزْوِها عنى وترغّبنى فيها .

أبو الدرداء ورجل فى سجوده

مرَّ أبو الدرداء برجل يقول فى سجوده : اللهم إنى سائلٌ فقيرٌ فأغننى من سعة فضلك ، خائفٌ مستجيرٌ فأجِرنى من عذابك .

من دعاء ابن أبى رباح

الأصمعى قال : كان عطاء بن أبى رباح يقول فى دعائه : اللهم ارحم ١٥ فى الدنيا غربتى ، وعند الموت صرْعتى ، وفى القبور وحْدتى ، ومقامى غداً بين يديك .

ابن زياد وأبو بكر بن عبد الله

العتبى قال : حدّثنى عبد الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبى فكتب إلى أبى بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له ، فكتب إليه : حقّ لمن عمل ذنباً لا عذر له فيه ، وخاف موتا لابد له منه ، أن يكون [وجِلاً] مُشفقا ؛ سأدعو لك ولستَ ٢٠ أرجو أن يُستجاب لى بقوة فى عمل ، ولا براءةٍ من ذنب .

من دعاء عبد الملك ابن مروان

العتبى قال : كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر : يارب ؛ إن ذنوبى قد كثُرت وجلّت عن أن توصف ، وهى صغيرة فى جنب عفوك ، فاعف عنى

كيف يكون الدعاء

لابن عباس

سفيان بن عيينة عن أبى معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال : الإخلاص هكذا ــ وبسط يده اليسرى وأشار بأصبعه من يده اليمنى ــ والدعاء هكذا ــ وأشار براحته إلى السماء ــ والابتهال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما إلى وجهه . ٥

بين جعفر بن محمد وسفيان الثورى

سفيان الثورى قال : دخلتُ على جعفر بن محمد رضى الله عنهما فقال لى : يا سفيان ، إذا كثرت همومُك فأكثر من « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » وإذا تداركتْ عليك النعم فأكثر من « الحمد لله » ، وإذا أبطأ عنك الرزق فأكثر من الاستغفار .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس : لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار . ١٠

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : عجبا ممن يهلِك والنجاةُ منه ! قيل له : وما هى ؟ قال : الاستغفار .

دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

وأبى بكر ، الصديق وعمر رضوان الله عليهما

دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

أم سلمة قالت : كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك . ١٥

المغيرة بن شعبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

دعاء أبى بكر

وكان آخر دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته : اللهم اجعل خيرَ زمانى آخرَه ، وخير عملى خواتمهُ ، وخيرَ أيامى يوم لقائك . ٢٠

دعاء عمر

وكان آخر دعاء عمر رضى الله عنه فى خطبته اللهم لاتدَعْنى فى غمرة ، ولا تأْخُذْنى فى غرة ، ولا تجعلنى مع الغافلين .

الدعاء عند الكرب

النبي صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبدٍ أصابه هم فقال : « اللهم إني عبدُك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماضٍ فىَّ حكمُك ، عدلٌ فىَّ قضاؤُك ؛ أسألك بكل اسم سميتَ به نفسك ، أو ذكرته فى كتابك ، أو علَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ؛ أن تجعل القرآن ضياءَ صدرى ، وربيعَ قلبى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى » إلا أذهب الله همه وبدله مكان حزنه فرحاً .

وقالوا : كلمات الفرج من كل كرب « لا إله إلا اللهُ الكريم الحليمُ ، سُبحانَ اللهِ ربِّ العرش العظيمِ ، والحمد لله رب العالمين .

الكلمات التى تلقى آدم من ربه

اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، عَمِلْتُ سوءًا وظلمت نفسى ، فتُبْ على إنك أنت التوابُ الرحيم .

اسم الله الأعظم

عبد الله بن يزيد عن أبيه قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول : اللهم إنى أسألك بأنك أنت اللهُ الأحدُ الصمدُ الذى لم يَلِدْ ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحدٌ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد سألتَ اللهَ باسمه الأعظم الذى إذا دُعِىَ به أجاب وإذا سئل به أعطى .

أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اسمُ اللهِ الاعظم فيما بين الآيتين : ﴿ وإلٰهُكمْ إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلّا هو الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ ﴾ ، وفاتحةِ آل عمران ﴿ الٓمٓ . الله لا إلٰه إلّا هو الحَىُّ القَيُّومُ ﴾

الاستغفار

للنبي صلى الله عليه وسلم

شدّاد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خَلَقْتَنى وأنا عبْدُك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء بذنبى فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ٥

لابن مسعود

الأسود وعلقمة قالا: قال عبد الله بن مسعود: إن فى كتاب الله آيتين ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفَر له: ﴿والذين إذا فعَلوا فاحشة أو ظلموا أنفسَهم ذَكروا اللهَ فاستغفَروا لذُنوبِهِمْ ومَن يَغفِرُ الذنوبَ إلا اللهُ ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾، ﴿ومَن يَعمَلْ سوءًا أو يَظلِمْ نفسَه ثم يستغفِرِ اللهَ يجدِ اللهَ غفوراً رحيما﴾. ١٠

لأبى سعيد الخدرى

أبو سعيد الخدرى قال: من قال: أستغفرُ اللهَ الذى لا إله إلا هو الحىَّ القيومَ وأتوب إليه. خمس مرات - غُفِر له ولو فرّ من الزحف.

دعاء المسافر

للنبي صلى الله عليه وسلم

عكرمةُ عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً قال: اللهم أنت الصاحبُ فى السفر، والخليفةُ فى الحضر؛ اللهم إنى ١٥ أعوذ بك من وَعْثاءِ السفر وكآبة المنقلب والحَوْر بعد الكَوْر، ومن سوء المنظر فى الأهل والمال.

لأم سلمة

الشعبى عن أم سلمة قالت: كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج فى سفر يقول: اللهم إنى أعوذ بك أن أَزِل أو أُزَل، أو أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَظلِم أو أُظلَم أو أَجهَلَ أو يُجْهَلَ علىّ. ٢٠

وقالت: من خرج فى طاعة الله، فقال: اللهم إنى لم أخرج أشراً ولا بَطَرا، ولا رياء ولا سمعة، ولكنى خرجتُ ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك؛ فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو، وتصرف عنى

من الشر أكثر مما أخاف . استجيب له بإذن الله .

الدعاء عند الدخول على السلطان

لابن عباس

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا دخلت على السلطان المَهيب تخاف أن يسطو عليك فقل : اللهُ أكبرُ ، اللهُ أكبرُ وأعزُّ مما أخاف وأحذر ، اللهم ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم ، كن لى جاراً من عبدك فلان وجنودِه وأشياعه وأتباعه ، تبارك اسمُك ، وجل ثناؤك ، وعزّ جارك ، ولا إلهَ غيرُك .

المنصور وجعفر ابن محمد

أبو الحسن المدائنى قال : لما حج أبو جعفر المنصور مرَّ بالمدينة ، فقال للربيع : علىّ بجعفر بن محمد ، قتلنى الله إن لم أقتله ؛ فَمُطِلَ به ، ثم ألح فيه فحضر ؛ فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه ، همس جعفر بشفتيه ، ثم تقرب وسلّم ، فقال : لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله ! تعمل على الغوائل فى مُلكى ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك ! فقال له جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله عليه وسلم أُعْطِى فشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف ظُلم فغفر ؛ وأنت على إرث منهم ، وأحقُّ من تأسّى بهم . فنكس أبو جعفر رأسه مليا ، ثم رفع إليه رأسه فقال له : [إلىَّ] ياأبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وأنت ذو الرحم الواشجة ، السليمُ الناحية ، القليلُ الغائلة . ثم صافحه بيمينه ، وعانقه بيساره ، وأجلسه معه على فراشه وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يسائله ويحادثه ؛ ثم قال : عجِّلوا لأبى عبد الله إذنَه وكسوته وجائزتَه . قال الربيع : فلما خرج وخطرف [1] الستر أمسكت بثوبه . فارتاع وقال : ما أُرانا ياربيعُ إلا وقد حُبِسنا ! قلت : هذه مِنى لا مِنه . قال : فذلك أيسر ؛ قل حاجتك . قلت : إنى منذ ثلاث أدافع عنك وأدارى عليك ؛ ورأيتك إذ دخلتَ همَسْت بشفتيك ، ثم رأيت الأمر انجلى عنك : وأنا خادم سلطان ولا غنى بى عنه ؛ فأحب منك أن تعلمنيه ... قال : نعم ، قل : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ، واكنفنى بكنفك الذى لا يُرام ، ولا أهلِك وأنت رجائى ؛ فكم من نعمة أنعمتَها علىّ قلَّ عندها شكرى فلم تحرِمنى ، وكم من بلية ابتليتنى بها قلَّ

---

(١) فى بعض الأصول : « وأسدل ».

عندها صبرى فلم تَخذُلنى ، اللهم بك أدرأ فى نحره ، وأعوذ بخيرك من شره .

الدعاء على الطعام

من قال على طعامه : « بسم الله خيرِ الأسماء ، فى الأرض وفى السماء ، ولا يضر مع اسمه داء : اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء » لم يضُرَّه ذلك الطعام كائناً ما كان .

عن النبي صلى الله عليه وسلم

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا فرَغ من طعامه قال : الحمد لله الذى مَنَّ علينا وهدانا ، وأطعمنا وأروانا ، وكل بلاء حَسن أبلانا . ٥

الدعاء عند الأذان

من قال إذا سمع الأذان : رضيتُ بالله ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا . غُفرت له ذنوبه .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الأذان فقولوا مثلَ ما يقول المؤذن . ١٠

الدعاء عند الطيرة

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من رأى من الطير شيئاً يكرهه فقال : اللهم لا طيرَ إلا طيرُك ، ولا خيرَ إلا خيرُك ، ولا إله غيرُك . لم يضرّه .

الساعة التى يستجاب فيها الدعاء

الفُضيل عن أبى حازم عن أبى سَلِمة بن عبد الرحمن عن ناس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم أجمعوا أن الساعة التى يُستجاب فيها الدعاء آخرُ ساعة من يوم الجمعة . ١٥

التعويذ

أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إنى أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ، وقلبٍ لا يخشع ، وعينٍ لا تدمع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لا تَشبع ، اللهم إنى أعوذ بك من هذه الأربع . ٢٠

وقال صلى الله عليه وسلم : من قال إذا أمسى وأصبح : أعوذ بكلمات الله التامّات المباركات التي لا يُجاوزهنّ برٌّ ولا فاجر ، من شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرُج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها . لم يضره شيء من الشياطين والهوام .

ما كان يعوذ به النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين

٥ مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهذه الكلمات : أُعيذُكما بكلمات الله التامة ، من كل عينٍ لامّة ، ومن كل شيطان وهامّة .

وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ بها إسماعيل وإسحق .

لأعرابي في دعوة

وقال أعرابي يصف دعوة :

١٠ وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض تبتَغي ... محلًّا ولم يَقطعْ بها البِيدَ قاطعُ
سرَتْ حيث لم تَسْرِ الركابُ ولم تُنخْ ... لوِردٍ ولم يقْصُرْ لها القيدَ مانع
تَظَل وراءَ الليلِ والليلُ ساقطٌ ... بأرْواقِهِ فيه سميرٌ وهاجع
تَفتَّحُ أبوابُ السماءِ لوَفْدِها ... إذا قَرَعَ الأبوابَ منهن قارع
إذا سألتْ لم يَردُد الله سُؤْلَها ... على أهلها واللهُ راءٍ وسامع
١٥ وإني لأرجو اللهَ حتى كأنما ... أرى بجميلِ الظنّ ما اللهُ صانع

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

بُنَيَّ لئن أعيا الطبيبَ ابنَ مُسلمٍ ... ضَناكَ وأعْيا ذا البيانِ المُوشَّعِ
لأَبْتَهِلَنْ تحت الظلام بدعوةٍ ... متى يَدْعُها داعٍ إلى الله يسمعِ
تغلغَلَ من بين الضلوعِ نَشيجُها ... لها شافعٌ من عَبْرةٍ وتضرُّعِ
٢٠ إلى فارجِ الكرْبِ المجيب لمن دعا ... فزِعتُ بكرْبِي ، إنه خيرُ مَفزَعِ
فيا خيرَ مدْعوّ دعوْتُك فاستمع ... ومالي شفيعٌ غيرُ فضلِك فاشفعِ

كتاب الدرة

فى النّوادب والتّعازى والمراثى

لابن عبد ربه

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الزهد ورجاله المشهورين ؛ ونحن قائلون بعون الله فى النوادب والمراثى ، والتهانى والتعازى ، بأبلغ ما وجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التى تُرق القلوبَ القاسية ، وتُذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب ؛ فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك صدعا فى القلوب الجلامد ؛ ونادبة تخفض من نشيجها ، وتقصد فى نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب .

لابن ذر

قال عمر بن ذرّ : سألت أبى : ما بال الناس إذا وعظتَهم بكوْا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ قال : يا بُنىّ ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة .

لأعرابى

وقال الأصمعى : قلت لأعرابى : ما بال المراثى أشرف أشعاركم ؟ قال : لأنا نقولها وقلوبُنا محترقة .

للحكماء

وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء .

وقالوا : كلُّ شىء يبدو صغيراً ثم يعظُم ؛ إلا المصيبة ؛ فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر .

القول عند الموت

لبعضهم

الأصمعى عن مُعْتَمر عن أبيه ؛ قال : لقِّنوا موتاكم الشهادة ؛ فإذا قالوها فدعوهم ولا تُضْجروهم .

وقال الحسن : إذا دخلتم على الرجل فى الموت فبشِّروه ؛ ليلقى ربه وهو

حسن الظن به ، وإذا كان حيا فخوفوه .

حسن الظنّ به ؛ وإذا كان حيا خوفوه .

بين أبى بكر وطلحة

ولقى أبو بكر طلحة بن عُبيد الله ، فرآه كاسفا مُتغيِّراً لونه ، فقال : مالى أراك متغيرا لونك ؟ قال : كلمة سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها . قال : وماذاك ؟ قال : سمعته يقول : إنى أعلم كلمة مَن قالها عند الموت مُحِصتْ ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر . فأنسيت أن أسأله عنها . قال أبو بكر : وأعلَمُكَها ؟ هى : لا إله إلا الله .

لمعاذ فى احتضاره

أبو الُحباب قال : لما آحتُضِر مُعاذ قال لخادمته : ويحك ! هل أصبحنا ؟ قالت : لا . ثم تركها ساعة ، ثم قال لها : انظرى . فقالت : نعم . قال أعوذ بالله من صباح إلى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ! مرحباً بزائر جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم : اللهم إنك تعلم أنى لم [أكن] أحبُّ البقاء فى الدنيا لكرْى الأنهار ، وغرس الأشجار ؛ ولكن لمكابدة الليل الطويل ، وظمإ الهواجر فى الحرّ الشديد ، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب فى مجالس الذكر .

لعمر بن عتبة فى مثله

ولما حضرت الوفاة عمر بن عُتبة[1] قال لرفيقه : نزل بى الموت ولم أتأهب له ! اللهم إنك تعلم أنه ماسَنح لى أمران لك فى أحدهما رضاً ولى فى الآخر هوًى إلا آثرتُ رضاك على هواى .

لابن الخطاب فى مثله

ولما حضرت الوفاة عمرَ بن الخطاب قال لولده عبد الله بن عمر : ضع خدّى على الأرض عَلَّ ربى أن يتعطف علىّ ويرحمنى .

للرقاشى فى مثله

ابن السمَّاك قال : دخلت على يزيد الرقاشى وهو فى الموت . فقال لى : سبقنى العابدون وقُطع بى ؛ والَهْفاه .

الأسوارى وآزادمرد فى احتضاره

موسى الأَسوارى قال : دخلت على آزادمَرْد وهو ثقيل ، فإذا هو كالخفّاش لم يبق إلا رأسه ؛ فقلت له : يا هذا ماحالك ؟ قال ؛ وماحال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ، وينطلق إلى ملِك عدْل بغير حجة ، ويدخل قبراً مُوحشاً بغير مُؤنس !

---

(١) فى بعض الأصول : « عبيد » .

عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة

قال عمر بن عبد العزيز لأبى قِلابة وولى غسل ابنه عبد الملك : إذا غسلته وكفنته فآذِنّى قبل أن تغطى وجهه . ففعل ، فنظر إليه وقال : يرحمك الله يا بنى ويغفر لك .

الحجاج وموت ابنه محمد

ولما مات محمد بن الحجاج جزع عليه جَزعاً شديدا ، وقال : إذا غسلتموه وكفنتموه فآذِنونى . ففعلوا ، فنظر إليه وقال متمثلا :

الآنَ لما كنتَ أَكْمَلَ مَن مشى ۝ وافترّ نابُكَ عن شَبَاةِ القارِحِ
وتكاملتْ فيكَ المُروءةُ كلُّها ۝ وأعنتَ ذلك بالفَعالِ الصالحِ

فقيل له : اتق الله واسترجع . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجدك يابنىّ ؟ قال : أجدنى فى الموت فاحتسبنى ؛ فإن ثواب الله خير لك منى . قال ، والله يا بُنى لأن تكون فى ميزانى أحبُّ إلىّ من أن أكون فى ميزانك قال : وأنا والله ، لأن يكون ماتحب أحبّ إلىّ من أن يكون ما أحِب .

مسلمة بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فى احتضاره

لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مسلمة بن عبد الملك ، فأذن له وأمره أن يخفف الوقفة ؛ فلما دخل وقف عند رأسه فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيرا ؛ فلقد ألنت لنا قلوبا كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا .

الرسول صلى الله عليه وسلم فى قبضه

حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس بن مالك ، قال : كانت فاطمة جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتواكدت عليه كُرَبُ الموت ؛ فرفع رأسه وقال ، واكرباه ! فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك يا أبتاه ! قال ، لا كرب على أبيك بعد اليوم !

الرياشى عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبهَ حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ورحَّبَ بها وأجلسها فى مجلسه ؛ وكان

إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها . فدخلتْ عليه فى مرضه الذى توفى فيه ، فأسرّ إليها فبكت ، ثم أسرّ إليها فضحكت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء ، فإذا هى واحدة منهن ؛ بينما هى تبكى إذ هى تضحك ! فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها ؛ فقالت : أسرّ إلىّ فأخبرنى أنه ميت فبكيْت ؛ ثم أسرّ إلىّ أنى أول أهل بيته لحوقاً به فضحكْت .

عائشة مع أبيها فى احتضاره

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها دخلت على أبيها فى مرضه الذى مات فيه ، فقالت له : يا أبت ، اعهد إلى خاصتك ، وأنفذ رأيك فى عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛ وإنك محضور ومتصل بقلبي لوعتُك ، وأرى تخاذُل أطرافك ، وانتقاع لونك ؛ فإلى الله تعزيتى عنك ، ولديه ثوابُ حزنى عليك ، أرقأ فلا أرْقأ وأشكو فلا أُشكَى .

فرفع رأسه فقال : يا بُنية ، هذا يوم يُحَلُّ فيه عن غِطائى ؛ وأعاين جزائى ، إن فرحا فدائم ، وإن نوحا فمقيم ؛ إنى اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حين كان النكوص إضاعة ، والحذر تفريطا ؛ فشهيدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فتبلَّغتُ بصَحْفتهم ، وتعللت بدرّة لِقحتهم ، وأقمت صَلاى معهم ، لا مُختالا أشِراً ، ولا مُكابراً بَطِرا ، لم أعد سدًا لجوعة ، وتورية العورة ، طوًى مُمغص تهفو له الأحشاء وتجِب له الأمعاء ؛ واضطررت إلى ذلك اضطرار الجَرِض إلى المَعِيف الآجن ، فإذا أنا متُّ فرُدِّى إليهم صحفتهم ولقحتهم وعبدهم ورحاهم ، ودثارة ما فوقى اتَّقيتُ بها أذى البرد ، ودثارة ما تحتى اتقيت بها أذى الأرض ، كان حشوهما قطع السّعف .

عمر مع أبى بكر فى احتضاره

ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كلفت القوم بعدك تعَبا ، ووليتَهم نصبا . فهيهات من شقِّ غبارك ! وكيف باللحاق بك .

وقالت عائشة وأبوها يُغمَّض :

وأبيَضَ يُستَسقى الغمام بوجهِه * ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِل

فنظر إليها وقال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أغمى عليه فقالت :

لَعَمْرُكَ ما يُغْنِي الثراءُ عن الفتى ٭ إذا حَشْرَجَت يوماً وضاق بها الصَّدْر

قالت : فنظر إلىّ كالغضبان وقال لى : قولى : ﴿ وجاءتْ سكْرةُ الموْتِ بالحقّ ذلك ما كنت منه تَحيد ﴾ . ثم قال : انظروا ملاءَتَىّ فاغسلوهما وكفِّنونى فيهما ؛ فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت . ٥

لمعاوية فى احتضاره

وقال معاوية حين حضرته الوفاة :

ألَا ليْتَنِى لم أغنَ فى المُلك ساعةً ٭ ولم أكُ فى اللَّذَّات أعْشى النَّواظِر

وكنتُ كذِى طِمْرَيْن عاش بِبُلْغةٍ ٭ ليالىَ حتى زار ضَنْكَ المقابِرِ

لما ثقل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن سفيان جالساً ، فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه ، ١٠ فبكى يزيد ، وتضوّر معاوية ساعة ، ثم قال : أى بنى ، إن أعظمَ ما أخاف اللهَ فيه ما كنت أصنع بك يا بُنَىّ . إنى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه ، فنظر إلى قميص لى قد انخرق من عاتق ، فقال لى : يامعاوية ، ألا أكسوك قميصاً ؟ قلت : بلى . فكسانى قميصاً لم ألبسه إلا لبسة واحدة ، وهو عندى . واجتزّ ذات يوم فأخذت جُزازة شعره ، ١٥ وقلامة أظفاره ، فجعلت ذلك فى قارورة ، فإذا مت يا بنى فاغسلنى ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى ومنخرى وفمى ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعاراً من تحت كفنى . إن نَفع شىءٌ نَفع هذا .

عمرو بن العاص فى احتضاره

لما احتضر عمرو بن العاصى ، جمع بنيه فقال : يا بَنِىَّ ، ما تُغنون عنى من أمر الله شيئا ! قالوا : يا أبت ، إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بأنفسنا . فقال : ٢٠ أسندونى . فأسندوه ، ثم قال : اللهم إنك أمرتنى فلم أأْتمر ، وزجرتنى فلم أزدجر ، اللهم لا قوىٌّ فأنتصر ، ولا برىءٌ فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ! أستغفرك وأتوب إليك ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ! فلم يزل يكررها حتى مات .

قال : وأخبرنا رجال من أهل المدينة أن عمرو بن العاص قال لبنيه عند موته : إنى لست فى الشِّرك الذى لو مت عليه أُدْخلت النار ، ولا فى الإسلام الذى لو متُّ عليه أُدْخلْت الجنة ؛ فمهما قصرت فيه فإنى مستمسك بلا إله إلا الله . وقبض عليها بيده ، وقُبض لوقته ؛ فكانت يده تُفتح ثم تترك ، فتنقبض .

٥ وقال لبنيه : إن أنا مت فلا تبكوا علىَّ ، ولا يتبعنى مادح ولا نائح ، وشنُّوا علىَّ التراب شنا ، فليس جنبى الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ؛ ولا تجعلوا فى قبرى خشبة ولا حَجَراً ، وإذا واريتمونى فاقعدوا عند قبرى قدرَ نَحْر جزور . وتفصيلها أستأنس بكم .

الجزع من الموت

١٠ الفضيل بن عياض قال : ماجزع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ماجزع سفيان الثورى ، فقلنا : ياأبا عبد الله ، ماهذا الجزع ، ألستَ تذهب إلى من عبدته وفررت بيدنك إليه ؟ فقال : ويحكم ! إنى أسلك طريقاً لم أعرفه ، وأقدم على ربّ لم أره .

لابن عياض

ولما توفى سعيد بن أبى الحسن وجد عليه أخوه الحسن وجداً شديدا ، فكُلِّم فى ذلك ، فقال : مارأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب !

١٥

حزن سعيد بن أبى الحسن على أخيه

وقال صالح المُرِّى : دخلت على الحسن وهو فى الموت ، وهو يكثر الاسترجاع ؛ فقال له ابنه : أمثلك يسترجع على الدنيا ؟ قال : يابنى ، ماأسترجع إلا على نفسى التى لم أُصَبْ بمثلها قط .

الحسن فى احتضاره

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن الأدبر وأصحابه ، بعث إليهم أكفانهم وأمر بأن تُفتح قبورهم ويُقتلوا عليها . فلما قدّم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزع جزعا شديداً ، فقيل له : أمثلك يجزع من الموت ؟ فقال : وكيف لا أجزع وأرى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقبراً محفورا .

٢٠

حجر بن الأدبر فى موته

البكاء على الميت

لإبراهيم

الشعبي عن إبراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

فَلَئِنْ بَكَيْناهُ لحقٌّ لنَا ۝ ولَئِنْ تَرَكْنا ذَاكَ لِلصَّبْرِ
فلِمِثْلِه جَرَتِ العُيونُ دَماً ۝ ولِمِثْلِه جَمَدَتْ فلَمْ تَجْرِ ٥

الأحنف وباكية

مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها، فقال له : دعها فإنها تندب عهدا قريبا وسفرا بعيدا .

النبي صلى الله عليه وسلم في وفاة ابنه إبراهيم

قالوا : لما توفى إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه ؛ فسئل عن ذلك فقال : تَدْمَعُ العينان ويَحْزَنُ القلبُ ، ولا نقولُ ما يُسخِطُ الربَّ .

النبي صلى الله عليه وسلم وباكيات من الأنصار

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بنسوة من الأنصار يبكين ميتا فزجرهن عمر ، ١٠ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعهنّ يا عمر ، فإن النفسَ مصابة ، والعينَ دامعة والعهدَ قريب .

النبي صلى الله عليه وسلم وباكيات قتلى أحد

ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أُحُد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزةُ لا باكيةَ له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقم لهم مأتم إلى اليوم إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة . ١٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أن يشُقَّ على صفِية ، مادفنته حتى يُحْشَرَ من حواصل الطير وبُطُون السباع .

ابن الخطاب حين نعي إليه ابن مقرن

ولما نعي النعمان بن مُقَرِّن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح : يا أَسَفا على النعمان .

ابن الخطاب حين نعي إليه زيد

ولما استشهد زيد بن الخطاب باليمامة ، وكان صحبه رجل من بني عدي بن ٢٠ كعب ؛ فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه وقال :

« وخلّفتَ زَيداً ثاوياً وأتيْتَنى ! »

وقال عمر بن الخطاب : ماهبت الصَّبا إلا وجدتُ نسيمَ زيد .

وكان إذا أصابته مصيبة قال : قد فقدت زيدا فصبرتُ .

عمر ووفاة خالد

ولما تُوفى خالد بن الوليد أيام عمر بن الخطاب ـ وكان بينهما هِجرة ـ امتنع النساء من البكاء عليه ، فلما انتهى ذلك إلى عمر ، قال : وما على نساء بنى المغيرة أن يُرِقْنَ من دمعهن على أبى سليمان مالم يكن نقعٌ ولا لقلقة.

لمعاوية فى النساء

٥ وقال معاوية وذُكِر عنده النساء : ما مَرَّضَ المرضى ولا نَدَبَ الموتى مثلُهن .

لابن عياش

وقال أبو بكر بن عياش : نزلت بى مصيبة أوجعتْنى فذكرتُ قول ذى الرمة :

لعـــلَّ انحدَارَ الدَّمعِ يُعقِبُ راحَةً ٭ منَ الوَجْدِ أو يشْفِى شَجِىَّ البلابِلِ

فخلوت ، فبكيتُ ، فسلوت .

للفرزدق

وقال الفرزدق فى هذا المعنى :

١٠ ألم تَرياِنى يومَ جَوِّ سُويقةٍ ٭ بكيْتُ فنَادَتْنِى هُنَيْدَةُ ماليَا

فقُلتُ لهـا إنَّ البُكاءَ لرَاحةٌ ٭ بهِ يشْتَفِى مَن ظَنَّ أنْ لا تَلاقِيا

قعِيدَكما اللهَ الذِى أنتما لهُ ٭ ألم تَسمَعا بالبَيْضَتينِ المنادِيا

حبيبٌ دعا والرَّمْلُ بيْنِى وبينَهُ ٭ فأسْمَعَنى سُقياً لذلك داعِيا

يقال : قَعيدك الله ، وقِعْدَكَ اللهَ ، معناه : سألتك الله .

١٥ القول عند المقابر

لزيد بن على

قال بعضهم : خرجنا مع زيد بن على نريد الحَج ، فلما بلغنا النّباج وصرنا إلى مقابرها ، التفت إلينا فقال :

لِكلِّ أُناسٍ مَقْـــبر بِفنَائِهِمْ ٭ فهُمْ ينْقُصونَ والقبُورُ تَزيدُ

فما إن تَزالُ دارُ حَيٍّ قدْ أَخْرِبتْ ٭ وقبرٌ بأَفْناءِ البُيوتِ جَديدُ

٢٠ هُمُ جِيرةُ الأحياءِ أمّا مَزارُهُمُ ٭ فدَانٍ وأمّا الملْتقَى فبعِيدُ

للرقاشى

وقال مررت بيزيد الرقاشى وهو جالس بين المدينة والمقبرة ، فقلت له : ما أجلسك ههنا ؟ قال : أنظرُ إلى هذين العسكرين ، فعسكرٌ يقذِفُ الأحياء ، وعسكر يلتقم الموتى ! ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل القبور الموحشة التى قد نطَقَ بالخراب

فناؤُها ، ومُهِّدَ بالتراب بناؤُها ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ؛ لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ؛ قد طحنهم بكلكله البِلى ، وأكلهم الجنادلُ والثرى .

لعلى

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا دخل المقبرة قال : أما المنازلُ فقد سُكنت ، وأما الأموال فقد قُسمت ، وأما الأزواج فقد نُكحت ؛ فهذا خبر ما عندنا ، فليت شعرى ما عندكم ؟ ثم قال : والذى نفسى بيده ، لو أذن لهم فى الكلام لقالوا : إن خير الزاد التقوى .

وكان على بن أبى طالب إذا دخل المقبرة قال : السلام عليكم يأهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة ، من المؤمنين والمؤمنات ؛ اللهم اغفرْ لنا ولهُم ، وتجاوَزْ بعفوك عنا وعنهم . ثم يقول : الحمد لله الذى جعل لنا الأرض كِفاتاً أحياء وأمواتا ، والحمد لله الذى منها خُلقنا ، وإليها معادُنا ، وعليها محشرنا ؛ طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل الحسنات ، وقنع بالكفاف ، ورضى عن الله عز وجل .

للنبى صلى الله عليه وسلم

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل المقبرة قال : « السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » .

للحسن البصرى

وكان الحسن البصرى إذا دخل المقبرة قال : اللهم ربَّ هذه الأجساد البالية ، والعظامِ النَّخِرة ، التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، أَدْخِلْ عليها روحا منك وسلاما منا .

لابن الفضل

وكان على بن الفضل إذا دخل المقبرة يقول : اللهم اجعل وفاتهم نجاةً لهم مما يكرهون ، واجعل حسابهم زيادةً لهم مما يحبون .

الوقوف على القبور وما بين الموتى

لأعرابى على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم

وقف أعرابى على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قلتَ فقبلنا وأمرت فحفظنا ، وبلَّغت عن ربك فسمعنا ، ﴿ ولو أنهم إذ ظلَموا أنفسَهم

جاءوك فاستَغفَروا الله واستَغفَرَ لهمُ الرسولُ لوَجدُوا الله توَّاباً رحيمًا ﴾ ، وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا . فما بقيت عين إلا سالت .

لفاطمة على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم

وقفت فاطمة عليها السلام على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت :

إنا فقدْناكَ فقْدَ الأَرضِ وابِلهَا * وغاب مُذ غِبت عنّا الوحيُ والكُتبُ
٥ فليتَ قبْلَكَ كانَ الموتُ صادَفنا * لمَّا نُعيتَ وحالت دونك الكُثبُ

حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت علىَّ فاطمة ، فقالت : يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثُوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ ثم بكت ونادت : يا أبتاه ! أجاب ربًّا دعاه ؛ يا أبتاه ! مِنْ ربّه ما أدناه ؛ يا أبتاه ! مَنْ ربُّه ١٠ ناداه ؛ يا أبتاه ! إلى جبريل ننْعاه ؛ يا أبتاه ! جنَّـةُ الفِردوْسِ مأواه . قال : ثم سكتت فما زادت شيئا .

ابن مسعود على قبر عمر بن الخطاب

ولما دُفِن عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، أقبل عبدُ الله بن مسعود وقد فاتته الصلاة عليه ؛ فوقف على قبره يبكى ويطرح رداءه ؛ ثم قال : والله لئن فاتتنى الصلاةُ عليك لا فاتنى حسنُ الثناء ؛ أما والله لقد كنت سخيًّا بالحق، بخيلا عن ١٥ الباطل ، ترضى حين الرضا ، وتسخط حين السَّخَط ، ما كنت عيَّاباً ولا مدَّاحاً ؛ فجزاك الله عن الإسلام خيراً .

على بن أبى طالب على قبر خباب

ووقف علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه على قبر خبَّاب فقال : رحم الله خبَّابا ! لقد أسلم راغبا ، وجاهد طائعا ، وعاش زاهدا [(١)] ، وآبتُلِى فى جسمه فصبر [(٢)] ؛ ولن يُضيعَ الله أجرَ من أحسن عملا .

الحسن على قبر على

٢٠ ولما توفى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، قام الحسن بن على رضى الله عنهما فقال : أيها الناس ، إنه قُبض فيكم الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون ولم يدركه الآخرون ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فيكتنفه جبريلُ عن يمينه

(١) فى بعض الأصول : « مجاهداً » .
(٢) فى بعض الأصول : « أحوالا » .

وميكائيل عن شماله ، لا ينثنى حتى يفتح الله له ؛ ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم أعدّها لخادمٍ له .

ابن السماك فى رثاء الطائى

عبد الرحمن بن الحسين عن محمد بن مصعب قال : لما مات داودُ الطائى تكلم ابن السمّاك فقال : إن داود نظر إلى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكأن لم ينظر ما إليه تنظرون ، وكأنكم لم تنظروا إلى ما إليه ينظر ، فأنتم منه تَعْجبون وهو منكم يَعجب ، فلما رآكم مفتونين مغرورين ، قد أذهلت الدنيا عقولكم ، وأماتت بحبها قلوبكم ، استوحش منكم ، فكنت إذا نظرتُ إليه حسبته حيا وسطَ أموات ؛ يا داود ، ما أعجب شأنكَ بين أهل زمانك ، أهَنْتَ نفسك وإنما تريد إكرامها ، وأتْعبْتَها وإنما تريد راحتَها وأخشنْتَ المطعم وإنما تريد طِيبهُ ، وأخشنْتَ الملبس وإنما تريد لِينهُ ، ثم أمتّ نفسك قبل أن تموت ، وقبرتَها قبل أن تُقبر ، وعذّبتَها قبل أن تعذب ؛ سجنتَ نفسك فى بيتك فلا محدِّث لك ، ولا جليس معك ، ولا فراش تحتك ، ولا سِتْر على بابك ، ولا قُلّة يُبَرِّدُ فيها ماؤك ، ولا صَحْفَة يكون فيها غداؤك وعشاؤك ؛ يا داود ، ما تشتهى من الماء باردَه ، ولا من الطعام طيِّبه ، ولا من اللباس ليِّنه ؛ بلى ، ولكن زهدت فيه لما بين يديك ؛ فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت فى جنب ما رغبت وأمّلت ، فلما مت شَهَرك ربُّك بفضلك ؛ وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت من حضرك علمتَ أن ربك قد أكرمك وشرّفك .

للاحنف على قبر أخيه

وقف الأحنف بن قيس على قبر أخيه فأنشد :

فو ٱللهِ لا أنسَى قتيــلاً رُزِئتهُ ٭ بجانبِ قوْسَى ما مشيْتُ على الأرض

بلَى إنها تعفـــو الكُلومُ وإنما ٭ نُوَكَّلُ بالأدنَى وإن جلَّ ما يَمضى

ووقف محمد بن الحنفية على قبر الحسين بن على رضى الله عنهما فخنقته العبرة ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد ، فلئن عزّت حياتك فلقد هدّت وفاتُك ، ولنِعْمَ الروحُ روحٌ ضمه بدنُك ، ولنعم البدنُ بدنٌ ضمه كفنك ، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيةُ ولد الأنبياء ، وسليلُ الهدى ، وخامسُ أصحاب الكساء ، غذتْك

أكف الحق ، وربيت فى حِجر الإسلام ، فطبتَ حيًّا وطبت ميتاً ، وإن كانت أنفسنا غير طيِّبةٍ بفراقك ، ولا شاكَّةً فى الخيار لك .

عائشة على قبر أبى بكر

ووقفت عائشة على قبر أبى بكر فقالت : نضَّر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مُذلًّا بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعزًّا بإقبالك عليها ٥ ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤك ، وأعظمَ المصائب بعده فقدُك ـ إن كتاب الله ليعِدُ بحُسن الصبر فيك ، وحسنِ العِوَض منك ؛ فأنا أتنجزُ موعودَ الله بحسن العزاء عليك ، وأستعيضُه منك بالاستغفار لك ؛ فعليك السلام ورحمة الله ، توديعَ غيرِ قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

رثاء على لأبى بكر

١٠ لما قُبض أبو بكر سُجِّىَ بثوب فارتجت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم كيوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء على بن أبى طالب باكياً مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب وهو يقول : رحمك الله أبا بكر ، كنتَ والله أوَّل القومِ إسلاما ، وأخلصهم إيمانا . وأشدَّهم يقينا ، وأعظَمهم غناء ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدَبهم على الإسلام ، وأحناهم على أهله ، وأشبههم ١٥ برسول الله صلى الله عليه وسلم خُلقا وفضلا وهدْيا وسمتا ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا ، صدَّقتَ رسول الله حين كذَّبه الناس ، وواسيتَه حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، سماك الله فى كتابه صدِّيقا ، فقال : « والَّذى جاء بالصِّدق وصدَّق به » يريد محمداً ويريدك ، كنت والله للإسلام حصنا ، وعلى الكافرين عذابا ، لم تُفْلل حجتُك ، ولم تضعُف بصيرتك ، ولم تجبُن نفسُك ، ٢٠ كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله ضعيفا فى بدنك ، قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض ، كثيرا عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هَوادة ، فالقوىُّ عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدَك .

عبد الملك على قبر معاوية

وقف عبد الملك بن مروان على قبر معاوية فقال : تالله إن كنت ما علمت لَيُنْطقك العلم ؛ ويُسْكِتك الحلم . ثم أنشأ يقول :

وما الدهرُ والأيامُ إلّا كما تَرى * رَزِيئة مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

للضحاك في زياد

الهيثم بن عدى قال : لما هلك زياد استعمل معاوية الضحاك على الكوفة ؛ فلما دخلها سأل عن قبر زياد فدُلَّ عليه ؛ فأتاه حتى وقف به ثم قال :

أبَا المُغيرة والدُّنيا مُفجِّعَةٌ * وإنّ مَن غرَّت الدنيا لَمغرورُ

قد كان عندَك للمعروفِ معْرفة * وكان عندَك للنكراء[1] تنكيرُ

لو خَلَّد الخيرُ والإسلامُ ذا قدَمٍ * إذاً لَخلَّدَك الإسلامُ والخيرُ

والأبيات لحارثة بن بدر يرثى زيادا .

لعلى فى فاطمة

المدائنى قال : لما دَفن علىُّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه فاطمةَ عليها السلام ، تمثل عند قبرها فقال :

لكلِّ اجتماعٍ من خليلَيْن فُرْقة * وكل الذى دُون المات قليلُ

وإنّ افتقادى واحداً بعد واحدٍ * دليلٌ على أنْ لا يَدومُ خليل

امرأة الحسن على قبره

لما مات الحسن بن علىّ عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطاً على قبره وأقامت حولا ثم انصرفت إلى بيتها ؛ فسمعت قائلا يقول : أدرَكوا ما طلبوا ! فأجابه مجيب : بل ملُّوا فانصرفوا .

نائلة على قبر عثمان

ابن الكلبى قال : وقفت نائلة بنت الفَرافصة الكلبية على قبر عثمان فترحمت عليه ثم قالت :

ومالىَ لا أبْكى وتبكِى قَرابتى * وقد ذهَبَت عنا فُضول أبى عمرو

ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت : إنى رأيت الُحزن يَبلى كما يَبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى ! فدعت بفهر فهشمت فاها وقالت : والله لا قَعَد منى رجل مقعد عثمان أبداً !

(١) فى بعض الأصول « للتنكير » .

الراثون على قبر الإسكندر

لما هلك الإسكندر : قامت الخطباء على رأسه ، فكان من قولهم : الإسكندر كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس !

لأبى العتاهية فى ابن له

أخذ هذا المعنى أبو العتاهية . فقال عند دفنه ولداً له :

كفى حَزَناً بدفنِك ثم إنى * نفضْت تراب قبرك من يَديَّا

٥ وكنتَ وفى حياتك لى عظاتٌ * فأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

لأبى ذر فى مثله

وقف أبو ذرّ الهمدانى على قبر ابنه ذرّ ، فقال : يا ذرّ ، شغلنى الُحزن لك عن الحزن عليك ، فليت شعرى ما قلت وما قيل لك ! ثم قال : اللهم إنى قد وهبت لك إساءته إلىّ ، فهب له إساءته إليك ! فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال : يا ذرّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

لابن سليمان فى مثله

١٠ وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى أرجوك له وأخافك عليه ؛ فحقق رجائى وآمن خوفى .

لأعرابية فى أبيها

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إنّ فى الله تبارك وتعالى مِن فقدك عوضا ، وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصيبتك أسوة . ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مُقفراً من الزاد ، مُخشوْشِن المهاد ، غنيا عما فى أيدى العباد ، ١٥ فقيرا إلى ما فى يديك يا جواد ، وأنت أىْ ربِّ خيرُ مَن نزل به المؤمّلون ، واستغنى بفضله المُقلُّون ، وولج فى سعة رحمته المذنبون ؛ اللهم فليكن قِرَى عبدك منك رحمتَك ، ومهادُه جنتك . ثم انصرفت .

لأعرابية فى رثاء ابنها

قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض فى خباء لها ، وبين يديها بُنَىٌّ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضتْه وعصبتْه وسجّته ، وقالت : ٢٠ يابن أخى . قلت : ما تشائين ؟ قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النظرة ، أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقدته ، والحلول بعفو ربه ، والحالة بينه وبين نفسه ! قال : وما يقطر من عينها دمعة ، صبراً واحتسابا . ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالُه لبطنه ، ولا أمرُه لعِرسه . ثم أنشدت :

رَحيبُ الذراعِ بالتى لا تَشــينُه • وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرْعا

عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه

وقف عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال : رحمك الله يا بُنىّ ، فلقد كنت سارًّا مولودا ، بارّا ناشئا ؛ وما أُحب أنى دعوتك فأجبتنى !

ابن ذر وجنازة جار له

توفى رجل كان مُسرفا على نفسه بالذنوب ، فتجافى الناس جنازته ؛ فبلغ عمر بن ذرّ خبره ؛ فأوصى إلى أهله أنْ خذوا فى جهازه فإذا فرغتم فآذِنونى . ٥ ففعلوا ، وشهده عمر بن ذرّ وشهده الناس معه ، فلما فرغ من دفنه وقف عمر ابن ذرّ على قبره فقال : يرحمك الله أبا فلان ! فلقد صحِبت عُمرك بالتوحيد ، وعفَّرْت لله وجهك بالسجود ، فإن قالوا : مذنب وذو خطايا ! فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا !

لجارية على قبر أبيها

سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهى تقول : يا أبت مثلَ يومك ١٠ لم أرَه ! قال : الذى ـ والله ـ لم يَرَمثلَ يومه أبُوك !

خصى للوليد على قبره

وسمع عمر بن عبد العزيز خصيًّا للوليد بن عبد الملك واقفاً على قبر الوليد وهو يقول : يا مولاى ، ماذا لقينا بعدك ! فقال له عمر : أما والله لو أُذن له فى الكلام لأَخبَر أنه لقى بعدكم أكثر مما لقيتم بعده .

معاوية على قبر أخيه

وقف معاوية على قبر أخيه عتبة فدعا له وترحم عليه ، ثم التفت إلى من معه ١٥ فقال : لو أنّ الدنيا بُنيت على نسيان الأحبة ما نسيت عتبة أبدا .

المراثى

من رثى نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر

لابن خذاق

قال ابن قتيبة بلغنى أنّ أوّل من بكى على نفسه وذكر الموت فى شعره : يزيد ابن خَذّاق فقال : ٢٠

هل للفتَى من بنات الدهر مِن راقِ • أم هل له من حِمام الموت مِن واقى

قد رجَّلونِى وما بالشّعر من شعَثٍ • وألْبَسونِى ثيـاباً غير أخلاق

وطيَّبونى وقالوا أيُّما رجلٍ ! * وأدرجونى كأنى طىُّ مِخراقِ
وأرسَلوا فِتيةً من خيرِهم حسَباً * ليُسنِدوا فى ضريح القبر أطباقى
وقسَّموا المالَ وارفضَّت عوائدهم * وقال قائلُهم ماتَ ابنُ خذَّاق !
هوِّن عليك ولا تُولَع بإشفاق * فإنما مالُنا للوارث الباقى

٥ وقال ابن ذؤيب الهذلى يصف حفرته :

مطأطأةٌ لم يَنْبِطوها وإنما * ليرْضَى بها فُراطُها ، أمّ واحدِ
قضوْا ما قضوْا من رمِّها ثم أقبلوا * إلىّ بطاء المشْى غُبْرَ السَّواعد
فكنتُ ذَنوب البئر لمّا تلحَّبتْ * وأُدرِجتُ أكفانى ووُسِّدتُ ساعدى

وقال عروة بن حِزام لما نزل به الموت : لعروة بن حزام

١٠ مَن كان من أخواتى باكياً أبداً * فاليومَ ، إنى أُرانى اليومَ مقبوضا
يُسْمِعُنيه فإنى غيرُ سامِعِه * إذا علوْت رقابَ القوم معْروضا

وقال الطرمّاح بن حكيم : للطرماح

فيا ربِّ لا تجعل وفاتِىَ إن أتتْ * على شَرْجَعٍ يُعلَى بدُكْنِ المَطارفِ
ولكنْ شهيداً ثاوياً فى عصابة [1] * يُصابُون فى فجٍّ من الأرض خائف
١٥ إذا فارقوا دنياهم فارَقوا الأذَى * وصاروا إلى موعودِ ما فى الصحائف
فأُقتَلُ قعصاً ثم يُرمَى بأعظُمى * مُفرَّقةً أوصالُها فى التَّنائف
ويُصبح لحى بطنِ طيرٍ مَقيلُهُ * بجوِّ السماء فى نُسور عَواكف

وقال مالك بن الرَّيب : يرثى نفسه ويصف قبره ـ وكان خرج مع سعيد لابن الريب
ابن عثمان بن عفان . لما ولى خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن
٢٠ يلبس خفه ، فإذا بأفعى فى داخلها ، فلسعته ، فلما أحس بالموت استلق على
قفاه . ثم أنشأ يقول :

دعانى الهوَى من أهل أُودَ وصُحبتى * بذى الطَّبَسيْن فالتفتُّ ورائيا
فما راعَنى إلا سوابقُ عَبْرةٍ * تقنَّعْتُ منها أن ألامَ رِدائيا

(١) فى بعض الأصول : « ولكن أجز يومى شهيداً وعصبة » .

ألم تَرَنى بِعْت الضَّلالة بالهدى ، وأصبحتُ فى جيْش ابن عفّان غازيا
فلله دَرّى حين أترُك طائعاً ، بَنِىَّ بأعلى الرَّقمتين وماليا
ودَرُّ الكبيرَيْنِ اللذَيْن كلاهُما ، علىَّ شفيقٌ ناصحٌ قد نهانِيا
ودَرُّ الظِّباءِ السّانحاتِ عشيّةً ، يُخبِّرْن أنى هالكٌ من أماميا
تقول ابنتى لمّا رأت وشْك رحْلتى ، سِفَارُك هذا تاركى لا أباليا ٥
ألا ليت شِعْرى هل بكتْ أمُّ مالكٍ ، كما كنتُ لو عالَوْا نَعِيَّك باكيا
إذا مِتُّ فاعتادِى القبور وسلِّمى ، عليهِنّ أُسقين السَّحاب الغَواديا
تَرىْ جدَثاً قد جَرت الريح فوقه ، تُراباً كسَحق المَرْزبانىِّ هابيا
فيا صاحبَى رَحْلى دنا الموْتُ فاحفِرا ، برابِيَةٍ إنى مُقيمٌ لياليا
وخُطّا بأطراف الأسِنّة مَضْجعى ، ورُدّا على عَيْنَىَّ فضل ردائيا ١٠
ولا تحْسُدانى بارك الله فيكما ، من الأرض ذات العَرْض أن تُوسِعاليا
خذانى فجُرّانى ببُرْدى إليكما ، فقد كنتُ قبل اليوم صَعْباً قِياديا
تفقَّدْت من يَبكى علىَّ فلم أجد ، سوى السَّيفِ والرُّمح الرُّدَيْنىِّ باكيا
وأدهَم غِرْبيبٍ يَجُرُّ لجامَه ، إلى الماء لم يَترك له الموْت ساقيا
وبالرَّمْل لو يَعلمْنَ عِلْمِىَ نسوةٌ ، بكيْنَ وفدَّيْن الطَّبيب المُداويا ١٥
عجوزى وأُختاىَ اللّتان أُصيبتا ، بموْتى وبنتٌ لى تَهيج البواكيا
لعَمْرى لئن غالت خُراسانُ هامَتى ، لقد كنت عن بابَىْ خُراسانَ نائيا
تَحمَّل أصحابى عِشاءً وغادروا ، أخا ثقةٍ فى عَرْصةِ الدّار ثاويا
يقولون لا تَبْعَد وهُمْ يَدْفِنوننى ، وأين مكان البُعْد إلا مكانيا

لأفنون فى بكاء نفسه

وقال رجل من بنى تغلب يقال له أُفنون ، وهو لقبه ، واسمه صُرَيم بن مَعْشَر ٢٠
ابن ذهل بن تيم بن عمرو بن مالك بن حبيب بن عمر بن غَنْم بن تغلب ، ولقى كاهنا فى الجاهلية ، فقال له : إنك تموت بمكان يقال له إلاهة . فمكث ماشاء الله ، ثم سافر فى ركب من قومه إلى الشام فأتوها ، ثم انصرفوا فضلوا الطريق ،

فقالوا لرجل: كيف نأخذ؟ فقال: سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلاهة - وإلاهة قارَة بالسماوة - فلما أتوها نزل أصحابه وأبى أن ينزل؛ فبينما ناقته ترتعي وهو راكبها إذ أخذت بمشفر ناقته حية، فاحتكت الناقة بمشفرها فلدغت ساقه، فقال لأخيه وكان معه، واسمه معاوية: احفر لى فإنى ميتٌ ثم تغنَّى قبل أن يموت يبكى نفسه:

٥

لستُ على شيءٍ، فرُوحَنْ مُعاويا ٭ ولا المشفِقاتُ إذْ تبِعْنَ الحَوازِيا

ولا خيْرَ فيما كذَّبَ المرْءُ نفسهُ ٭ وتقوالِهِ للشيء ياليتَ ذا ليا

وإنْ أعجبتْكَ الدَّهرَ حالٌ منَ آمرئٍ ٭ فدعْهُ وواكِل حالهُ والليالِيا

يرُحْنَ عليه أو يُغيِّرْنَ مابِهِ ٭ وإنْ لم يكُنْ فى خوْفهِ العيْشَ وانِيا

١٠

فَطأْ مُعرِضاً إنّ الحُتُوفَ كَثيرةٌ ٭ وإنكَ لا تُبقِى بنفْسِكَ باقيا

لَعمرُكَ مايَدرى آمرُؤٌ كيفَ يتّقِى ٭ إذا هو لم يَجْعل لهُ اللهُ واقيا

كفَى حزَناً أن يَرحلَ الرَّكبُ غُدوةً ٭ وأترك فى أعلى إلاهَةَ ثاويا

قال: فمات فدفنوه بها.

هدبة العذرى

وقال هدبة العذرى لما أيقن بالموت:

١٥

ألا عَلِّلانى قبلَ نوحِ النَّوائحِ ٭ وقبلَ اطّلاعِ النفْسِ بينَ الجوانحِ

وقبلَ غدٍ يالهفَ نفسى على غدٍ ٭ إذا راحَ أصحابى ولستُ برائحِ

إذا راحَ أصحابى بِفيضِ دُمُوعِهم ٭ وغودِرْتُ فى لحدٍ علىَّ صفائحى

يقولون هل أصْلحتمُ لأخيكمُ ٭ وماالرَّمْسُ فى الأرضِ القِواءِ بصالحِ

لمحمد بن بشير

وقال محمد بن بشير:

٢٠

ويلٌ لمن لم يرحمِ اللهُ ٭ ومنْ تكُونُ النارُ مثواهُ

والويلُ لى مِن كُلِّ يومٍ أتى ٭ يُذكرنى الموتَ وأنساهُ

كأنه قد قيل فى مجلسٍ ٭ قد كنت آتيهِ وأغْشاه:

صار البشيرىُّ إلى ربِّهِ ٭ يرحمُنا اللهُ وإياه

لأبي العتاهية في أبيات أوصى أن تكتب على قبره

ولما حضرت أبا العتاهية الوفاةُ، واسمه إسماعيل بن القاسم، أوصى بأن يكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة:

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعى * اسْمَعى ثم عِى وعِى
أنا رهْنٌ بمضْجعِى * فاحْذَرى مثلَ مصرعِى
عشت تسعينَ حِجَّةً * ثم وافيتُ مَضجعى
ليسَ شيءٌ سوى التُّقى * فخُذى منه أو دَعى

لبعض الشعراء في معارضته

وعارضه بعض الشعراء في هذه الأبيات، وأوصى بأن يكتب على قبره أيضا فكُتبت وهى:

أَصبَح القَبرُ مَضجعى * ومَحَلِّى وموضِعى
صرعَتْنى الحتوفُ فى الـ * تُّرْبِ ياذُلَّ مَصرعى
أينَ إخوانى الذيـ * ـنَ إليهمْ تَطلُّعى
متُّ وحدى فلم يَمت * واحِد منهم مَعى

أبيات قيل إنها لأبي نواس

وُجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس ثلاثة أبيات؛ فقيل إنها من قول أبى نواس، وهى:

أقولُ لِقبرٍ زُرتُه مُتلَثِّماً * سقَى الله برد العفْو صاحبة القبر
لقدغَيَّبوا تحتالثرى قَمَرَ الدُّجى * وشمسَ الضُّحى بين الصَّفائح والعفْر
عجِبتُ لعينٍ بعْدها ملَّتِ البُكا * وقلبٍ عليها يرتَجِى راحةَ الصبْر

لأبي نواس

الرياشى قال: وجدتُ تحت الفراش الذى مات عليه أبو نواس رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات:

يارِبِّ إنْ عظمَتْ ذُنوبى كثْرةً * فلقَد علِمتُ بأنّ عَفْوكَ أعْظمُ
إنْ كان لايَرْجُوك إلا مُحسِنٌ * فبِمن يلُوذُ ويستجِيرُ المجرمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضَرُّعا * فإذا رَدَدْت يدى فمَن ذا يرحَم
مالى إليكَ وسيلةٌ إلا الرجا * وجَميلُ عفوكَ ثم أنّى مُسلِم

الخشنى قال : أخبرنا بعض أصحابنا ممن كان يغشى مجلس الرياشى قال : رأيت على قبر أبى هاشم الإيادى بواسط : (أبيات على قبر الإيادى)

المَوْتُ أخرجَنى من دار مملكتى * والموتُ أضْرعَنى من بعد تشريفى

لله عبــدٌ رأى قبرى فأعبَرَهُ * وخاف من دهره ريْبَ التَّصاريف

٥ الأصمعى قال : أخذ بيدى يحيى بن خالد بن برمك فأوقفنى على قبر بالحيرة ، فإذا عليه مكتوب : (أبيات على قبر)

إنّ بَنى المُنذِر لمّا انقضوْا * بحيث شاد البِيعةَ الراهِبُ

تَنْفح بالمســك محاريبهم * وعنــبرٍ يَقْطبه قاطب

والخبزُ واللحمُ لهمْ راهنٌ * وقهوةٌ راوُوقُها ساكبُ

١٠ والقطنُ والكتّانُ أثوابُهم * لم يَجلِب الصُّوف لهم جالبُ

فأصبحوا قوتاً لدود الثّرى * والدهرُ لا يبقى له صاحبُ

كأنما حياتهم لُعبــةٌ * سَرَى إلى بيْنٍ بها راكبُ

وقال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال .

الشيبانى قال : وُجد مكتوباً على بعض القبور :

١٥ مَلَّ الأحبّة زَوْرتى فجُفيت * وسكَنْت فى دار البِلَى فنسيت

الحيُّ يكذِب لا صديقَ لميِّت * لو كان يَصْدُق مات حين يموتُ

يامُؤنِساً سَكَن الثرى وبقيتُ * لو كنتُ أصدُقُ إذ بليتَ بليتُ

أو كان يَعمى للبكاء مُفجَّعٌ * من طول ما أبكى عليك عَميتُ

وقال محمد بن عبد الله : (لمحمد بن عبد الله)

٢٠ وعما قليلٍ أن ترى باكياً لنا[1] * سيَضحك من يبكى ويُعْرِض عن ذكْرى

ترى صاحبى يبكى قليــلاً لِفُرقتى * ويَضحك من طول اللّيالى على قبرى

ويُحــدِث إخواناً ويَنسَى مودّتى * وتَشْغله الأحبابُ عنى وعن ذِكْرى

---

(١) فى بعض الأصول : « عناء قليل إن بكى لى لياليا » .

من رثى ولده

فمن قولى فى ولدى :

بَلِيَت عظامى والأسى يتجدَّدُ ٭ والصبر يَنفد والبكا لا يَنفَدُ
يا غائبـاً لا يُرْتَجى لإيابه ٭ ولقاؤه دون القيامة موْعِدُ
ما كان أحسَن مُلْحداً ضُمِّنْته ٭ لو كان ضَمَّ أباكَ ذاكَ المُلحِدُ ٥
باليأس أسْلو عنك لا بتجلُّدِى ٭ هيهاتَ أين مِنَ الحَزين تَجلُّدُ

ومن قولى فيه أيضاً :

واكبِدا قد قُطِّعتْ كبِدى ٭ وحرَّقَتها لواعِج الكَمَدِ
ما مات حىٌّ لميِّتٍ أسفاً ٭ أعذرُ مِن والدٍ على ولدِ
يا رحمةَ الله جاورى جدَثاً ٭ دَفنْتُ فيه حُشاشتى بيدى ١٠
ونوِّرى ظلمة القبور على ٭ من لم يصِلْ ظُلْمُهُ إلى أحدِ
من كان خِلْوا من كلِّ بائقةٍ ٭ وطيِّبَ الرُّوح طاهر الجسدِ
ياموْتُ ، يَحيى لقد ذَهبْت به ٭ ليس بزُمَّيلةٍ ولا نَكِدِ
يا موْته لو أقلتَ عَثْرتَه ٭ يا يوْمَه لو تَركْتَه لغَدِ
ياموْتُ لو لم تكن تُعاجِله ٭ لكان لا شكَّ بيْضة البلدِ ١٥
أوكنت راخيْت فى العِنان له ٭ حازَ العُلا واَحتوى على الأمدِ
أىَّ حُسامٍ سَلَبت رونَقَه ٭ وأىَّ روحٍ سَللَت من جسدِ
وأىَّ ساقٍ قَطعْت من قدمٍ ٭ وأىَّ كفٍّ أزلْت من عضُدِ
يا قمراً أجحَف الخُسوفُ به ٭ قبل بلوغ السواء فى العَددِ
أىُّ حشًى لم يَذبْ له أسَفاً ٭ وأىُّ عيْنٍ عليه لم تَجُدِ ٢٠
لا صبر لى بعده ولا جلَدٌ ٭ فُجِعْت بالصبر فيه والجلَدِ
لو لم أمت عند موْته كَمداً ٭ لحقَّ لى أن أموت من كَمَدى
يا لوْعةً لا يزال لاعِجُها ٭ يقدحُ نار الأسى على كبِدى

وقلت فيه أيضاً :

قَصد المنونُ له فمات فقيدا ٭ ومضى على صَرْفها الخطوبِ حميدا
بأبى وأُمى هالِكا أفردْتُه ٭ قد كان فى كلِّ العلوم فريدا
سُودُ المقابر أصبحَت بِيضا به ٭ وغدتْ له بيضُ الضمائر سُودا
لم نَرْزَه لمّا رُزِينا وحده ٭ وإن استَقلَّ به المنونُ وحيدا ٥
لكن رُزِينا القاسم بن مُحمدٍ ٭ فى فضله والأسودَ بن يزيدا
وابن المُبارَك فى الرّقائق مُخبِرا[1] ٭ وابن المُسيَّب فى الحديث سعيدا
والأخفشيْن فَصاحةً وبلاغةً ٭ والأعْشيَيْن روايةً ونشيدا
كان الوصىَّ إذا أردْتُ وصيّةً ٭ والمُستفادَ إذا طلبْت مُفيدا
ولّى حفيظاً فى الأذِمّة حافظاً ٭ ومضى ودوداً فى الورى موْدودا ١٠
ماكان مِثْلى فى الرَّزيّة والدٌ ٭ ظفرَتْ يَداه بمثْله مَولودا
حتى إذا بذَّ السَّوابق فى العلا ٭ والعِلْمُ ضمَّن شِلْوه مَلْحودا
يا من يُفنِّد فى البكاء مُوَلَّها ٭ ماكان يَسمع فى البكا تَفْنيدا
تأبى القلوبُ المستكينةُ للأسَى ٭ من أن تكون حجارةً وحديدا
إنّ الذى باد السُّرورُ بموْته ٭ ماكان حُزْنى بعده ليبيدا ١٥
ألآن لمّا أن حوَيْت مآثراً ٭ أعْيت عَدوًّا فى الورى وحسودا
ورأيت فيك من الصَّلاح شمائلا ٭ ومن السَّماح دلائلاً وشُهودا
أبكى عليك إذا الحمامةُ طَرَّبتْ ٭ وجه الصَّباح وغَرَّدتْ تغريدا
لولا الحياء وأنْ أُزَنَّ ببدعةٍ ٭ مما يُعدّه الورى تَشْديدا
لجعلت يومَك فى المناحِ مأتمًا ٭ وجعلت يومَك فى المواسم عِيدا ٢٠

وقلت فيه أيضاً :

لابيْت يُسكَن إلّا فارَق السَّكنا ٭ ولا امْتلأ فرحا إلّا امْتلا حَزنا

(١) فى بعض الأصول : « معمرا ».

لهفى على ميّت مات السرورُ به ٭ لو كان حيًّا لأحيا الدينَ والسُّننا
واهًا عليكَ أبا بكر مُرَدَّدَةً ٭ لو سكَّنت ولهاً أو فتّرتْ شجنَا
إذا ذكرْتُك يوماً قلتُ واحَزنا ٭ وما يَرُدُّ عليك القولُ وَاحزنَا
يا سيِّدِي ومراحَ الروح فى جَسدى ٭ هلَّا دنا الموتُ مِنِّى حين منك دنا!
حتى يعود بنا فى قعْرِ مُظلِمة ٭ لحْدٌ ويُلْبِسنا فى واحِدٍ كفَنا ٥
يا أطيبَ الناس روحا ضمَّهُ بدنٌ ٭ أستودِعُ اللهَ ذاك الروحَ والبَدنا
لو كنتُ أُعطَى به الدُّنيا مُعاوَضة ٭ منه لمَا كانتِ الدنيا له ثمَنَا

لأبى ذؤيب فى رثاء بنيه

وقال أبو ذؤيب الهذلى ، وكان له أولاد سبعة فماتوا كلهم إلا طفلا ، فقال يرثيهم :

أمِنَ المنونِ وريْبِهِ تتوجَّعُ ٭ والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجزَعُ ١٠
قالت أُمامةُ ما لجِسْمِك شاحِباً ٭ مُنْذُ ابتُذلتَ ومثلُ مالِكَ ينفعُ
أم ما لجِسْمكَ لا يُلائِم مَضجعاً ٭ إلّا أقضَّ عليك ذاك المضجَعُ
فأجبْتُها أنْ ما لجِسْمِيَ إنهُ ٭ أودَى بنِيَّ من البلادِ فودَّعُوا
أودَى بنِيَّ وأعقَبونى حسْرَةً ٭ بعدَ الرُّقادِ وعبْرةً ما تُقْلِعُ
سبقوا هوَىَّ وأعنَقوا لِهَواهُمُ ٭ فتُخُرِّموا ولِكلِّ جنبٍ مصْرَعُ ١٥
فبقِيتُ بعدهُمُ بعيْشٍ ناصِبٍ ٭ وإخالُ أنى لاحِقٌ مُستتْبِعُ
ولقد حرِصْتُ بأن أُدافِعَ عنهُمُ ٭ وإذا المنِيَّةُ أقبلتْ لا تُدفعُ
وإذا المنِيَّةُ أنشبتْ أظفارَها ٭ ألفيْتَ كلَّ تميمَةٍ لا تنفَعُ
فالعينُ بعدَهمُ كأنَّ حِداقَها ٭ سُمِلتْ بشوْكٍ فهىَ عوْرا تدمَعُ
حتى كأنى للحوادِثِ مَرْوَةٌ ٭ بِصَفا المُشرَّقِ كلَّ يومٍ تُقْرَعُ ٢٠
وتجَلُّدِى للشَّامِتِين أُريهِمُ ٭ أنى لِرَيْبِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ

ولهفى طفله

وقال فى الطفل الذى بقى له :

والنفسُ راغِبةٌ إذا رغَّبْتَها ٭ وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقْنعُ

وقال الأصمعى : هذا أبدع بيت قالته العرب .

لأعرابى فى رثاء بنيه

وقال أعرابىّ يرثى بنيه :

أسُكّان بطن الأرضِ لو يُقبلُ الفِدَا ٭ فدَيْنا وأعطينا بكُمْ ساكِنى الظَّهْرِ

فياليْتَ مَن فيها عليها وليتَ مَنْ ٭ عليها ثوَى فيها مُقيِما إلى الحشْرِ

٥ وقاسمَنى دهرى بَنِىَّ بشطره ٭ فلما تقضَّى شطْرُهُ مال فى شطرى

فصاروا دُيوناً لِلْمنايا ولم يكن ٭ عليهم لها دَيْنٌ قضوْهُ على عُسرِ

كأنهُمُ لم يعرِفِ الموتُ غيرَهُم ٭ فثُكلٌ على ثُكلٍ وقبرٌ إلى قبرِ

وقد كنتُ حيَّ الخوفِ قبل وفاتهم ٭ فلما تُوفُّوا مات خوْفى من الدهرِ

فلله ما أعطَى ولله ما حوَى ٭ وليس لِلأيامِ الرَّزيَّةِ كالصَّبْرِ

لأعرابية فى رثاء ابنها

١٠ وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسنَ عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه آمننى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت علىّ المصائب بعده ! ثم أنشأتْ تقول :

مَن شاء بعدكَ فليمُتْ ٭ فعليك كنتُ أحاذِر

كنتَ السّواد لناظرى ٭ فعمِى عليك النّاظرُ

ليت المنازلَ والدِّيا ٭ رَ حفائرٌ ومقابرُ

١٥ إنى وغيرىَ لا محا ٭ لةَ حيثُ صِرتَ لصائرُ

الحسن بن هانئ

أخذ الحسن بن هانئ معنى هذا البيت الأول ، فقال فى الأمين :

طوَى الموتُ ما بيني وبين مُحمّدٍ ٭ وليس لِمَا تطوِى المنيّةُ ناشِرُ

وكنتُ عليه أحذرُ الموتَ وحدهُ ٭ فلم يبقَ لى شىءٌ عليهِ أحاذرُ

لئِن عمرَتْ دورٌ بمن لا أحِبُّه ٭ لقد عمرَتْ بمن أُحِبُّ المقابرُ

لابن الأهتم يرثى ابنا له

٢٠ وقال عبد الله بن الأهتم يرثى ابناً له :

دعوْتُك يا بُنىَّ فلم تُجبنى ٭ فرُدّت دعوتِى يأساً عليَّا

بموتك ماتتِ اللّذّاتُ مِنى ٭ وكانت حيّةً مادمتَ حيًّا

فيا أسفا عليكَ وطولَ شوقى ٭ إليك لوَ آنَّ ذلك ردّ شيّا

لأبي العتاهية في رثاء ابن له

وأصيب أبو العتاهية بابن له فلما دفنه وقف على قبره وقال:

كفى حُزناً بِدَفنك ثم إنى ◦ نفضت تُرابَ قبرِك من يَدَيا

وكنتَ وفى حياتِك لى عِظاتٌ ◦ فأنت اليومَ أوعظُ منك حيًّا

لأعرابي في رثاء ابن له

ومات ابنٌ لأعرابيّ فاشتدّ حزنه عليه، وكان الأعرابيّ يكنى به، فقيل له: لو صبرت لكان أعظمَ لثوابك! فقال:

بأبى وأُمّى مَن عبأتُ حَنوطَهُ ◦ بيَدى وفارقنى بماءِ شبابِهِ

كيفَ السُّلوُّ وكيفَ أنسَى ذِكرَهُ ◦ وإذا دُعيتُ فإنما أدعَى بِهِ

عمر بن الخطاب وأعرابي فقد ابنا له

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً إلى بقيع الغرقد، فإذا أعرابى بين يديه، فقال: يا أعرابى، ما أدخلك دار الحق؟ قال: وديعة لى هاهنا منذ ثلاث سنين. قال: وما وديعتك؟ قال: ابن لى حين ترعرع فقدته فأنا أندبه! قال عمر: أسمعنى ما قلت فيه. فقال:

يا غائباً ما يئوبُ من سفَرِهْ ◦ عاجَلهُ موتُهُ على صِغرِهْ

يا قُرّةَ العيْنِ كنتَ لى سكَناً ◦ فى طولِ ليلى نعَمْ وفى قِصَرِه

شرِبْتَ كأساً أبوك شارِبُها ◦ لابُدّ يوماً له على كِبَرِه

أشرَبُها والأنامُ كُلهُمُ ◦ مَن كان فى بدْوِه وفى حضَرِه

فالحمْـــدُ لله لا شريكَ له ◦ الموتُ فى حُكمِهِ وفى قدَرِه

قد قسمَ الموتَ فى الأنامِ فما ◦ يقدِرُ خلْقٌ يزيد فى عُمُرِه

قال عمر: صدقت يا أعرابى، غير أن الله خيرٌ لك منه!

المنصور وشعر لمطيع حين مات ولده

الشيبانى قال: لما مات جعفر بن أبى جعفر المنصور، اشتدّ عليه حزنه. فلما فرغ من دفنه التفت إلى الربيع فقال: ياربيع، كيف قال مُطيع بن إياس فى يحيى بن زياد؟ فأنشد:

يا هل دواء[1] لِقلبى القرِحِ ◦ وللدّموعِ الذّوارفِ السُّفُحِ

(١) فى بعض الأصول: «يا أهل بكرٍ».

راحوا بيَحْيى ولو تطاوعُنى الـ ۝ أقدارُ لم تبتكِر ولم يَرُح

يا خير من يَحْسُنُ البكاءُ به الـ ۝ يومَ ومن كان أمسَ للمِدَح

قد ظفِر الحزْنُ بالسُّرور وقدْ ۝ أَلَمَّ مكروهُهُ مَنَ الفرح

لأعرابية تندب ابنها

وقالت أعرابية تندب ابنا لها :

٥ أبُنَىَّ غيَّبك المحلُّ المُلْحدُ ۝ إمَّا بعُدْت فأين من لا يبعُد

أنت الذى فى كلِّ مُمْسَى ليلةٍ ۝ تبلَى وحُزنك فى الحشا يتجدَّدُ

وقالت فيه :

لئِن كنت لى لهْواً لعيْنٍ وقرَّةً ۝ لقد صِرْت سُقماً للقلوبِ الصَّحائح

وهوَّنَ حُزنى أنَّ يومك مُدْركى ۝ وأنى غداً من أهلِ تلك الضَّرائحِ

لأبى الخطار فى رثاء ابنه

١٠ وقال أبو الخطَّار يرثى ابنه الخطار :

ألا خبرانى بارك الله فيكما ۝ متى العهدُ بالخطار يا فتيانِ

فتًى لا يرى نَومَ العشاءِ غنيمةً ۝ ولا ينثنى من صوْلةِ الحدثانِ

لجرير يرثى ولده سوادة

وقال جرير يرثى ولده سوادة :

قالوا نصيبَك من أجرٍ فقلتُ لهم ۝ كيف العزاءُ وقد فارقْتُ أشبالى

١٥ ذاكمْ سوادَةُ يجلو مُقْلتَىْ لَحِم ۝ بازٍ يُصرصِرُ فوق المرقَبِ العالى

فارقْتُه حينَ غضَّ الدهرُ من بصرى ۝ وحينَ صِرتُ كعظمِ الرِّمَّةِ البالى

لأبى الشغب فى ابنه

وقال أبو الشغب يرثى ابنه شغبا :

قد كان شَغْبٌ لوَ أنَّ اللهَ عمَّرَهُ ۝ عِزًّا تُزادُ به فى عِزِّها مُضَرُ

ليت الجبالَ تداعت قبلَ مصرَعِه ۝ دكًّا فلم يبقَ من أحجارِها حجَرُ

٢٠ فارقْتُ شغْباً وقد قوَّسْتُ من كِبَرٍ ۝ بِئسَ الخليطانِ طولُ الحزنِ والكِبَرُ

لابن عبد الأعلى فى رثاء أيوب ابن سليمان

ولما توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك فى حياة سليمان ، وكان ولىَّ عهده وأكبرَ ولده ؛ رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصته ، فقال فيه :

ولقد أقولُ لذِى الشَّماتةِ إذ رأى ۝ جزعِى ومن يذُق الحوادِثَ يَجْزَعِ

أَبْشِرْ فقد قَرَعَ الحوادثُ مَرْوَتِى ٭ وٱفرَحْ بمَرْوَتِكَ التى لم تُقْرَعِ
إن عِشْتَ تُفجَعْ بالأحِبَّةِ كلِّهم ٭ أَوْ يُفْجَعوا بك إن بهِمْ لم تُفجَعِ
أيوبُ امَنْ يشمَتْ بموتِكَ لم يُطِقْ ٭ عن نفسِهِ دَفْعاً وهل من مَدْفَعِ ؟

لأب فى رثاء ابنه

الأصمعى عن رجل من الأعراب قال: كنا عشرة إخوة، وكان لنا أخ يقال له حسن. فنُعى إلى أبينا، فبقى سنتين يبكى عليه حتى كُفَّ بصره؛ وقال فيه : ٥

أَفْلَحتُ إن كان لم يَمُتْ حسنُ ٭ وكَفَّ عنى البكاءُ والحزَنُ
بل أَكْذَبَ اللهُ مَن نَعَى حسناً ٭ ليس لتكذيب قولِه ثمَنُ
أَجول فى الدارِ لاأراك وفى الـ ٭ ـدارِ أُناسٌ جوارُهم غَبَنُ
بُدِّلْتُهم منكَ ليتَ أنهمُ ٭ كانوا وبينى وبينهُمْ مُدُن
قد عَلِموا عند ما أُنافِرُهم ٭ ما فى قتالى صَدْعٌ ولا أَبَن ١٠
قد جرَّبونى فما أُلاوِمُهم ٭ ما زال بينى وبينهم إحَنُ
فقد برى الجسمَ مُذْ نُعيتَ لنا ٭ كما بَرَى فرعَ نَبْعةٍ سَفَن
فإن تَعِشْ فالمُنَى حياتُك والـ ٭ ـخُلْدُ وأنتَ الحديث والوَسَن
إنْ تَحْىَ تحيا بخيرِ عيشٍ وإنْ ٭ تَمْضِ فتلك السبيلُ والسُّنَن
يَرِيدُكَ الحمدُ والسلامُ معاً ٭ فكلُّ حىٍّ بالموتِ مُرْتَهن ١٥
ياوَيْحَ نفسى إن كنتَ فى جَدَثٍ ٭ دونَك فيه الترابُ والكفَن
علَىَّ لِلهِ إنْ لقيتُك مِن ٭ قبْلِ المماتِ الصيامُ والبُدُن
أَسُوقُها حافِياً مُجَلَّلَةً ٭ أَدْماً هِجاناً قد كظَّها السِّمَن
فلا نُبالى إذا بَقِيتَ لنا ٭ من ماتَ أو منْ أَوْدى به الزمن
كنتَ خليلى وكنتَ خالِصَتِى ٭ لكلِّ حىٍّ من أهلِه سَكَن ٢٠
لاخيرَ لى فى الحياة بعدَكَ إنْ ٭ أصبحتَ تحتَ الترابِ ياحسنُ

لأعرابى فى رثاء ابنه

وقال أعرابى يرثى ابنه :

ولما دعوْتُ الصبرَ بعدكَ والأسى ٭ أجاب الأسى طوْعاً ولم يُجِبِ الصبرُ

فإن ينقطعْ منكَ الرجاءُ فإنه * سيَبْقَى عليك الحُزْنُ ما بَقِيَ الدهر

وقال أعرابي يرثى ابنه :

بُنَيَّ لئن ضَنَّتْ جُفونٌ بمائها * لقد قرِحتْ منى عليكَ جُفونُ

دَفَنْتُ بكفِّي بعضَ نفسي فأصبحتْ * وللنفس منها دافِنٌ ودَفين

٥ وهذا نظير قولي في طفل أصبت به : — لابن عبد ربه في طفل له

على مِثلِها من فَجْعةٍ خانكَ الصبرُ * فِراقِ حبيبٍ دون أَوْبَتِه الحَشْرُ

ولِي كبِدٌ مشطورةٌ في يَدِ الأسى * فتَحْتَ الثَّرى شَطْرٌ وفوقَ الثرى شَطرُ

يقولون لي صبِّرْ فؤادَكَ بعدَه * فقلت لهم مالي فؤاد ولا صبْر

فُرَيخٌ من الحُمرِ الحواصلِ ما اكتسَى * من الريشِ حتى ضمَّه الموتُ والقبر

١٠ إذا قلت أسْلو عنه هاجَت بَلابِلٌ * يُجدِّدُها فكرٌ يُجددُه ذِكْر

وأنظرُ حولي لا أرى غيرَ قبْرِه * كأنَّ جميعَ الأرضِ عندي له قبْر

أفَرْخَ جِنانِ الخُلْدِ طِرْتَ بمُهْجَتي * وليس سوى قعْرِ الضريح لها وَكْر

وقالت أعرابية ترثى ولدها : — لأعرابية في ولد لها

ياقرحةَ القلبِ والأحشاءِ والكبِدِ * ياليت أُمَّكَ لم تَحْبَلْ ولم تَلِدِ

١٥ لما رأيتُكَ قد أُدرِجت في كفَنٍ * مطيَّباً للمنايا آخِرَ الأبَد

أيقنْتُ بَعدَك أنِّي غيرُ باقيةٍ * وكيفَ يبقى ذِراعٌ زال عن عضُدِ

توفى ابنٌ لأعرابي فبكى عليه حينا ، فلما همّ أن يسلو عنه توفى له ابن آخر ، فقال في ذلك : — لأعرابي في ابنين له

إنْ أُفِقْ من حزَنٍ هاج (١) حَزَنْ * ففؤادى ماله اليوم سَكَنْ

٢٠ وكما تَبْلَى وجوهٌ في الثَّرى (٢) * فكذا يَبْلَى عليهن الحَزن

(١) في بعض الأصول : « جاء » .

(٢) في بعض الأصول : « البلى » .

وقال فى ذلك :

عيون قد بكينك مُوجَعات * أضرَّ بها البكاء وما يَنينا
إذا أنفدْنَ دمعاً بعد دمعٍ * يُراجِعْن الشئون فيَستقينا

أبو عبيد البجَلى قال : وقفت أعرابية على قبر آبن لها يقال له عامر ، فقالت :

أقمتَ أبكيه على قبره * مَن لىَ مِن بعدك يا عامرُ ٥
تركْتنى فى الدار لى وحْشةً[1] * قد ذلَّ مَن ليس له ناصر

وقالت فيه :

هو الصبْر والتسليمُ لله والرضا * إذا نَزلتْ بى خطة لا أشاؤُها
إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفسٍ * كرامٍ رَجت أمراً فخاب رجاؤُها
فأنفُسُنا خير الغنيمة إنها * تئُوب ويبقى ماؤها وحياؤها ١٠
ولا برَّ إلا دون ما برَّ عامر * ولكن نفساً لا يَدوم بقاؤها
هو آبنىَ أمسَى أجرُه لى وعزَّنى * على نفسه رب إليه ولاؤها
فإن أحتسبْ أوجرْ وإن أبكِهِ أكن * كباكيةٍ لم يُحيِ ميتاً بُكاؤها

لهذيلية فى زوج وإخوة وابن

الشيبانى قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام : فهلكوا جميعاً فى الطاعون ؛ وكانت بكراً[2] لم تتزوج ؛ فخطبها ابن عم له فتزوجها . ١٥ فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته ، فنبت نباتاً كأنما يُمد بناصيته وبلغ ، فزوجتْه وأخذتْ فى جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله ، فلم تشقّ لها جيبا ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دُعيت لتوديعه ، فأكبّت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المَسرَّة لا تدومُ * ولا يبقى على الدهر النعيمُ ٢٠
ولا يبقى على الحدَثان غُفْر * بشاهقةٍ له أمٌّ رَءوم

(١) فى بعض الأصول « ذا وحشة » .
(٢) فى بعض الأصول « بنتا » .

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها ، فدفنا جميعا .

لشيبانية فى حزنها على أهلها

خليفة بن خيّاط قال : مارأيت أشدّ كمداً من امرأة من بنى شيبان ، قُتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك الحرورىّ ؛ فما رأيتها قطُّ ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

٥ مَن لقلبٍ شفَّه الحزَنُ * ولنفسٍ مالها سكَنُ

ظعَنَ الأبرارُ فانقلَبوا * خيرُهم من معشرٍ ظعنوا

معْشرٌ قضَوْا نُحُوبَهم * كلُّ ماقد قدموا حسَن

صبَروا عند السُّيوف فلم * ينكِلوا عنها ولا جبُنوا

فِتْيــةٌ باعوا نفوسَهمُ * لا ، وربِّ البيت ماغُبِنوا

١٠ فأَصاب القومُ ماطلبوا * مِنّــة مابعــدها منَن

لابن ثعلبة فى ولد له

وقال عبد الله بن ثعلبة يرثى ولدا له :

أأخضِبُ رأسى أم أطيِّب مَفْرِقى * ورأسُك مرْمُوسٌ وأنت سَليبُ

نَسيبُك مَن أمسَى يُناجيك طرْفه * وليس لمن تحت التراب نسيب

غريبٌ وأطراف البيوت تُكنُّه * ألا كلُّ مَن تحت التراب غريب

للعتبى فى مثله

١٥ قال العتبي محمد بن عبيد الله يرثى ابنا له :

أضحت بخدّى للدموع رُسُومُ * أسَفاً عليك وفى الفؤاد كُلُومُ

والصبرُ يُحمد فى المواطن كلّها * إلا عليــك فإنه مذْموم

لأب فى رثاء ابنه

خرج أعرابىّ هارباً من الطاعون ، فبينما هو سائر إذ لدغته أفعى فمــات ؛ فقال أبوه يرثيه :

٢٠ طاف يَبغى نَجوة * مِن هلاكٍ فهلكْ

والمَنايا رَصــد * للفتى حيث سَلكْ

ليت شعْرى ضَلَّةً * أىُّ شىء قتلك

كلُّ شىء قاتلٌ * حين تلقى أجَلك

لأبى العتاهية فى رثاء الأمين

لما قتل عبد الله المأمون أخاه محمد بن زُبيدة ، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر إلى أبى العتاهية يقول أبياتا على لسانها للمأمون ، فقال :

ألا إنّ ريْب الدهر يُدْنِى ويُبعِدُ ٭ وللدهر أيامٌ تُذَمّ وتُحْمَدُ

أقولُ لريْب الدهر إنْ ذهبتْ يَد ٭ فقــدْ بقيت والحمد لله لى يَد

إذا بقى المأمونُ لى فالرشيد لى ٭ ولى جعفرٌ ، لم يَهلِكا ، ومحمد ٥

وكتبتْ إليه من قوله :

لخيرِ إمامٍ قام من خير معْشر ٭ وأكْرمِ بسَّامٍ على عود منْبَرِ

كتبتُ وعينى تستَهِلُّ دموعها ٭ إليك ابن يعْلى من دموعى[1] ومَحجرى

فُجِعنا بأدنَى الناس منك قرابةً ٭ ومَن زلّ عن كَبِدى فقلَّ تَصَبُّرى

أتى طاهرٌ لا طهَّر اللهُ طاهراً ٭ وما طاهرٌ فى فعْــله بمُطهَّر ١٠

فأبرَزنى مكشوفةَ الوجه حاسراً ٭ وأنْهبَ أموالى وخرّب أدْوُرى

وعزَّ على هارونَ ما قد لقيتُه ٭ وما نابَنى من ناقص الخلْق أعور

فلما نظر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل ، وكتب إليها يسألها القدوم عليه ، فلم تأته فى ذلك الوقت وقبلت منه ما وجّه به إليها ؛ فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها : مَن قائل الأبيات ؟ قالت : أبو العتاهية . قال : وكم أمرت له ؟ ١٥ قالت : عشرين ألف درهم . قال المأمون : وقد أمَرنا له بمثل ذلك . واعتذر إليها من قتل أخيه محمد ، وقال لها : لست صاحبَه ولا قاتله . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن لكما يوما تجتمعان فيه ، وأرجو أن يغفر اللهُ لكما إن شاء الله .

لأبى شأس فى رثاء ابنه

أبو شأس يرثى ابنه شأسا :

وربّيتُ شأساً لرَيب الزمان ٭ فلله تربيــتى والنصَــبْ ٢٠

فليتك يا شأس فيمن بقِى ٭ وكنتُ مكانك فيمن ذهبْ !

---

(١) فى بعض الأصول : « جفونى » .

من رثى إخوته

لمتمم بن نويرة

الرياشيّ قال : صلى مُتمّم بن نُويرة الصبح مع أبي بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه ، ثم أنشد :

نِعم القتيلُ إذا الرِّياح تَناوحتْ ٭ بين[1] البيوت قتَلت يابنَ الأزْوَرِ

٥ أَدعوْته بالله ثم قتلتَــــه ٭ لو هو دعاك بذمَّةٍ لم يغــدِرِ

لا يُضمِر الفحشاءَ تحت ردائِه ٭ حُلوٌ شمــائلُه عفيف المِئْزر

قال : ثم بكى حتى سالت عينه العوراء . قال أبو بكر : ما دعوته ولا قتلته .

وقال متمم :

ومُستضحكٍ منى ادّعى كمصيبتِي ٭ وليس أخو الشجْو الحزينُ بضاحكِ

١٠ يقولُ أتبكى من قبورٍ رأيتَها ٭ لقبرٍ بأطراف اللّوى فالدَّكادك

فقلتُ له إن الأسَى يبعثُ الأسى[2] ٭ فدعْنى فهــذى كلُّها قبر مالك

وقال متمم يرثى أخاه مالكا ، وهى التى تسمّى أمّ المراثى :

لعَمرى وما دهرى بتأبين هالكٍ[3] ٭ ولا جــزعٍ مما ألمَّ فأَوجَعا

لقد غيَّب المنْهال تحت ردائِه ٭ فتًى غير مِبْطان العشيّات أرْوعا

١٥ ولا بَرِما تُهدِى النساءُ لعِرْسـه ٭ إذا القشْع من برد الشتاءِ تقعْقَعا

تَراه كنصْل السيف يَهتزُّ للنَّدى ٭ إذا لم تجد عند آمرئ السُّوءِ مطمعا

فعيْنَىّ هلّا تبكيان لمــالكٍ ٭ إذا هَزّت الرِّيح الـكَنيف المُرفَّعا[4]

وأرملةٍ تدعو بأشْعث مُحْثَــلٍ ٭ كفرْخ الحُبارَى ريشُه قد تمزَّعا

وما كان وقّافا إذا الخيْل أحجمتْ ٭ ولا طالباً من خشيةِ الموت مفزعا

٢ (١) فى بعض الأصول : « تحت » .
(٢) فى بعض الأصول : « يبعث البكا » .
(٣) فى بعض الأصول : « مالك » .
(٤) فى بعض الأصول : « الـكَنيف المزعا » .

ولا بكهامٍ سيفُه عن عدوِّه ٭ إذا هو لاقى حاسِراً أو مقنَّعا
أَبى الصبرُ آياتٍ أراها وإننى ٭ أرى كلَّ حبلٍ بعدَ حبلِك أقْطَعا
وإنى متى ماأَدْعُ باسمِكَ لم تَجبْ ٭ وكنتَ حريًّا أن تُجيبَ وتُسْمِعا
تحيتُه منى وإن كان نائياً ٭ وأمْسَى تُراباً فوقهُ الأرضُ بَلْقَعا
فإن تكنِ الأيامُ فرَّقْنَ بيننا ٭ فقد بان محموداً أخى حين ودَّعا ٥
وعِشْنا بخير فى الحياةِ وقبلَنا ٭ أصابَ المنايا رهْطَ كسرى وتُبَّعا
وكنا كنَدْمانَىْ جَذيمةَ حِقْبةً ٭ من الدهرِ حتى قيل لن يتصدَّعا
فلما تفرَّقْنا كأنى ومالِكاً ٭ لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا
فما شارفٌ حَنَّت حنيناً ورَجَّعتْ ٭ أنيناً فأبكى شَجْوُها البَرْكَ أجْمَعا
ولا وجْدُ[1] أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ ٭ رأَيْنَ مَجَرًّا من حُوارٍ ومَصرَعا ١٠
بأوْجَدَ منى يومَ قام بمالكٍ ٭ منادٍ فصيحٍ بالفِراقِ فأسْمعا
سقى اللهُ أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ ٭ ذهابَ الغَوادى المُدْجِناتِ فأمْرَعا

قيل لعمرو بن بحر الجاحظ: إن الأصمعى كان يسمى هذا الشعر أم المراثى.
فقال: لم يسمع الأصمعى:

أىُّ القلوبِ عليكم ليس ينصدِعُ ٭ وأىُّ نوم[2] عليكم ليس يمتنِعُ ١٥

وقال الأصمعى: لم يبتدئ أحدٌ بمرثية بأحسن من ابتداء أوس بن حجر:

أيتها النفسُ أَجْمِلى جزَعا ٭ إنّ الذى تَحذرينَ قد وقَعا

وبعدها قول زُمَيْل:

أجارَتَنا مَن يجتمعْ يتفرَّقِ ٭ ومَن يَكُ رَهْناً للحوادثِ يَغلَقِ

رثاء أخت النضر له

قال ابن إسحاق صاحب المغازى: لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ٢٠
الصفراء - وقال ابن هشام: الأُثَيْل - أمر عليَّ بن أبى طالب بضرب عنق النضر

(١) فى بعض الأصول «ولا ذات».
(٢) فى بعض الأصول «يوم».

ابن الحارث بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت أخته قُتيلة بنت الحارث ترثيه :

يا راكبا إنّ الاثيلَ مَظِنَّةٌ * من صبح خامسةٍ وأنت موفَّقُ

أبلِغْ بها ميْتًا بأنّ تحيةً * ما إنْ تَزالُ بها النجائبُ تخفِق

٥ مِنّى إليك وعبرةً مسفوحةً * جادت بِواكِفها وأخرى تخنُق

هل يَسمعنّى النضرُ إنْ ناديْتُه * أم كيف يسمعُ ميت لا ينطِق

أمُحمد يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ * من قومِه والفحلُ فحلٌ مُعْرِق

ما كان ضرَّكَ لو مننْت وربما * مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحنَق

فالنضرُ أقربُ مَن أسَرْتَ قرابةً * وأحَقُّهم إن كان عِتْقا يُعتَق

١٠ ظلَّت سيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه * لِلهِ أرحامٌ هنــاك تشقَّق

صبراً يُقادُ إلى المنيَّةِ مُتعَبًا * رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ مُوثَق

قال ابن هشام : قال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشعر : لو بلغنى قبل قتله ما قتلتُه .

عمر بن الخطاب والخنساء فى أخويها

الأصمعى قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب فى وجهها ، ١٥ فقال : ماهذه النُدوب ياخنساء ؟ قالت : من طول البكاء على أخوىّ ! قال لها : أخواك فى النار ! قالت : ذلك أطول لحزنى عليهما ؛ إنى كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكى لهما من النار ، وأنشدت :

وقائلةٍ والنعشُ قد فات خَطْوَها * لتُدْرِكَهُ يا لَهْفَ نفسى على صخْرِ

ألا ثَكِلَتْ أمُّ الذين غدوْا به * إلى القبرِ ماذا يَحمِلون إلى القبر

عائشة والخنساء فى صدار كانت تلبسه

٢٠ دخلت خنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعليها صِدار من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا ياخنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبسته ! قالت : إنّ له معنًى دعانى إلى لباسه ؛ وذلك أنّ أبى زوجنى سيدَ قومه ، وكان رجلا متلافا ، فأسرف فى ماله حتى أنفده ،

ثم رجع فى مالى فأنفده أيضاً ، ثم التفت إلىّ فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر . قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيّرنا فى أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلىّ فقال لى : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ! قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين وخيَّرنا فى أفضل الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم ٥ مالك حتى تخيِّرهم بين الشطرين ؟ فقال :

والله لا أمنحُها شِرارها ٭ فلو هلَكْت قدَّدتْ خِمارَها

واتخذَتْ من شَعَرٍ صِدارَها ٭ وهى حَصانٌ قد كفَتْنِى عارَها

فآليت ألاّ يفارق الصدار جسدى ما بقيت .

للخنساء فى أخويها

قيل للخنساء : صِفِى لنا أخويك صخراً ومعاوية . فقالت : كان صخر والله ١٠ جنة الزمان الأغبر ، وذعاف الخميس الأحمر . وكان والله معاوية القائل والفاعل . قيل لها : فأيهما كان أسنى وأفخر ، قالت : أما صخر فحَرّ الشتاء ، وأما معاوِية فبرد الهواء . قيل لها : فأيهما أوجع وأفجع . قالت : أما صخر فجَمرُ الكبد ، وأما معاوية فسقام الجسد ! وأنشأت :

أسدان مُحْمَرَّا المخالبِ نَجدةً ٭ بَحران فى الزَّمنِ الغضوبِ الأنمر ١٥

قمران فى النادى ، رفيعَا مَحْتِدٍ ٭ فى المجدِ فرْعا سُوددٍ مُتخيَّرِ

وقالت الخنساء ترثى أخاها صخر بن الشريد :

أقذًى بعينِكِ أم بالعيْن عُوّارُ ٭ أم أقفرت[1] إذ خلَت من أهلها الدّار

كأنّ دمعى لذكراه[2] إذا خطَرتْ ٭ فيْضٌ يسيل على الخدَّيْن مدْرارُ

فالعينُ تبكى على صخرٍ وحُقّ لها ٭ ودونَه من جديد الأرض أستارُ ٢٠

بُكاءَ والهــة ضَلّت أليفَهــا ٭ لها حَنينان إصغارٌ وإكبارُ

(١) فى بعض الأصول : « ذرفت » .

(٢) فى بعض الأصول : « من ذكرى » .

تَرعى إذا نسيتْ[1] حتى إذا آدّكرتْ * فإنما هى إقبـالٌ وإدْبارُ
وإنّ صخراً لتـأتمُّ الهُـداةُ به * كأنه عـلَمٌ فى رأسه نارُ
حامى الحقيقةِ ، محمودُ الخليقةِ ، مَهـدىُّ الطريقةِ ، نفّـاعٌ وضرّارُ

وقالت أيضاً :

٥ ألَا ما لعيْنى ، ألَا مالهـا * لقد أخضَلَ الدّمعُ سِرْبالَها
أمنْ بعد صخرٍ منَ آلِ الشريـد حَلَّت به الأرض أثقالَها
فآليْتُ آسَى على هـالكٍ * وأسأل باكيةً مالَها
وهَمّتْ بنفسىَ كلُّ الهموم * فأوْلى لنفسى أوْلى لها
سأحملُ نفْسى عل خطة[2] * فإمّا عليهـا وإمّا لها

١٠ وقالت أيضاً :

أعيْنىَّ جودَا ولا تجمُدا * ألا تَبكيان لصخْر النّدى ؟
ألا تَبكيان الجرىءَ الجوَاد * ألا تبكيان الفتى السّيِّدا ؟
طويلَ النِّجَاد رفيع العِما * د ، سادَ عشيرتَه أمْرَدا
يُحمِّـلُه القوم ماغالَهمْ * وإن كان أصغرَهُمْ موْلِدا
١٥ جَموعُ الضُّيوف إلى بابه * يَرى أفضل الكسْب أن يُحمَدا

وقالت أيضاً :

فما أدركَت كفُّ امرئٍ مُتناولٍ * من المجدِ إلّا والذى نِلتَ أطولُ
وما بلَغ المُهْدون للمدْح غايةً * ولا جهَدوا إلّا الذى فيك أفضلُ
وماالغيْث فى جعْدِ الـثَّرى دَمثِ الرُّبا * تَبعَّق فيهـا الوابلُ المُتهلِّل
٢٠ فأفضلَ سيْبا من يديْك ونعمةً * تجودُ بها ، بل سَيْبُ كفّيْك أجزلُ
من القوُم مغْشِىُّ الرواق كأنه * إذا سِيم ضيْما خادرٌ مُتبسِّلُ

---

(١) فى بعض الأصول : « ترتع ما غفلت » .
(٢) فى بعض الأصول : « لأحمل نفسى على حالة » .

شَرَنبثُ أطرافِ البَنانِ ضُبارمٍ ٭ له فى عرين الغيل عِرْسٌ وأشبُلُ

لأخت الوليد ابن طريف فى رثائه

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثى أخاها الوليد بن طريف :

أيا شجر الخابورِ مالكَ مُورقاً ٭ كأنك لم تجزعْ على ابن طريف

فتى لا يُريد العزَّ إلّا مِنَ التقى ٭ ولا المالَ إلّا مِنْ قَناً وسيوفِ

ولا الذُّخر إلا كلَّ جرداءَ صِلْدِمٍ ٭ وكلَّ رقيق الشّفرتين حليف ٥

فقدْناه فِقْدانَ الرَّبيع فليتَنا ٭ فدَيْناه من ساداتِنا بألوف

خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ٭ وليس على أعدائه بخفيفِ

عليك سـلامُ الله وقْفاً فإننى ٭ أرى الموْتَ وقّاعاً بكلِّ شَرِيف

لآخر فى رثاء أخيه

وقال آخر يرثى أخاه :

أخٌ طالما سرنى ذكرُه ٭ فقد صرْتُ أشجى إلى ذِكرهِ ١٠

وقد كنت أغدو إلى قَصرِه ٭ فقد صرتُ أغدو إلى قبرِه

وكنت أرانى غنيًّا به ٭ عن الناس لو مُدَّ فى عُمرِه

وكنت إذا جئتُه زائراً ٭ فأمرى يَجوز على أمره

وقالت الخنساء ترثى أخاها صخراً :

بكتْ عينى وعاوَدَها قَذاها ٭ بعُوّار فما تَقضى كَراها ١٥

على صخرٍ وأىُّ فتى كصَخرٍ ٭ إذا ما الناب لم تَرْ أمَّ طَلاها

حلفتُ بربِّ صُهْبٍ مُعْمَلات ٭ إلى البيت المحرَّم مُنتهاها

لئن جَزعت بنو عمرو عليه ٭ لقد رُزِئت بنو عمرو فتاها

له كفٌّ يشُدُّ بها وكفٌّ ٭ تجود فما يَجفُّ ثرى نداها

ترى الشُّمَّ الغطارف من سُليم ٭ وقد بلّت مدامعها لِحاها ٢٠

أحاميَكم ومُطعمَكم تركتم ٭ لدى غبراء مُنْهدم رَجاها

فمن للضيف إن هبَّت شمالٌ ٭ مُزعزعة تُناوِحها صَباها

وألجأ بَرْدُها الأشوال حُدْباً ٭ إلى الحُجرات بادية كُلاها

هنالك لو نزلتَ بباب صخر * قَرَى الأضياف شحما من ذُراها
وخيْل قد دَلفتَ لها بخيْلٍ * فدارت بين كبشيها رحاها
تكفكف فضل سابغة دِلاصٍ * على خَيْفانة خَفِقٍ حشاها

لكعب فى أبى المغوار

وقال كعب يرثى أخاه أبا المغوار :

٥ تقول سُليمى : ما لجسمك شاحباً * كأنك يَحميك الطعام[1] طبيبُ
فقلت : شجونٌ[2] من خُطوبٍ تتابعتْ * علىَّ كِبارٍ والزمانُ يُريبُ
لعَمْرى لئنْ كانت أصابت مَنيَّةٌ * أخى ، فالمنايا للرِّجال شَعوبُ
فإنى لباكِيهِ ، وإنى لصادقٌ * عليه ، وبعض القائلين كذُوبُ
أخى ما أخى ! لا فاحشٌ عند بيْته * ولا ورعٌ عند اللِّقاءِ هَيوبُ
١٠ أخٌ كان يكفينى وكان يُعينُنى * على نائباتِ الدَّهر حين تنوبُ
هو العسلُ الماذِىُّ لِينا وشِيمةً * وليثٌ إذا لاقى الرجالَ قَطوبُ
هوتْ أُمُّه ما يَبعثُ الصبحُ غادياً * وماذا يؤدِّى الليلُ حين يؤوب
كعالِيَةِ الرُّمحِ الرُّدَيْنِىِّ لم يكن * إذا ابتدَرَ الخيرَ الرجالُ يَخيب
وداعٍ دعا يا من يُجيبُ إلى الندى * فلم يستجبْه عند ذاك مُجيب
١٥ فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوتَ ثانياً * لعلَّ أبا المِغوارِ منك قريب
يُجبْك كما قد كانَ يفعلُ إنه * بأمثالِه رحْبُ الذِّراع أرِيب
وحدَّثْتُماني أنما الموتُ فى القُرى * فكيف وهذِى هَضبةٌ وكَثيب
فلو كانت الموْتى تُباعُ اشتريْتُه * بما لم تكن عنه النفوسُ تَطِيب
بعينَىَّ أو يُمْنَى يدىَّ وخِلْتُنى * أنا الغانمَ الجَذْلانَ حين يؤوب
٢٠ لقد أفسدَ الموتُ الحياةَ وقد أتى * على يومِه علْقٌ إلىَّ حبيب
أتى دون حُلوِ العيشِ حتى أمَرَّهُ * خُطوبٌ على آثارهن نُكوب

---

(١) فى بعض الاصول : « الشراب ».
(٢) فى بعض الاصول : « نحول ».

فوالله لا أنساهُ ماذَرَّ شارقٌ * وما اهتزَّ بى فرْعُ الأراك قضيب
فإن تكن الأيامُ أحسنَّ مرةً * إلىَّ لقد عادت لهن ذُنوب

لامرئ القيس يرثى اخوته

وقال امرؤ القيس يرثى إخوته :

ألا يا عينُ جودى لى شنينا * وبكّى للملوكِ الذاهبينا
ملوكٌ من بنى صخر بن عمرو * يُقادون العشيَّة يُقتلونا ٥
فلم تُغسَلْ رءوسُهم بسِدْرٍ * ولكنْ فى الدماء مُزَمَّلينا
فلو فى يومِ معركةٍ أُصيبوا * ولكنْ فى دِيارِ بنى مَرينا

للأبيرد فى رثاء أخيه بريد

وقال الأُبيْردُ بن المعذَّر الرِّياحى يرثى أخاه بُرَيْداً :

تَطاولَ ليلى لم أنَمه تقلُّبا * كأن فِراشى حال من دونه الجمرُ
أراقب من ليل التمام نجومَه * لَدُنْ غاب قَرْنُ الشمس حتى بدا الفجر ١٠
تذكُّرَ عِلقٍ بان منّا بنصره * ونائله ياحبَّذا ذلك الذِّكر
فإن تكن الأيام فرّقن بيننا * فقد عذرتنا فى صحابته العُذر
وكنت أرى هجراً فراقك ساعةً * ألَا لا بل الموتُ التفرُّقُ والهجر
أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ لاقيًا * بُرَيْداً طَوال الدهر مالألأ العُفر
فتًى ليس كالفتيان إلا خيارهم * من القوم جَزْلٌ لا ذليلٌ ولا غُمر ١٥
فتى إن هو استغنى تخرَّق فى الغنى * وإن كان فقرٌ لم يَؤدْ مَتْنَه الفقر
وسامى جسيمات الأمور فنالها * على العسر حتى يُدرك العسرة اليُسر
ترى القوم فى العزّاء ينتظرونه * إذا شتّ رأى القوم أو حَزَبَ الأمر
فليتك كنت الحىَّ فى الناس باقياً * وكنتُ أنا الميتَ الذى ضمَّه القبر
فتى يشترى حُسْنَ الثناء بماله * إذا السَّنَةُ الشهباء قلَّ بها القطر ٢٠
كأنْ لم يُصاحبْنا بُرَيْدٌ بغبطة * ولم تأتنا يوماً بأخباره البُشر
لعمرى لنعم المرء عالَى نعيَّه * لنا ابنُ عَرين بعد ماجَنَح العصر
تمضّت به الأخبار حتى تغلغلت * ولم تَثْنِه الأطباعُ عنا ولا الجُدْر

فلمـــا نعى الناعى بُريداً تغوَّلت * بى الأرضُ فرطَ الحُزن وانقطع الظهر
عساكرُ تغشَى النفسَ حتى كأننى * أخو نشوة دارت بهـامته الخمر
إلى الله أشكو فى بُريد مُصيبتى * وبَثِّى وأحزانا يجيش بها الصدر
وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى * من الأجر لى فيه وإن سرَّنى الأجر
٥ وما زال فى عينىّ بعدُ غِشاوةٌ * وسَمعىَ عما كنت أسمعه وَقْر
على أننى أقنى الحيـاء وأتّقى * شمـاتة أقـدام عيونُهمُ خُـزْر
فحيّاك عنى الليلُ والصبحُ إذ بدا * وهُوجٌ من الأرواح غُدْوتها شهر
سقى جدثا لو أستطيع سقيتُه * بأُودَ فرواه الرواعــد والقطر
ولا زال يُسْقَى من بلادٍ ثوى بها * نباتٌ إذا صاب الربيعُ بها نضر
١٠ حلفتُ برب الرافعين أكفَّهم * وربِّ الهدايا حيث حلّ بها النحر
ومُجتمع الحُجاج حيث توافقت * رفاقٌ من الآفاق تكبيرها جأْر
يمين امرئ آلَى وليس بكاذب * وما فى يمــين بتّها صادقٌ وِزْر
لئن كان أمسَى ابنُ المعذَّر قد ثوَى * بُريدٌ لَنِعْمَ المـــرءُ غيّبهُ القبر
هو المرءُ للمعروفِ والدين والنَّدى * ومِسعَرُ حرب لا كهامٌ ولا غُمر
١٥ أقام ونادى أهــلُهُ فتحمَّـــلوا * وصُرِّمت الأسبابُ واختلفَ النَّجْر
فأىَّ امرئٍ غادرتُمُ فى بُيوتِكم * إذا هى أمستْ لونُ آفاقِها حُمْر
إذا الشولُ أمست وهى حُدْبٌ ظُهورها * عِجافا ولم يُسمعْ لفحلٍ لها هَدْر
كثيرُ رَمادِ القِـــدْرِ يغشَى فِناؤه * إذا نودِىَ الأيسارُ واحتُضِرَ الجُزْر
فتى كان يَغلِى اللحمَ نِيئاً ولحمُه * رخيصٌ بكفَّيه إذا تنزلُ القِدْرُ
٢٠ يُقسِّمُه حتى يَشيعَ ولم يكن * كآخرَ يُضحِى من غَبيبتِه ذُخْر
وفى الحىِّ والأضيافَ إن رَوَّحتُهم * بليلٍ وزادُ السَّفرِ إنْ أرْمَلَ السَّفْر
إذا أجهَدَ القومُ المَطِىَّ وأدرجتْ * من الضُمْرِ حتى يبلُغ الحَقَبَ الضَّفْر
وخَفتْ بقايا زادِهمْ وتواكَلوا * وأكسفَ بالَ القومِ مجهولةٌ قَفْر

رأيت له فضـــلاً عليهم بقوّةٍ ＊ وبالعَقْرِ لمـا كان زادَهم العَقْر
إذا القومُ أسْروْا ليلهُمْ ثم أصبحوا ＊ غدَا وهو ما فيـه سِقلط ولا فَترُ
وإن خشَعت أبصارُهُم وتضاءلت ＊ مِن الأينِ جلّى مثل ما ينظرُ الصَّقْرُ
وإن جارةٌ حلّت إليه وفى لهـا ＊ فباتت ولم يُهتَـك لجارتِه سِـتْرُ
عفيفٌ عنِ السَّوْءاتِ ما التبسَت به ＊ صليبٌ فـا يُلفَى بعُودٍ له كسْرُ ٥
سلَكْت سـبيلَ العالمينَ فما لهم ＊ وراءَ الذى لاقيْتَ معْدًى ولا قصْرُ
وكلُّ آمرِئٍ يوماً مُـلاقٍ حِمامهُ ＊ وإن باتت الدَّعوَى وطال به العُمْرُ
وأبلَيْت خيراً فى الحيـــاةِ وإنَّمـا ＊ ثوابُكَ عِندى اليومَ أن يَنطِقَ الشِّعرُ
ليفْـدِيك موْلًى أو أخٌ ذو ذِمامةٍ ＊ قليـل الغناءِ لا عطاءٌ ولا نصرُ

لشبل بن معبد البجلى : ١٠

لشبل بن معبد البجلى

أَبَى دونَ حُلْوِ العيشِ حتى أمَرَّهُ ＊ نُكوبٌ على آثارِهنَّ نُكوبُ
تتابعْنَ فى الأحبابِ حتى أبَدْنَهم ＊ فلم يبقَ منهم فى الدِّيار قريبُ
بَرَتْنى صروفُ الدهرِ من كلِّ جانبٍ ＊ كما ينبرى دون اللِّحاءِ عسيبُ
فأَصبحتُ إلا رحمةَ اللهِ مُفرداً ＊ لَدَى الناسِ صبراً والفؤادُ كئيبُ
إذا ذَرّ قرنُ الشمسِ عُلِّلتُ بالأسى ＊ ويأوى إلىَّ الحزنُ حين يؤوبُ ١٥
ونامَ خلِىُّ البـالِ عنّى ولم أنَمْ ＊ كما لم ينَمْ عارى الفِنـاء غريبُ
تضُرُّ به الأيامُ حتى كأنّهُ ＊ بطولِ الذى أعقَبْن وهو رقوبُ
فقلتُ لأصحابى وقد قذَفت بنـا ＊ نَوى غُربةٍ عمّنْ نُحبُّ شَـطوبُ
متى العهـدُ بالأهـلِ الذين تَركتُهُم ＊ لهم فى فؤادى بالعِراقِ نصيبُ
فـا تَرك الطاعونُ من ذى قرابَة ＊ إليه إذا حانَ الإيابُ تؤوبُ ٢٠
فقد أصبَحوا لا دارُهُم منك غُربةٌ ＊ بعيـــدٌ ، ولا هُم فى الحياةِ قريبُ
وكنت تُرجّى أن تئوب إليهمُ ＊ فعالتْهُمُ من دون ذاك شَعوبُ
مقاديرُ لا يُغفِلْن مَن حان يومُه ＊ لهُنَّ على كلِّ النفوسِ رقيبُ.

سقَيْنَ بكأسِ الموتِ من حان حينُه * وفى الحىّ مِن أنفاسِهنَّ ذنوبُ
وإنا وإيّاهم كواردِ منهلٍ * على حوضِه بالباليات نهيبُ
إليه تناهَيْنا ولو حال دونهُ * مِياه رواء كُلُّهنّ شَروبُ
فهوَّن عنّى بعض وَجْدِىَ أنّنى * رأيت المنايا تغْتدِى وتؤوبُ
٥ ولسنا بأحيا منهُمُ غير أنّنا * إلى أجلٍ نُدعى له فنُجيبُ
وإنى إذا ما شئْت لا قيْت أُسوةً * تكادُ لها نفسُ الحزين تطيبُ
فتًى كان ذا أهلٍ ومالٍ فلم يَزلْ * به الدهرُ حتى صار وهو حريبُ
وكيف عزاء المرء عن أهلِ بيته * وليس له فى الغابرينَ حبيبُ
متى يُذكَروا يفرحْ فؤادى لذِكْرِهم * وتَنسُجْم دموع بينهن نَحِيبُ
١٠ دموعٌ مراها الشَّجْو حتى كأنها * جداولُ تجرى بينهُنَّ غُروبُ
إذا ما أردتُ الصبْرَ هاج لى البكا * فؤادٌ إلى أهلِ القبورِ طَروبُ
بكى شجْوَه ثم ارْعوَى بعد عوْله * كما واترتْ بين الحنينِ سلُوب
دعاها الهوى من سَبْقِها فهْىَ والِه * ورُدَّت إلىَّ الآن فهْى تحوّبُ
فوجْدى بأهلى وجدُها غيرَ أنهم * شبابٌ يَزينون النَّدى ومشِيبُ

١٥ من رثت زوجها

لأسماء فى الزبير — قالت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين رضى الله عنها ترثى زوجها الزبير بن العوام، وكان قتله عمرو بن جُرموز المجاشعى بوادى السِّباع وهو مُنصرف من وقعة الجمل وتروى هذه الأبيات لزوجته عاتكة التى تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

غدَر آبن جُرموزٍ بفارِس بُهْمة * يوم الهياج وكان غير مُعرِّدِ
٢٠ يا عمرُو لو نبَّهْتَه لوجدْتَه * لا طائشاً رعِش الجنانِ ولا اليدِ
ثكِلَتك أُمك إن قتلت لمُسلِماً * حلَّت عليك عقوبةُ المُتعمِّدِ

لبانة زوجة الأمين ترثيه — الهلالى قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لُبانة بنت علىّ بن ريطة، وكانت

من أجمل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبن بها ، فقالت ترثيه :

أبكيك لا للنَّعيم والأُنسِ ◦ بل لِلمعالى والرُّمح والفرس
يا فارساً بالعراء مُطَّرحاً ◦ خانته قُوّادُه مع الحرسِ
أبكى على سيِّدٍ فُجعت به ◦ أرمَلَنى قبل ليلةِ العُرسِ
أم مَن لِبِرٍّ أم مَن لعائدةٍ ◦ أم مَن لِذكرِ الإله فى الغلَسِ
مَن للحُروبِ التى تكون لها ◦ إن أُضرِمت نارها بلا قبَسِ

٥

لأعرابية فى زوجها

وقالت أعرابية ترثى زوجها :

كنَّا كغصنينِ فى جُرثومةٍ بَسقا ◦ حيناً على خيرِ ما يَنْمى به الشجر
حتى إذا قيل قد طالت فروعهُما ◦ وطاب قِنْواهما وآستُنظِر الثَّمَر
أخنى على واحدٍ رَيْبُ الزَّمانِ وما ◦ يُبقى الزَّمان على شىءٍ ولا يَذَر
كنَّا كأنجمِ ليـــلٍ بينها قمَرٌ ◦ يَجلو الدُّجى فهوَى من بيننا القمر

١٠

الأصمعى وجارية على قبر زوجها

الأصمعىّ قال : دخلتُ بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلى والحلل مالم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى ؛ فالتفت إلى صاحبى فقلت : هل رأيت أعجب من هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبنى أراه ! ثم قلت لها : ياهذه إنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن . فأنشأت تقول :

١٥

فإن تسألانى فيمَ حُزنى فإننى ◦ رهينةُ هـذا القبر يا فتيانِ
وإنى لأستحييه والتُّربُ بيننا ◦ كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابُك إجلالا وإن كنت فى الثرى ◦ مخافةَ يومٍ أن يسوءك شانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

٢٠

ياصاحبَ القبر يامَن كان ينعمُ بى ◦ بالا ويُكثِر فى الدُّنيا مُواساتى
قد زُرْت قبرك فى حَلْى وفى حُللٍ ◦ كأننى لستُ مِن أهلِ المُصيباتِ
أردتُ آتيك فيما كنتُ أعرفُه ◦ أن قد تسرُّ به من بعضِ هيْآتى

فَمَنْ رآنى رأى عـبْرى مولَّهةً ٭ عجيبـةَ الزِّىِّ تبكى بين أمواتِ

هو وجارية أخرى

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهى تبكى وتقول :

خدِّى يقيك خُشونةَ اللَّحدِ ٭ وقليلةٌ لك سـيِّدى خدِّى

يا ساكِنَ القبرِ الذى بوفاته ٭ عميَتْ علىَّ مسالِكُ الرُّشْدِ

٥ اسمعْ أَبُثُّك عِلَّتى ولعلَّنى ٭ أُطفى بذلكَ حُرقةَ الوجدِ

من رثى جاريته

كان لمعلَّى الطائى جارية يقال لهـا وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرنى محمد بن وضّاح ، قال : أدركتُ معلَّى الطائى بمصر وأُعطى بجاريته وصف أربعة آلاف دينار ، فباعها ؛ فلمـا دخل عليها قالت له : بعتنى يا معلَّى ! قال : نعم . ١٠ قالت : والله لو ملكتُ منك مثل ما تملك منى ما بعتك بالدنيا وما فيهـا ! فردّ الدنانير واستقال صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ؛ فقال يرثيها :

ياموت كيف سلبْتنى وصفا ٭ قدَّمْتهـا وتركـتنى خلفا

هلَّا ذهبْتَ بنا معاً ولقد ٭ ظفِرَتْ يداكَ فسُمْتنى خسْفا

وأخذتَ شِقَّ النفسِ من بَدنى ٭ فقبَرْتَه وتركْتَ لى النِّصْفا

١٥ فعليْك بالباقى بلا أجـلٍ ٭ فالموْتُ بعـد وفاتِهـا أَعْفَى

يا موتُ ما أبقيْتَ لى أحداً ٭ لمَّا رفعتَ إلى البِلَى وصْفا

هلَّا رحِمْت شـبابَ غانيةٍ ٭ ريَّا العِظامِ وشعرَها الوحْفا

ورحِمْت عيْنَىْ ظبيةٍ جعلتْ ٭ بين الرِّياض تُناظِر الخِشْفا

تَعفو إذا انتَصبتْ فرائصه ٭ وتظَـل ترعاهُ إذا أغْفى

٢٠ فإذا مشَى اختلَفت قوائمُه ٭ وقت الرضاع فينطوى ضعْفا

مُتحيِّرًا فى المشْى مُرتعِشاً ٭ يَخطو فيضربُ ظِلْفُه الظِّلفا

فكأنها وصفٌ إذا جعلتْ ٭ نحوى تحيرُ محاجراً وُطْفا

يا موت أنت كذا لكلِّ أخى ٭ إلفٍ يصون ببرِّه الإلْفا
خلَّيتنى فرداً وبنتَ بها ٭ ما كنتُ قبلَك حاملاً وكْفا
فتركْنها بالرغم فى جدَثٍ ٭ للرِّيح تنسف تُرْبَه نَسْفا
دون المُقطَّم لا أُلبِّسها ٭ من زينةٍ قُرْطا ولا شنْفا
أسكنْتها فى قعْر مُظلِمةٍ ٭ بيتاً يُصافِح تُرْبُه السَّقْفا ٥
بيتاً إذا ما زاره أحدٌ ٭ عصفتْ به أيْدى البِلى عصْفا
لا نلتقى أبدا مُعاينةً ٭ حتى نقوم لربِّنا صفَّا
لبستْ ثياب الحتْف جاريةٌ ٭ قد كنتُ ألبِس دونَها الحتْفا
فكأنها والنفُس زاهقةٌ ٭ غصنٌ من الرَّيحان قد جفَّا
يا قبرُ أبق على محاسنِها ٭ فلقد حويْتَ البِر والظَّرْفا ١٠

مروان بن محمد وجارية له خلفها بالرملة

لما هُزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له خلفها بالرملة :

وما زال يدعونى إلى الصدِّ ما أرى ٭ فآبىٰ ويثنينى الذى لكِ فى صدرى
وكان عزيزا أن تبينى وبيننا ٭ حجابٌ فقد أمسيْت منكِ على عشر
وأنْكاهما للقلب والله فاْعلمى ٭ إذا آزددتُ مثليْها فصرْتُ على شهر ١٥
وأعظم من هٰذين والله أننى ٭ أخاف بألّا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مُستبقياً فيْض عبْرةٍ ٭ ولا طالباً بالصبر عاقبةَ الصبر

لأبى نواس يرثى جارية

وجدوا على قبر جاريةٍ إلى جنب قبر أبى نواس أبياتا ، ذكروا أن أبا نواس قالها ، وهى :

أقولُ لِقبر زرتُه مُتلثِّماً ٭ سقى الله برد العفوِ صاحبة القبرِ ٢٠
لقد غيَّبوا تحت الثرى قَمرَ الدجى ٭ وشمسَ الضُّحى بين الصَّفائح والعفْر
عجبتُ لعينٍ بعْدها ملَّتِ البُكا ٭ وقلبٍ عليها يَرتجى راحة الصبْر

لحبيب فى مثله

وقال حبيب الطائى يرثى جارية أصيب بها:

جُفوفَ البِلى أسرَعتْ فى الغُصُن الرطْبِ
وخطْبَ الرَّدى والموت أبْرحْتَ من خطْبِ
لقد شرِقتْ فى الشرق بالموت غادةٌ * تبدَّلتُ منها غُرْبَةَ الدار فى القرب
٥ وألبسَنى ثوباً من الحُزن والأسى * هلالٌ عليه نسْج ثوبٍ من التُّرب
وكنتُ أُرجِّى القرْب وهْى بعيدة * فقد نُقلتْ بعدى عن البعد والقرب
أقول وقد قالوا آستراحت لموتِها
من الكرب روح الموت شرٌّ من الكرْب
لها منزلٌ تحت الثَّرى وعهدْتها * لها منزلٌ بين الجوانح والقلب

١٠ وقال يرثيها:

ألم تَرَنى خلَّيْتُ نفسى وشأنَها * ولم أحفل[1] الدنيا ولا حدثانَها
لقد خوَّفتْنى النائبات صروفَها * ولو أمَّنتْنى ما قبلْت أمانها
وكيف على نار الليالى مُعرِّس * إذا كان شيْب العارضيْن دُخانها
أُصبْت بخوْدٍ سوْف أغْبر بعدها * حليف أسًى أبكى زماناً زمانها
١٥ عِنان من اللّذات قد كان فى يدى * فلما قضى الإلْف آستردّت عنانها
منحْت المَها هجرى فلا مُحسِناتها * أُريد ولا يَهوَى فؤادى حسانها
يقولون هل يبكى الفتَى لخريدةٍ * إذا ما أراد آعتاضَ عشراً مكانها
وهل يستعيضُ المرءُ من خَمْسِ كفِّه * ولو صاغ من حُرِّ اللُّجيْن بَنانها

لأعرابى يرثى امرأته

وقال أعرابى يرثى امرأته:

٢٠ فوآلله ما أدرى إذا الليل جنَّنى * وذكرتها أيُّنا هو أوجعُ
أمُنْفصل عنه ثرى أم كريمة * أم العاشقُ النابِى به كلُّ مضجَع

(١) فى بعض الأصول: « ولم أشتك ».

الوراق يرثى جارية

وقال محمود الورّاق يرثى جاريته نشو :

وَمُنتَصِح يُردِّد ذكر نشوٍ * على عمْدٍ ليَبعث لى آكتئابا
أقول ـ وعَدَّ ـ ماكانت تساوى * سيَحسب ذاك مَن خلَق الحسابا
عطيَّتُـه إذا أَعطى سرورٌ * وإن أَخذ الذى أَعطى أثابا
فأَىُّ النِّعمتين أعمّ نفْعاً * وأحسَنُ فى عواقبها إيابا ٥
أنعْمته التى أهدت سروراً * أم الأخرى التى أهدتْ ثوابا
بل الأخرى وإن نَزلتْ بحزْنٍ * أحقُّ بشكر مَن صبَر آحتسابا

محب وجارية له ماتت

أبو جعفر البغدادى قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ؛ فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية فى نومه فأنشدتْه هذه الأبيات . ١٠

جاءت تَزور وسادى بعد ما دُفنتْ * فى النوم ألثِم خداً زانَه الجِيدُ
فقلت قُرة عيْنِى قد نُعيت لنا * فكيف ذا وطريق القبر مسْدود
قالت هناك عظامى فيه مُلحَدةٌ * تنهَش منها هوامّ الأرض والدود
وهذه النفْس قد جاءتْك زائرةً * فآقبل زيارةَ مَن فى القبر ملْحود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدّث الناس بذلك وينشدهم . فما بقِى بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها . ١٥

من رثى ابنة

البحترى فى ابنة الحميدى

قال البحترى فى ابنة لأحد بنى حميد :

ظَلم الدهرُ فيكمُ وأساء * فعزاءً بنى حُميْـدٍ عزاء
أنفُسٌ ماتَزال تفقدُ فقداً * وصُدورٌ ما تبرح البُرَحاء ٢٠
أصبح السيفُ داءكم وهو الدا * ءُ الذى مايَزال يُعيِى الدواء
وآنتحَى القتْلُ فيكم فبكيْنا * بدماء الدموع تلك الدّماء

يا أبا القاسم المقسَّمَ فى النَّجْـــدةِ والُجود والنَّدى أجْزاء
والهِزَبْرَ الذى دارت الحرْ ٭ بُ بهِ صرْفَ الرَّدى كيفَ شاء
الأسى واجبٌ على الُحرِّ إما ٭ نيَّـــةً حُرَّة وإما رياء
وسَفاهٌ أن يجزَع الُحرّ مما ٭ كان حتْماً على العباد قضاء
٥ أنُبكِّى مَن لا يُنازِل بالسيـــف مُشِيحاً ولا يَهزُّ اللِّواء
والفتَى من رأى[1] القبورَ لمن طا ٭ فَ به من بناتِه الأكْفاء
ليس من زينة الحياة كعدِّ ٭ الله منها الأموالَ والأبناء
قد وَلدْن الأعداء قِدْماً وورّثْـــنَ التِّلاد الأقاصىَ البُعداء
لم يئدْ تِرْبَهنّ[2] قيسُ تميمٍ ٭ علّةً بل حَميَّـــةً وإباء
١٠ وتغشَّى مُهلهلَ الذلُّ فيــــهنّ وقد أُعطىَ الأديمَ حِباء
وشقيقُ بن فاتكٍ حذَرَ العا ٭ رِ عليهنّ فارَق الدَّهناء
وعلى غيرهنّ أحْزنَ يعقو ٭ بَ وقد جاءه بنُوه عِشاء
وشُعيبٌ من أجلهنّ رأى الوحْـــدةَ ضَعْفاً فٱستأجر الأنبياء
وتلفّت إلى القبائل فٱنظرْ ٭ أمّهاتٍ ينسبْن أمْ آباء
١٥ وٱستزلَّ الشيطانُ آدمَ فى الجنَّـــة لمَّا أغرى به حوّاء
ولَعَمرى ما العجزُ عندىَ إلا ٭ أن تَبيت الرجال تبكى النساء

مراثى الأشراف

قال حسّان بن ثابت يرثى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، رضوان الله عليهم:

لحسان يرثى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر

٢٠ ثلاثة برزوا بسبْقهمُ ٭ نضَّرهُم ربُّهم إذا نشرُوا

(١) فى بعض الأصول: «لا يرى».
(٢) فى بعض الأصول: «كثرهن».

عاشوا بلا فُرقةٍ حياتَهُمُ * وآجتمعوا فى المماتِ إذ قبِروا

فليس من مسلمٍ له بَصَرٌ * يُنكِرُهم فضلَهم إذا ذُكروا

وله فى رثاء أبى بكر

وقال حسان يرثى أبا بكر رضى الله عنه :

إذا تذكَّرْتُ شجْواً من أخى ثقة * فاذكُر أخاكَ أبا بكر بما فعلا

خيرَ البريّةِ أتقاها وأعدَلها * بعدَ النبىِّ وأوفاها بما حَملا

الثانى آثنينِ والمحمودَ مشهَدُه * وأولَ الناسِ طُرًّا صدّقَ الرُّسُلا

وكان حِبَّ رسولِ اللهِ قد علموا * من البريةِ لم يَعدِلْ به رجُلا

وقال [1] يرثى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركَت * يدُ اللهِ فى ذاكَ الأديمِ المُمزَّقِ

فمن يَجرِ أو يركبْ جَناحَىْ نعامةٍ * لِيدركَ ما قدمْتَ بالأمسِ يُسبَقِ ١٠

قضيْتَ أموراً ثم غادرْتَ بعدها * نوافِجَ فى أكمامِها لم تفتّقِ

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاتُه * بكَفّىْ سَبَنْتَى أزْرقِ العين مُطْرِقِ

وله فى رثاء عثمان

وقال يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنه :

مَن سرَّه الموْتُ صِرفاً لامِزاج له * فليأتِ مأسَدَةً فى دار عثمانا

إنى لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا * ما دمتُ حيًّا وما سُمِّيت حسّانا ١٥

ياليْت شِعْرى وليْت الطيْرَ تُخبِرنى * ما كان شأنُ علىٍّ وابن عفّانا

لَتسمَعَنّ وشيكاً فى ديارِهم * آلله أكبرُ ياثاراتِ عثمانا

ضحَّوْا بأشمط عُنوانُ السُّجود به * يُقطِّع الليْل تسبيحاً وقُرآنا

للفرزدق فى رثاء عثمان

وقال الفرزدق فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه :

إنّ الخلافة لمّا أظعنتْ ظَعَنتْ * من أهل يَثرب إذ غيْرَ الهدى سلَكوا ٢٠

صارتْ إلى أهلها منهم ووارثِها * لمّا رأى الله فى عُثمان ماانتَهكوا

السافِكى دمَه ظلما ومعصيةً * أىَّ دمٍ لاهُدُوا مِن غيِّهم سفَكوا

---

(١) فى نسبة هذا الشعر لحسان خلاف .

للسيد الحميرى في رثاء على

وقال السيد الحميرى يرثى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ويذكر يوم صفّين :

إنى أدين بما دان الوصى به * وشاركتْ كفه كفّى بصِفّينا

فى سفك ماسَفكتْ منها إذا احتُضروا * وأبرزَ الله للقسط الموازينا

٥ تلك الدّماء معاً يارِبِّ فى عُنق * ثم اسقنى مثْلَها آمين آمينا

آمين مَن مثلهُم فى مثْل حالِهمُ * فى فِتْيَة هاجروا لله سارينا

ليسوا يريدون غير الله ربّهِمُ * نعْم المراد توخّاه المريدونا

أنشد الرياشى لرجل من أهل الشام يرثى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه :

١٠ قد غَيَّب الدّافنون اللحدَ إذ دَفَنوا * بِديْر سَمْعان قِسطاسَ الموازينِ

ولم يكن همُّه عيْنا يُفَجِّرُها * ولا النخيل ولا رَكْض البَراذين

أقول لمّا أتانى نعْىُ مهلِكه * لا تُبعَدنَّ قِوام المُلك والدِّين

للفرزدق فى رثاء عبد العزيز بن مروان

وقال الفرزدق يرثى عبد العزيز بن مروان :

ظلُّوا على قبره يستغفرون له * وقد يقولون تاراتٍ لنا العبَرُ

١٥ يُقبِّلون تراباً فوق أعظُمِه * كما يقبل فى المَحجوجة الحجر

لله أرضٌ أجنّته ضريحتُها * وكيف يُدفن فى الملْحودة القمرُ

إنّ المنابر لا تَعْتاض عن ملِكٍ * إليه يَشْخَص فوْق المِنبر البصرُ

لجرير فى رثاء عمر بن عبد العزيز

وقال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز :

يَنعى النُّعاةُ أمير المؤمنين لنا * ياخير من حجّ بيْت الله واعتمرا

٢٠ حُمِّلْت أمراً عظيما فاصطبرْت له * وسِرْت فيه بحكم[1] الله يا عُمَرا

فالشمس طالعةٌ ليست بكاسفةٍ * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

---

(١) فى بعض الأصول : « وقمت فيه بأمر الله ».

جرير في رثاء الوليد

قال جرير يرثى الوليد بن عبد الملك :

إنّ الخليفة قد وارتْ شمائلَه * غَبْراء ملحودةٌ فى جُولها زَوَرُ

أمسى[1] بنوه وقد جلّت مصيبتهم * مثلَ النجوم هَوى من بينِها القمر

كانوا جميعاً فلم يَدفع منيّتَه * عبد العزيز ولا روْحٌ ولا عُمَر

لبعض الشعراء في رثاء قيس بن عاصم

٥ وقال غيره يرثى قيس بن عاصم المنقرىّ :

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ * ورحمتُه ماشاء أن يترحّما

تحية مَن ألبسْتَه منك نعمةً * إذا زار عن شَحْط بلادك سلّما

وماكان قيسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ * ولكنه بُنْيان قوم تهدّما

للسندى في رثاء يزيد بن هبيرة

وقال أبو عطاء السندى يرثى يزيد بن عمر بن[2] هُبيرة لما قُتل بواسط :

١٠ ألا إنّ عيناً لم تجُدْ يوم واسطٍ * عليك بجارى دمعِها لجمودُ

عشيّة راح الدّافنون وشُقِّقت * جيوبٌ بأيدى مأتم وخُدودُ

فإن تك مهجورَ الفِناء فربّما * أقام به بعد الوُفود وُفودُ

وإنك لم تَبعد على مُتعهِّد * بلى إنّ مَن تحت الترابِ بعيد

لمنصور النمرى في رثاء ابن مزيد

وقال منصور النمرى يرثى يزيد بن مزيد :

١٥ متى يَبرُدِ الحُزنُ الذى فى فؤادنا * أباخالد مِن بعد أن لا تَلاقيا

أبا خالد ماكان أدهى مُصيبة * أصابت معَدًّا يوم أصبحت ثاوِيا

لعَمْرى لئن سُرَّ الأعادى وأظهروا * شماتا لقد سِرُّوا برَبْعِك خاليـاً

وأوْتارُ أقوام لديْك لوِيْتَهـا * وزُرتَ بها الأجداث وهْىَ كما هيا

نُعزِّى أميـر المؤمنين ورهْطَه * بسيف لهم ماكان فى الحرب نابيا

٢٠ على مثلِ مالاقى يزيد بن مزيدٍ * عليه المنايا فالْقَ إن كنت لاقيا

وإن تك أفنتْه الليالى وأوْشكت * فإنّ له ذِكْراً سيُفْنى اللياليا

---

(١) فى بعض الأصول : « أضحى » .

(٢) فى بعض الأصول : « إبراهيم بن هبيرة » .

وقال :

سأبكيك ما فاضت دُموعى فإنْ تغِضْ * فحسبُك منى ما تُجِنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يمت حيٌّ سواك ولم تقم * على أحـــد إلّا عليك النَّوائح
لئن حَسُنت فيك المراثى وذِكْرُها * لقد حَسُنتْ من قبل فيك المدائحُ
٥ فمــا أنا من رُزْءٍ وإن جلّ جازعٌ * ولا بسُرورٍ بعد موْتك فارح

للأعجم يرثى المغيرة

وقال زياد الأعجم يرثى المغيرة بن المهلَّب :

إنّ الشجاعة والسَّماحة ضُمِّنا * قبراً بمرْوَ على الطريق الواضح
فإذا مررتَ بقبره فاعْقِرْ به * كومَ الهجان وكلَّ طرْفٍ سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها * ولقد يكون أخا دمٍ وذبائح
١٠ الآن لمّـا كنت أكملَ مَن مشى * وآفترّ نابُك عن شَباةِ القارح
وتكاملَت فيك المُروءةُ كلُّها * وأعنْت ذلك بالفعالِ الصالح

للمهلبي فى رثاء المتوكل

للمهلبى من مرثيته للمتوكل :

لا حُزن إلا أراه دون ما أجدُ * وهل كمَنْ فقدتْ عيناى مُفْتَقَدُ
لا يَبعدَنْ هالك كانت منيتُه * كما هوى مِن عطاء الزُّبية الأسدُ
١٥ لا يدفع الناسُ ضيما بعد ليلتِهم * إذ لا تُمدُّ على الجانى عليك يَدُ
لو أنّ سيْفى وعقْلى حاضران له * أبليتُه الجهْد إذ لم يبله أحـــد
هـــلا أتته أعاديه مُجاهَرةً * والحرب تُسعَر والأبطال تجتلد[1]
فخرَّ فوق سرير المُلك مُنْجدلا * لم يَحْمه مُلكه لمّـا انقضى الأمد
قد كان أنصارُه يَحمون حوْزتَه * وللرَّدي دون أرصاد[2] الفتى رَصَد
٢٠ وأصبح الناس فوضى يَعجبون له * ليثاً صريعاً تَنَزّى حوله النقد
علَتْك أسيافُ من لا دونَه أحدٌ * وليس فوْقك إلّا الواحدُ الصَّمد

(١) فى بعض الأصول « تطرد » .
(٢) فى بعض الأصول « أنصار »

جاءوا لدنيا عظيمٍ يَسْعَدون بها * فقدشَقوا بالذى جاؤا وماسعدوا
ضجت نساؤك بعدالعزحين رأت * خدًا كريماً عليه قارتٌ جَسِد
أضحى شهيدُ بنى العباس موعظةً * لكلّ ذى عِزّة فى رأسه صيد
خليفة لم يَنَلْ ما ناله أحدٌ * ولم يُصِغْ مثلَهُ رُوحٌ ولا جسد
كم فى أديمك من فوْهاء هادرةٍ * من الجوائف يَغلِى فوقها الزَّبَد ٥
إذا بكيت فإنّ الدمعَ مُنهَمِل * وإن ونيْت فإنّ القولَ مطّرِد
قدكنتُ أُسرِفُ فى مالى وُيخلِفُ لى * فعلّمتْنى الليالى كيف أقتصِد
لما اعتقدتم أُناساً لاحُلومَ لهم * ضعتم وضيَّعتمُ من كان يُعتقَد
فلوجعلتم على الأحرارِ نِعمتَكم * حمَتْكُمُ السادةُ المركوزةُ الحُشُد
قومٌ هم الجذم والأنسابُ تجمَعُكم * والمجدُ والدينُ والأرحامُ والبلد ١٠
قد وَتَّر الناسَ طرًّا ثم قد صمتوا * كأنما كان ما يتلونه رَشَد
إذا قريشٌ أرادوا شدَّ مُلكهِمُ * بغير قحطانَ لم يبرحْ به أَوَد
مَن الأُلَى وهبوا للمجدِ أنفسَهم * فما يَنالون ما نالوا إذا حمِدوا

وقال آخر : لبعض الشعراء

وفتى كأنّ جبينَه بدرُ الدُّجا * قامت عليه نوادِبٌ وروامِس ١٥
غرَسَ الفسيلَ مؤمِّلا لبقائِه * فنما الفسيلُ ومات عنه الغارِس

وقال الأسود بن يعفر : لابن يعفر

ماذا أُؤمِّلُ بَعد آلِ محرِّقٍ * تركوا منازلهم وبعد إيادِ
أهل الخورْنقِ والسديرِ وبارقٍ * والقصرِ ذى الشرُفاتِ من سِنداد
نزلوا بأنقِرةٍ يسيلُ عليهمُ * ماءُ الفراتِ يجىءُ من أطواد ٢٠
جرت الرياحُ على محلِّ ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنوْا فيها بأنعَمِ عيشةٍ * فى ظلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتاد
فإذا النعيمُ وكل ما يُلْهى به * يوماً يصيرُ إلى بِلى ونَفاد

لعبيد بن الأبرص

وقال عَبيد بن الأبرص :

ياحارِ ماراح من قومٍ ولا ابتكروا • إلا وللموتِ فى آثارهم حادى
ياحار ما طلعتْ شمسٌ ولا غرَبتْ • إلا تقرِّبُ آجالا لميعادِ
هل نحن إلا كأرواحٍ يُمَرُّ بها • تحتَ الترابِ وأجسادٌ كأجساد

الحجاج فى بن خارجة

٥ لما مات أسماء بن خارجة الفَزّارى قال الحجاج : ذلك رجل عاش ما شاء ، ومات حين شاء .

لبعض الشعراء فيه

وقال فيه الشاعر :

إذا مات ابنُ خارجةَ بن زيدٍ • فلا مَطَرت على الأرضِ السماء
ولا جاء البريدُ بغُنْمِ جيشٍ • ولا حملتْ على الطُّهْر النساء
١٠ فيومٌ منك خيرٌ من رجالٍ • كثيرٍ عندَهم نَعَمٌ وشاء

لمسلم بن الوليد

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى :

أمسعودُ هل غاداك يومٌ بفرحة • وأمسيتَ لم تَعرِض لها التَّرَحاتُ
وهل نحن إلا أنفسٌ مستعارةٌ • تَمُرُّ بها الرَّوحاتُ والغَدَوات
بكيتَ وأعطتْك البكاءَ مصيبةٌ • مضتْ وهى فردٌ ما لها أخوات
١٥ كأنك فيها لم تكن تعرِف العَزا • ولم تتعمدْ غيرَك النَّكبات
سقى الضاحكَ الوسمىُّ أعظمَ حفرةٍ • طواها الردى فى اللَّحدِ وهْى رُفات
أرى بهجةَ الدنيا رجيعَ دوائر • لهن اجتماعٌ مرة وشَتات
طوى أيدىَ المعروفِ مصرعُ مالك • فهنَّ عن الآمالِ منقبِضات

وقال أيضاً [1] :

٢٠ أمّا القبورُ فإنهن أوانسٌ • بجوارِ قبرِك والديار قبورُ
عَمَّت فواضله وعمَّ مُصابُه [2] • فالناسُ فيه كلهم مأجور

(١) ينسب هذا الشعر للتيمى فى رثاء منصور بن زياد
(٢) فى بعض الأصول : « عمت مصيبته وعم هلاكه » .

ردّتْ صنائعُه إليه حياتَه * فكأنه من نشرها منشورُ

لأشجع في ابن زياد

وقال أشجع بن عمرو السُّلمى يرثى منصور بن زياد :

يا حُفرةَ الملكِ المؤمَّلِ رفدُه * مافى ثراك من النَّدى والخيرِ ؟

لازلت فى ظِلَّيْن ظلِّ سحابةٍ * وطفاء دانيةٍ وظلِّ حُبورِ

٥ وسَقَى الولىُّ على العِهادِ عِراصَها * والآلَ مِن قبرٍ ومِنْ مقْبورِ

يايومَ منصورٍ أبحتَ حَمَى النَّدى * وفجعتَه بوليِّه المذكورِ

يا يومَه أعريتَ راحلةَ الندى * مِن ربها وحرَمْت كلَّ فقيرِ

يا يومَهُ ماذا صنعتَ بمُرْمِلٍ * يرجو الغنى ومُكبَّلٍ مأسورِ

يا يومه لو كنتَ جئت بنُصحهِ * فجمعت بين الحيِّ والمقبورِ !

١٠ للهِ أوصالٌ تقسَّمَها البِلى * فى اللَّحدِ بين صَفائحٍ وصُخورِ

عجبا لخمسَةِ أذرُعٍ فى خمسَةٍ * غطَّت على جَبلٍ أشمَّ كبيرِ

مَن كان يملأُ عرضَ كلِّ تنوفةٍ * واراهُ حولاً ملْحَد محفورِ

ذلَّت بمصرعِه المكارمُ والنَّدى * وذُبابُ كلِّ مُهنَّدٍ مأثورِ

أفلت نجومُ بنى زِيادٍ بعدما * طلَعت بنورِ أهِلَّةٍ وبُدورِ

١٥ لولا بقاء محمد لتصدَّعت * أكبادُنا أسفاً على منصورِ

أبقَى مكارمَ لا تبيدُ صفاتُها * ومضَى لِوقتِ حِمامِه المقدورِ

أصبحْت مهجورا بحُفرتِك التى * بُدِّلتَها من قصرِك المعمورِ

بلِيتْ عِظامُك والصفاحُ جديدةٌ * ليس البِلى لِفعالِك المشهورِ

إن كنت ساكنَ حُفرةٍ فلقدترى * سكَناً لعُودَىْ مِنبَرٍ وسريرِ

٢٠

وله في ابن منصور

وقال يرثى محمد بن منصور :

أنعَى فتًى الجودِ إلى الجودِ * ما مِثلُ من أنعَى بموجودِ

أنعى فتى مصَّ الثرى بعده * بقيةَ الماءِ من العودِ

فانثلم المجــدُ به ثلمةً * جانبُها ليس بمسدودِ

أنعى ابن منصور إلى سيّدٍ * وأيّدٍ ليس برعديدِ
وأشعثٍ يسعى على صِبية * مثلِ فراخِ الطيرِ مجهودِ
وطارقٍ أعيا عليه القِرى * ومسلمٍ فى القيدِ مصْفود
اليومَ تُخشَى عثراتُ النَّدى * وعدوةَ البُخلِ على الجود
٥ أورَدَهُ حوضاً عظيمَ الشأى * فى المجدِ يومٌ غيرُ محمُودِ
كلُّ آمرئٍ يجرى إلى مُدَّةٍ * وأجلٍ قد خُطَّ معْدُود
سيَنطِقُ الشعرُ بأيامه * على لسانٍ غير معقودِ
فكلُّ مفقود إلى جَنبه * وإن تغالى غيرُ مفقودِ
ياوافِدَىْ قومِهما إنَّ مَنْ * طلبْتُما تحت الجلاميدِ
١٠ طلبتُما الجودَ وقد ضَمَّهُ * محمّدٌ فى بطنِ ملحودِ
فاتَكُما الموتُ بمعروفِه * وليس ما فاتَ بمردُودِ
يا عضُداً للمجدِ مفتوقة * وساعداً ليس بمعضودِ
أوْهَن زَندَيْها وأكبأهُما * قرعُ المنايا فى العناديدِ
وهدّتِ الركنَ الذى كان بالـ * ـأمسِ عماداً غيرَ مهدودِ

١٥ وقال حبيب الطائى يرثى خالد بن يزيد بن مزيد :

الطائى فى رثاء خالد بن يزيد

أشيبانُ لاذاك الهلالُ بطالعٍ * علينا، ولا ذاك الغمامُ بعائدِ
أشيبانُ عمَّت نارُها من رزيئة * فما تشتكى وجداً إلى غير واجدِ
فما جانبُ الدنيا بسهلٍ ولا الضُّحى * بطلقٍ ولا ماءُ الحياة ببارِدِ
فيا وحْشة الدنيا وكانت أنيسةً * ووَحدةَ من فيها بمصرعِ واحدِ

٢٠ وأنشد أبو محمد التَّيمى[1] فى يزيد بن مزيد :

التيمى فى يزيد ابن مزيد

أحقا أنه أودَى يزيدُ * فبيِّنْ أيها الناعى المشيدُ

---

(١) فى بعض الأصول « الليثى ».

أتدرى من نعيتَ[1] وكيف فاهتْ * به شفتاك وارك الصعيدُ
أحامى الملكِ والإسلام أودَى * فما للأرض ويحكَ لا تَميدُ
تأمَّل هل ترى الإسلام مالت * دعائمُه وهل شاب الوليدُ
وهل شِيمَتْ سيوف بنى نزارٍ * وهل وُضعت عن الخيل اللُّبودُ
وهل تَسْقِى البلاد عِشارُ مُزْنٍ * بِدِرَّتِها وهل يخضرُّ عودُ ٥
أما هُدَّتْ لمصرَعِه نزارٌ * بلَى ، وتقوَّض المجدُ المشيدُ
وحلَّ ضريحَهُ إذ حلَّ فيه * طريفُ المجدِ والمجدُ التليدُ
وهُدَّ العزُّ والإسلامُ لمَّا * ثوى وخليفةُ اللهِ الرشيدُ
لقد أوفَى ربيعةَ كلَّ نحس * لِمَهْلكه وغُيِّبت السُّعودُ
وأنصلتِ الأسِنَّة من قناها * وأشرعَتِ الرِّماحُ لمن يكيدُ ١٠
نعِيٌّ يزيدَ إن لم يبقَ بأسٌ * غداةَ مضى وإن لم يبقَ جودُ
نعِيُّ أبى الزُّبير لكلِّ يومٍ * عبوسِ الوجهِ زينتُه الحديدُ
أأودى عِصمةُ البارى يزيدُ * وسيفُ اللهِ والغيثُ الحميدُ
فمن يحمى حِمَى الإسلامِ أم مَن * يَذُبُّ عنِ المكارهِ أو يذودُ
ومَن يدعو الأنامَ لِكلِّ خطْبٍ * يُخافُ وكلِّ مُعضلةٍ تؤود ١٥
ومَن تُجلَى به الغمراتُ أم مَن * يقومُ بها إذا أعوَجَّ العَتودُ
ومن يحمى الخميسَ إذا تعايَا * بحيلةِ نفسه البطَلُ النَّجيد
وأين يؤُمُّ مُنتجِعٌ ولاجٍ * وأين تَحُطُّ أرحُلَها الوفودُ
لقد رُزئتْ نزارٌ يومَ أوْدى * عميداً ما يُقاسُ به عميد
فلو قَبِل الفِداءَ فداه مِنَّا * بمُهجَته المُسوَّدُ والمَسودُ ٢٠
أبعْدَ يزيدَ تختَزِنَ البواكِى * دُموعاً أو تُصان لها خُدود .
أمَا باللهِ لا تنفَكُّ عينى * عليهِ بدمعها أبداً تجودُ

(١) فى بعض الاصول : « أبن لى كيف قلت » .

وإنْ تَجمُد دمُوع لئيم قومٍ ۞ فليس لدمْعِ ذى حسَب جُمودُ
وإنْ يكُ غالَه حسَب فأَودَى ۞ لقد أودى وليس له نَديد
وإن يعثرْ به دهرٌ لمـا قدْ ۞ يُفادِي من مَخافته الأُسود
وإن يَهلِكْ يَزيدُ فكلُّ حيّ ۞ فريسٌ للمنيَّة أو طريد
٥ فإن يك عن خلودٍ قد دعته ۞ مآثرُه فكان لها الخُلود
فما أودى امرؤ أودَى وأبقى ۞ لوارثِه مكارم لا تَبيد
ألم تعلم أخى أنّ المنايا ۞ غدَرنَ به وهنّ له جنود
قصَدنَ له وكنّ يَحدْن عنه ۞ إذا ما الحرب شبّ لها الوَقود
فهلّا يوم يقـدَمُها يزيد ۞ إلى الأبطال والخيلان حِيد
١٠ ولو لاقَى الُحتوفَ على سواء ۞ للَاقاها به حتْف عنيـد
أضرّابَ الفوارس كلَّ يومٍ ۞ ترى فيه الُحتوفُ لها وَعيد
فمن يرْضى القواطعَ والعوالى ۞ إذا ما هزها فرعٌ شـديد
لتَبْكِك قُبة الإسلام لمَّا ۞ وَهتْ أطنابُها ووهَى العمود
ليبْكِك مُرهَق يتلوه خيْل ۞ إبالة[1] وهْو مجدول وحيد
١٥ ويبْكِك خامِل ناداك لمَّا ۞ تواكلَه الأقارب والبعيد
ويبكك شاعر لم يُبق دهر ۞ له نَشَباً وقد كَسَد القصيد
تركْتَ المشرفيّة والعَوالى ۞ مُحلَّأةً وقد حان الوُرود
وغادرْتَ الجيادَ بكلّ ثُغرٍ ۞ عواطلَ بعد زينتِها ترود
فإن تُصبحْ مُسلَّمة فمّا ۞ تُفيد بها الجزيل وتستفيد
٢٠ ألم تكُ تكشِف الغمَرات عنها ۞ عوابسَ والوُجوه البيضُ سُود
أُصيبَ المجدُ والإسلام لما ۞ أصابك بالردى سهمٌ شديد
لقد عزّى ربيعةَ أنّ يوما ۞ عليها مثل يومِك لا يعود

(١) فى بعض الاصول : « أباسل »

ومثلك مَن قصدْن له المنايا * بأسهمها وهُنّ له جُنود
فيا للدهر ما صنعتْ يداه * كأنّ الدهر منها مُستفيد
سَقى جدَثاً أقام به يَزيد * من الوسْميّ بسّامٌ رَعود
فإنْ أجزعْ لمَهلكه فإنى * على النّكبات إذ أوْدى جَليد
ليذهبْ مَن أراد فلستُ آسَى * على مَن مات بعدك يا يَزيد ٥

لابن أبى حفصة فى رثاء معن

وقال مروان بن أبى حفصة يرثى معن بن زائدة :

زار ابنُ زائدة المقابرَ بعد ما * ألقتْ إليه عُرى الأمُور نِزارُ
إن القبائل من نِزارٍ أصبحتْ * وقلوبُها أسفاً عليه حِرار
ودّت ربيعة أنها قُسمتْ له * منها فعاش بشطْرها الأعمار
فلأبكيَنّ فتَى ربيعة ما دَجا * ليلٌ بظلمته ولاح نَهار ١٠
لا زال قبرُ أبى الوليد تَجودُه * بعِهادها وبوَبلها الأمطار
قبرٌ يضُم مع الشجاعة والنّدى * حِلْماً يُخالطهُ تُقًى ووقار
إن الرزيّة من ربيعة هالكٌ * تَرَكَ العيونَ دموعهنّ غِزار
رحْبُ السُّرادقِ والضِّياء جبينُه * كالبدرِ شقّ ضياءهُ الإسفار
لهفاً عليك إذا الطِّعان بِمارقٍ * تَرَكَ القَنا وطِوالُهنّ قِصار ١٥
خَلّى الأعِنَّة يوم ماتَ مُشيَّعٌ * بطلُ اللّقاء مُجرّبٌ مِغوارُ
يُمسِى ويُصبحُ مُعلماً تذْكى به * نارٌ بمُعترك وتَخمُدُ نار
مهما يُمِرُّ فليس يَرجو نقضَهُ * أحدٌ وليس لنقْضِه إمرارُ
لو كان خلفك أو أمامَكَ هائباً * أحداً سِواك لهابَك المقدار

وقال يرثيه : ٢٠

بكى الشامُ معْناً يوم خلّى مكانهُ * فكادت له أرضُ العِراقين ترجُفُ
ثوَى القائدُ الميمونُ والذّائدُ الذى * به كان يُرمَى الجانبُ المُتخوَّف
أتى الموتُ مَعْناً وهو للعِرضِ صائنٌ * وللمجدِ مُبْتاعٌ وللمالِ مُتلِفُ

وما مات حتى قـلّدته أمورَها * ربيعة والحيّان قيس وخِندِفُ
وحتى فشا فى كلِّ شرقٍ ومغربٍ * أيادٍ له بالضُّرِّ والنفع تُعرَف
وكم من يَدٍ عندى لِمَعْنٍ كريمةٍ * سأشكرُها ما دامتِ العينُ تطرف
بكته الجيادُ الأعوجيّةُ إذ ثَوَى * وحَنَّ مع النَّبْع الوشيج المثقَّف
٥ وقد غَنِيتْ ريح الصَّبا فى حياته * قَبولاً فأمستْ وهى نكباء حَرجَف

لأبى الشيص فى رثاء الرشيد ومدح الأمين

وقال أبو الشيص يرثى هارون الرشيد ويمدح ابنه محمد بن زبيدة الأمين :

جرتْ جَوارٍ بالسعدِ والنحسِ * فنحن فى وحشةٍ وفى أُنْس
العين تبكى والسِّنُّ ضاحكة * فنحن فى مأتمٍ وفى عُرْس
يُضحِكُنا القائم الأمينُ ويُبكينا وفاةُ الإمامِ بالأمس
١٠ بَدرانِ بدر أضحى ببَغدادَ فى الـخُلْدِ وبدر بِطُوسَ فى الرَّمْس

للعتبى

وأنشد العتبى :

والمرء يَجمَعُ ماله مستهتِراً * فرحاً وليس بآكلٍ ما يجمعُ
ولَيأتِيَنَّ عليك يوماً مرة * يُبكى عليك مُقنَّعاً لا تَسْمَع

للغدانى فى ابن ظبيان

وقال حارثة بن بدر الغُدَانى يرثى زياد بن ظَبيان :

١٥ صلى الإلهُ على قبرٍ وطَهَّـرَه * عنـد الثَّوِيَّةِ يُسفَى فوقَه المُورُ
زَفَّتْ إليه قريش نعْشَ سيدِها * فثَمَّ كلُّ التُّقَى والبِرِّ مقبور
أبا المُغِيرةِ والدُّنيا مغيِّرةٌ * وإنَّ مَن غَرَّت الدنيا لَمَغرور
قد كان عندَك للمعروفِ معرفة * وكان عندَك للتنكيرُ تنكير
لو خَلَّدَ الخيرُ والإسلامُ ذا قدَمٍ * إذاً لخَلَّدَك الإسلامُ والخير
٢٠ قد كنتَ تَخشى وتُعطِى المالَ من سعةٍ * إن كان بيتُك أضحى وهْو مهجور

لابن توسعة فى رثاء المهلب

وقال نهار بن تَوْسِعة يرثى المهلَّب :

ألَا ذهبَ الغزْوُ المقرِّبُ للغِنَى * ومات الندَى والحزْمُ بعد المهلَّبِ
أقام بمَرْوِ الرُّوذِ رَهْن ضريحِه * وقد غُيِّبا عن كلِّ شرقٍ ومغرب

للمهلهل في رثاء كليب

وقال المهلهل بن ربيعة ؛ يرثى أخاه كليب بن وائل ؛ وكان كليب إذا جلس لم يرفع أحد بحضرته صوته :

ذهب الخِيارُ من المعاشِرِ كلهم * واستَبَّ بعدَك يا كليبُ المجلسُ
وتناولوا من كل أمرٍ[1] عظيمة * لو كنتَ حاضرَ أمرِهم لم ينبِسوا

لابن المعذل في رثاء سعيد ابن سلم

٥ وقال عبد الصمد بن المُعذل يرثى سعيد بن سَلْم :

كم يتيمٍ جبَرْتَهُ بعد يُتْمٍ * وعديمٍ نعَشْتَه بعد عُدْمِ
كلُّ ما عُضّ بالحوادث نادى * رضى اللهُ عن سعيدِ بنِ سَلْمْ

لابن أخت تأبط شرا يرثى خاله

وقال ابن أخت تأبط شرًّا يرثى خاله تأبط شرًّا الفهمىّ ؛ وكانت هُذيل قتلته :

إنَّ بالشِّعْب الذى دون سَلعٍ * لَقتيلاً دمُهُ ما يُطَلُّ
١٠ قذَفَ العِبْءَ علىَّ وولَّى * أنا بالعِبْءِ له مستقِلُّ
ووراء الثأْرِ منى ابنُ أُختٍ * مَصِعٌ عُقْدَتُه ما تُحَلُّ
مُطْرِقٌ يَرْشح موْتاً كما أطْرَقَ أفعى يَنفُث السُّمَّ صِلُّ
خبَرٌ ما نابَنا مُصمئِلٌّ * جلَّ حتى دقَّ فيه الأجلُّ
بزَّنى الدهر وكان غَشوما * بأَبِيٍّ جارُه ما يَذِلُّ
١٥ شامسٌ فى القرِّ حتى إذا ما * ذكَتِ الشِّعْرى فبردٌ وظلُّ
يابسُ الجنْبيْن من غير بؤسٍ * وندِىُّ الكفَّين شهْمٌ مُدِلُّ
ظاعنٌ بالحزْم حتى إذا ما * حَلَّ حلَّ الحزْمُ حيث يَحُلُّ
وله طعْمان أَرْىٌ وشَرْىٌ * وكِلاَ الطَّعْمين قد ذاق كلُّ
رائحٌ بالمجد غادٍ عليه * من ثياب الحمد ثوْبٌ رِفَلُّ
٢٠ أفتحُ الراحةِ بالجود جَوَاداً * عاش فى جدْوَى يدَيْه المُقِلُّ
مُسْبِلٌ فى الحىِّ أحوى رِفَلّ * وإذا يَغزو فسِمْعٌ أزلُّ

(١) فى بعض الأصول : « وتكلموا فى أمر كل »

يركَب الهولَ وحيداً ولا يَصحبه إلّا اليماني الأفلْ
فاحتسوا أنفاسَ يومٍ فلما ٭ هَوَّموا رُعْتَهم فاشمعَلّوا
كلُّ ماضٍ قد تردّى بماضٍ ٭ كَسَنَا البرق إذا ما يُسلُّ
فلئن فَلَّتْ هُذيلٌ شِباهُ ٭ لبما كان هُذيلا يَفُل
٥ وبما أبركها في مُناخ ٭ جَعْجع يَنقَب منه الأظلُّ
صليتْ منه هُذيلٌ بخِرْقٍ ٭ لا يملُّ الشرَّ حتى يملّوا
يُنْهِلُ الصَّعْدَة حتى إذا ما ٭ نَهِلَت كان لها منه عَلُّ
تَضحك الضَّبع لقتلى هُذيل ٭ وترى الذّئب لها يستهلُّ
عِتاق الطيْر تهفو بطانا ٭ تتخطّاهم فما تستقلُّ
١٠ وفُتُوٌّ هَجَّروا ثم اسْروْا ٭ ليلهم حتى إذا انجاب حَلُّوا
فاسقنيها يا سَوَاد بن عمْرٍو ٭ إنّ جسمى بعد خالى لخَلُّ

لابن أبي الصلت يرثي قتلى بدر

وقال أمية بن أبي الصلت يرثي قتلى بدر من قريش :

ألّا بكيْت على الكرا ٭ م بني الكرام أُولى الممادحْ
كبُكا الحَمام على فُرو ٭ ع الأيك في الغصن الجوانحْ
١٥ يبكين حَرَّى مستكينات يرُحن مع الروائحْ
أمثالهن الباكيا ٭ تُ المُعْوِلات من النوائحْ
من يبكهم يبكى على ٭ حُزنٍ ويَصْدُق كل مادحْ
من ذا ببدرٍ فالعقَنقَلِ من مَرازبة جحاجحْ
شُمطٍ وشُبّان بها ٭ ليلٍ مَغاوِيرٍ وحاوِحْ
٢٠ ألا ترون لما أرى ٭ ولقد أبان لكلّ لامحْ
أن قد تغيَّر بطنُ مكّة فهْيَ مُوحشةُ الأباطحْ
مِن كلِّ بِطْريقٍ لبِطْريقٍ نقِيِّ اللوْن واضح
رُعْموص أبواب الملو ٭ ك وجائب للخرْق فاتحْ

ومن السراطِمة الحلا * جمــةَ الملازِبة المَناجحْ
القــائلين الفــاعليـــن الآمرين بكل صالح
المُطْعمين الشَّحم فوْ * ق الخبز شحما كالأنافِحْ
نُقُلُ الجِفان مع الجِفا * ن إلى جِفانٍ كالمناضحْ
ليست بأَصفار لمن * يعفو ولا رَحّ رَحارِح
للضيف ثم الضيف بعـــد الضيف والبُسْط السلاطح
وُهُبَ المِئين من المئــين إلى المِئين من اللَّواقحْ
سَوق المُؤبَّل للمُؤ * بَّل صادراتٍ عن بلادِح
لكِرامِهم فوْق الكِرا * م مَزِيَّةٌ وزْن الرَّواجح
كتَثاقل الأرطال بالـــقسطاس في الأيدي المَوائحْ
لله دَرُّ بنى علىٍّ * أيِّمٍ منهم وناكح
إن لم يُغِيروا غارةً * شَعْواء تُحجِر كلَّ نابحْ
بالمُقرِبات المُبْعِدا * ت الطَّامحاتِ مع الطَّوامحْ
مُرْداً على جُرْدٍ إلى * أُسْدٍ مُكالِبةٍ كوالح
ويُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَه * مشْىَ المُصافِح للمصافحْ
بِزُهاء ألفٍ ثم ألْــفٍ بين ذى بدنٍ ورامحْ
الضَّــاربين التَّقْدُمِيَّـــة بالمُهنَّدة الصفائح

لسهل بن هارون روى الأخفش لسهل بن هارون :

ما للحوادث عنك منصرَفُ * إلا بنفسٍ مالها خلفُ
فكأنها رامٍ على حَنَقٍ * وكأنني لِسهامِها هــدَف
دهرٌ سُررتُ به فأَعقبنى * حُزناً به ما عشت ألتحفُ[1]

(١) فى بعض الأصول : « جريانة ماعشت ألتقف ».

فأبك الذى ولّى لمهلكه * عنك السرور وخلّف الأسفُ
إذ لا يردُّ عليك ما أخذتْ * منك الحوادثُ دمعةٌ تكِفُ
قبرٌ بمختلَف الرِّياح ، به * منْ لست أبلُغه بما أصف
أنسَ الثّرى بمحـلّه وله * قد أوْحش المُستأنس الألِفُ
٥ فالصّبر أحسنُ ما اعتصَمْت به * إذ ليس منه لدىّ مُنتصِف

لفروة الحرورى فى رثاء الخوارج

وقال فروة بن نوفل الحرورىّ ، وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج ويقولون : والله لنحرقنّهم ولنفعلن ولنفعلن . فقال فى ذلك فروة بن نوفل ، وكان من الخوارج :

ما إنْ نُبالى إذا أرواحُنا قبِضتْ * ماذا فعلْتُم بأجسادٍ وأبشارِ
١٠ تجرى المَجرّةُ والنّسرانِ بينهما * والشّمس والقمرُ السّارى بمقْدار
لقد علمت وخيرُ العلمِ أنفعُه * أنّ السعيدَ الذى ينجو من النار

وله فى رثاء قومه

وقال يرثى قومه :

هُمُ نصبوا الأجساد للنّبْل والقنا * فلم يَبق منها اليوم إلا رميمها
تظَل عِتاقُ الطير تحجِل نحوهم * يُعلّلْنَ أجساداً قليلا نعيمُها
١٥ لِطاف بَراها الصوْم حتى كأنها * سُيوف إذا ما الخيْل تدْمى كلومُها

التعازى

لابن أبى بكر يعزى سليمان فى ابنه

قال عبد الرحمن بن أبى بكر لسليمان بن عبد الملك يعزيه فى ابنه أيوب ، وكان ولىَّ عهده وأكبر ولده : يا أمير المؤمنين ، إنه من طال عمره فقدَ أحِبّته ، ومن قصر عمره كانت مصيبته فى نفسه ؛ فلو لم يكن فى ميزانك لكنت فى ميزانه !

٢٠ وكتب الحسن بن أبى الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزّيه فى ابنه عبد الملك :

وعُوِّضتَ أجراً من فقيدٍ ، فلا يكن * فقيدُك لا يأتى وأجرُك يذهبُ

لابن جريج يعزى ابن الأهتم

العتبى قال : قال عبد الله بن الأهتم : مات لى ابن وأنا بمكة ، فجزعت عليه جزعا شديداً ؛ فدخل علىَّ ابنُ جُريج يعزينى ، فقال لى : يا أبا محمد ، آسلُ صبراً واحتساباً ، قبل أن تسلو غفلة ونسيانا كما تسلو البهائم .

وهذا الكلام لعلىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه يُعزى الأشعث بن قيس فى ابن له ، ومنه أخذ ابن جريج ؛ وقد ذكره حبيب فى شعره فقال : ٥

وقال علىٌّ فى التَّعازِى لِأَشْعَث * وخافَ عليه بعضَ تلكَ المـآثِمِ
أتَصْبِرُ لِلبـلْوَى عَزاءً وحِسْبَةً * فتُؤْجَرَ أمْ تَسْلو سُـلُوَّ البهـائِمِ

على والأشعث فى وفاة ابنه

أتى علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه لأشعث يعزيه عن ابنه ، فقال : إن تحزن فقد استحقَت ذلك منك الرحم ، وإن تَصبر فإن فى الله خَلَفا من كل هالك ، مع أنك إن صبرتَ جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جَزِعْتَ ١٠ جرى عليك القدر وأنت آثم .

لابن السماك يعزى رجلا

وعزّى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فبه يعمل من احتسب ، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبةٌ إلا ومعها أعظمُ منها، من طاعة الله فيها أو معصيته بها .

لصالح المرى فى مثله

الأصمعى قال : عزى صالحٌ المُرى رجلا بابنه ، فقال له : إن كانت مصيبتُك ١٥ لم تُحدث لك موعظة ، فمصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك ؛ واعلم أن التهنئة على آجِلِ الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

لوالد العتبى فى مثله

العتبى قال : عزى أبى رجلا فقال : إنما يستوجب على الله وعدَه مَن صبر لِحقِّه ، فلا تجمع إلى ما فجعت به الفجيعةَ بالأجر ، فإنها أعظم المصيبتين عليك ، ولكل اجتماع فرقة إلى دار الحلول . ٢٠

لابن عباس يعزى عمر فى ابن له

عزّى عبدُ الله بن عباس عمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه فى بُنَىّ له صغير ؛ فقال : عوضك الله منه ما عوّضه الله منك .

لعلى فى العزاء

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا عزّى قوماً قال : عليكم بالصبر

فإن به يأخذ الحازم ، وإليه يرجع الجازع .

للحسن فى المصيبة

وكان الحسن يقول فى المصيبة : الحمد لله الذى آجَرنا على ما لو كلفنا غيرَه لعجَزْنا عنه .

كتاب تعزية

٥ أما بعد : فإن أحق من تعزى ، وأولى من تأسَّى وسلَّم لأمر الله ، وقبِل تأديبَه فى الصبر على نكبات الدنيا وتجرُّع غُصَص البلوى — من تنجز من الله وعده ، وفهم عن كتابه أمرَه ، وأخلص له نفسه ، واعترف له بما هو أهله ، وفى كتاب الله سلوةٌ من فقدِ كل حبيب وإن لم تطب النفس عنه ، وأنسٌ من كل فقيد وإن عظمت اللوعة به ؛ إذ يقول الله عز وجل : ﴿ كلُّ شَىْءٍ هالكٌ إلَّا
١٠ وجْهَهُ لهُ الحكْمُ وإليْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وحيث يقول : ﴿ الذين إذا أصابتْهُمْ مُصيبة قالوا إنَّا لله وإنَّا إليْـه راجعُونَ أُولئِكَ عليهِمْ صلواتٌ من رَبِّهِمْ ورحمةٌ وأُولٰئِك هُمُ المُهْتَدُونَ ﴾ والموت سبيل الماضين والغابرين ، ومورد الخلائق أجمعين ، وفى أنبياء الله وسالف أوليائه أفضل العبرة ، وأحسن الأسوة ، فهل أحدٌ منهم إلا وقد أخذ من جائع الدنيا بأجزل الإعطاء ، ومن الصبر عليها باحتساب الأجر
١٥ فيها بأوفر الأنصباء .

فُجع نبيُّنا عليه الصلاة والسلام بابنه إبراهيم ، وكان ذخرَ الإيمان ، وقرة عين الإسلام ، وعقب الطهارة ، وسليل الوحى ، ونتيج الرحمة ، وحضين الملائكة ، وبقية آل إبراهيم وإسمعيل صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى عامة الأنبياء والمرسلين فعمت الثقلين مصيبته ، وخصت الملائكة رزيَّته . ورضى صلى الله عليه وسلم من
٢٠ فراقه بثواب الله بدلا ، ومن فقدانه بموعوده عوضاً ؛ فشكر قضاه واتبع رضاه ؛ فقال : « يحزن القلب ، وتدمع العين ، ولا نقول ما يُسْخِطُ الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ! »

وإذا تأمل ذو النظر ما هو مشفٍ عليه من غير الدنيا ، وانتصح نفسه

وفكره في غيرها بتنقل الأحوال ، وتقارب الآجال ، وانقطاع يسير هذه المدة ـ ذلت الدنيا عنده ، وهانت المصائب عليه ، وتسهلت الفجائع لديه ، فأخذ للأمر أهبته ، واستعد للموت عدته ؛ ومن صحب الدنيا بحسن الروية ، ولاحظها بعين الحقيقة ، كان على بصيرة من وشك زوالها .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اذكروا الموتَ فإنه هادمُ اللذاتِ ومُنَغِّصُ الشهوات . وليس شيء مما اقتصصت إلا وقد جعلك الله مقدماً في العلم به ؛ ولعمري إن الخطب فيما أصبت به لعظيم ، غير أن معوّضه من الأجر والمثوبة عليه بحسن الصبر ، يهوّنان الرزية وإن ثقلت ، ويسهلان الخطب وإن عظم ؛ فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين ، وقربة[1] الشاكرين ، وجعلك من المَرضِيين قولا وفعلا ، الذين أعطاهم الحسنى ، ووفقهم للصبر والتقوى .

في عزاء عقبة بابنه

محمد بن الفضل عن أبي حازم قال : مات عُقبة بن عِياض بن غَنْم الفهري ، فعزّى رجل أباه فقال : لا تجزع عليه فقد قُتِل شهيداً ، فقال : وكيف أجزع على من كان في حياته زينةَ الدنيا ، وهو اليومَ من الباقيات الصالحات .

عزاء الأصمعي لجعفر بن سليمان في أخيه

ابن الغار قال : حدثنا عيسى بن إسمعيل ، قال : سمعت الأصمعي يقول : دخلت على جعفر بن سليمان وقد ترك الطعام جزعاً على أخيه محمد بن سليمان ، فأنشدته بيتين ، فما برحت حتى دعا بالمائدة ، فقلت للأصمعي : ما هما ؟ فسكت ، فسألتُه ؛ فقال : أتدري ما قال الأحوص؟ قلت : لا أدري . قال :قال الأحوص:

قدْ زادهُ كَلَفاً بالحُبِّ إذ مَنَعَتْ ٭ أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

قال أبو موسى : والأبيات لأراكة الثقفي يرثي بها عمرو بن أراكة ويُعزّي نفسه ، حيث يقول :

لَعَمْري لئنْ أَتبعْتَ عَيْنَكَ ما مضى ٭ به الدّهْرُ أو ساقَ الحِمامُ إلى القبر

(١) في بعض الأصول : « ومزيد الشاكرين » .

لَتَسْتَنْفِدَنْ ماءَ الشئونِ بأَسْرِه * وإن كنت تمرِيهنَّ مِن ثَبَجِ البحرِ
تَبيّنْ فإن كان البكا رَدَّ هالِكا * على أحدٍ فاجهَدْ بُكاكَ على عمرو
فلا تَبكِ ميتاً بعدَ موتِ أحِبّةٍ * علِيّ وعبـاسٍ وآلِ أبى بكر

لمالك بن دينار فى أخيه

أبو عمر بن يزيد قال: لما مات أخو مالك بن دينار، بكى مالك، وقال: يا أخى، لا تقر عينى بعدك حتى أعلم أفى الجنة أنت أم فى النار؛ ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك!

لأعرابية فى ميت

وقالت أعرابية ورأت ميتاً يدفن: جافى الله عن جنبيه الثَّرى، وأعانه على طول البِلَى.

لأعرابى يعزى

وعَزَّى أعرابىٌّ رجلا فقال: أوصيك بالرضا من الله بقضائه، والتنجُّز لما وعد به من ثوابه؛ فإن الدنيا دار زوال ولا بد من لقاء الله.

وعزى أيضاً رجلا فقال: إن من كان لك فى الآخرة أجرا، خيرٌ لك ممن كان لك فى الدنيا سروراً.

الحسن وجازع على ابنه

وجزع رجل على ابنٍ له، فشكا ذلك إلى الحسن، فقال له: هل كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم؛ كان مَغيبه عنى أكثر من حضوره. قال: فاتركه غائبا، فإنه لم يَغب عنك غيبةً الأجرُ لك فيها أعظم من هذه الغيبة.

لنصرانى يعزى مسلما

وعزّى رجلٌ نصرانىٌّ مسلما، فقال له: إنّ مثلى لايعزِّى مثلك، ولكن انظر مازَهِد فيه الجاهلُ فارغب فيه.

لعلى بن الحسين فى ناعية

وكان على بن الحسين رضى الله عنه فى مجلسه وعنده جماعة؛ إذ سمع ناعية فى بيته؛ فنهض إلى منزله فأسكتَهُم، ثم رجع إلى مجلسه، فقالوا له: أمِنْ حدثٍ كانت الناعيه؟ قال: نعم! فعزوه وعجبوا من صبره، فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده على ما نكره.

تعزية: التمِسْ ماوعد اللهُ من ثوابه بالتسليم لقضائه، والانتهاءِ إلى أمْره؛ فإن مافات غير مستدرَك.

وعزى موسى المهدى إبراهيم بن سلم على ابن له مات، فجزع عليه جزعا

شديدا ، فقال له : أيسرُّك وهو بليّة وفتنة ، ويحزنك وهو صلوات ورحمة .

لابن جبير

سفيان الثورى ، عن سعيد بن جُبير قال . ما أُعطيت أمةٌ عند المصيبة ما أُعطيت هذه الأمة من قولها : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ . ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب حيث يقول : ﴿ يا أسفا على يوسُفَ ! وابيضّت عيناهُ من الحُزْنِ فهو كَظِيم ﴾ . ٥

لرجل يعزى رجلا

وعزى رجلٌ رجلا بابنٍ له فقال له : لو ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ؛ فما بقاء مَن ذهب أصله وفرعه .

تعازى الملوك

لأكثم يعزى ابن هند

العتبى قال : عزى أكثمُ بن صيفى عمرَو بن هند ملك العرب على أخيه ، فقال له : أيها الملك ، إن أهل هذه الدار سَفرٌ لايحُلون عُقَد الرِّحال إلا فى غيرها ، ١٠ وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك ؛ واعلم أنّ الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل ، فجعك بنفسه ، وأبقى لك وعليك حكمته . واليوم : غنيمة وصديق ، أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته . وغد : لا تدرى من أهله ، وسيأتيك إن وجدك ! فما أحسن الشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ! وقد ١٥ مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلفِ منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

فى مهلك المنصور

لما هلك أمير المؤمنين المنصور ، قدمتْ وفود الأمصار على أمير المؤمنين المهدى ، وقدِم فيهم أبو العيناء المحدِّث ؛ فتقدم إلى التعزية فقال : آجَر اللهُ أميرَ المؤمنين على أميرِ المؤمنين قبله ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له ؛ فلا ٢٠ مصيبة أعظم من مصيبة إمام والد ، ولا عقبى أفضل من خلافة الله على أوليائه ؛ فاقبل من الله أفضلَ العطية ، واصبر له على أعظم الرزيّة .

ولما مات معاوية بن أبى سفيان ، ويزيد غائب ؛ صلى عليه الضحاك

في موت معاوية ابن أبي سفيان

ابن قيس الفهرى ، ثم قدم يزيد من يومه ذلك ؛ فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى ، فقال :

اَصبِر يزيدُ فقد فارقت ذا مِقَةٍ ٭ واشكُر حِباءَ الذى بالمُلْكِ حاباكا

لا رَزْءَ أعظمُ فى الأقوامِ قدعَلِموا ٭ مِمّا رزِئتَ ولا عُقبى كعُقْباكا

٥ أصبحتَ راعِىَ أهلِ الأرض كُلِّهم ٭ فأنت ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا

وفى مُعاوية الباقى لنا خلَفٌ ٭ إذا نُعيتَ ولا نسمَعْ بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام .

عزاء شبيب المنصور فى أبى العباس

عزى شبيب بن شبة المنصور على أخيه أبى العباس فقال : جعل الله ثوابَ ما رُزِئت به لك أجراً ، وأعقبك عليه صبراً ، وختم ذلك لك بعافية تامة ، ونعمة ١٠ عامة ؛ فثواب الله خيرٌ لك منه ، وما عند الله خير له منك ، وأحق ما صُبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل .

لابن إسحاق يعزى بعض الخلفاء

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخلفاء يعزّيه : إن أحق مَن عرف حقَّ الله فيما أخذ منه ، من عرف نعمته فيما أبقى عليه . يا أمير المؤمنين ، إن الماضى قبلك هو الباقى لك ، والباقى بعدك هو المأجور فيك ، وإن النعمة على الصابرين ١٥ فيما ابتُلوا به أعظم منها عليهم فيما يُعافَون منه

الرشيد وعبد الملك بن صالح

ودخل عبدُ الملك بن صالح دارَ الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بابنٍ له ووُلِد له آخر ! فلما دخل عليه قال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرك ، وجعل هذه بهذه ، مثوبةً على الصبر ، وجزاءً على الشكر .

المأمون يعزى أم الفضل بن سهل

٢٠ ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزيها بابنها الفضل بن سهل فقال : يا أُمَّهْ ، إنك لم تفقدى إلا رؤيته ، وأنا ولدك مكانه ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن رجلا أفادنى ولدا مثلك لجديرٌ أن أجزع عليه .

من عمر بن عبد العزيز إلى عماله بعد موت ولده

لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله : إن عبد الملك كان عبدا من عبيد الله ، أحسن الله إليه وإلىَّ فيه ؛ أعاشه ما شاء وقبضه حين شاء

وكان ـ ما علمت ـ من صالحى شباب أهل بيته قراءةً للقرآن وتحرّيا للخير ، وأعوذ بالله أن يكون لى محبة أخالف فيها محبة الله ، فإن ذلك لا يحسن فى إحسانه إلىّ ، وتتابع نعمه علىّ ، ولأعلمن ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة ؛ قد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه .

عزاء زياد لسليمان بن عبد الملك فى ابنه

دخل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك وقد توفى ابنه أيوب فقال : يا أمير المؤمنين إن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يقول : من أحب البقاء ـ ولا بقاء ـ فليوطِّن نفسه على المصائب .

لعطاء يعزى يزيد فى معاوية

لما مات معاوية دخل عطاء بن أبى صَيفىّ على يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين أصبحتَ رُزئت خليفة الله ، وأُعطيت خلافةَ الله ؛ فاحتسب على الله أعظم الرزية واشكره على أحسن العطية .

لابن الوليد يعزى عمر بن عبد العزيز فى ابنه

عزى محمد بن الوليد بن عُتبة عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، أعِدّ لما ترى عدة تكن لك جُنَّةً من الحزن وسترا من النار ! فقال عمر : هل رأيت حزنا يُحتج به ، أو غفلة ينبِّه[1] عليها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو أن رجلا ترك تعزية رجل لعلمه وانتباهه لكُنْتَه ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين .

عمر بن عبد العزيز فى وفاة أخته

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنها دنا إليه رجل فعزاه ، فلم يرد عليه شيئا ؛ ثم دنا إليه آخر فعزاه فلم يرد عليه شيئا ، فلما رأى الناسُ ذلك أمسكوا عنه ومشوا معه ؛ فلما بلغ الباب أقبل على الناس بوجهه وقال : أدركت الناس وهم لا يُعزون بامرأة إلا أن تكون أُمًّا ، انقلبوا رحمكم الله .

لبعض الشعراء فى التعزية

وُجد فى حائط من حيطان تبّع مكتوباً :

اَصبِرْ لدَهر نال مِنْ ... ـكَ فهكذا مَضَت الدُّهورُ

فَــرَحٌ وحُزنٌ مَرَّةً ... لا الحُزْن دام ولا السُّرورُ

(١) فى بعض الأصول : « يؤنب » .

للعتابى

وهذا نظير قول العتابى :

وقائلةٍ لمَّا رأتنى مُسَهَّدا ٭ كأنَّ الحشَا منى تلذعُهُ الجمْرُ
أباطِنُ داءٍ أم جَوًى بك قاتلٌ ٭ فقلتُ الذى بى ما يقومُ له صبرُ
تفرُّقُ أُلَّافٍ وموتُ أحِبَّةٍ ٭ وفقْدُ ذَوِى الأفضالِ قالت كذا الدهرُ

لابن طاهر يعزى المتوكل فى ابنه

٥ كتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزيه بابن له :

إنى أُعزِّيك لا أنى على ثِقةٍ ٭ مِنَ الحياةِ ولكِنْ سُنَّةُ الدِّين
ليس المُعزَّى بباقٍ بعدَ مَيِّته ٭ ولا المُعزِّى وإن عاشَا إلى حينِ

لأبى عيينة

وقال أبو عيينة :

فإن أشْكُ من ليْلى بجُرجان طولَه ٭ فقد كنت أشكو مِنه بالبَصْرَة القِصَرْ
١٠ وقائلةٍ ماذا نأى بِك عنهمُ ٭ فقلت لها : لا عِلْم لى فَسَلِى القدَرْ

لحكيم يعزى سليمان بن عبد الملك فى ابنه

وقال بعض الحكماء لسليمان بن عبد الملك لما أُصيب بابنه أيوب : ياأمير المؤمنين إن مثلك لا يوعظ إلا بدون علمه ؛ فإن رأيت أن تقدِّم ما أخرَت العجزة فترضى ربك وتُريح بدنك من حسن العزاء والصبر على المصيبة ، فافعل .

للحسن يعزى عمر ابن عبد العزيز

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز يعزّيه فى ابنه عبد الملك ببيت شعر ؛ وهو :

١٥ وعُوِّضْت أجراً من فقيد فلم يكُن ٭ فقيدُك لا يأتى وأجْرك يذهَبُ

للإسكندر يعزى أمه عن فقده

ولما حضرت الإسكندرَ الوفاةُ كتب إلى أمه أن اصنعي طعاما يحضره الناس ثم تقدمى إليهم أن لا يأكل منه محزون . ففعلت ؛ فلم يبسط أحد إليه يده : فقالت : مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ، وليس منا إلا من قد أُصيب بحميم أو قريب ! فقالت : مات والله ابنى ! وما أوصى
٢٠ إلىّ بهذا إلا ليعزينى به !

لسهل بن هارون فى التعزية

وكان سهل بن هارون يقول فى تعزيته : إن أجر التهنئة بآجل الثواب أوجب من التعزية على عاجل المصيبة .

كتاب اليتيمة

فى النسب وفضائل العرب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى النوادب والمراثى ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النسب الذى هو سبب التعارف ، وسُلَّم إلى التواصل ؛ به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يٰأيها النـاسُ إنا خلقناكم من ذكَر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتَعارَفوا ﴾ . فمن لم يعرف النسب لم يعرف النـاس ، ومن لم يعرف الناس لم يُعَدّ من الناس . ٥

فى الحديث

وفى الحديث : تعلموا من النسب ما تَعرِفون به أحسابَكم وتَصِلون به أرحامَكم . ١٠

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كنبيط السواد : إذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا .

أصـــــل النسب

أولاد نوح

قال معاوية بن صالح ، عن يحيي بن سعيد بن المسيّب ، قال : وَلد نوح ثلاثة أولاد : سام وحام ويافث ؛ فولَد سامُ العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والنَّبط ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج . ١٥

أصـــــل قريش

كانت قريش تُدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين فى بنى كنانة ، فجمعهم قصَىُّ بنُ كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ، من كل أوْب إلى البيت ؛ فسُمُّوا قريشا . والتقريش : التجميع . وسُمِّىَ قصىّ بن كلاب ٢٠

مُجمِّعا ، فقال فيه الشاعر :

قُصَى أبوكم مَن يُسَمَّى مُجمِّعاً ٭ به جَمَعَ اللهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

وقال حبيب :

غدوْا فى نواحى نَعْشِه وكأنما ٭ قريشٌ قريشٌ يومَ ماتَ مجمِّعُ

٥ يريد بمجمِّع قصىَّ بن كلاب ، وهو الذى بنى المَشعر الحرام ، وكان يقوم [1] عليه أيامَ الحج ؛ فسماه الله مشعرا ، وأمره بالوقوف عنده . وإنما جمع قُصىّ إلى مكة بنى فهر بن مالك ، فجِذْمُ قريش كلّها فهرُ بن مالك ؛ فما دونه قريش وما فوقه عرب مثل كنانة وأسد وغيرهما من قبائل مضر ؛ وأما قبائل قريش فإنها تنتهى إلى فهر بن مالك لا تجاوزه ، وكانت قريش تسمّى آلَ الله ، ١٠ وجيران الله ، وسكان الله .

لعبد المطلب فى قومه

وفى ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آلُ اللهِ فى ذِمَّته ٭ لم نَزَلْ فيها على عهدٍ قَدُمْ

إنّ للبيتِ لرَبًّا مانِعاً ٭ مَن يُرِدْ فيه بإثمٍ يُخترَم

لم تَزَلْ لِلهِ فينا حُرْمةٌ ٭ يَدْفعُ اللهُ بها عنّا النِّقَم

لأبى نواس فى مدح بنى شيبة

١٥ وقال الحسن بن هانئ فى بعض بنى شيبة بن عثمان الذين بأيديهم مفتاح الكعبة :

إذا آشتعَبَ الناس البيوت فأنتمُ ٭ أُولو اللهِ والبيتِ العتيقِ المحرَّم

نسب قريش

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى : تسمية من انتهى إليه الشرف من قريش فى الجاهلية فوصله بالإسلام ، عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : هاشم ، ٢٠ وأمية ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتَيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجُمح ، وسهم .

بنو هاشم

فكان من هاشم : العباس بن عبد المطلب ، يسقى الحجيج فى الجاهلية ، وبقى له ذلك فى الإسلام .

(١) فى بعض الأصول : « يسرج » .

بنو أمية — ومن بنى أمية : أبو سفيان بن حرب ، كانت عنده العقاب راية قريش ؛ وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب ، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدّموه .

بنو نوفل — ومن بنى نوفل : الحرث بن عامر ، وكانت إليه الرفادة ، وهى ما كانت تُخرجه من أموالها وترفد به مُنْقطع الحاج .

بنو عبد الدار — ومن بنى عبد الدار : عثمان بن طلحة ، وكان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال والندوة أيضاً فى بنى عبد الدار .

بنو أسد — ومن بنى أسد : يزيد بن زَمْعة بن الأسود ، وكانت إليه المشورة : وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا يجتمعون على أمر حتى يَعرضوه عليه ، فإن وافقه ولّاهم عليه ، وإلا تخير وكانوا له أعواناً ؛ واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف .

بنو تيم — ومن بنى تيم : أبو بكر الصديق ، وكانت إليه فى الجاهلية الأشناق ، وهى الديات والمغرم ، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالةَ من نهض معه ، وإن احتملها غيره خذلوه .

بنو مخزوم — ومن بنى مخزوم : خالد بن الوليد ، وكانت إليه القبة والأعنة : فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش ؛ وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش فى الحرب .

بنو عدى — ومن بنى عدىّ : عمر بن الخطاب ، وكانت إليه السفارة فى الجاهلية : وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب ، بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حىّ لمفاخرة جعلوه منافرا ورضوا به .

بنو جمح — ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية ، وكانت إليه الأيسار ، وهى الأزلام ؛ فكان لا يُسبَق بأمر عام حتى يكون هو الذى يتَيسرون على يديه .

بنو سهم — ومن بنى سهم : الحرث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التى سمّوها لآلهتهم .

مكارم قريش

فهذه مكارم قريش التى كانت فى الجاهلية، وهى: السقاية، والعمارة، والعُقاب، والرفادة، والسّدانة، والحجابة، والندوة، واللواء، والمشورة، والأشناق، والقبة، والأعنة، والسفارة، والأيسار، والحكومة، والأموال المحجرة - إلى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت فى أوليتهم، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر؛ وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم؛ وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الإسلام فوصله؛ فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحُلوان النفر فى بنى هاشم.

فأما السقاية فمعروفة، وأما العمارة فهو ألّا يتكلم أحد فى المسجد الحرام بهُجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته. وكان العباس ينهاهم عن ذلك.

وأما حُلوان النفر، فإن العرب لم تكن تُملّكُ عليها فى الجاهلية أحداً، فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة، فمن خرجت عليه القرعة أحضروه، صغيراً كان أو كبيراً. فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العبّاس وهو صغير فأجلسوه على المجن.

بين المأمون وأبى الطاهر

أبو الطاهر أحمد بن كثير بن عبد الوهاب قال: حدثنى أبو ذكوان عن أحمد بن يزيد الأنطاكى أنه سمع المأمون يقول لأبى الطاهر الذى كان على البحرين: من أى قريش أنت؟ قال: من بنى أسامة بن لؤى، فقال المأمون: ما سمعنا لأسامة ابن لؤى نسباً فى بطوننا العشرة، لو علِمنا به على بُعده منا لكنا به بَررة.

فضل بنى هاشم وبنى أمية

لعلى فيهم

قيل لعلىّ بن أبى طالب: أخبِرْنا عنكم وعن بنى أمية. فقال: بنو أمية أغْدرُ وأمكر وأفْجَر، ونحن أصبَح وأفصَح وأسمح.

وللشعبى

وسأل رجل الشَّعْبىَّ عن بنى هاشم وبنى أمية، فقال: إن شئت أخبرتك ما قال علىُّ بن أبى طالب فيهم. قال: أخبرنى. قال: أما بنو هاشم فأطعمُها للطعام، وأضربها لِلهام؛ وأما بنو أمية فأبعدها حِلما وأطلبها للأمر الذى لا يُنال فينالونه.

ولمعاوية

قيل لمعاوية : أخبِرنا عنكم وعن بنى هاشم . قال : بنو هاشم أشرف واحداً ، ونحن أشرف عدداً ، فما كان إلا كَلاَ ولا ، حتى جاؤا بواحدة بذّت الأولين والآخرين . يريد النبي صلى الله عليه وسلم . وبقوله : أشرف واحداً : عبد المطلب ابن هاشم .

الرشيد وأموى

٥ الرياشي عن الأصمعي قال : تصدى رجل من بنى أمية لهارون الرشيد فأنشده :

يا أمين ٱلله إنى قائـلٌ * قولَ ذى فهمٍ وعِلمٍ وأدبْ
عبدُ شمسٍ كان يتلو هاشماً * وهُما بعـدُ لِأُمٍ ولِأَبْ
فاحفظ الأرحام فينا إنما * عبدُ شمسٍ عمُّ عبدِ المطلب
لكم الفضل علينا ، ولنا * بكمُ الفضل على كلِّ العربْ

١٠ فأحسن جائزته ووصله .

للنبي صلى الله عليه وسلم

سفيان الثورى يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله خَلَق الخلْق فجعلنى فى خيْرِ خَلْقه ، وجعلهم أفراقاً فجعلنى فى خير فرْقة ، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خير بيت . فأنا خيْركم بيتاً وخيركم نسبا .

وقال صلى الله عليه وسلم : كلُّ سببٍ ونسبٍ مُنقطع يوْم القيامة إلّا ١٥ سببي ونسبي .

جماعة بنى هاشم بن عبد مناف

وجماعة قريش

عبد المطلب

عبد المطلب بن هاشم ولده عشرة بنين ، منهم : عبد الله أبو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبو طالب ، والزبير ، أمهم فاطمة بنت عمرو المخزومية . والعباس ، وضرار ، أمهما نتيلة النمرية . وحمزة ، والمقوم ، أمهما هالة بنت وهيب . ٢٠ وأبو لهبَ ، أمه لبنى خزاعية . والحارث ، أمه صفية من بنى عامر بن صعصعة . والغيداق ، أمه خزاعية .

جماعة بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

أمية الأكبر

وهو أمية الأكبر : حرب بن أمية ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ، وهؤلاء يقال لهم العَنابِس ، والعاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ؛ وهؤلاء يقال لهم الأعياص ، ومنهم معاوية بن أبى سفيان ، ٥ وعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ، ومنهم سعيد بن العاص بن أمية ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية .

جماعة بنى نوفل

الحارث بن عامر صاحب الرفادة ، ومطعم بن نوفل ، ومنهم عدى بن الخيار ابن نوفل ؛ ومنهم شافع بن ظرب بن عمرو بن نوفل ؛ وهو كاتب المصاحف ١٠ لعمر بن الخطاب ؛ ومسلم بن قرطة ، قتل يوم الجمل .

جماعة بنى عبد الدار

عثمان بن طلحة ، صاحب الحجابة ؛ وشيبة بن عثمان بن أبى طلحة ؛ والحرث ابن علقمة بن كلدة ، كان رهينة قريش عند أبى يكسوم ؛ والنضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة ، بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله النبى صلى الله عليه وسلم صبراً ، ١٥ أمر علىَّ بن أبى طالب فقتله يوم الأُثيل .

جماعة بنى أسد بن عبد العزى

منهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، وأمه صفية ابنة عبد المطلب ، ويزيد ابن زمعة بن الأسود صاحب المشورة ؛ وأبو البخترى ، واسمه العاص بن هشام ابن الحرث بن أسد ؛ وورقة بن نوفل بن أسد ، هو الذى أدرك الإيمان بعقله ٢٠ وبشَّر خديجة بالنبى صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى تيم بن مرة

منهم أبو بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعمرو بن عبد الله بن معمر ، وعبد الله بن جدعان ، وعلى بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة ، والمهاجر بن قنفذ بن عمر بن جدعان ، ومحمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير .

جماهير مخزوم بن مرة

٥

منهم المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وخالد بن الوليد بن المغيرة ، وعبد الرحمن بن الحرث ، وعمرو بن حُرَيْثٍ ، وأبو جهـــل بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبى ربيعة ، وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة الشاعر ، وعبد الله بن المهاجر ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة — ولى المغيرة المدينة وضرب سعيد بن المسيب — ومنهم سعيد بن المسيب ١٠ ابن أبى وهب الفقيه .

جماهير عدى بن كعب

منهم : عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو من أصحاب حراء ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، ولى الكوفة لعمر بن عبد العزيز ، وسراقة بن المعتمر ، والنحام بن عبد الله بن أسيد ، ١٥ والنعمان بن عدى بن النضلة ، استعمله عمر على مَيْسان ، وعبد الله بن مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ، وخارجة بن حذافة ، وكان قاضيا لعمرو بن العاص بمصر : فقتله الخارجى وهو يظنه عمرو بن العاص ، وقال فيه : أردت عمراً وأراد الله خارجة !

جماهير جمح

٢٠

منهم : صفوان بن أمية ، من المؤلفة قلوبهم ، وأمية بن خلف ، قتل يوم

بدر ؛ وأبيّ بن خلف ؛ ومحمد بن حاطب ؛ وجميل بن معمر بن حذافة ؛ وأبو عزة وهو عمرو بن عبد الله ؛ وأبو محذورة ، مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم .

جماهير بنى سهم

الحرث بن قيس ، صاحب حكومة قريش ؛ وعمرو بن العاص ؛ وقيس بن عدى ؛ وخُنيس بن حُذافة ، ومنبه ؛ ونبيه ، ابنا الحجاج ؛ ومنهم العاصى بن منبه ، قُتل مع أبيه ، قتله علىّ وأخذ سيفه ذا الفقار ، فصار إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير عامر بن لؤى

منهم : سُهيل بن عمرو ، من المؤلفة قلوبهم ؛ ومنهم ابن أبى ذئب الفقيه ، واسمه محمد بن عبد الرحمن ؛ وحويطب بن عبد العزى ، من المؤلفة قلوبهم ؛ وعبد الله بن مخرمة ، بدرى ؛ ونوفل بن مساحق ؛ وأبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة ، الفقيه : وعبد الله بن أبى سرح ، بدرى ؛ ومنهم ابن أم مكتوم ، مؤذن النبي عليه الصلاة والسلام .

جماهير بنى محارب بن فهر بن مالك

منهم : الضحاك بن قيس الفهرى ، وحبيب بن مسلمة .

جماهير بنى الحارث بن فهر بن مالك

منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، أمين هذه الأمة ؛ وسهيل ؛ وصفوان ، ابنا وهب ؛ وعياض بن غنْم بن زهير ؛ وأبو جهم بن خالد ؛ وبنو الحرث . هؤلاء من المطيّبين الذين تحالفوا وغمسوا أيديهم فى حفنة فيها طيب .

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش

بنو الحارث وبنو محارب ابنا فهر بن مالك ، وهم قريش الظواهر لأنهم

نزلوا حول مكة وما والاها [1] .

فمن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، من المهاجرين الأولين .

ومن بنى مُحارب بن فهر : الضحاك بن قيس الفهرى ، صاحب مرج راهط .

وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة ، وهم البطون العشرة التى ذكرناها قبل هذا الباب .

ومن بطون قريش

بنو زُهرة بن كلاب بن كعب بن لؤىّ . منهم وهَب بن عبد مناف بن زُهرة ، أبو آمنة أُم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، خال النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم بنو حبيب بن عبد شمس ؛ ومنهم عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، صاحب العراق ؛ ومنهم بنو أمية الأصغر ابن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه عبلة ، فيقال لهم العبلات ؛ وبنو عبد العزى بن عبد شمس ، منهم أبو العاص بن الربيع ، صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج ابنته التى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه : « ولكِنَّ أبا العاص لم يُذَمَّمْ صِهْرُه » ؛ ومنهم بنو المطلب بن عبد مناف ؛ ومنهم محمد بن إدريس الشافعى .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : المطعم بن عدى .

ولعبد شمس بن عبد مناف ونوفل بن عبد مناف يقول أبو طالب :

فيا أخوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً ٭ أُعيذُكما أن تبْعثا بيننا حرْبا

وولد أمية الأكبر : العاص ، وأبا العاص ، والعيص ، وأبا العيص ، فهؤلاء يقال لهم الأعياص ، وحربا وأبا حرب ، وهذه البطون التى ذكرنا كلها من قريش ليست من البطون العشرة التى ذكرناها أولا وذكرنا جماهيرها .

---

(١) فى بعض الأصول : « نزلوا حول مكة وليست لهم » .

فضل قريش

النبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي عليه السلام: الأئمة من قريشٍ. وقال: قدِّموا قريشا ولا تقدُموها: ولما قُتل النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف، قال: «لا يُقتل قرشيّ صبراً بعد اليوم» يريد أنه لا يكفر قرشي فيقتل صبراً بعد هذا اليوم.

معاوية وأصحابه

٥ الأصمعي قال: قال معاوية: أي الناس أفصح؟ فقال رجل من السماط: يا أمير المؤمنين، قوم ارتفعوا عن رُتّة العراق، وتياسروا عن كشكشة بكر، وتيامنوا عن شَنْشنة تغلب، ليست فيهم غمغمة قُضاعة، ولا طُمْطمانية حمير. قال: من هم؟ قال: قومك يا أمير المؤمنين، [قريش]. قال: صدقت! فمن أنت؟ قال: من جَرم. قال الأصمعي: جرم فصحاء العرب.

ابن عتبة وابن عمير

١٠ قدم محمد بن عُمير بن عطارد في نيف وسبعين راكباً، فاستزارهم عمرو بن عتبة، قال: فسمعته يقول: يا أبا سفيان، ما بال العرب تطيل كلامها وأنتم تقصرونه معاشر قريش؟ فقال عمرو بن عتبة: بالجندل يُرمَى الجندل، وإن كلامنا كلام يقل لفظه ويكثر معناه، ويُكتفى بأولاه ويُستشفى بأخراه، يتحدر تحدر الزلال على الكبد الحرى، ولقد نقصوا وأطال غيرهم فما أخلُّوا [1]،

١٥ ولله أقوام أدركتُهم كأنما خُلقوا لتحسين ما قبّحت الدنيا، سهُلت ألفاظُهم كما سهلت عليهم أنفاسهم، فابتذلوا أموالهم، وصانوا أعراضهم، حتى ما يجد الطاعن فيهم مطعنا، ولا المادح مزيدا، ولقد كان آل أبي سفيان مع قلتهم كثيرا منه نصيبُهم، ولله در مولاهم حيث يقول:

وضعَ الدهْرُ فيهمُ شفْرَتيْهِ ٭ فمضَى سالِما وأمسَوْا شُعوبا

٢٠ شفرتان والله أفنتا أبدانهم، وأبقتا أخبارهم، فتركتاهم حديثا حسناً في الدنيا، ثوابهُ في الآخرة أحسنُ، وحديثا سيئا في الدنيا، ثوابُه في الآخرة أسوأُ، فيامَوْعُوظا بمن قبله موعوظاً به من بعده، اربح نفسَك إذا خَسِرها غيرك.

---

(١) في بعض الأصول: «ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد».

قال : فظننت أنه إن أراد أن يعلمه أن قريشاً إذا شاءت أن تتكلم تكلمت .

ابن عتبة وقرشيون تشاحوا

العتبي قال : شهدتُ مجلس عمرو بن عتبة وفيه ناس من القرشيين ، فتشاحُّوا فى مواريث وتجاحدوا ، فلما قاموا من عنده أقبلْ علينا فقال : إنّ لقريش درجا تزلق عنها أقدام الرجال ، وأفعالا تخضع لها رقاب الأقوال ، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة ، وألسنة تكلّ عنها الشفار المشحوذة ؛ ولو احتفلت الدنيا ما تزيَّنتْ إلا بهم ، ولو كانت لهم ضاقت عن سعة أخلاقهم ؛ وإنّ قوما منهم تخلقوا بأخلاق العوام فصار لهم رفق باللؤم ، وخُرق فى الحرص ولو أمكنهم لقاسموا الطير فى أرزاقها ؛ إن خافوا مكروهاً تعجّلوا له الفقر ؛ وإن عُجِّلت لهم النعم أخروا عنها الشكر ، أولئك أنضاء فكرة الفقر ، وعجزة حملة الشكر .

محمد بن الفضل وقوم

قال أبو العيناء الهاشمى : جرى بين محمد بن الفضل وبين قوم من أهل الأهواز كلام ، فلما أصبح رجع عنه ؛ فقالوا له : ألم تقل أمس كذا وكذا ؟ قال : تختلف الأقوال إذا اختلفت الأحوال .

بينه وبين والى الأهواز

ودخل محمد بن الفضل على والى الأهواز فسمعه يقول : إذا كان الحق استوى عندى الهاشمى والنَبطى . فقال محمد بن الفضل : لئن استوت حالاتهما عندك فما ذلك بزائدٍ النبطى زينةً ليست له ، ولا ناقصٍ الهاشمى قدراً هو له ، وإنما يلحق النقص المسوِّى بينهما !

لابن عتبة ينصح قرشيين

العتبي قال : قال عمرو بن عتبة : اختصم قوم من قريش عند معاوية فمنعوا الحق ، فقال معاوية : يامعشر قريش ، مابال القوم لآمٍ يصلون بينهم ما انقطع ، وأنتم لَعلَّات تقطعون بينكم ماوصل الله ، وتباعدون ماقرب ؟ بل كيف ترجون لغيركم وقد عجزتم عن أنفسكم ؟ تقولون كفانا الشرف مَن قبلنا ؛ فعندها لزمتكم الحجة ؛ فاكفوه مَن بعدكم كما كفاكم مَن قبلكم ، أو تعلمون أنكم كنتم رقاعا فى جنوب العرب ، وقد أُخرجتم من حَرَم ربِّكم ، ومُنعتم ميراثَ أبيكم وبلدكم ، وأخذ لكم ما أخذ منكم ؛ وسماكم باجتماعكم اسماً به أبانكم من جميع العرب ، وردّ به كيد العجم ، فقال جل ثناؤه : ﴿ لإِيلافِ قريشٍ إيلافِهم ﴾ فارغبوا

فى الائتلاف أكرمكم الله به ، فقد حذرتْكم الفُرقةُ نفسها ، وكفى بالتجربة واعظا .

مكان العرب من قريش

النبي صلى الله عليه وسلم

يحيى بن عبد العزيز ، عن أبى الحجاج رياح بن ثابت ، عن بكر بن خنيس ، عن أبى الأحوص ، عن أبى الحُصَين ، عن عبد الله بن مسعود أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : قريش الجُؤجؤ والعرب الجناحان ، والجؤجؤ لا ينهض إلا بالجناحين .

لمعاوية

قال عمرو بن عتبة : مااستدرّ لعمى كلامٌ قط فقطعه ، حتى يُذكر العربُ بفضل أو يُوصَى فيهم بخير . ولقد أنشده مروان ذات يوم للنابغة حيث يقول :

فهم دِرْعِى التى استلأمْتُ فيها • إلى يومِ النِّسار وهمْ مِجَنِّى

فقال معاوية : ألا إنّ دروع هذا الحى من قريش إخوانهم من العرب ، المتشابكة أرحامهم تشابُكَ حلَق الدرع ، التى إن ذهبت حَلْقة منه فرقت بين أربع ؛ ولا تزال السيوف تكره مذاقةَ لحوم قريش ما بقيت دروعُها معها ، وشدت نطُقَها عليها ، ولم تفك حلقها منها ؛ فإذا خلعتها من رقابها كانت للسيوف جَزَرا .

لابن عتبة فى معاوية

العتبى عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال : عقمت النساء أن يلدْن مثل عمى ؛ شهدْته يوما وقد قدمتْ عليه وفود العرب ، فقضى حوائجهم وأحسن جوائزهم ؛ فلما دخلوا عليه ليشكروا سبقهم إلى الشكر ، فقال لهم : جزاكم الله يامعشر العرب عن قريش أفضل الجزاء ؛ بتقدمكم إياهم فى الحرب ، وتقديمكم لهم فى السلم ، وحقنكم دماءهم بسَفْكِها منكم ؛ أما والله لا يؤثِر عليكم غيرَكم منهم إلا حازم كريم ، ولا يرغب عنكم منهم إلا عاجز لئيم ؛ شجرة قامت على ساق ، فتفرع أعلاها واجتمع أصلها ، عضد الله من عضدها ، فيالها كلمةً لو اجتمعت ، وأيدياً لو ائتلفت ! ولكن كيف بإصلاح مايريد الله إفساده ؟

فضـــــل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال : حدّثنا أبو الحجاج رياح بن ثابت ، قال : حدثنا بكر ابن خُنيس ، عن أبى الأحوص ، عن أبى الحُصين ، عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألتم الحوائج فاسألوا العرب ؛ فإنها تعطى لثلاث خصال : كرم أحسابها ، واستحياء بعضها من بعض ، والمواساة لله.

ثم قال : « من أبغض العربَ أبغضه الله.

لابن الكلبي

ابن الكلبي قال : كانت فى العرب خاصة عشر خصال لم تكن فى أمة من الأمم : خمس منها فى الرأس ، وخمس فى الجسد ؛ فأما التى فى الرأس : فالفرق ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنثار ، وقص الشارب ؛ وأما التى فى الجسد : فتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء ؛ وكانت فى العرب خاصةً ، القيافة ؛ لم يكن فى جميع الأمم أحد ينظر إلى رُجلين أحدهما قصير والآخر طويل ، أو أحدهما أسود والآخر أبيض ، فيقول : هذا القصير ابن هذا الطويل ، وهذا الأسود ابن هذا الأبيض ، إلا فى العرب .

لابن المقفع

أبو العيناء الهاشمى عن القحذمى عن شبيب بن شيبة قال : كنا وقوفاً بالمربد ، وكان المربد مألف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع ، فبششنا به وبدأناه بالسلام ، فردّ علينا السلام ، ثم قال : لو ملتم إلى دار نَيْروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ؛ فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابّكم من جهد الثقل ؛ فإن الذى تطلبونه لم تُفاتوه ، ومهما قضى الله لكم من شىء تنالوه ! فقبلنا وملنا ؛ فلما استقر بنا المكان قال لنا : أىّ الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس . فقلنا : فارس . فقال : ليسوا بذلك ؛ إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيما من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الأمر ؛ فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم بنفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طُرفة . قلنا : الهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خلق الله . قلنا : الترك . قال : كلاب ضالة [1] . قلنا : الخزر . قال : بقر سائمة . قلنا : فقل . قال : العرب . قال : فضحكنا .

(١) فى بعض الأصول : « مختلسة » .

قال : أما إنى ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتنى حظى من النسبة ، فلا يفوتنى حظى من المعرفة ؛ إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرتْ ؛ أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ؛ يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشىء بعقله فيكون قدوة ، ٥ ويفعله فيصير حجة ، ويحسِّن ما شاء فيحسُن ، ويقبِّح ما شاء فيقبح ؛ أدَّبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم ، وأعْلتهم قلوبهم وألسنتهم ؛ فلم يزل حباء الله فيهم وحباؤهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينَه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ؛ فقال تعالى : ﴿ إنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يشاء مِنْ عِباده والعاقبةُ ١٠ للمُتَّقينَ ﴾ فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ؛ ودفعُ الحق باللسان أكبت للجنان .

ذو الرمة وعبد أسود

ذكر الأصمعى عن ذى الرّمة قال : رأيت عبداً أسود لبنى أسَدٍ قدم علينا من شق اليمامة ، وكان وحشيا ؛ لطول تغرُّبه فى الإبل ، وربما كان لقى الأكرة فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم ، فلما رآنى سكن إلىّ ، ثم قال لى : يا غيلان ، ١٥ لعن اللهُ بلادا ليس فيها عربىّ ، وقاتل اللهُ الشاعر حيث يقول :

حُرُّ الثَّرَى مُسْتَعْرَبُ التُّرابِ

وما رأيت هذه العرب فى جميع الناس إلا مقدار القُرحة فى جلد الفرس ؛ ولولا أن الله رقّ عليهم فجعلهم فى حشاه ؛ لطمست هذه العجمانُ آثارَهم ، واللهِ ما أمر اللهُ نبيَّه بقتلهم إلا لضنه بهم ، ولا ترك قبولَ الجزية منهم إلا لِتركها لهم .

٢٠ الأكرة : جمع أكار ، وهم الحُرّاثُ . وقوله : جعلهم فى حشاه ، أى : آستبطنهم . يقول الرجل للعربى إذا آستبطنه : خبأتك فى حشاى وقال الراجز :

وصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ ٭ جعلتُهُ فى رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِى

وقال آخر :

لقد كنتَ فى قوم عليك أشِحَّةٍ ٭ بحُبِّكَ إلَّا أنَّ ما طاح طائحُ

يَوَدُّونَ لو خاطوا عليك جُلودَهُمْ * ولا يَدْفعُ الموتَ النُّفوسُ الشَّحائحُ

علماء النسب

أبو بكر وابن المسيب

كان أبو بكر رضى الله عنه نسابة ، وكان سعيد بن المسيّب نسابة ، وقال له رجل : أريد أن تعلمنى النسب ، قال : إنما تريد أن تساب الناس :

أبو بكر وبعض القبائل

عكرمة عن ابن عباس عن على بن أبى طالب قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر، حتى رُفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم . قال علىّ : وكان أبو بكر مقدَّما فى كل خير ، وكان رجلا نسابة . فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأى ربيعة أنتم ، أمِن هامتها [أم مِنْ لهازِمِها] ؟ قالوا : مِن هامَتِها العظمى . قال : وأىّ هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذُهْل الأكبر . قال أبو بكر : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه : لا حُرَّ بوادى عوف ؟ قالوا : لا ؛ قال : فمنكم جساس بن مُرة الحامى الذمار ، والمانع الجار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أخوال الملوك من كِندة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم ذُهْلاً الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من شيبان حين بَقَل وجهه ، يقال له دَغفل ، فقال :

إنَّ على سائِلنا أنْ نسألَهْ * والعِبْء لا تَعرِفُهُ أو تَحمِلَه

يا هذا ، إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : من قريش ؟ قال : بخٍ بخٍ ! أهل الشرف والرياسة ؛ فمن أىّ قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مُرة . قال : أمكنْتَ والله الرامى من سواء الثُّغرة . أفمنكم قُصىّ بن كلاب الذى جمع القبائل فسمِّى مجمِّعا ؟ قال : لا . قال : أفمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجالُ مكة مُسنتون عجاف ؟ قال : لا . قال : فمنكم شيبة الحمد ، عبد المطلب ، مطعمُ طير السماء ، الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟

قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمامَ الناقة ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الغلام :

صادفَ دَرُّ السيلِ دَرًّا يَدفعُهْ ٭ يَهِيضُهُ حيناً وحيناً يَصْدَعُهْ

قال : فتبسم النبي عليه السلام ؛ قال عليّ : فقلت له : وقعتَ يا أبا بكر من الأعرابى على باثقة . قال : أجل ؛ قال : مامن طامة إلا وفوقها أخرى ، والبلاء موكل بالمنطق والحديث ذو شجون .

دغفل وقوم من الأنصار

قال ابن الأعرابى : بلغنى أن جماعة من الأنصار وقفوا على دَغْفَل النسابة بعد ما كفَّ ، فسلموا عليه ، فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : سادة اليمن . فقال : من أهل مجدها القديم ، وشرفها العميم ، كندة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الطوال قصبا الممحّضون نسبا ، بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أقوَدُها للزحوف ، وأخرَقها للصفوف ، وأضربُها بالسيوف ، رهط عمرو بن معديكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أحضَرُها قِراء ، وأطيبها فِناء ، وأشدها لِقاء رهط حاتم بن عبد الله [الطائى] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الغارسون للنخل ، والمطعمون فى المَحل ، والقائلون بالعدل ، الأنصار ؟ قالوا : نعم .

ابن شيبان وقوم من العرب

مسلمة بن شبيب ، عن المِنقرى ، قال : ذكروا أن يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس قال : خرجتُ حاجًّا ، حتى إذا كنت بالمحَصَّب من مِنًى إذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب ، مع كل رجل منهم مِحْجَن ، يُنَحُّون الناس عنه ويوسِّعون له ؛ فلما رأيته دَنَوْت منه ؛ فقلت : ممَّن الرجل ؟ قال : رجل من مَهْرة ، ممن يسكُن الشِّحر . قال : فكرهته ووليت عنه ، فنادانى من ورائى : مالَك ؟ فقلت . لستَ من قومى ولستَ تعرفنى ولا أعرفك . قال : إن كنتَ من كرام العرب فسأعرفك . قال : فكررت عليه راحلتى ، فقلت : إنى من كرام العرب . قال : فممن أنت ؟ قلت : من مضر . قال : فمِنَ الفرسان أنت أم من الأرحاء ؟ فعلمت أنه أراد بالفرسان قيسا ، وبالأرحاء خِندفا ؛ فقلت : بل من الأرحاء . قال : أنت امرؤ من خندف ؟ قلت : نعم . قال : من الأرنبة

أنت أم من الجماجم ؟ فعلمت أنه أراد بالأرنبة خزيمة ، وبالجمجمة بنى أدّ بن طابخة ؛ قلت : بل من الجمجمة . قال : فأنت امرؤ من بنى أدّ بن طابخة ؟ قلت : أجل ؛ قال : فمَن الدوانى أنت أم من الصميم ؟ قال : فعلمت أنه أراد بالدوانى الرباب ومزينة ، وبالصميم بنى تميم ؛ قلت : من الصميم . قال : فأنت إذاً من بنى تميم . قلت : أجل . قال : فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين ، أو من إخوانهم الآخرين ؟ فعلمت أنه أراد بالأكثرين ولد زيد مناة ، وبالأقلين ولد الحارث ، وبإخوانهم الآخرين بنى عمرو بن تميم ؛ قلت : من الأكثرين ، قال : فأنت إذاً من ولد زيد ، قلت : أجل ؛ قال : فمِن البحور أنت أم من الجُدود أم من الثماد ؟ فعلمت أنه أراد بالبحور بنى سعد ، وبالجدود بنى مالك بن حنظلة ، وبالثماد بنى امرئ القيس بن زيد ؛ قلت : بل من الذرى . قال : فأنت من مالك بن حنظلة . قلت : أجل . قال : فمن اللِّهاب أنت أم من الشعاب أم من اللِّصاب ؟ فعلمت أنه أراد باللِّهاب مجاشعا ، وبالشعاب نهشلا ، وباللصاب بنى عبد الله بن دارم ؛ فقلت له : من اللصاب . قال : فأنت من بنى عبد الله بن دارم ؟ قلت : أجل . قال : فمِن البيوت أنت أم من الزَّوافر ؟ فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة ، وبالزوافر الأحلاف ؛ قلت : من البيوت . قال : فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس ، وقد كان لأبيك امرأتان ، فأيهما أُمُّك ؟

قول دغفل فى قبائل العرب

دغفل وزياد

الهيثم بن عدى عن عوانة قال : سأل زياد دغفلا عن العرب ، فقال : الجاهلية لِيَمَن ، والإسلام لمضر ، والفينة بينهما لربيعة . قال : أخبرنى عن مضر ؛ قال : فاخِرْ بكنانة ، وكاثِر بتميم ، وحارب بقيس ؛ ففيها الفرسان والأنجاد ؛ وأما أسد ففيها دَل وكبر .

دغفل ومعاوية

وسأل معاوية بن أبى سفيان دغفلا فقال له : ماتقول فى بنى عامر بن صعصعة ؟ قال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء ! قال : فما تقول فى بنى أسد ؟ قال : عافة قافة ، فصحاء كافة . قال : فما تقول فى بنى تميم ؟ قال : حجر أخشن ، إن صادفته آذاك ،

وإن تركته أعفاك . قال : فما تقول فى خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ! قال : فما تقول فى اليمن ؟ قال : شدة وإباء .

قال نصر بن سيّار :

إنا وهذا الحىَّ مِنْ يَمَنٍ لنا ٭ عند الفَخار أعزَّة أكفاء
قومٌ لهم فينا دماءٌ جَمَّةٌ ٭ ولنا لديهم أجْنةٌ ودماء
وربيعةُ الأذناب فيما بيننا ٭ لاهُمْ لنا سِلْمٌ ولا أعداء
إنْ يَنصرونا لا نعِز بنصرهم ٭ أو يَخذُلونا فالسماء سماء

مفاخرة يمن ومضر

الأبرش يفاخر ابن صفوان

قال الأبرش الكلبى لخالد بن صفوان : هلم أفاخرْك ـ وهما عند هشام بن عبد الملك ـ فقال له خالد : قل . فقال الأبرش : لنا ربع البيت ـ يريد الركن اليمانى ـ ومنا حاتم طيئ ، ومنا المهلب بن أبى صفرة .

قال خالد بن صفوان : منا النبى المرسل ، وفينا الكتاب المنزَّل ، ولنا الخليفة المؤمَّل .

قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضَرِيا بعدك !

أبو العباس وقوم من اليمن

ونزل بأبى العباس قوم من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال أمير المؤمنين [وأهله] ! قال : لابد أن تقول . قال : وما [عَسَى أن] أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين حائك برد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ؛ دل عليهم هدهد ، وملكتهم امرأة ، وغرقتهم فأرة ؟ فلم يثبت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج

الخشنى يرفعه إلى أنس ، قال : تفاخرت الأوس والخزرج ؛ فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة الراهب ، ومنا عاصم بن ثابت بن الأفلح الذى حمت .

حمه الدَّبر ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز لموته العرش سعد
ابن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم : زيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومعاذ بن جبل ،
وأبىّ بن كعب سيد القراء ؛ ومنا الذى أيده الله بروح القدس فى شعره ، حسان
ابن ثابت . ٥

البيوتات

علماء النسب فى حضرة عبد الملك

قال أبو عبيدة فى كتاب التاج : اجتمع عند عبد الملك بن مروان فى سمره
علماء كثيرون من العرب ، فذكروا بيوتات العرب ، فاتفقوا على خمسة أبيات :
بيت بنى معاوية الأكرمين فى كِندة ، وبيت بنى جشم بن بكر فى تغلب ، وبيت
ابن ذى الجدين فى بكر ، وبيت زُرارة بن عدس فى تميم ، وبيت بنى بدر فى قيس ١٠
ـ وفيهم الأحرز بن مجاهد التغلبى ، وكان أعلم القوم ، فجعل لا يخوض معهم فيما
يخوضون فيه ؛ فقال له عبد الملك : مالك يا أحيرز ساكتا منذ الليلة ؟ فوالله
ما أنت بدون القوم علما . قال : وما أقول ؟ سبق أهل الفضل فى فضلهم أهل
النقص فى نقصانهم ، والله لو أن للناس كلهم فرسا سابقاً لكانت غرّته بنو شيبان
ففيم الإكثار . وقد قال المسيَّب بن عَلَس : ١٥

تَبيت الملوكُ على عَتْبِها * وشيْبان إن عَتَبتْ تَعْتِبُ
فكالشُّهْد بالرَّاح أخلاقُهم * وأحلامُهم منهما أعذَبُ
وكالمسك تُرْبُ تِقاماتهم * وتُرْبُ قُبورِهم أطيَبُ

بيوتات مضر وفضائلها

النبى صلى الله عليه وسلم

قال النبى صلى الله عليه وسلم ، وسئل عن مضر . فقال : كِنانة جُمْجُمَتُها وفيها ٢٠
العينان ، وأسدٌ لسانها ، وتميم كاهلها .

لبعضهم

وقالوا : بيت تميم ، بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة ، وبيت قيس ،
فزارة ومركزه بنو بدر ؛ وبيت بكر بن وائل شيبان ، ومركزه بت بنى ذى الجدين .

معاوية والكلبي

وقال معاوية للكلبي حين سأله عن أخبار العرب . قال : أخبرني عن أعز العرب فقال : رجل رأيته بباب قبته فقسم الفيء بين الحليفين أسد وغطفان معا . قال : ومن هو ؟ قال : حصن بن حذيفة بن بدر . قال : فأخبرني عن أشرف بيت في العرب . قال : والله إني لأعرفه وإني لأبغضه ! قال : ومن هو ؟ قال بيت زرارة ابن عدس . قال : فأخبرني عن أفصح العرب . قال : بنو أسد . ٥

والمجتمع عليه عند أهل النسب . وفيما ذكره أبو عبيدة في التاج ، أن أشرف بيت في مضر غير مدافع في الجاهلية ، بيت بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

النعمان والأحيمر

وقال النعمان بن المنذر ذات يوم ، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل ، ودعا ببردَيْ محرِّق . فقال : لَيَلْبَسْ هذين البردين أكرمُ العرب وأشرفهم حسبا وأعزُّهم قبيلة . فأحجم الناس ؛ فقام الأحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، فقال : أنا لهما ! فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ؛ فقال له المنذر : «ماحجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار كلها في مضر . ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة . قال : هذا أنت في أصلك ؛ فكيف أنت في عشيرتك ؟ قال : أنا أبو عشرة ، وعم عشرة ، وأخو عشرة ، وخال عشرة ! قال : فهذا أنت في عشيرتك ؛ فكيف أنت في نفسك ؟ فقال : شاهدُ العين شاهدي . ثم قام فوضع قدمه في الأرض . وقال : من أزالها فله من الإبل مائة ! فلم يقم إليه أحد ولا تعاطى ذلك . ففيه يقول الفرزدق : ١٠ ١٥

فما تم في سعدٍ ولا آلِ مالك * غلامٌ إذا ما سيل لم يَتَبهدلِ

لهمْ وهَبَ النُّعمان بُرْدَيْ مُحرِّقٍ * بمجدِ مَعَدّ العديد المحصَّل ٢٠

شيء عن بهدلة

ومن بيت بهدلة بن عوف كان الزبرقان بن بدر ، وكان يسمى سعد بن زيد مناة بن تميم أسعد الأكرمين . وفيهم كانت الإفاضة في الجاهلية في عطارد بن عوف بن كعب بن سعد ، ثم في آل كرب بن صفوان بن عطارد . وكان إذا اجتمع الناس أيام الحج بمنًى لم يبرح أحد حتى يجوز آل صفوان ومَن

ورث ذلك عنهم ، ثم يمر النـاس أرسالا . وفى ذلك يقول أوس بن مغراء السعدى :

ولا يَرِيمونَ فى التَّعريفِ موقِفهُمْ * حتى يُقال أجيزُوا آلَ صِفْوانا

ما تطْلُعُ الشَّمسُ إلّا عندَ أوّلِنا * ولا تَغيَّبُ إلا عنـد أخرانا

قال الفرزدق :

تَرى النَاسَ ماسِرْنا يسيرون خلْفنا * وإن نحنُ أومأْنا إلى الناسِ وقَّفوا

بيوتات اليمن وفضائلها

النبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنى لأجدُ نفَسَ ربكم من قِبَلِ اليمن » معناه والله أعلم : أن الله ينفس عن المسلمين بأهل اليمن ؛ يريد الأنصار . ولذلك تقول العرب : نفَّسنى فلان فى حاجتى ، إذا روّح بعض ما كان يغُمّه من أمر حاجته .

لابن عباس

وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانية : لكم من السماء نجمُها ومن الكعبة ركنُها ومن الشرف صميمها .

لعمر بن الخطاب

وقال عمر بن الخطاب : مَن أجوَدُ العربِ ؟ قالوا : حاتمُ طيئ ، قال : فمن فارسُها ؟ قالوا : عمرو بن معديكرب . قال : فمن شاعرُها ؟ قالوا : امرؤ القيس بن حجر . قال : فأىُّ سيوفها أقطعُ ؟ قالوا : الصمصامة . قال : كفى بهذا فخراً لليمن .

لأبى عبيدة

وقال أبو عبيدة : ملوك العرب حِمير ، ومقاولها غسان ولخم ، وعددها وفرسانها الأزد ، ولسانها مذحج ، وريحانتها كندة ، وقريشها الأنصار .

لابن الكلبي

وقال ابن الكلبي : حِمْير مُلوك وأرادف الملوك ، والأزد أُسد ، ومذحج الطعّان وهمدان أحلاس الخيل ، وغسان أرباب الملوك .

ومن الأزد الأنصار ، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم أعز الناس أنفسا ، وأشرفهم هِمما ؛ لم يؤدوا إتاوة قط إلى أحد من الملوك .

وكتب إليهم أبو كرب تُبّع الآخِر يستدعيهم إلى طاعته ويتوعدهم إن لم يفعلوا أن يغزوهم ؛ فكتبوا إليه :

العبدُ تُبَّعُكُمْ يُريدُ قِتالنَا * ومكانُهُ بالمنزلِ المُتذلِّلِ

إنا أُناسٌ لا تنامُ بأرضِنا * عضَّ الرسولُ بِبظرِ أمِّ المُرسِلِ

٥ قال : فغزاهم أبو كرب ، فكانوا يحاربونه بالنهار ، ويُقْرونه بالليل ، فقال أبو كرب : ما رأيتُ قوماً أكرمَ من هؤلاء ؛ يحاربوننا بالنهار ، ويُخرِجون لنا العَشاء بالليل ! ارتحِلوا عنهم . فارتحلوا .

النبي صلى الله عليه وسلم

ابن لهيعة عن ابن هُبيرة عن علقمة بن وعْلة عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن سبإ ما هو : أبلد أم رجل أم امرأة ؟ فقال : بل ١٠ رجل وُلد له عشرة ، فسكن اليمنَ منهم ستة ، والشام أربعة . أما اليمانيون ، فكندة ومذحج والأزد وأنمار وحمير والأشعريون . وأما الشاميون فلخم وجذام وغسان وعاملة .

ابن لهيعة قال : كان أبو هريرة إذا جاء الرسولُ سأله ممن هو ؟ فإذا قال من جذام ، قال : مرحباً بأصهار موسى وقوم شعيب .

١٥ ابن لهيعة عن بكر بن سوادة ، قال : أتى رجل من مهرة إلى علي بن أبي طالب ، قال : ممن أنت ؟ قال : من مهرة . قال : ﴿ واذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قومَهُ بالأحقافِ ﴾ .

وقال ابن لهيعة : قبر هود في مَهْرة .

تفسير القبائل والعمائر والشعوب

لابن الكلبي

٢٠ قال ابن الكلبي : الشعب أكبر من القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ثم العشيرة ، ثم الفصيلة .

وقال غيره : الشعوبُ العجم ، والقبائلُ العرب ، وإنما قيل للقبيلة قبيلة ، لتقابلها وتناظرها ، وأن بعضها يكافئ بعضاً ، وقيل للشعب شعب لأنه

انشعب منه أكثر مما انشعب من القبيلة ؛ وقيل لها عمائر ، من الاعتمار والاجتماع ، وقيل لها بطون ، لأنها دون القبائل ، وقيل لها أفخاذ ، لأنها دون البطون ، ثم العشيرة : وهى رهط الرجل ، ثم الفصيلة وهى أهل بيت الرجل خاصة . قال الله تعالى : ﴿ وفصيلتِهِ التى تُؤْوِيه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأَنْذِرْ عشِيرتكَ الأقربِينَ ﴾ .

تفسير الأرحاء والجماجم

لأبى عبيدة

وقال أبو عبيدة فى التاج : كانت أرحاء العرب ستا ، وجماجها ثمانيا ، فالأرحاء الست ، بمضر منها اثنتان ، ولربيعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، واللتان فى مضر : تيم بن مرة ، وأسد بن خزيمة ، واللتان فى اليمن : كلب بن وبرة ، وطيئ بن أدد.

١٠ وإنما سُميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دُوراً ومياها لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ، ودارت فى دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها فى البرحاء وعام الجدب ، وذلك قليل منهم .

وقيل للجماجم جماجم ، لأنها يتفرع من كل واحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها ، فصارت كأنها جسد قائم وكل عضو منها مكتف باسمه معروف بموضعه . ١٥

والجماجم ثمان : فاثنتان منها فى اليمن ، واثنتان فى ربيعة ، وأربع فى مضر فالأربع التى فى مضر : اثنتان فى قيس ، واثنتان فى خندف ، فى قيس : غطفان وهوازن ، وفى خندف : كنانة وتميم ، والتى فى ربيعة : بكر بن وائل وعبد القيس ابن أفصى ، والتى فى اليمن : مذحج ـ وهو مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ـ وقضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ . ٢٠

ألا ترى أن بكرا وتغلب ابنى وائل قبيلتان متكافئتان فى العد والعدد ؟ فلم يكن فى تغلبَ رجالٌ شُهرت أسماؤهم حتى انتسب إليهم واجتُزِئَ بهم عن تغلب ، فإذا سألت الرجل من بنى تغلب لم يجتزئ حتى يقول تغلبي . ولبكر

رجال قد اشتهرت أسماؤهم حتى كانت مثل بكر ، فمنها شيبان وعجل ويشكر وقيس وحنيفة وذهل .

ومثل ذلك عبد القيس ، ألا ترى أن عنزة فوقها فى النسب ليس بينها وبين ربيعة إلا أب واحد ، عنزة بن أسد بن ربيعة . فلا يجتزئ الرجل منهم إذا سئل ٥ أن يقول : عنزى ؟

والرجل من عبد القيس ينسب شيبانيا وجرميا وبكريا .

ومثل ذلك أن ضبة بن أدعم تميم لا يجتزئ الرجل منهم أن يقول : ضبىّ .

والتميمى قد ينسب فيقول : منقرى ، وهجيمىّ ، وطهوىّ ، ويربوعىّ ودارمىّ ، وكابىّ .

١٠ وكذلك الكنانى ينسب فيقول : ليثىّ ، ودؤلىّ ، وضمرى ، وفراسى ، وكل ذلك مشهور معروف .

وكذلك الغطفانى ينسب فيقول : عبسى ، وذبيانى ، وفزارى ، ومرى ، وأشجعى ، وبغيضى .

وكذلك هوازن منهـا : ثقيف ، والأعجاز ، وعامر بن صعصعة ، وقشير ، ١٥ وعقيل ، وجعدة .

وكذلك القبائل من يمن التى ذكرنا .

فهذا فرق ما بين الجماجم وغيرها من القبائل ، والمعنى الذى به سمّيت جماجم .

وجمرات العرب أربعة ، وهم : بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عبس بن بغيض ، وإنما قيل لها الجمرات لاجتماعهم ، ٢٠ والجمرة : الجماعة ، والتجمير : التجميع .

أسماء ولد نزار

قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشنى : لما احتضر نزار بن معد بن عدنان ، ترك أربعة بنين : مضر وربيعة ، وأنمار ، وإياد ، وأوصى أن يقسم .

سطيح وقسمه ميراث نزار

ميراثهم بينهم سطيحُ الكاهن ؛ فلما مات نزار ، صفهم سطيح بين يديه ، ثم أعطاهم على الفراسة ؛ فأعطى ربيعة الخيل ، ويقال له ربيعة الفرس . وأعطى مضر الناقة الحمراء ، فيقال له مضر الحمراء . وأعطى أنماراً الحمار . وأعطى إياداً أثاث البيت . قال : فقيل لسطيح : من أين علمت هذا العلم ؟ قال : سمعته من أخى حين سمعه من موسى يوم طور سَيناء . ٥

شعر لربيعة ابن نزار

الأصمعى قال : أخبرنى شيخ من تغلب ، قال أردفنى أبى ، فلما أسحر رفع عقيرته فقال :

رأتْ سِدْرةً من سِدْرِ حوْمَلَ فابتَنتْ ٭ به بيتَهــا أنْ لا تُحاذِر راميا

إذا هى قامت فيــه قامت ظليلةً ٭ وأدْرَك روْقاها الغصونَ الدَّوانيا

تطلَّعُ منـــه بالعشِىِّ وبالضُّحى ٭ تطلُّعَ ذاتِ الخِدْرِ تدعو الجَواريا ١٠

ثم قال : أتدرى مَن قائل هذه الأبيات يابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : قالها ربيعة بن نزار . فقلت : وما يصف ؟ قال : البقرة الوحشية .

أنســـاب مضر

وَلد مضرُ بن نزار : اليأس ، والناسّ ، وهو عيلان . أمهما الرباب بنت حَيْدة بن معد ، فولد الناسُ ـ الذى هو عيلان بن مضر ـ قيس بن عيلان بن مضر . ١٥

وولد اليأس بن مضر : عَمرا . وهو مدركة ، وعامرا ، وهو طابخة . وعميرا ، وهو القمعة ، ويقال إن القمعة هو أبو خزاعة .

وأمهم خندف ، وهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ؛ فجميع ولد اليأس بن مضر بن نزار من خندف . ولذلك يقال لهم خندف لأنها أمهم وإليها ينسبون ، فجميع ولد مضر بن نزار ؛ قيس ، وخندف . ٢٠

ومن بطون خندف : بنو مدركة بن اليأس بن مضر ، وهم : هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمة بن مدركة ، وأسد بن خزيمة بن مدركة ، والهون بن خزيمة بن مدركة . [ومن أسد بن خزيمة أربع عشائر : بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان ؛

فمن دودان : بنو عمرو بن دودان ، قبيلة] ؛ وهم وجوه بنى أسد .

ومن بنى طابخة بن اليأس بن مضر : ضبة بن أدّ بن طابخة ، ومزينة ؛ وهم بنو عمرو بن أدّ بن طابخة ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة ؛ والرباب بنو أدّ بن طابخة ، وهم عدىّ ، وتيم ، وثور ، وعكل ، وإنما سميت الرباب لأنها ٥ اجتمعت وتحالفت فكانت مثل الربابة ؛ ويقال إنهم إذا تحالفوا وضعوا أيديهم فى جفنة فيها رُب ، وصوفة ؛ وهو الربيط بن الغوث بن أدّ بن طابخة ؛ وكانوا أصحاب الإجازة ، ثم انتقلت فى بنى عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ؛ وتميم بن مرة بن أدّ بن طابخة .

لجميع قبائل مضر يجمعها قيس وخندف ؛ وقد تنسب ربيعة فى مضر ؛ وإنما ١٠ هم إخوة مضر ؛ لأن ربيعة بن نزار ، ومضر بن نزار .

بطون هذيل وجماهيرها

منهم لحيان بن هذيل ، بطن ؛ وخُناعة بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وحريث ابن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وكاهل بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل ، بطن ؛ وصبح بن كاهل ، بطن ؛ وكعب بن كاهل ، بطن .

١٥ فمن بنى صاهلة : عبد الله بن مسعود ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد بدرا . ومن بنى صبح بن كاهل : أبو بكر الهذلى الفقيه ، ومنهم صخر بن حبيب الشاعر ، الذى يقال فيه صخر الغى ، وأبو بكر الشاعر ، واسمه ثابت بن عبد شمس . ومنهم : أبو ذؤيب الشاعر ، وهو خويلد بن خالد . وبطون هذيل كلها لا يُنتسب إلى شىء منها ، وإنما يُنتسب إلى هذيل ؛ لأنها ليست جمجمة .

٢٠ بطون كنانة وجماهيرها

كنانة بن خزيمة بن مدركة ، منهم قريش ، وهم بنو النضر بن كنانة ؛ ومنهم بكر ابن عبد مناة ، بطن ؛ وحدج بن ليث بن بكر بن عبد مناة ، بطن ؛ وغفار بن مُليل ابن ضمرة بن بكر ، بطن ـ منهم أبو ذرّ الغفارى صاحب النبى عليه الصلاة والسلام

ـ ومدلج بن مرة بن عبد مناة ، بطن ـ منهم سراقة بن [مالك بن] جعشم المدلجى الذى تصور إبليسُ فى صورته يوم بدر وقال لقريش : إنى جارٌ لكم ـ وبنو مالك ابن كنانة ، بطن ـ منهم جِذْل الطعان ، وهو علقمة بن أوس بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن كنانة . ومن ولد جِذل الطعان ، ربيعة بن مكدم ، وهو أشجع بيت فى العرب ، وفيهم يقول على بن أبى طالب لأهل الكوفة : وَدِدت واللهِ لو أنّ لى بمائةِ ألف منكم ثلثمائة من بنى فِراس بن غنم بن ثعلبة . ومن بنى الحارث بن مالك بن كنانة ، منهم العملس ، وهو أبو ثمـامة الذى كان ينسئ الشهور حتى أنزل الله فيه ﴿ إنمـا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فى الـكُفْرِ ﴾ ؛ وبنو مخدَج بن عامر بن ثعلبة ، بطن ؛ وبنو ضمرة فى كنانة الأحابيش ، منهم البرّاض بن قيس الذى يقال فيه « أفتك من البراض » ومن بنى كنانة الأحابيش ، منهم مبذول وعوف وأحمر وعون ؛ ومن بنى الحرث بن عبد مناة : الحليس بن عمرو بن الحارث ، وهو رئيس الأحابيش يوم أُحد ؛ ومن بنى سعد ليث : أبو الطفيل عامر بن واثلة ، وواثلة بن الأسقع ، كانت له صحبة مع النبى عليه الصلاة والسلام ؛ ومن بنى حدج بن ليث : نصر بن سيار صاحب خراسان ؛ ومن بنى ضمرة بن بكر : عمارة بن مخشى ـ الذى عاقد النبى عليه الصلاة والسلام على بنى ضمرة .

بطون أسد وجماهيرها

أسد بن خزيمة بن مدركة بن اليـأس بن مضر ؛ منهم دودان الذى يقول فيه امرؤ القيس :

قُولَا لِدُودان عَبِيدِ العصا ۞ ماغَرَّكُمْ بالأسدِ البـاسل !

ومنهم : كاهل بن عمرو بن صعب ، وحلة ؛ فأما بنو حلة فأفناهم امرؤ القيس ابن حجر بأبيـه ؛ ومنهم غنم بن دودان ، وثعلبة بن دودان ؛ ومنهم قُعيس بن الحارث بن ثعلبة بنُ دودان بن أسـد ؛ ومنهم بنو الصيداء بن عمرو بن قعَيْس ؛ ومنهم فقعس بن طريف بن عمرو بن قعيس ؛ ومنهم جَحوان بن فقعس ، ودثار ، ونوفل ، ومنقذ ، وهو حـذلم ، بنو فقعس ؛ فمن بنى جحوان طليحة

ابن خويلد الأبدى ؛ ومن بنى الصيداء شيخ من عميرة القائد ، والصامت بن الأفقم الذى قتل ربيعة بن مالك أبا لبيد بن ربيعة الشاعر يوم ذى علق . وفى بنى الصيداء يقول الشاعر :

يا بنِي الصَّيْداءِ ردُّوا فرَسى * إنما يُفْعلُ هذا بالذَّلِيلِ

٥ ومن بنى قُعيس : العلاء بن محمد بن منظور ، ولى شرطة الكوفة ؛ ومنهم ذؤاب بن رُبيِّعة الذى قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، ومنهم : قبيصة ابن برمة ، ومنهم بشر بن أبى خازم الشاعر ؛ ومن بنى سعد بن ثعلبة بن دودان : سويد بن ربيعة ، وعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن شاس أبو عرار ، والكميت ابن زيد ؛ ومنهم : ضرار بن الأزور صاحب المختار ؛ ومنهم بنو غاضرة بن مالك ١٠ ابن ثعلبة بن دودان ؛ ومن بنى غاضرة زر بن حبيش الفقيه ، ومنهم الحسحاس ابن هند الذى ينسب إليه عبد بنى الحسحاس ؛ ومن أسد بنو غنم بن دودان ؛ ومنهم زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم أيمن بن خريم الشاعر ، والأقيشر الشاعر ؛ ومن بنى كاهل بن أسد علباء بن الحرث الذى يقول فيه امرؤ القيس :

١٥ وأَفْلَتَهُنَّ عِلْباءٌ جريضا * ولو أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ

الهون بن خزيمة بن مدركة

منهم القارة ، وهم عائذة ويَيْثع ، بنو الهون بن خزيمة بن مدركة ؛ والقارة أرمَى حى فى العرب ، ولهم يقال :

* قد أَنصف القارَةَ مَنْ راماها *

٢٠ فهذه قبائل بنى مدركة بن اليأس ، وهى : هذيل بن مدركة ، وكنانة بن خزيمة بن مدركة ، وأسد بن خزيمة بن مدركة ، والهُون بن خزيمة بن مدركة .

ومن قبائل طابخة بن اليأس

بطون ضبة وجماهيرها

ضبة بن أدّ بن طابخة بن اليأس: ولد ضبةُ بن أدّ سعدا وسُعيداً وباسلا ، وله المثل الذى يقال فيه : « أسعد أم سُعيد » فقتل سُعيد ولم يعقب ؛ ولحق باسل بأرض الديلم ؛ فتزوج امرأة من أرض العجم ، فولدت له الديلم. فيقال إن باسل ابن ضبة أبو الديلم . وفى ذلك يقول أبو بَجير يَعيب به العرب :

زعَمْتم بأنّ الهِنـدَ أولادُ خِنْدِفٍ * وبينكُـمُ قُرْبَى وبين البَرابِرِ
ودَيْلَمَ منْ نَسْلِ ابنِ ضَبَّةَ باسِلٍ * وبُرْجانَ من أولادِ عمرو بنِ عامرِ
فقد صار كلُّ الناسِ أولادَ واحدٍ * وصاروا سواءً فى أُصولِ العناصِرِ
بنو الأَصفر الأملاكُ أكرمُ منكمُ * وأولى بقُرْبانا مُلوكُ الأكاسِرِ

فمن بنى سعد بن ضبة : بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن. وبنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن . وبنو زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر ، بطن . وبنو عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، بطن .

ومنهم : عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة ، وبنو ثعلبة بن سعد بن ضبة . فمن بنى كوز : المسيب بن زهير بن عمرو ، ومن بنى زهير : عمرو بن مالك بن زيد بن كعب ، وكان سيداً مطاعاً ، وولد له عبد الحارث ، وحصين ، وعمرو ، وأدهم ، وذبحة ، وعامر ، وقبيصة ، وحنظلة ، وخيار ، وحارث ، وقيس ، وشيبة ، ومنذر ، كل هؤلاء شريف قد رأس ورَبَعَ - يعنى قد أخذ المرباع - وكان الرئيس إذا غنم الجيش معه أخذ الرُّبع .

ومن ولد الحصين بن ضرار : زيد الفوارس ، وله يقول الفرزدق :

زَيدُ الفوارِسِ وابنُ زَيْدٍ منهمُ * وأبو قبيْصَةَ والرَّئيسُ الأَوَّلُ

الرئيس الأول : محلِّم بن سُوَيط ربع ضبة وتميم والرباب .

ومن بنى زيد الفوارس : ابن شُبرمة القاضى . ومن بنى عائذة بن مالك ·
شِرْحاف بن المثلم ـ الذى قتل عمارة بن زياد العبسى . ومن بنى السيد بن مالك :
زيد بن حصين ، ولى أصبهان . وعبد الله بن علقمة الشاء الجاهلى . ومنهم
عميرة بن اليثربىّ قاضى البصرة ، وهو الذى قتل علباء و ـد الجلى . وقال فى
٥ قتلهما يوم الجمل :

إنى أنا عُمَيْرَةُ بن اليـثْربىّ ۞ قَتَلْت عِلْباء وهِند الجَمَلىّ

ومن بنى ثعلبة بن سعد بن ضبة : عاصم بن خليفة بن يعقل ، الذى قتل
بسطام بن قيس .

مزينة

١٠ مزينة : بنو عمرو بن أدّ بن طابخة بن اليأس ، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة
كلب بن وبرة . منهم : النعمان بن مقرِّن ، ومنهم معقل بن سنان بن نَبيشة صاحب
النبى عليه الصلاة والسلام ، وزهير بن أبى سلمى الشاعر ، ومعن بن أوس الشاعر .
ومنهم إياس بن معاوية القاضى . وإنما مزينة كلها بنو عثمان وأوس بن عمرو
ابن أدّ بن طابخة ، وفى ذلك يقول كعب بن زهير :

١٥ متى أَدْعُ فى أوْسٍ وعُثمان تأْتنى ۞ مساعِيرُ قوْمٍ كلُّهم سادة دِعَمْ
هُمُ الأُسْدُ عند البأس والحُشْدفى القِرَى ۞ وهُمْ عند عَقْد الجارِ يوفون بالذِّمَمْ

الرباب

وهم : عدىّ ، وتيم ، وثور ، وعُكل ؛ وإنما سميت هذه القبائل الرباب ،
لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رُب ؛ وقال بعضهم : إنما سموا الرباب
٢٠ لأنهم إذا تحالفوا جمعوا أقداحا ، من كل قبيلة منهم قدح ، وجعلوها فى قطعة أدم ،
وتسمى تلك القطعة الربة ، فسموا بذلك الرباب .

فمن بنى عدى بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة : ذو الرمة الشاعر ، وهو غيلان
ابن عقبة . ومن بنى تيم بن عبد مناة : عمر بن لجأ الشاعر الذى كان يهاجى جريرا ؛

ومن بنى عكل بن عبد مناة : النمر بن تولب الشاعر ؛ ومن بنى ثور بن عبد مناة : سفيان الثورى الفقيه . فهذه الرباب ، وهم بنو عبد مناة .

صـــوفة

هم بنو الغوث بن مر بن أدّ بن طابخة ، وفيهم كانت الإجازة فى الجاهلية : هم كانوا يدفعون بالناس من عرفات ، ثم انتقلت الإجازة فى بنى عطارد بن عوف ٥ ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ فمن الغوث شرحبيل بن عبد العزى الذى يقال له شُرحبيل بن حسنة .

بطون تميم وجماهيرها

تميم بن مُر بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مضر . كان لتميم ثلاثة أولاد : زيد مناة ، وعمرو ، والحارث بن تميم . ١٠

فمن الحارث بن تميم : شَقِرة ، واسمه معاوية بن الحارث بن تميم ؛ وإنما قيل له شقرة لبيت قاله ، وهو :

وقد أَحمِلُ الرُّمحَ الأَصمَّ كُعوبَه * به من دماءِ القومِ كالشَّقِرات

والشقرات : هى شقائق النعمان ، شبه الدماء بها فى حمرتها .

ومن بنى شَقِرة : المسيِّب بن شريك الفقيه ، ونصر بن حرب بن مخرمة . ١٥

ومن عمرو بن تميم : أُسيِّد بن عمرو بن تميم ، ومنهم أكثم بن صيفى حكيم العرب ، وأبو هالة زوجُ خديجةَ زوجِ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن حجر الأُسيدى الشاعر ، وحنظلة بن الربيع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام الذى يقال له حنظلة الكاتب .

بنو العنبر بن عمرو بن تميم ٢٠

منهم سَوّار بن عبد الله القاضى ، وعبيد الله بن الحسن القاضى ، وعامر بن قيس الزاهد . ومنهم : بنو دُغَة بنت مِغْنج التى يقال فيها : « أحمق من دغة » ؛

وهى من إياد بن نزار تزوجها عمرو بن جندب بن العنبر ، فولدت له بنى الْهُجَيْم
ابن عمرو بن تميم ، ويقال لهم الحبال .

بنو مازن بن عمرو بن تميم ، منهم : عباد بن أخضر ، وحاجب بن ذبيان
الذى يعرف بحاجب الفيل ، ومالك بن الرَّيب الشاعر ؛ ومنهم : قَطرى بن الفُجاءة
٥ صاحب الأزارقة ، وسَلْم وأخوه هلال بن أحوز .

الحبطات

وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم ، وذلك أنّ أباهم الحارث أكل طعاما فحبط
منه ، أى ورم بطنه . منهم : عباد بن الحصين من فرسان العرب ، كان على شرطة
مصعب بن الزبير .

١٠ غيلان وأسلم وحرماز

بنو مالك بن عمرو بن تميم

فمن بنى غيلان . أبو الجَرْباء ، شهد يوم الجمل مع عائشة ، وقتل يومئذ . ومن
بنى حرماز : سَمُرة بن يزيد . كان من رجال البصرة فى أول مانزلها الناس .

بنو سعد بن زيد مناة بن تميم

١٥ الأبناء ، وهم ستة من ولد سعد بن زيد مناة ، يقال لهم : عبد شمس ، ومالك
وعوف ، وعُوافة ، وجشم ، وكعب .

فبنو سعد بن زيد مناة ، وأولاد كعب بن سعد ، يسمّون مُقاعس والأجارب
إلا عمراً وعوفاً ابنى كعب .

فمن بنى عبد شمس بن سعد : نُمَيْلة بن مُرة صاحب شرطة إبراهيم بن عبد الله
٢٠ ابن الحسن . وإياس بن قتادة ، حامل الديات فى حرب الأزد لتميم ـ وهو ابن
أخت الأحنف بن قيس ـ وعَبدة بن الطبيب الشاعر . وحِمّان ، وهو عبد العزى
ابن كعب بن سعد .

الأجارب

هم بطنان فى سعد ، وهم : ربيعة بن كعب بن سعد ، وبنو الأعرج كعب بن سعد . وفيهم يقول أحمر بن جندل :

ذُودا قليلا تلحق الحلائب * يَلحَقُنا حِمَّانُ والأجارب

فمن بنى الأجارب : حارثة بن قُدامة ، صاحب شرطة على بن أبى طالب ٥ رضى الله عنه ؛ وعمرو بن جُرموز ، قاتل الزبير بن العوام .

مقاعس : هو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . ومن أفخاذ مقاعس : منقر بن عبيد بن مقاعس ؛ منهم قيس بن عاصم سيد الوبر ، وعمرو بن الأهتم ، وخالد بن صفوان بن عمرو بن الأهتم ، وشبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو ابن الأهتم . ومن بنى عُبيد بن مقاعس ، وهم إخوة منقر : الأحنف بن قيس ؛ ١٠ وسلامة بن جندل ، والسُّليك بن سُلكة رجَلىُّ العرب ، ويقال له الرئبال ، كان يُغير وحده . ومنهم عبد الله بن صَفّار الذى تُنسب إليه الصُّفرية . وعبد الله بن إباض الذى تُنسب إليه الإباضية . فهذه مُقاعس وجماهيرها .

بنو عطارد بن عوف

ابن كعب بن سعد ١٥

منهم : كرب بن صفوان بن حُباب . صاحب الإفاضة ، إفاضة الحاج يدفع بهم من عرفات ، وله يقول أوس بن مغراء :

ولا يَريمون فى التَّعْريف موْقِفهم * حتى يقال أجيزوا آل صَفْوانا

قريع بن عوف

ابن كعب بن سعد ٢٠

منهم الأضبط بن قريع رئيس تميم يوم ميط ، وبنو لأى بن أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة ، فقال فيهم .

قومٌ هُمُ الأنف والأذناب غيرُهُم * ومَن يسوّى بأنف النّاقة الذّنبا

ومنهم أوس بن مَغْراء الشاعر . وهذا أشرف بطن فى تميم .

بهدلة بن عوف

ابن كعب بن سعد

منهم الزبرقان بن بدر ، واسمه حصين . ومنهم الأحيمر بن خلف بن بهدلة ،
٥ صاحب بردَىْ محرِّق ، والذى يقول فيه الفرزدق :

فيا ابنة عبد الله وابنة مالكٍ * ويابنت ذى البُردين والفرسِ النَّهْد

جشم بن عوف بن كعب بن سعد

يقال لبنى جشم وعطارد وبهدلة : الجِذاع .

حنظلة بن مالك الأحمق

١٠ بن زيد مناة

البراجم خمسة من بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهم : غالب ، وعمرو ، وقيس ، وكُلفة ، وظُلَيْم ، بنو حنظلة بن مالك الأحمق بن زيد مناة بن تميم . منهم عُميرة بن ضابئ الذى قتله الحجاج .

يربوع بن حنظلة

١٥ ابن مالك بن زيد مناة بن تميم

من ولده رِياح بن يربوع بن حنظلة . منهم : عُتّاب بن ورقاء الرياحى والى أصبهان وأحد أجواد الإسلام ، ومطر بن ناجية الذى غلب على الكوفة أيام ابن الأشعث . وسُحيم بن وثيل الشاعر . والحارث بن يزيد ، صاحب الحسن بن على . وأبو الهِندىّ الشاعر ، واسمه أزهر بن عبد العزيز ؛ ومعقل بن قيس صاحب
٢٠ على بن أبى طالب رضى الله عنه ، والأبيرد بن قُرة .

غُدانة بن يربوع ، منهم : وكيع بن أبى سُود ، وحارثة بن بدر وكان فارساً شاعرا .

ثعلبة بن يربوع ، منهم مالك ومتمّم ابنا نويرة ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، الذى يقال صيّاد الفوارس .

وبنو سَليط بن يربوع ، منهم : المساور بن رئاب .

كليب بن يربوع ، منهم : جرير بن الخطفى الشاعر .

العنبر بن يربوع ، منهم : سجاح بنت أوس التى تنبأت فى تميم .

زيد بن مالك ، وكعب الضرّاء بن مالك ، ويربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة : أمهم العدوية ، وبها يعرفون . يقال لهم بنو العدوية .

طهية ، وهم بنو أبى سُود بن مالك ، وعوف بن مالك . أمهم طهية بها يعرفون ، ويقال لبنى طهية وبنى العدوية : الجمار .

ومن بنى طهية بنو شيطان . ومنهم دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ؛ فولد دارم بن مالك : عبدالله، ومجاشع، وسدوس، وخَيْبرىّ، ونهشل، وجرير وأبان ومناف

فمن ولد عبد الله بن دارم : حاجب بن زرارة بن عُدُس بن عبد الله بن دارم . وهلال ابن وكيع بن بشر ، وهو بيت بنى تميم وصاحب القوس . ومحمد بن جُبير بن عطارد .

مجاشع بن دارم . منهم : الفرزدق الشاعر ، والأقرع بن حابس ، وأعين بن ضبيعة بن عقال ، والحُتات بن يزيد ، والحارث بن شُريح بن زيد صاحب خراسان ، والبعيث الشاعر ـ واسمه خِدَاش بن بِشر ـ والأصبغ بن نباتة ، صاحب على .

نهشل بن دارم . منهم : خازم بن خزيمة قائد الرشيد ، وعباس بن مسعود الذى مدحه الحطيئة ، وكثيّر عزة الشاعر ، والأسود بن يعفر الشاعر .

أبان بن دارم . منهم : سَورة بن بَحر ـ كان فارساً ـ صاحب خراسان ، وذو الخِرَق بن شُريح الشاعر .

سدوس بن دارم ، وهؤلاء قد بادوا .

وربيعة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وربيعة بن مالك بن حنظلة : يقال لهم : الربائع .

فمن ربيعة بن حنظلة : أبو بلال الخارجي ، واسمه مرداس بن جُدير .

ومن ربيعة بن مالك بن زيد مناة : علقمة بن عَبدة الشاعر ، وأخوه شأس .

ومن ربيعة بن مالك بن حنظلة : الحُنيف بن السِّجْف .

جُشيش بن مالك ـ وأمه حُطّى ، على مثال حبلى ، وبها يُعرفون ـ منهم : حصين بن تميم الذى كان على شرطة عبيد الله بن زياد . ويقال لجشيش وربيعة ودارم وكعب بنى مالك بن حنظلة بن مالك : الخِشاب . انقضى نسب الرباب وضبة ومزينة وتميم .

بطون قيس وجماهيرها

نسب قيس بن عيلان بن مضر ، قيس بن الناس ، وهو عَيلان بن مضر .

فمن بطون قيس : عَدوان وفَهْم ابنا عمرو بن قيس بن عيلان ، وأمهما جدِيلة بنت مُدركة بن اليأس بن مضر ، نسبوا إليها .

فمن عدوان : عامر بن الظرب حَكَم العرب بعكاظ ، ومنهم أبو سيارة ، وهو عُمَيلة بن الأعزل . ومنهم تأبط شرًّا ، وهو ثابت بن عَميْثل .

غطفان بن قيس عيلان ـ وأعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان .

فمن بطون غطفان : أشجع بن ريث بن غطفان ، وأشجع بن ريث بن غطفان ؛ منهم : نصر بن دُهمان . وكان من المعمَّرين ، عاش مائتى سنة ، ومنهم فروة بن نوفل .

عَبْس بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وهى إحدى جمرات العرب ، منهم : زهير بن جذيمة ، كان سيد عبس كلها حتى قتله خالد بن جعفر الكلابى ؛ وابنه قيس بن زهير فارس داحس ؛ وعنترة الفوارس ؛ والحُطيئة ؛ وعروة بن الورد ؛ والربيع بن زياد ، وإخوته الذين يقال لهم الكملة ؛ ومروان بن زِنباع الذى يقال له مروان القرظ ، وخالد بن سنان الذى ضيَّعه قومه .

ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم : فزارة بن ذبيان بن بغيض ،

وفيهم الشرف ؛ ومنهم حذيفة بن بدر ؛ ومنهم منظور بن زَبَّان بن سيار ، وعمر ابن هُبيرة ، وعدىّ بن أرطاة .

مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ؛ منهم هَرِم بن سنان المُرِّى الجواد الذى كان يمدحه زُهير ؛ ومنهم زياد النابغة الشاعر ؛ ومنهم الحارث بن ظالم الذى يقال فيه « أمنع من الحارث » ؛ ومنهم : شَبيب بن البرصاء ، وأرطاة بن سُهَيَّة ، وعقيل بن عُلَّفة المُرِّى ، وابن ميّادة الشاعر ، ومسلم بن عقبة صاحب الحرة ، وعثمان بن حيان ، وهاشم بن حَرملة . الذى يقول فيه الشاعر :

أحيا أباهُ هاشم بن حَرْمَلهْ * يَقْتُلُ ذا الذَّنْبِ ومَنْ لا ذنب له

والشماخ الشاعر ، وأخوه مُزرّد . ابنا ضرار .

ومن بطون أعصُر : غنى بن أعصر بن سعد بن قيس بن الناس بن مُضر . منهم طفيل الخيل . وقد رَبَعَ غنيًا ومنهم : مرثد بن أبى مرثد ، شهد بدرا .

باهــــلة

هم بنو معن بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة ، وهم : قتيبة ووائل وأود وجِأوة ، أمهم باهلة ، وبها يعرفون ، منهم : حاتم بن النعمان . وقتيبة بن مسلم ، وأبو أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلمان بن ربيعة ، ولّاه أبو بكر الصديق ، وزيد بن الحُباب .

بنو الطفاوة بن أعصر

وهم : ثعلبة وعامر ومعاوية ؛ أمهم الطفاوة وإليها ينسبون ، وهم إخوة غنىّ ابن أعصر ؛ فهذه غطفان .

بنو خصفة بن قيس بن عيلان

محارب بن زياد بن خصفة بن قيس بن عيلان ، منهم الحكم بن مَنيع الشاعر ، وبَقيع بن صفّار الشاعر الذى كان يهاجى الأخطل . وولدَ مُحارب : ذُهل وغَنم ؛

وهم الأبناء ؛ والخُضر ، وهم بنو مالك بن محارب .

سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصفة . منهم : العباس بن مرداس ، كان فارسا شاعراً ، وهو من المؤلّفة قلوبهم ؛ والفُجاءة الذى أحرقه أبو بكر فى الردة . ومنهم : صخر ومعاوية . ابنا عمرو بن الحارثَ بن الشّريد ، وهما أخوا خنساء ؛ وخفاف بن عُمير الشاعر ، ونُبَيْشَة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكدم ، ومُجاشع بن مسعود من أهل البصرة ، وعبد الله بن خازم صاحب خراسان .

بنو ذكوان وبَهز وبُهثة بنو سليم

منهم : أبو الأعور السّلمى صاحب معاوية ، وعُمير بن الحُباب قائد قيس ، والجَحّاف بن حكيم . فهذه بطون سُليم ومُحارب .

قبائل هوازن

هم هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .

منهم سعد بن بكر بن هوازن، وفيهم آسْتُرْضِعَ النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ـ منهم مالك بن عوف النَّصرى قائد المشركين يوم حُنين .

جُشَم بن معاوية بن بكر ، منهم : دُريد بن الصّمَّة فارس العرب .

ثقيف ، وهو قَسِيُّ بن مُنبّه بن بكر بن هَوازن . منهم : مسعود بن مُعتِّب ، والمختار بن أبى عُبيد . ومنهم : عُروة بن مسعود عظيم القريتين ، والمُغيرة بن شُعبة ، وعبد الرحمن بن أم الحكم .

عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

فمن بطون عامر : بنو هلال بن عامر بن صعصعة ، منهم : مَيمونة زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم عاصم بن عبد الله صاحب خراسان ، وحُميد بن ثَور الشاعر ، وعمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر فارس الضَّحياء ؛ ومن ولده

خالد وحرملة ابنا هَوْذة ، صَحِبا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وخِدَاش بن زهير .

نمير بن عامر بن صعصعة . منهم : الراعى الشاعر ، وهو عُبيد بن حصين ، وهمام بن قبيصة ، وشريك بن خُباشة الذى دخل الجنة فى الدنيا فى أيام عمر ابن الخطاب .

بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ٥

وهم ستة بطون ، منهم عَقيل بن كعب ، رهط توبة بن الحُمَيِّر صاحب ليلى الأخيلية . منهم : بنو المنتفق .

بنو الحريش بن كعب ، رهط سعيد بن عمر ، ولى خراسان ، وهو صاحب رأس خاقان .

بنو العجلان بن كعب ١٠

رهط تميم بن مقبل الشاعر .

ومنهم بنو قُشير بن كعب ، رهط مالك بن سلمة الذى أسر حاجب بن زرارة .

ومنهم : بنو جعدة بن كعب ، رهط النابغة الجعدى ، وهو أبو ليلى ؛ فهذه بطون كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

١٥ ومن أفخاذ ربيعة بن عامر بن صعصعة : كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ منهم المحلّق بن حَنْتم بن شداد . ومنهم زُفر بن الحارث الكلابى ، ويزيد بن الصَّعِق ، ووكيع بن الجراح الفقيه .

جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، منهم الطُّفيل . فارس قَرزَل ، وعامر بن الطُّفيل ، وعَلقمة بن عُلاثة ، وأبو بَرَاء عامر بن مالك ملاعب الأسنّة . ٢٠

الضِّباب بن كِلاَب ، منهم : شَمِر بن ذى الجوشن .

هؤلاء بنو عامر بن صعصعة .

بنو سلول

هم بنو مرة بن صعصعة ، نسبوا إلى أمهم سلول .

غاضرة ، وهم غالب بن صعصعة ، ومالك ، وربيعة ، وغُويضرة ، وحارث ، وعبد الله ، ـ وهما عادية ـ وعوف ، وقيس ، ومُساور ، وسيّار ، وهو غَزِيّة .

٥ لَوذان ، وجَحْوش ، وجَحّاش ، وعوف ؛ وهم الوقَعة ، بنو معاوية بن بكر بن هوازن .

بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، يقال لهم : الأبناء .

هذا آخر نسب مضر بن نزار .

نسب ربيعة بن نزار

١٠ ولد ربيعة بن نزار : أسد ، وضُبيعة ، وعائشة ، وهم باليمن فى مراد ، وعمرو ، وعامر ، وأكلب ؛ وهم رهط أنس بن مدرك .

فمن قبائل ربيعة : نزار .

ضبيعة بن ربيعة بن نزار ـ وفيهم كان بيت ربيعة وشرفها . ومنهم الحارث الأضجم ، حكم ربيعة فى زُهرة ، وفيه يقول الشاعر :

١٥ قلوصُ الظلامةِ من وائلٍ * تردّ إلى الحارثِ الأَضْجَمِ
فمهما يشأ يأتِ منه السّدَادُ * ومهما يشأ منهمُ يَهضِمِ

ومنهم المتلمّس ، وهو جرير بن عبد المسيح الشاعر ، صاحب طَرفة بن العبد . الذى يقول فيه :

أَوْدَى الذى عَلِقَ الصحيفةَ منهما * ونَجَا حِذارَ حِمامِهِ المُتلمِّسُ

٢٠ ومنهم المسيِّب بن عَلس الشاعر . ومنهم المرقِّش الأكبر والمرقِّش الأصغر . وكان المرقش الأكبر عمّ المرقش الأصغر ، والمرقش الأصغر عم طرفة بن العبد ابن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة .

عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، له ولدان : يقدُم ويَذكر ، فنهما تفرقت

عنزة ؛ فمن يذكر : بنو جِلّان بن عتيك بن أسلم بن يَذْكر ، وبنو هِزّان بن صُباح بن عتيك بن أسلم بن يَذكر ، وبنو الدُّول بن صُباح بن عتيك بن أسلم ابن يذكر ، وهم الذين أسروا حاتم طيئ وكعب بن مامة والحارث بن ظالم ؛ وفى ذلك يقول الحارث بن ظالم :

أبلغْ سَرَاة بنى غَيْظٍ مُغَلْغلةً ٭ أنى أُقسِم فى هِزّان أرباعا ٥

ومنهم كِدام بن حيان من بنى هُميم ، كان من خيار التابعين ، وكان من خيار أصحاب علىّ ، ولهما يقول عبد الله بن خليقة :

يا أَخَوىَّ من هَمِيمٍ هُدِيتما ٭ وبُشِّرْتما للصالحات فأبشِرا

ومن بنى يقْدم عَنَزة ، سيد بنى بغيض الشاعر ، وعِمْران بن عِصان الذى قتله الحجاج بدير الجماجم . ١٠

عبد القيس بن أفصى بن دُعْمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وُلد لعبد القيس : أفصى واللُّبُو . وولد لأفصى : عبدُ القيس وشَنّ ولُكَيز .

اللُّبُو بن عبد القيس : منهم رِئاب بن زيد بن عمرو بن جابر بن ضُبيب ، كان ممن وحّد الله فى الجاهلية ، وسأل عنه النبىّ صلى الله عليه وسلم وفْدَ عبد القيس ، وكان يُسقى قبر كل مَن مات من ولده . وفى ذلك يقول الحُجين ابن عبد الله : ١٥

ومِنّا الذى بالبعثِ يُعرفُ نسلُهُ ٭ إذا مات مِنهُمْ ميّتٌ جِيدَ بالقَطْرِ

رِئابٌ وأَنَّى للبَرِيّةِ كُلِّها ٭ بِمثْلِ رِئابٍ حينَ يَخطر بالسُّمْرِ

لُكيز بن عبد القيس ، منهم بنو نُكرة بن لُكيز بن عبد القيس . منهم المُمزّق الشاعر ، وهو شأس بن نهار بن أسْرج الذى يقول : ٢٠

فإن كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكِلٍ ٭ وإلّا فأدرِكْنى ولمّا أُمَزَّقِ

وصُباح بن لكيز . منهم : كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبى عليه الصلاة والسلام .

وبنو غَنم بن وديعة بن لُكيز ، منهم حكيم بن جَبلة صاحب علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه . وفيه يقول :

دعا حكيم دعوة سَمِيعهْ ٭ نالَ بِها المَنْزِلةَ الرَّفيعهْ

وبنو جَذيمة بن عوف بن بكر بن أنمار بن وديعة بن لُكيز ، منهم الجارود العبْدى ، وهو بِشْر بن عمرو .

وعصَر بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن وديعة بن لكيز ، منهم : عمرو بن مَرْجوم الذى يمدحه المتلمّس .

وبنو حُطَمَةَ بن محارب بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لُكيز ، إليهم تنسب الدروع الحُطمية .

وعامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن أنمار بن وديعة بن لكيز ، منهم مِهْزَم بن الفِزْر ، الذى يقول فيه الحِرمازى :

يحمِلْنَ بالموْماةِ بَحراً يَجرِى ٭ العامِرَ بن المِهْزَم بن الفِزْر

العُمُور من عبد قيس : الدِّيل وعِجل ومحارب ، بنو عمرو بن وديعة بن لكيز . فمن بنى الدِّيل : سُحيم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعد بن أبى وقاص .

ومن بنى محارب : عبد الله بن همّام بن آمرئ القيس بن ربيعة ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى عِجل : صعصعة بن صُوحان ، وزيد بن صُوحان ؛ من أصحاب على ابن أبى طالب رضى الله عنه . فهذه عبد القيس وبطونها وجماهيرها .

النمر بن قاسط

النمر بن قاسط بن هنْب بن أفصى بن دُعمى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . فمن ولد النمر بن قاسط : تَيم الله ، وأوس مناة ، وعبدُ مناة ، وقاسط ، ومُنبِّه ، بنو النمر بن قاسط .

أوس مناة بن النمر ، منهم صُهيب بن سنان بن مالك ، صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . كان أصابه سِباء فى الروم ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله ابن جُدعان فأعتقه ؛ وقد كان النعمان بن المنذر استعمل أباه سناناً على الأُبُلّة .

ومنهم : حُمران بن أبان ، الذى يقال له مولى عثمان بن عفان .

ومن تيم الله : الضَّحْيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بنى شيبان ، وإنما سمى الضَّحيان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم ، وقد ربَعَ ربيعةَ أربعين سنة . وأخوه عوف بن سعد ، ومن ولده ابن القرِّية البليغ ، واسمه أيوب ابن زيد ، وكان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجّاج . ومنهم ابن الكيِّس النسّابة ، وهو عُبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيّس . فهذا النمر بن القاسط .

تغلب بن وائل

تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أفصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . فمن بطون تغلب : الأراقم ، وهم : جُشم ، وعمرو ، وثعلبة ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غَنم بن تغلب ؛ وإنما سموا الأراقم لأن عيونهم كعيون الأراقم .

ومن بطون تغلب : وكليب وائل الذى يقال فيه : « أعز من كليب وائل » وهو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم ؛ وأخوه مهلهل بن ربيعة .

ومن بنى كنانة بن تيم بن أسامة : إياس بن عَيْنان بن عمرو بن معاوية ، قاتل عُمَير بن الحُباب ، وله يقول زفر بن الحارث :

ألا يا كلْبُ غيرك أرجفُونِى * وقد ألصَقْت خدّك بالتُّرابِ

ألَا يا كلْبُ فانتَشِرى وسُحّى * فقد أودَى عُمَيْرُ بن الحبابِ

رِماحُ بنِى كِنانةَ أقصدَتْنى * رِماحٌ فى أعاليها اضطِرابُ (1)

ومن بنى حارثة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب : الهُذيل بن هُبيرة ، وهو الذى

(1) كذا فى الأصول ، وفى البيت إقواء .

تقول فيه نُهيشة بنت الجرّاح البَهْرانى تُعيِّرُ قضاعة :

إذا ما معشَرٌ شرِبوا مُداماً ✽ فلا شرِبتْ قُضاعةُ غير بَوْلِ

فإمّا أن تقُودُوا الخيْلَ شُعْثاً ✽ وإمّا أن تدينوا لِلهُذَيْلِ

وتتَّخِذوه كالنُّعمانِ ربًّا ✽ وتُعطوهُ خراجَ بنى الدُّمَيْلِ

٥ الدُّميل : ابن لخم .

ومن عدى بن معاوية بن غَنم بن تغلب : فارس العصا ، وهو الأخنس ابن شهاب .

ومن بنى الفَدَوْكس بن عمرو بن الحارث بن جُشم : الأخطل الشاعر النصرانى ومنهم : قبيصة بن والق ، له هجرة ، قتله شبيب الحَرَورىّ ، وكان جواداً كريماً ،

١٠ فقال شبيب حين قتله : هذا أعظمُ أهل الكوفةَ جفنة ! قال له أصحابه : أتُطرى المنافقين ؟ فقال : إن كان منافقاً فى دينه فقد كان شريفاً فى دنياه .

ومن الأوس بن تغلب : كعب بن جُعيل . الذى يقول فيه جرير :

وسُمِّيت كعباً بِشَرِّ العِظامِ ✽ وكان أبوكَ يُسمَّى الجُعَلْ

وكان محلُّكَ مِنْ وائلٍ ✽ محلَّ القُرادِ منَ آسْتِ الجمَلْ

١٥ فهذه تغلب ، ليس لها بطون يُنسب إليها كما يُنسب إلى بطون بكر بن وائل ، لأن بكراً جمجمة ، وتغلب غير جمجمة .

بكر بن وائل

القبائل من بكر بن وائل : يشكر بن بكر بن وائل ، وعجل ، وحنيفة - ابنا لُجيم بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل - ، وشيبان وذهل وقيس بنو ثعلبة

٢٠ ابن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل وأمهمْ البرْشاء من تغلب .

يشكر بن بكر

منهم الحارث بن حِلِّزة الشاعر ، ومنهم شهاب بن مَذْعور بن حِلِّزة ، وكان

من علماء الأنساب ؛ ومنهم سُويد بن أبى كاهل الشاعر .

عجل بن لجيم

منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار ، كان سيّد بنى عجل يوم ذى قار ؛ ومنهم الفرات بن حيّان ، له صُحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم إدريس بن مَعقل جدّ أبى دُلف ؛ ومنهم شبابة بن المعتمر بن لقيط ، صاحب الدّيوان ؛ ومنهم الأغلب الراجز ؛ ومنهم أبجر بن جابر بن شريك ، وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ٥

حنيفة بن لجيم

ولد له الدّيل ، وعدى وعامر . فمن بنى الدّيل بن حنيفة : قتادة بن مسلمة ، كان سيداً شريفا ؛ ومنهم ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة ، ومنهم : هَوذَة بن على بن ثمامة ، الذى يقول فيه أعشى بكر : ١٠

مَن يَرَ هوْذَةَ يسجُدْ غيرَ مُتَّئِدٍ ٭ إذا تعصّب فوقَ التاجِ أو وضعا

ومن بنى الديل بن حنيفة : شمر بن عمرو ، الذى قتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ ؛ ومنهم بنو هِفَّان بن الحارث بن ذهل بن الديل ، وبنو عُبيد بن ثعلبة ، ويربوع بن ثعلبة بن الديل . وبنو أبى ربيعة فى شيبان ، سيدهم هانئ ابن قبيصة . ١٥

شيبان بن ثعلبة بن عكابة

منهم جَسّاس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، قاتل كليب بن وائل : وهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان ؛ وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وهو ذو الجَدّين ، وابنه بِسطام بن قيس ، فارس بنى شيبان فى الجاهلية ، وقد ربَع الذُّهلين واللهازم اثنى عشر مرباعا ومنهم : هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن المُزدلف عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهل بن شيبان ، الذى أجار عيال النعمان بن المنذر وماله عن كسرى ، وبسببه كانت وقعة ذى قار ، ومنهم مَصقلة بن هُبيرة ، كان سيداً شريفا ، ٢٠

وفيه يقول الفرزدق :

وبيت أبي قابوسَ مَصقَلةَ الذي * بَنى بيتَ مجدٍ إسمُهُ غيرُ زائلِ

وفيه يقول الأخطل :

دعِ المغمَّرَ لا تُقتَلْ بمصرعِهِ * وسَلْ بمُصْقُلةَ البكريِّ ما فَعَلا

٥ بمُتْلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا * يُعنِّفُ النفسَ فيما فاتَهُ عَذَلا

إنَّ ربيعةَ لا تَنفكُّ صالحةً * مادافَعَ اللهُ عن حوْبائكَ الأَجَلا

ومن ذهل بن شيبان : عوف بن محلِّم الذي يقال فيه : « لا حُرَّ بوادي عوْف » والضحاك بن قيس الخارجي ، والمثنَّى بن حارثة ، ويزيد بن رُزَيم ؛ ومنهم الغضبان بن القَبَعْثَرى ، ويزيد بن مِسهر أبو ثابت ، الذي ذكره الأعشى ؛

١٠ والحوفزان ، وهو الحارث بن شَريك ، ومَطَر بن شريك ؛ ومن ولده : معن بن زائدة ؛ وشبيب الحروري .

ذهل بن ثعلبة بن عكابة

منهم : الحارث بن وعلة ، وكان سيداً شريفا ، ومن ولده : الحُضين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة صاحب راية ربيعة بصفِّين مع علي بن أبي طالب رضي الله

١٥ تعالى عنه ، وله يقول علي :

لِمَنْ رايةٌ سوداءُ يَخفقُ ظِلُّها * إذا قيل قدِّمْها حُضيْنُ تقدَّما

ومنهم القعقاع بن شَوْر بن النعمان ، كان شَريفا ؛ ومنهم دَغفل بن حَنظلة العلَّامة ، كان أعلمَ أهل زمانه . وهؤلاء من بني ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة ، أمهم رَقاشِ ، وإليها يُنسبون ، ومنها يقال : الحضين بن المنذر بن الحارث

٢٠ ابن وعلة الرَّقاشي .

قيس بن ثعلبة بن عكابة

منهم الحارث بن عَباد بن ضبيعة بن ثعلبة بن حارثة ؛ كان على جماعة بكر ابن وائل يوم قِضة ، فأسر مهلهل بن ربيعة وهو لا يعرفه فخلَّى سبيله . ومنهم :

مالك بن مِسمع بن شَيبان بن ثعلبة ، يُكنى أبا غَسان . ومنهم الأعشى ، أعشى بكر ، وهو من بنى تيم اللّات من قيس بن ثعلبه بن عُكابة ؛ ومن بنى تيم اللات أيضا : مَطر بن فِضّه ، وهو الجحد بن قيس ، كان شريفاً سيدا ، وهو الذى أسر خاقان الفارسي بالقادسية ، ومن ولده عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان .

سـدوس ٥

من شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عكابة ، منهم : خالد بن المعمّر ومَجزأة بن ثَوْر ، وأخوه شقيق بن ثور ، وابن أخيه سُوَيد بن منجوف بن ثور ، وعمران بن حطّان .

اللهـازم

وهم : عنزة بن أسد بن ربيعة ؛ وعِجل بن لُجيم . وتيم الله . وقيس ابنا ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن بكر بن وائل ، وهم حلفاء . ١٠

والذهلان : شَيبان وذهل ، ابنا ثعلبة بن عكابة . وأم عجل بن لجيم يقال لها حَذام ، وفيها يقول لُجيم :

إذا قالت حَذَامِ فصدِّقوها * فإنَّ القولَ ما قالت حَذام

انقضى نسب ربيعة بن نزار .

إياد بن نزار ١٥

ولد إيادُ بن نزار : زُهراً ودُعميًا ونِمارة وثعلبة . فولد نِمارة الطَّماح ، ولهم يقول عمرو بن كلثوم :

ألَا أبْلِـغْ بنى الطَّمّاح عنا * ودُعْمِيًّا فكيف وجَدْتُمُونا

وولد زُهر بن إياد حُذاقة ، رهط أبى دُواد الشاعر .

وأما أنمار بن نزار بن معد ، فلا عقب له إلا ما يقال فى بَجيلة وخَثعم ، فإنه يقال إنهما ابنا أنمار بن نزار ، وتأبى ذلك بَجيلة وخَثعم ويقولون : إنما تزوج إراش بن عمرو بن الغَوث بن أخى الأزد بن الغوث ، سلامةَ بنت أنمار ، فولدت له ٢٠

أنمار بن إراش ، فنحن ولده . وقال حسان بن ثابت :

* وَلَدْنا بنى العَنْقاء وابن مُحرِّقٍ *

أراد بالعنقاء : ثعلبة بن عمرو مُزَيقياء ، سُمِّىَ بالعنقاء لطول عنقه ؛ ومحرِّق هو الحارث بن عمرو مزيقياء ، وكان أول الملوك أحرق الناس بالنار ؛ والولادة التى ذكرها حسان ، أن هنداً بنت الخزرج بن حارثة كانت عند العنقاء ، فولدت له ولده كلهم ؛ وكانت أختها عند الحارث بن عمرو ، فولدت له أيضا .

انقضى نسب بنى نزار بن معد .

القبائل المشتبهة

الدُّئل فى كنانة ؛ والدئل بن حنيفة فى بكر بن وائل ، منهم : قتادة بن سلمة ، وهَوذة بن على ، صاحب التاج الذى يمدحه أعشى بكر بن وائل .

سُدوس ؛ فى ربيعة ، وهو سدوس بن شيبان بن بكر بن وائل ، منهم : سويد ابن مَنجوف ؛ وسدوس ، مرفوعة السين ، فى تميم ، وهو سدوس بن دارم .

مُحارب بن فهر بن مالك فى قريش ؛ ومحارب بن خَصفة فى قيس ؛ ومحارب ابن عمرو بن وديعة فى عبد القيس .

غاضرة فى بنى صعصعة بن معاوية ؛ وغاضرة فى ثقيف .

تَيم بن مُرة فى قريش رهط أبى بكر ، تَيم بن غالب بن فهر فى قريش أيضاً ، وهم بنو الأدرم ؛ وتيم بن عبد مناة بن أُد بن طابخة فى مضر ؛ وتيم بن ذُهل فى ضبة ؛ وتيم فى قيس بن ثعلبة ؛ وتيم فى شيبان .

تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة ؛ وفى النمر بن قاسط ، وتيم الله فى ضبة .

كلاب بن مرة فى قريش ؛ وكلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فى قيس .

عدى بن كعب من قريش ، رهط عمر بن الخطاب ؛ وعدى بن عبد مَناة من الرّباب ، رهط ذى الرُّمة ؛ وعدى فى فزارة ؛ وعدى فى بنى حنيفة .

ذهل بن ثعلبة بن عُكابة ؛ وذهل بن شيبان ؛ وذهل بن مالك فى ضَبّة .

ضُبيعة فى ضَبة ؛ وضُبيعة فى عجل ؛ وضبيعة فى قيس بن ثعلبة ، وهم رهط الأعشى .

مازن فى تيم ؛ ومازن فى قيس عيلان ، وهم رهط عُتبة بن غَزْوان ؛ ومازن فى صعصعة بن معاوية ؛ ومازن فى شيبان .

سهم فى قريش ؛ وسهم فى باهلة . ٥

سعد بن ذبيان ؛ وسعد فى بكر فى هوازن ، أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وسعد فى عجل ؛ وسعد بن زيد مناة فى تميم .

جُشم فى معاوية بن بكر ، وجشم فى ثقيف ، وجشم فى الأراقم .

بنو ضمرة فى كنانة ، وبنو ضمرة فى قشير .

دُودان فى بنى أسد ، ودُودان فى بنى كلاب . ١٠

سُليم فى قيس عيلان ، وسُليم فى جُذام من اليمن .

جَديلة فى ربيعة ، وجديلة فى طيئ ، وجديلة فى قيس عيلان .

الخزرج فى الأنصار ، والخزرج فى النمر بن قاسط .

وأسد بن خُزيمة بن مدركة ، وأسد بن ربيعة بن نزار .

شَقِرة فى ضبة ، وشقرة فى تميم . ١٥

ربيعة : ربيعة الكبرى ، وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، ويلقب ربيعة الجوع ، وربيعة الوسطى ، وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ؛ وربيعة الصغرى ، وهو ربيعة بن مالك بن حنظلة . وكل واحد منهم عم الآخر .

مفاخرة ربيعة

عبد الملك وبعض جلسائه

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : خبِّرُونى عن حىّ من أحياء العرب فيهم أشد الناس ، وأسخى الناس ، وأخطب الناس ، وأطوَع الناس فى قومه ، وأحلم الناس ، وأحضرهم جوابا . قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما نعرف هذه القبيلة ، ولكن ينبغى لها أن تكون فى قريش . قال : لا قالوا : ففى حمير وملوكها . ٢٠

قال : لا . قالوا : فني مضر . قال : لا . قال مصقلة بن رُقَيّة العبدى : فهى إذاً في ربيعة ونحن هم . قال : نعم . قال جلساؤه : ما نعرف هذا فى عبد القيس إلا أن تخبرنا به يا أمير المؤمنين . قال : نعم ؛ أما أشد الناس فحكيم بن جَبل ، كان مع على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقُطعت ساقه فضَمَّها إليه حتى مر به الذى
٥ قطعها فرماه بها فجدّله عن دابته ، ثم جثا إليه فقتله واتكأ عليه ، فمر به الناس فقالوا له : ياحكيم ، من قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا . وأنشأ يقول :

ياساقُ لا تُراعى ٭ إنّ معى ذراعى ٭ أحمى بها كُراعى

وأما أسخى الناس ، فعبد الله بن سوّار ، استعمله معاوية على السند ، فسار إليها فى أربعة آلاف من الجند ، وكانت توقد معه نار حيثما سار ، فيطعم الناس ؛
١٠ فبينما هو ذات يوم إذ أبصر نارا ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ، اعتل بعض أصحابنا فاشتهى خبيصاً فعملنا له . فأمر خبازَه أن لا يطعم الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا وقالوا : أصلح الله الأمير ، ردّنا إلى الخبز واللحم ! فسمّى مُطعِم الخبيص .

وأما أطوع الناس فى قومه ، فالجارود بِشْر بن العلاء ؛ إنه لما قبض
١٥ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارتدت العرب ، خطب قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمد قد مات فإن الله حيٌّ لا يموت ؛ فاستمسكوا بدينكم ، فمن ذهب له فى هذه الرِّدّة دينارٌ أو درهم أو بعير أو شاة فله علىّ مثلاه ! فما خالفه منهم رجل .

أما أحضر الناس جوابا فصعصعة بن صُوحان ، دخل على معاوية فى وفد
٢٠ أهل العراق ، فقال معاوية : مرحباً بكم يأهل العراق ! قدِمْتم أرض الله المقدسة ؛ منها المنشر وإليها المحشر ، قدمتم على خير أمير ، يبرّ كبيركم ويرحم صغيركم ؛ ولو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ! فأشار الناس إلى صعصعة ، فقام فحمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما قولك يامعاوية

إنا قدمنا الأرض المقدسة : فلعمرى ما الأرض تقدّس الناس ، ولا يقدّس الناس إلا أعمالهم ؛ وأما قولك منها المنشر وإليها المحشر ، فلعمرى ما ينفع قربها ولا يضر بُعدها مؤمنا ؛ وأما قولُك لو أن الناس كلهم ولد أبى سفيان لكانوا حلماء عقلاء ، فقد ولدهم خيرٌ من أبى سفيان : آدمُ صلوات الله عليه ؛ فنهم الحليم والسفيه ، والجاهل والعالم . ٥

وأما أحلم الناس [فالأشَجُّ العبدىّ] ، فإن وفد عبد القيس قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم بصدقاتهم وفيهم الأشج ، ففرّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرقه فى أصحابه ؛ ثم قال : يا أشج ، آدنُ منى . فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة ، والحلم ! وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدا ؛ ويقال : إنّ الأشج لم يغضب قط . ١٠

جمرات العرب

وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ؛ وبنو الحارث بن كعب بن عُلة بن جَلْد ؛ وبنو ضبة بن أدّ بن طابخة ؛ وبنو عبس بن بَغيض . وإنما قيل لهذه القبائل جَمرات لأنها تجمعت فى أنفسها ولم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير : التجميع ؛ ومنه قيل : جمرة العقبة ، لاجتماع الحصى فيها ؛ ومنه قيل : لا تجمّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم . يعنى : لا تجمعوهم فى المغازى . ١٥

وأبو عُبيدة قال فى كتاب التاج أُطفئت جمرتان من جمرات العرب : بنو ضَبة لأنها صارت إلى الرّباب فحالفتها ؛ وبنو الحارث ؛ لأنها صارت إلى مذحج فحالفتها ؛ وبقيت بنو نمير إلى الساعة لم تُحالف ولم يدخل بينها أحد .

وقال شاعرهم يرد على جرير : ٢٠

نُمَيْرٌ جَمْرةُ العرب التى لم ٭ تَزلْ فى الحرب تَلتهب التِهابا

وإنى إذ أَسُبُّ بها كُليْباً ٭ فتَحت عليهمُ للخَسْف بابا

فلولا أن يقال هجا نميْراً ٭ ولم نسمع لشاعرها جوابا

رغِبنا عن هِجاء بنى كُلَيْبٍ * وكيف يُشاتِم الناسُ الكِلابا

أنساب اليمن

قَحطان بن عابَر ـ وعابَر . هو هود النبي صلى الله عليه وسلم ـ ابن شالخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أخنوخ ـ وهو ٥ إدريس النبي عليه السلام ـ ابن يَرْد بن مهلاييل بن قَينان بن أَنُوش بن شِيث ـ وهو هبة الله ـ ابن آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم .

فولد قحطان : يعرب ـ وهو المرعف ـ وسبأ ، والمسلف ، والمِرْداد ، وودِقلى ، وتَـكْلا ، وأبِيال ، وعُوبال ، وأزال ، وهدورام ، وهو جرهم ، وأوفير ، وهُوَيلا ، وروح ، وإرم ، ونُوبت ؛ فهؤلاء ولد قحطان فيما ذكر عبد الله بن ملاذ .

١٠ وقال الكلبي محمد بن السائب : ولدُ قحطان : المرعف ـ وهو يَعرُب ـ ، ولاى ، وجابر ، والمتلمِّس ، والعاصى ، والمتغشم ، وعاصِب ، ومعوذ ، وشِيم ، والقطامى ، وظالم ، والحارث ، ونُباتة . فهلك هؤلاء إلا ظالما ، فإنه كان يغزو بالجيوش .

وقال الكلبي : ولد قحطان أيضا : جُرْهما ، وحضرموت . فمن أشراف ١٥ حضرموت بن قحطان : الأسود بن كبير ، وله يقول الأعشى قصيدته التى أولها :

* ما بُكاءُ الكبيرِ بالأطلال *

ومنهم مسروق بن وائل ، وفيه يقول الأعشى :

قالت قتيلة : مَن مدَحــتَ فقلتُ : مسروقَ بن وائلْ

فولد يعرُب بن قَحطانَ يشجب ؛ وولد يشجب سبأ . وولد سبأ حِميرا ، ٢٠ وكهلان ، وصَيفيّا ، وبشرا ، ونصرا ، وأفلح ، وزَيدان ، والعوْد ، ورُهْما ، وعبد الله ، ونعمان ، ويَشجب ، وشدّادا ، وربيعة ، ومالكا ، وزيدا . فيقال لبنى سبإ كلهم : السَّبئيون ، إلا حِميرا وكهلان . فإن القبائل قد تفرقت منهما . فإذا سألت الرجل : ممن أنت ؟ فقال : سبئى . فليس بحميرى ولا كهلانى .

حمـــــير

حِمير بن سبأ بن يشجُب بن يَعرب بن قحطان . فولد حمير بن سبأ : مالكا والهَميسع ، وزيدا ، وأوسا ، وعريبا ، ووائلا ، ودِرْميّا ، وكهلان ، وعميكرب ، ومسروحا ، ومُرة : رهط معديكرب بن النعمان القَيل الذى كان بحضرموت .

٥ فمن بطون حمير : معدان بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطن ابن عَريب . ومِلحان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل ، رهط عامر الشعبي الفقيه . وعِدَّاد بن ملحان : وشيبان فى همدان . فمن كان منهم باليمن فهو حِميرى ، ويقال له شيبانى .

ومن بطون حمير : شَرْعب بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس . وإليه ١٠ تُنسب الرماح الشَرعبية .

ومن بطون حمير : الذُرون ، وقد يقال لهم الأذواء . وأيضا . وَمْدد ، فمنهم : بنو فهد ، وعبدكلال ، وذو كَلاع ـ وهو يزيد بن النعمان ، وهو ذو كلاع الأكبر . يقال : تكلّع الشىء . إذا تجمّع ـ وذو رُعَين ، وهو شَراحيل بن عمرو القائل :

فإن تكُ حِمْيَرُ غَدَرتْ وخانتْ * فمعـــذِرة الإلـه لِذى رُعيْنِ

١٥ ذو أصبح : واسمه الحارث بن مالك بن زيد بن الغوث . وهو أول من عُملت له السياط الأصبحية . ومن ولده : أبرَهة بن الصبّاح كان ملك تِهامة ، وأمه رَيحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحبشة . وابنه أبو شَمِر ، قُتل مع علىّ بن أبى طالب يوم صفّين . وأبو رُشْدبن كُريب بن أبرهة ، كان سيد حمير بالشام زمن معاوية . ومنهم يزيد بن مفرّغ الشاعر .

٢٠ ذو يزن ، واسمه عامر بن أسلم بن زيد بن الغوث بن قَطن بن عريب . ومنهم : النعمان بن قيس بن سيف بن ذى يزن الذى نَفى الحبشة عن اليمن ـ وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى حلّة ببضع وعشرين قلوصا ، فأعطاها إلى ذى يزن ـ وإلى ذى يزن تنسب الرماح اليزنية .

ذو جدن : وهو عَلَس بن الحارث بن زيد بن الغَوث ، ومن ولده علقمة بن شراحيل . ذو قيْفان الذى كانت له صَمصامة عمرو بن معديكرب ، وقد ذكره عمرو فى شعره حيث يقول :

وسَيْفٌ لِابنِ ذى قَيْفانَ عندى ... تَخَيَّرَ نَصْلَهُ من عهدِ عاد

٥ حَضُور بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية . وهم فى همدان .

فمن حَضور : شُعيب بن ذى مِهْزَم ، النبىُّ الذى قتله قومه . فسلَّط الله عليهم بُختنصر فقتلهم ، فلم يبق منهم أحد فاصطلمت حَضور ؛ ويقال : فيهم نزلت : ﴿ فلما أحسُّوا بأسَنا إذا هم منها يَركُضُونَ . لا تَركُضُوا وآرْجِعُوا إلى ما أُترِفْتُمْ ١٠ فيه ومساكِنِكمْ لعلَّكم تُسألونَ . قالوا يا ويلَنا إنّا كنَّا ظالمين ، فما زالت تلك دعواهُمْ حتى جعلناهم حَصيداً خامدين ﴾ فيقال إن قبر شُعيب هذا النبى فى جبل باليمن فى حَضور يقال له ضين ، ليس باليمن جبل فيه ملح غيره ، وفيه فاكهة الشام ، ولا تمرُّ به هامّة من الهام .

الأوزاع

١٥ وهم : مرثد بن زيد بن زُرعة بن سبأ بن كعب ، وهم فى همدان إلّا جُرش ابن أسلم بن زيد بن الغوث ، الأصغر بن أسعد بن عوف .

شجيج بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو .

وصيفى بن سبأ ، الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن تُبَع ، وهو أسعد أبو كرب .

٢٠ التبابعة

تُبَع الأصغر أسعد أبو كَرب ، واسمه تِبان بن مَلْكِيكرب ، وهو تبع الأكبر ابن قيس بن زيد بن عمرو ، ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار .

وتُبع بن الرائش بن قيس بن صَيفى . ومَلكيكرب تبع الأكبر ، يكنى أبا مالك ، وله يقول الأعشى :

وخان الزمانُ أبا مالكٍ ، وأىّ آمرئٍ لم يَخُنْـهُ الزَّمَنْ

ومن بنى صيفى بن سبأ : بلقيس ، وهى بلقمة بنت آل شَرْخ بن ذى جدن ابن الحارث بن قيس بن سبأ الأصغر . ٥

ومنهم : حِمير التبابعة . وهم تسعة ، منهم تبع الأصغر ، وتبع الأكبر ؛ ومنهم المثامنة ، وهم ثمانية رهط ولاة العهود بعد الملوك ؛ وهم الثمامنة ، أربعة آلاف ؛ والقَيل الذى يكلم الملك فيسمع كلامه ولا يكلم غيره ؛ ومنهم أبو فُرَيْقيش بن قيس بن صيفى الذى افتتح إفريقية فسُميت به ، ويومئذ سُميت البرابرة ؛ وذلك أنهم قالوا إنه قال لهم : ما أكثر بربرتكم . ١٠

قضاعة

هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِمير ، وآسم قضاعة : عمرو .

فمن قبائل قضاعة وبطونها وجماهيرها : كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ؛ وذلك أن وبرة ولد له : كلب ، وأسد ، ونمر ، وذئب ، وثعلب ، وفهد ، وضبع ، ودُب ، وسِيد ، وسَرحان . فمن أشراف كلب : الفُرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، وهو الذى تزوج عثمان بن عفان ابنته نائلة بنت الفرافصة ؛ ومنهم زهير بن جَناب بن هُبل بن عبد الله ابن كِنانة . ١٥

ومن أسلافهم فى الإسلام دحية بن خليفة الكلبى ، وهو الذى كان جبريل عليه السلام ينزل فى صورته . ٢٠

ومنهم حسان بن مالك بن جذيمة .

ومن قضاعة : القين بن جَسر بن شَيْع اللات بن أسد بن وبرة ؛ فمن أشراف

القين : دَعج بن كُثيف ، وهو الذى أسر سِنان بن حارثة المرّى ؛ ومنهم نَديما جَذيمة ، وهما مالك وعقيل ابنا فارج ، ولهما يقول المُنخّل :

ألم تعلمى أنْ قد تفرق قبلَنا ٭ خليلا صَفاءٍ مالِكٌ وعَقيلُ

ومنهم سعد بن أبى عمر وكان سيد بنى القَين ورئيسَهم .

٥ ومن قضاعة : تَنوخ ، وهم ثلاثة أبطن : منهم بنو تيم الله بن أسد بن وبرة ، ومنهم مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن ثعلبة بن مالك بن فهم ، ومنهم أُذينة الذى يقول فيه الأعشى :

أزالَ أُذَيْنَةَ عن مُلْكِهِ ٭ وأخرج من قصره ذا يَزَنْ

ومن بنى قضاعة : جَرم وهو عمرو بن عِلّاف بن حُلوان بن عمران بن

١٠ الحاف بن قضاعة ، وإلى علاف تنسب الرحال العلافية ، وقال الشاعر :

٭ بجُوفٍ عِلافىّ ونِطْعٍ ونُمْرُق ٭

ومن جَرْم : الزّعْل بن عُروة وكان شريفاً ، ومنهم عصام بن شَهْبر بن الحارث وكان شاعراً شجاعا ، وله يقول النابغة :

فإنّى لا أَلومُك فى دخولٍ ٭ ولكنْ ما وراءك يا عِصامُ

١٥ وله قيل :

نفسُ عصامٍ سوّدَتْ عصامَا ٭ وعَلّمَتْهُ الكَرَّ والإقداما

وجعلَته مَلِكاً همامَا

ولجرم أربعة من الولد : قدامة ، وجُدة ، ومِلْكان ، وناجية ؛ فمن بنى قدامة : كِنانة بن صَريم الذى كان يُهاجى عمرو بن معديكرب ، ووَعْلة بن عبد الله بن

٢٠ الحارث الذى قتل الحارث بن عبد المَدان .

ومنهم بنوتشن ، وهم باليمامة مع بنى هِزّان بن عَنزة ؛ ومنهم أبو قُلابة الفقيه عبدُ الله بن زيد ؛ والمساور بن سَوار ، ولى شرطة الكوفة لمحمد بن سليمان .

ومن بنى جُدة بن جَرم : بنو راسب ، وهم بنو الخزرج بن جدة بن جرم .

ومن قضاعة : سَليح ، وهو عمرو بن حُلوان ، بن عمران .

ومن بنى سعد بن سَليح : الضَّجاعمة الذين كانوا ملوك الشام قبل غسّان .

ومن بنى النمر بن وبَرة خُشَين ، منهم أبو ثعلبة الخشنى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى النمر بن وبَرة : غاضرة وعاتية ابنا سُليم بن منصور .

ومن بنى أكثم بن النمر : مَشْجعة بن الغوث : منهم معاوية بن حِجار ، الذى يقال له ابن قارب ، وهو الذى قتل داود بن هَبولة السَّليحى ، وكان ملكا .

بَهراء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ؛ فولد بهراء : أَهْودَ ، وقاسطا ، وعَبدة وقسراً ، وعديًّا ، بطون كلها .

ومنهم قيس وشَبيب ، بطنان عظيمان ، ومنهم المقداد بن عمرو صاحبُ النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى يقال له المقداد بن الأسود ؛ لأن الأسود بن عبد يغوث كان تبنَّاه ، وقد انتسب المقداد إلى كندة ؛ وذلك أن كندة سبته فى الجاهلية فأقام فيهم وانتسب إليهم .

ومن قضاعة : بَلِىُّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة : منهم المجدَّر بن ذياد قاتل أبى البخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فى يوم بدر وهو يقول :

بَشِّرْ بِيُتْمٍ مَنْ أبيهِ البخترِى ٭ أو بشِّرَنْ بمِثْلِها مِنِّى أبِى
أنا الَّذى أزْعُمُ أَصْلِى مَنْ بَلِى ٭ أضرِبُ بالْمِنْـدِىِّ حتى ينْثَنِى

وفيهم بنو إراشة بن عامر ؛ منهم كعب بن عُجْرة الأنصارى صاحب النبى عليه الصلاة والسلام ، وسهل بن رافع صاحب الصاع .

وفيهم بنو العجلان بن الحارث : منهم ثابت بن أرقم شهد بدراً وهو الذى قتله طليحة فى الردّة .

ومنهم بنو وائلة بن حارثة أخى بنى عِجْلان : منهم النعمان بن أعصر ، شهد بدراً .

ومن قُضاعة : مَهرة بن حَيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وهو الذى تُنسب إليه الإبل المَهرية .

ومنهم : كرز بن رُوعان . من بنى المَنْسِم الذى صار إلى معديكرب بن جَبلة الكندى ، وهو الذى يقول :

٥ تقــولُ بُنيَّتى لما رأتْنى ٭ أُكِــبُّ عليهِمُ وأذُبُّ وحدى
لعمْرُكَ إنْ وَنيْتَ اليومَ عنهم ٭ لَتَنْقَلِبَنَّ مصروعاً بخــدِّ

ومنهم ذَهْبَن بن قِرضِم بن العُجيل ، وهو الذى كان وفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً وردَّه إلى قومه .

جُهينة بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . منهم : سُويد بن ١٠ عمرو بن جذيمة بن سبِرة بن خُديج بن مالك بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن مُضر ابن مالك بن غَطفان بن قيس بن جهينة ، وكان شريفا .

ومن قضاعة : نَهد بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . منهم الصَّعق ، وهو جُشم بن عمرو بن سعد ، وكان سيد نهد فى زمانه ، وكان قصيراً أسود دميما ، وكان النعمان قد سمع شرفه فأتاه ؛ فلما نظر إليه نَبَتْ عنه عينُه ، ١٥ فقال : « تسمع بالمُعَيْدِى خيرٌ من أن تراه ! » فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال ليست بِمُسُوك يُستقَى فيها الماء ، وإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإن صال صال بجنان . قال : صدقت ! ثم قال له : كيف عِلمك بالأمور ؟ قال : أُبغض منها المقبول ، وأُبْرم المسحول ، وأحيلها حتى تحول ، وليس لها بصاحب ، من لم ينظر فى العواقب .

٢٠ ومنهم : ودعة بن عمرو صاحب بَسْبَس ، طليعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عُذرة بن سعد هُذَيم بن زيد بن ليث ؛ منهم خالد بن عَرفطة ، ولاه سعد ابن أبى وقاص ميمنة الناس يوم القادسية . ومنهم عُروة بن حِزام صاحب عفراء ومنهم رَزَاح بن ربيعة أخو قُصىّ لأمه ، وهو الذى أعان قُصيًّا حتى غلب على البيت . ومنهم جميل بن عبد الله بن مَعمر بن نَهيك صاحب بثينة .

وبنو الحارث بن سعد . إخوة عُذرة .

فهؤلاء بطون قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة . وهؤلاء أولاد حِمير بن سبأ .

كهلان بن سبأ

الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان . ٥

فمن قبائل الأزد : الأنصار ، والأوس ، والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأمهما قيلة .

هؤلاء الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة ـ وهو العنقاء ـ ابن عمرو بن ثعلبة ـ وهو المزيقيا ـ ابن عامر ، وهو ماء السماء .

فمن بطون الأوس والخزرج وجماهيرها : عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ١٠ ـ وهم بنو السَّميعة ، بها يعرفون ـ وهم عوف [وحبيب] وثعلبة ولوذان ، بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

ضبيعة بن زيد بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . منهم : عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح الذي حَمَت لحمه الدبر ، والأحوص [بن محمد] بن عبد الله الشاعر ، وحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأبو سفيان الحارث ، بدرى . وأبو مليل ١٥ ابن الأزعر ، بدرى .

حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، منهم : سويد بن الصامت قتله المجذَر بن ذِياد فى الجاهلية ، فوثب ابنه على المجذَّر فقتله فى الإسلام ، فقتله النبي عليه الصلاة والسلام .

عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . ٢٠ منهم : سعد بن معاذ الذى اهتز لموته العرش ، بدرى ، حكم فى بنى قريظة والنضير ، وعمرو أخو سعد بن معاذ ، شهد بدراً وقتل يوم أحد . والحارث بن أنس ، شهد بدراً وقتل يوم أحد ، وعمار بن زياد قتل يوم بدر ، وأُسيد بن الحضير بن سماك ،

شهد العقبة وبدراً ؛ وربيعة بن زيد شهد العقبة وبدراً .

ربيعة بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس . منهم : رفاعة بن قيس ، قتل يوم أحد . وسلمة بن سلامة بن وَقْش ، شهد بدراً وقتل يوم أحد . وأخوه عمرو بن سلامة ، قتل يوم أحد ، ورافع بن ٥ يزيد ، بدرى .

زَعُورا بن جشم بن الحارث بن خزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . منهم : مالك بن التَّيِّهان أبو الهيثم ، نقيب بدرى عقبي ؛ وأخوه عتبة[1] بن التيهان ، بدرى قتل يوم أحد .

خطْمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس . منهم : عدى بن خرشة ، ١٠ وعمرو بن خرشة ، وأوس بن خالد ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وعبد الله ابن يزيد الأنصارى ، ولى الكوفة لابن الزبير .

واقف : هو مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . منهم : هلال بن أمية ، وعائشة بن نمير الذى ينسب إليه بئر عائشة بالمدينة ، وهرم بن عبد الله السلمى ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس . ومنهم : سعد بن خيثمة بن الحرث ، بدرى ١٥ عقبي نقيب ، قتل يوم أحد .

عامرة : هم أهل رائج بن مرة بن مالك بن الأوس . منهم : وائل بن زيد بن قيس بن عمارة ، وأبو القيس بن الأسلت .

الخزرج

فمن بطون الخزرج : النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج : غنم بن مالك بن ٢٠ النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . منهم : أبو أيوب خالد بن زيد ، بدرى . وثابت بن النعمان ؛ وسراقة بن كعب ؛ وعمارة بن حزم ؛ وعمرو بن حزم ؛ بدرى عقبي ؛ وزيد بن ثابت صاحب القرآن والفرائض ؛ بدرى ؛ ومعاذ ومعوّذ وعوف

(١) ويروى «عتيك»

بنو الحارث بن رفاعة . وأمهم عفراء ، بها يعرفون ، شهدوا بدراً ؛ وأبو أمامة أسعد بن زرارة ؛ نقيب عقبي بدري ؛ وحارثة بن النعمان ، بدري .

مبذول : اسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن عمرو ، قتل يوم اليمامة ، وأبو عمرة ، وهو بشير بن عمرو ، قتل مع علي بن أبي طالب بصفين . والحرث بن الصمة ، بدري . وسهل بن ٥ عتيك ، بدري .

حُدَيْلَة : هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . أمه حديلة وبها يعرفون . منهم : أُبي بن كعب بن قيس بن عُبيد بن معاوية . وأبو حبيب بن زيد ، بدري .

مَغَالة : هو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار . منهم : حسان بن ثابت بن ١٠ المنذر بن حرام شاعر النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو طلحة وهو زيد بن سهل ابن الأسود بن حرام .

ملحان بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : سُلَيْم بن ملحان ، وحرام بن ملحان ، بدريان ، قتلا يوم بئر معونة .

غَنم بن عدي بن النجار . منهم : صِرمة بن أنس بن صرمة صاحب النبي ١٥ صلى الله عليه وسلم . ومحرز بن عامر ، بدري . وعامر بن أُمية ، بدري ، قتل يوم أحد . وأبو حكيم وهو عمرو بن ثعلبة ، بدري . وأبو خارجة وهو عمرو ابن قيس ، بدري . وابنه سبرة أبو سليط ، بدري . وثابت بن خنساء ، بدري . قتل يوم أحد ، وأبو الأعور وهو كعب بن الحرث ، بدري . وأبو زيد أحدُ الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وبنو الحسحاس ٢٠ الذين ذكرهم حسان في قوله :

* ديارٌ من بني الحَسْحاسِ قفرُ *

مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج . منهم : حبيب بن زيد ، قطع

مسيلمة جسدَه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليه ؛ وعبد الرحمن بن كعب من الذين تولَّوا وأعيُنهم تفيض من الدمع ، بدرى . وقيس بن أبي صعصعة ، بدرى . وغزيّة بن عمرو ، عقبي .

بنو الحارث بن الخزرج . منهم : عبد الله بن رواحة الشاعر ، بدرى عقبي
٥ نقيب . وخلاد بن سُويد ، بدرى ، قتل يوم قريظة . وسعد بن الربيع ، بدرى عقبي نقيب ، قتل يوم أحد . وخارجة بن زيد ، بدرى عقبي نقيب قتل يوم أحد . وابنه زيد بن خارجة الذى تكلم بعد موته . وثابت بن قيس بن شماس ، خطيب النبي صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم اليمامة وهو على الأنصار ؛ وبشير بن سعد ، بدرى عقبي . وأبو النعمان بن بشير . وزيد بن أرقم . وابن الأطنابة الشاعر .
١٠ ويزيد بن الحارث الشاعر ، بدرى . وأبو الدرداء وهو عُويمر بن زيد . وعبد الله بن زيد الذى أُرِىَ الأذان . وسبيع بن قيس ، بدرى . وعامر بن كعب الشاعر .

بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . منهم : أبو مسعود عقبة بن عمرو ، بدرى عقبي . وعبد الله بن الربيع ، بدرى . وأبو سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك .

١٥ بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج . منهم سعد بن عبادة بن دُليم ، كان من النقباء ، وهو الذى دعا إلى نفسه يوم سقيفة بنى ساعدة . والمنذر بن عمرو ، بدرى عقبي نقيب ، قتل يوم بئر معونة . وأبو دجانة وهو سِمَاك بن أوس بن خرشة . وقيس ابن سعد . وأبو أسيد وهو مالك بن ربيعة قتل يوم اليمامة . ومسلمة بن مخلد .

سالم بن عوف بن الخزرج . منهم : الرَّمَق بن زيد الشاعر ، جاهلى . ومالك
٢٠ ابن العجلان بن زيد بن سالم سيد الأنصار الذى قتل الفِطْيونْ .

القَوقل : هو غَنم بن عمرو بن عوف بن الخزرج . منهم : عُبادة بن الصامت ، بدرى نقيب . ومالك بن الدُّخْشُم ، بدرى . والحارث بن خزيمة ، بدرى .

بنو بياضة بن عامر بن زُريق . منهم : زياد بن لبيد ، بدرى . وفروة بن عمرو ، بدرى عقبي . وخالد بن قيس ، بدرى . وعمرو بن النعمان رأس الخزرج

يوم بعاث . وابنه النعمان صاحب راية المسلمين بأُحد .

العجلان بن زيد بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ ومن بنى العجلان : عبد الله بن نضلة بن مالك بن العجلان البدرى ، قتل يوم أحد . وعياش بن عبادة ن نضلة . ومُليل بن وبَرة ، بدرى . وعصمة بن الحصين بن وبرة بدرى . وأبو خيثمة ، وهو مالك بن قيس .

الحُبلى : وهو سالم بن غَنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ؛ سمى الحبلى لعظم بطنه . منهم : عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين ؛ وابنه عبد الله بن عبد الله ، شهد بدرا وقتل يوم اليمامة . وأوس بن خولى ، بدرى .

بنو زريق بن عامر بن زريق بن حارثة بن مالك بن عضب بن جشم بن الخزرج . منهم : ذكوان بن عبد قيس ، بدرى عقبي قتل يوم أحد . وأبو عبادة سعد بن عثمان ، بدرى . وعُتبة بن عثمان بدرى . والحرث بن قيس ، بدرى . وأبو عياش بن معاوية فارس جُلوة ، بدرى . ومسعود بن خَلَدة ، بدرى . ورفاعة بن رافع ، بدرى . وأبو رافع بن مالك ، أول من أسلم من الأنصار .

بنو سَلمة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج . منهم : جابر بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام . ومعاذ بن الصِّمّة ، بدرى . وخراش بن الصمة ، شهد بدرا بفرسين . وعتبة بن أبى عامر ، بدرى . ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، بدرى ، وهو الذى قطع رجل أبى لهب . وأخوه معوذ بن عمرو ، قتلا يوم بدر . وأبو قتادة واسمه النعمان بن ربعى . وكعب بن مالك الشاعر وأبو مالك بن أبى كعب الذى يقول :

لعَمر أبيها ما تقول حَليلتى ٭ إذا فرّ عنها مالك بن أبى كعب

وبشر بن عبد الرحمن ؛ والزبير بن حارثة ؛ وأبو الخطاب وهو عبد الرحمن ابن عبد الله ؛ ومعن بن وهب ـ هؤلاء الخمسة شعراء ـ وعبد الله بن عتيك ، قاتل ابن أبى الحقيق . هذا نسب الأنصار .

خـــزاعة

هو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر؛ وإنما قيل لهم خزاعة؛ لأنهم انخزعوا من ولد عمرو بن عامر فى إقبالهم من اليمن؛ وذلك أن بنى مازن من الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن فى البلاد ـ نزل بنو مازن على ماء بين زَبيد ورمَع يقال له غسان؛ فمن شرب منه فهو غسانى؛ وأقبل بنو عمرو فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة؛ ثم أقبل أسلم ومالك وملكان بنو أفصى بن حارثة فانخزعوا، فسموا خزاعة، وافترق سائر الأزد، فالأنصار وخزاعة وبارق والهُجن وغسان: كلها من الأزد، لجميعهم من عمرو بن عامر، وذلك أن عمرو بن عامر ولد له حفنة والحارث وهو محرِّق، لأنه أول من عذَّب بالنار، وثعلبة العنقاء، وهو أبو الأنصار، وحارثة، وهو أبو خزاعة، وأبو حارثة، ومالك، وكعب، ووداعة، وهو فى همدان، وعوف، وذهل، وهو وائل، وعمران. فلم يشرب أبو حارثة ولا عمران ولا وائل من ماء غسان، فليس يقال لهم غسان.

بطون من خزاعة

حليل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة. وهو كان صاحب البيت قبل قريش، منهم المحترش بن حُليل بن حبشية ـ الذى باع مفتاح الكعبة من قصى بن كلاب ـ، وهلال بن حليل، وكرز بن علقمة ـ الذى قفا أثر النبى صلى الله عليه وسلم حتى دخل الغار، وهو الذى أعاد معالم الحرم فى زمن معاوية فهى إلى اليوم ـ، وطارق بن باهية الشاعر.

قمير بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة. فمن بنى قمير: بُسْر ابن سفيان الذى كتب إليه النبى صلى الله عليه وسلم، وجلجلة بن عمرو الذى ذكره أبو الكنود فى شعره، ومن ولده قبيصة بن ذؤيب بن جَلجلة، ومالك بن الهيثم بن عوف.

كليب بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة، منهم: السفَّاح

ابن عبد مناة الشاعر ، وخِراش بن أبى أمية حليف بنى مخزوم ، وهو الذى حجم [1] النبي عليه الصلاة والسلام .

ضاطر بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : حفص ابن هاجر الشاعر ، وقُرة بن إياس الشاعر . وكان ابنه يحيى بن قرة سيد قومه ـ وطلحة بن عُبيد الله بن كُريز بن الحدادية الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو . ٥

حَرام بن عمر بن حبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم أكثم ابن أبى الجون ، وسلمان بن صرد بن الجون ، ومعتب بن الأكوع الشاعر . وأم معبد : وهى عاتكة بنت خُليف التى نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم فى مهاجرته إلى المدينة .

١٠ غاضرة بن عمرو بن حُبشية بن سلول بن كعب بن ربيعة بن خزاعة . منهم : عمران بن حصين صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وسعيد بن سارية ، ولى شرطة على بن أبى طالب . وأبو جمعة جدّ كثيِّر عزة . وجعدة وأبو الكنود ابنا عبد العزى .

مليح بن خزاعة ، منهم : عبد الله بن خلف ، قتل مع عائشة يوم الجمل . ١٥ وأخوه سليمان بن خلف ، كان مع علىّ يوم الجمل ، وابنه طلحة بن عبد الله ابن خلف يقال له طلحة الطلحات ، وهو أجود العرب فى الإسلام ، وعمرو بن سالم الذى يقول :

لا هُمَّ إنى ناشدٌ محمدا * حِلْفَ أبينا وأبيهِ الأتْلَدا

ومنهم كثيِّر عزة الشاعر ، كنيته أبو عبد الرحمن .

٢٠ عدى بن خزاعة . منهم : بديل بن ورقاء الذى كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام ، وابنه عبد الله بن بديل ، ونافع بن بديل ، قتل يوم بئر معونة ، ومحمد بن ضمرة كان شريفا ، والحَيسمان بن عمرو الذى

(١) فى بعض الأصول : « حلق » .

جاء بقتلى أهل بدر إلى مكة وأسلم بعد ذلك .

سعد بن كعب بن خزاعة ؛ منهم : مطرود بن كعب الذى رثى بنى عبد مناف ، وعمرو بن لحَمِق صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وأبو مالك القائد وهو أسد ابن عبد الله ؛ والحصين بن نضلة ، كان سيد أهل تهامة ، مات قبل الإسلام ؛ ٥ والحرث بن أسد ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

المُصطلق بن سعد بن خزاعة ؛ منهم جُويرية بنت الخزرج زوج النبي عليه الصلاة والسلام .

وإخوة خزاعة وهم ينسبون فى خزاعة : أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو ابن عامر ؛ منهم : بريدة بن الُحصيْب صاحب النبيّ عليه الصلاة والسلام . وسَلَمة ١٠ ابن الأكوع صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

ومَلكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر . ومنهم ذو الشمالين ، وهو عمير بن عبد عمرو ، شهد بدراً مع النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ومالك بن الطُّلاطلة ، كان من المستهزئين من النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ونافع بن الحارث ولى مكة لعمر بن الخطاب .

١٥ مالك بن أفصى بن عمرو بن عامر ؛ منهم : عويمر بن حارثة ؛ وسليمان بن كُثير ، من نُقباء بنى العباس ، قتله أبو مسلم بخراسان .

سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، منهم : جَرْهد ابن رِزاح كان شريفاً ، وأبو بردة صاحب النبي عليه الصلاة والسلام .

فرغت خزاعة .

٢٠ بارق والهجن

ولد عدى بن حارثة بن عامر : سعدا ـ وهو بارق ـ ، وعمراً ـ وهم الهجن ـ لخزاعة وبارق والهجن : من بنى حارثة بن عمرو بن عامر .

فمن بارق : سراقة بن مرداس الشاعر وجعفر بن أوس الشاعر ، ومنهم النعمان بن خَميصة ، جاهلى شريف . وبارق والهجن لا يقال لهما غَسان ؛ وغسان ماء بالمشلَّل ، فمن شرب منه من الأزد فهو غسانى ، ومن لم يشرب منه فليس بغسانى ؛ وقال حسان :

إما سألتِ فإنّا مَعشرٌ نُجُبٌ ۞ الأَزْدُ نِسبتنا والماء غسّان ٥

ومن الُهجن : عَرفجة بن هَرْثمة الذى جنَّد الموصل ، وعداده فى بارق ؛ ومنهم ربعة وملادس وثعلبة وشبيب وألمع ، بنو الهجن .

حُجر بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ؛ ومنهم : أبو شُجرة بن حُجنة ، هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ومنهم : صيفى بن خالد بن سلمة بن هُريْم . ١٠

والعتيك : هو ابن الأزد بن عمران بن عمرو ؛ منهم : المهلّب بن أبى صُفرة ، واسم أبى صُفرة ظالم بن سراقة : وجُديع بن سعيد بن قبيصة . ومن العتيك : عمرو بن الأشرف ، قتل مع عائشة يوم الجمل ؛ وابنه زياد بن عمرو ، كان شريفا ؛ وثابت قُطنة الشاعر . ويقال إن العتيك : ابنُ عمران بن عمرو بن أسد بن خُزيمة . فهؤلاء بنو عمران بن عمرو بن عامر ؛ وهم : الُحجر ، ١٥ والأزْد ، والعتيك .

ومن بطون الأزد :

بنو ماسخة بن عبد الله بن مالك بن النصر بن الأزد ، إليهم تنسب القسى الماسخية ، كان أول من رمى بها بنو زَهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر من الأزد . ومنهم : حُممة بن رافع ؛ وفيهم : ٢٠ بنو النمر بن عثمان بن النصر بن هوازن ؛ ومنهم : أبو الكَنود صاحب ابن مسعود ، قتل يوم الفِجار ؛ وأبو الجهم بن حبيب ، كان والياً لأبى جعفر :

وأبو مريم ، وهو حذيفة بن عبد الله ، صاحب رايتهم يوم رستم ، والحارث بن حَصيرة الذى يحدِّث عنه ، ومخلد بن الحسن ، كان فارساً بخراسان .

وفَهم بن زهران بطن وحُدّان بطن ، وزيادة بطن . ومَعْولة ، بنو شمس ابن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن هوازن .

٥ فمن بنى حُدّان : صبرة بن شيبان ، كان رأس الأزد يوم الجمل ، وقتل يومئذ .

ومن بنى مَعْولة بن شمس : الجُلنْدى بن المُستكين صاحب عمان ، وابنه جيْفَر . وكتب النبي عليه الصلاة والسلام إلى جيفر وعُبيد ابنى الجلندى ، ومنهم الغطريف الأصغر والغطريف الأكبر من بنى دَهمان بن نصر بن زهران ، ومنهم ١٠ سبالة ، وحدروج ، ورسْن بنو عمرو بن كعب بن الغطريف ، بطون كلهم ، وبنو جِعْثِمة بن يشكر بن مَيسر بن صعب بن دُهمان .

بنو راسب بنو راسب بن مالك بن ميْدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، منهم : عبد الله ابن وهب ذو الثفِنات ، رئيس الخوارج ، قتله على بن أبى طالب يوم النّهروان . ومن الناس من يَنسب بنى راسب فى قُضاعة .

ثمالة ١٥ ثُمالة ، وهو عوف بن أسلم بن أبجر بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد . وثمالة منزلهم قريب من الطائف ، وهم أهل رويّة وعقول ، ومنهم : محمد بن يزيد النّحوى المعروف بالمبرّد صاحب الروضة ، وقال فيه بعض الشعراء :

سألنا عن ثمالةَ كلَّ حىٍّ ۝ فقال القائلون ومَن ثمالهْ

٢٠ فقلتُ : محمدُ بن يَزيد منهمْ ، ۝ فقالوا الآن زدت بهم جَهالهْ

بنو لهب بنو لِهْب بن أبجر بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم أعْيَف كل حىّ فى العرب ـ العائف : الذى يزجر الطير ـ ولهم يقول كثيّر عزة :

تيمّمْتُ لِهْباً أبتغى العلمَ عندهم ۝ وقد رُدَّ علمُ العائفين إلى لِهْبِ

دوس

دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زَهران ، ومنهم حُممة بن الحارث بن رافع ، كان سيد دوس فى الجاهلية ، وكان أسخى العرب ، وهو مُطعِم الحاج بمكة ، ومنهم أبو هُريرة صاحب النبىّ عليه الصلاة والسلام ، واسمه عُمير بن عامر . ومنهم جَذيمة الأبرش بن مالك بن فَهم بن غَنْم بن دوس ، وجَهضم بن عوف بن مالك ابن فَهم بن غَنم بن دوس ، ومنهم الجراميز ، جمع جُرموز ، والقراديس ، جمع ٥ قردوس ، والقسامل ، جمع قَسملة ، والأشاقر ، جمع أشقر ، وهم بنو عائذ بن دَوس ، وفيهم يقول الأعجم :

قالوا الأشاقِرُ تَهجوكم فقلتُ لهم ٭ ما كنت أحسبُهم كانوا ولا خُلقوا

وهم من الحسَب الزاكى بمنزلةٍ ٭ كطُحْلُب الماءِ لا أصل ولا ورق

لا يكبرون وإن طالتْ حياتُهُم ٭ ولو يَبول عليهم ثعلبٌ غَرِقوا ١٠

علكّ بن عُدثان بن عبد الله بن زهران . وعكّ أخو دوس بن عُدثان بن عبد الله بن زهران عند من نَسبهم إلى الأزد ، ومن قال غير ذلك ، فهو عكّ ابن عُدثان أخو معد بن عدثان . وفى عكّ : قرن ، وهو بطن كبير ، منهم مقاتل ابن حكيم ، كان من نقباء بنى هاشم بخراسان .

غسان

غسّان ، وهم بنو عمرو بن مازن ، وفيهم : صُريم ، وبنو نفيل ، وهم الصُّبْر ، ١٥ سُموا بذلك لصبرهم فى الحرب ، وفى بنى صُريم شقْران ونَمران ابنا عمرو بن صُريم ، وهما بطنان فى غسان .

بنو عنزة

وبنو عَنَزة بن عمرو بن عوف بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن بن الأزد . منهم : الحارث بن أبى شَمر الأعرج ، ملك غسان الذى يقال فيه الجفنى ، وليس بجَفنى ولكن أمّه من بنى جفنة . ومن بنى عمرو بن مازن : عبدُ المسيح ٢٠ ابن عمرو بن ثعلبة صاحب خالد بن الوليد ، ومنهم عبد المسيح الجِهْبذ ، ومنهم سطيح الكاهن ، وهو ربيعة بن ربيعة .

ومن بنى غسّان : بنو جَفنة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة

ابن امرئ القيس بن مازن بن الأزد ؛ ومنهم : مُلوك غسان بالشام ، وهم سبعة وثلاثون ملكا ، ملكوا ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن جاء الإسلام .

بجيلة

بجيلة ، وهم عبقر والغوث وصهيب ، ووداعة وأشهل ؛ نَسبوا إلى أمّهم بَجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ؛ وهم بنو أنمار بن إراس بن عمرو بن ٥ الغوث ، أخو الأزد بن الغوث . منهم : جَرير بن عبد الله صاحب النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان يُقال لجرير : يوسف هذه الأمّة ؛ لحُسنه . وفيهم يقول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكتْ بَجيلهْ ❊ نِعْمَ الفتَى وبئْستِ القَبيلهْ

ومنهم : الضَّبين بن مُضر الذى وقع ببنى كنانة ، ومنهم القاسم بن عُقيل ١٠ أحد بنى عائذة بن عامر بن قُداد . كان شريفا . وهو الذى ابتدأ منافرة بجيلة وقضاعة .

وفى بجيلة قسر بن عبقر منهم : خالد بن عبد الله القسرى صاحب العراق .

ومنهم بنو أحمس ، وهم بنو عَلَقَة بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو ابن الغوث ؛ وبنو زيد بن الغوث بن أنمار ؛ وبنو دَهْن بن معاوية بن أسلم ١٥ ابن أحمس رهط عمار الدَّهنى .

ومن قبائل بَجلة : هُدم ، وهديم ، وأحمس ، وعادية ، وعديّة ، وقينان ، وعُرينة بن زيد .

خثعم

خثعم ـ هو : خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث ، أخى الأزد ابن الغوث . فنى خثعم : عِفْرس ، وناهس ، وشَهران ، فيها الشرف والعدد .

٢٠ فمن بنى شَهران : بنو قُحافة بن عامر بن ربيعة ؛ منهم : أسماء بنت عُميس ، ومالك بن عبد الله الذى قاد خيل خثعم إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ربيعة بن عِفرس : نُفيل بن حبيب دليلُ الحبشة على الكعبة ، وهو القائل :

وكلهُم يُسائل عن نُفيْل ❊ كأنَّ علىّ للحُبْشان ديْنا

وما كانَتْ دِلالَتُهُم بِزَيْنٍ * ولكنْ كان ذاكَ علىَّ شَيْنَا
فإنَّكِ لو رأيتِ ولم تَرَيْهِ * لدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ ما رأينا
إذاً لم تفرَحِى أبداً بشىء * ولم تأسىْ على ما فات عَيْنا
حَمدْتُ اللهَ إذ أبصرْت طيْراً * وحُصْبَ حجارةٍ تُرْمَى علينا

ومن خثعم : عَثعث بن قُحافة ، وهو الذى هزم هَمْدان وسَدحج . وله ٥
يقول الشاعر :

وجُرْثُومة لم يَدْخلِ الذلُّ وسْطَها * قريبةَ أنسابٍ كثيرٍ عِديدُها
مُلَمْلِمة فيها فوارسُ عَثْعَثٍ * بَنُوهُ وأبناء الأُقَيْصِرِ جِيدُها

ومنهم حُمران الذى يقول :

أقسَمْتُ لا أموتُ إلَّا حُرًّا * وإن وجدتُ الموْتَ طعْماً مُرًّا ١٠
أخافُ أن أُخْدَعَ أوْ أُغَرَّا

ويقال إن خَثعم اسمه أَفتل ، وإنما خثعم جَمل كان لهم نُسبوا إليه .

همدان

وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسَلة بن ربيعة بن الخِيار بن مالك بن زيد
ابن كهلان ؛ فولدت همدان : حاشداً وبكيلا ؛ ومنهما تفرقت همدان . ١٥

فمن بطون همدان شِبام ، وهو عبد الله بن أسعد بن حاشد .

ومنهم ناعط وهو ربيعة بن مرثد بن حاشد بن جُشم بن حاشد . ومنهم وداعة
ابن عمرو بن عامر ، رهط مسروق بن الأجدع ؛ ومن الناس من يزعم أنه وداعة
ابن عمرو بن عامر بن الأزد ، ولكنهم انتسبوا إلى همدان

ومن همدان : بنو السُّبيع بن الصعب بن معاوية بن كبير بن مالك بن جُشم ٢٠
ابن حاشد ؛ منهم : سَعيد بن قيس بن زيد بن حرب بن معديكرب بن سَيف بن عمرو
السبيعىّ ؛ ومن بنى ناعط : الحارث بن عُميرة الذى يمدحه أعشى همدان بقوله :

إلى ابن عُمَيْرَةَ تَخدِى بنا * على أنها القُلُص الضُّمَّرُ

ومن بنى بَكيل بن جُشم بن خَوان بن نوف بن همدان : بنو جَوْب ـ وهم الجوبيون ـ ابن شهاب بن مالك بن معاوية بن صعب بن دَوْمان بن بكيل . وبنو أرحب بن دُعام بن مالك بن معاوية بن صعب . وبنو شاكر ، وهم أبو ربيعة ابن مالك بن معاوية بن صعب ، وهم الذين قال فيهم على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم الجمل : لو تمت عدّتهم ألفاً لعُبدَ اللهُ حق عبادته . وكان إذا رآهم تمثل بقول الشاعر :

ناديتُ هَمْدانَ والأبوابُ مُغْلَقةٌ ۞ ومثلُ همدانَ سَنَّى فتحةَ البابِ

كالهُنْدُوانىِّ لم تُفْلَلْ مَضارِبُهُ ۞ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وجّابِ

وقال فيهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

لِهَمْدانَ أخلاق ودينٌ يَزِينُهُمْ ۞ وبأسٌ إذا لاقوْا وحُسْنُ كلامِ

فلو كنتُ بَوّاباً على بابِ جَنَّةٍ ۞ لقلتُ لِهَمدانَ آدخلوا بسلامِ

ومن أشراف همدان : مالك بن حُريم الدّالانى ، وكان فارساً شاعراً ؛ ومنهم محمد بن مالك الخَيْوانى ، وكان يُجير قريشاً فى الجاهلية على اليمن ؛ وفى همدان : جُشَم ، وهم رهط أعشى همدان ؛ وفيهم خَيوان ، وهو مالك بن زيد بن جشم بن حاشد ؛ وفيهم دَألان بن سابقة بن ناشج بن دافع ؛ منهم مالك بن حُريم الذى يقول :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنى غزوْتُهُمْ ۞ فهل أنا فى ذا يا لَهَمدانَ ظالمُ

متى تجمع القلبَ الذّكِىَّ وصارِماً ۞ وأنفاً حَمِيّا تجتنِبْكَ المظالمُ

ومنهم : أرحب بن دُعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دَوْمان بن بكيل . منهم : أبو رُهم بن مُطعم الشاعر ، هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بن خمسين ومائة سنة .

وفى همدان : إلهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك ، ومنهم : حَوشب . قتل بصفين مع معاوية .

كِنْـــدة

كندة بن عُفير بن عدىّ بن الحارث بن مُرة بن أُدد بن زيد بن يَشْجب بن عريب بن زيد بن كهلان .

فمن بطون كندة : الرائش بن الحارث بن معاوية بن كندة ؛ منهم : شُريح بن الحارث القاضى ؛ ومنهم معاوية الأكرمين الذى مدحهم الأعشى ؛ ومنهم الأشعث ابن قيس بن معديكرب ؛ والصبّاح بن قيس وشُرحبيل بن السِّمط ، ولى حِمص ؛ وحُجر بن عدىّ الأدبر صاحب على ، وهو الذى قتله معاوية صبراً .

ومنهم : بنو مرة بن حجر ، لهم مسجد بالكوفة ؛ ومنهم : الأسود بن الأرقم ؛ ويزيد بن فروة الذى أجار خالد بن الوليد يوم قطع نخل بنى وليعة ؛ وفى كِندة معاوية الولّادة . سُمى بذلك لكثرة ولده ؛ ومنهم حُجر الفرد ، سمى بذلك لجوده ، وأهل اليمن يُسمون الجواد : الفرد ، ومنهم معاوية مقطِّع النُّجد ، كان لا يتقلد أحد معه سيفاً إلا قطع نجاده .

فمن بنى حُجر الفرد الملوك الأربعة : مِخْوس ، ومِشْرح ، وجَمْد ، وأبضعة ؛ وأختهم العمرّدة ، بنو معديكرب بن وليعة بن شُرحبيل بن حجر الفرد ؛ وهم الذى يقول فيهم الشاعر :

نحنُ قتلنا بالنُّجَيْرِ أربعهْ * مِخوس مِشْرَحاً وجَمْداً أبْضعه

ومن بنى امرئ القيس بن معاوية : رجاء بن حيوة الفقيه ، وامرؤ القيس ابن السِّمط . ومن أشراف بنى الحرث بن معاوية بن ثور : امرؤ القيس الشاعر ابن حُجر بن عمرو بن حجر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور ؛ وهم ملوك كندة ؛ ومنهم : حجر بن الحارث بن عمرو ، وهو ابن أم قَطام بنت عوف بن محلم الشيبانى .

ومن بطون كندة : السَّكاسك والسكون . ابنا أشرس بن كندة ؛ ومنهم معاوية بن حُديج ؛ قاتل محمد بن أبى بكر ؛ ومنهم الجَون بن يزيد ، وهو أول

من عقد الحِلف بين كندة وبين بكر بن وائل ؛ ومنهم حُصَين بن نمير السّكونى ، صاحب الجيش بعد مُسلم بن عُقبة صاحب الحَرّة .

ومن السّكون : تجيب ؛ وهما عدى وسعد ابنا أشرس بن شبيب بن السكون وأمهما تجيب بنت ثوبان بن مذحج ، إليها ينسبون .

٥ فمن أشراف تُجيب : ابنُ غزالة الشاعر ، جاهلى ، وهو ربيعة بن عبد الله ؛ وحارثة بن سلمة ، كان على السكون يوم مُحيَّاة ، وهو يوم اقتتلت معاوية بن كندة وكنانة بن بشر الذى ضرب عثمان يوم الدار .

والسَّكاسك بن أشرس بن كِندة ، منهم الضّحّاك بن رَمَل بن عبد الرحمن ؛ وحُوَىّ ابن مانع الذى زعم أهلُ الشام أنه قتل عمّار بن ياسر ؛ ويزيد بن أبى كبشة صاحب ١٠ الحجاج . انقضى نسب كندة .

مذحج

ومن بنى أُدد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زَيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : مالك بن أدد ، وهو مَذحج وطيّئ بن أدد والأشعر بن أدد .

١٥ وقال ابن الكلبى : إن مذحج بن أدد هو ذو الأنعام ، وله ثلاثة نفر : مالك ابن مذحج وطيئ بن مذحج والأشعر بن مذحج .

فمن قبائل مذحج : سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛ وولده الحكم بن سعد العشيرة ، وهو قبيل كبير ؛ منهم الجرّاح بن عبد الله الحكمى ، قتله الترك أيام عمر بن عبد العزيز ، وهم موالى أبى نواس . وفى بعضهم يقول :

٢٠ ياشقيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ ⁂ نِمْتَ عَنْ لَيْلَى ولم أَنَمِ

وإنما سمى سعد العشيرة ؛ لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلثمائة رجل ؛ ومنهم عَمير بن بشر ، ومنهم بُندقة بن مَظَّة .

ومن بطون سعد العشيرة : جُعْف بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد ؛

وصعب بن سعد العشيرة ، دخل فى جُعفى وجزء بن سعد العشيرة فمن ولد جزء بن سعد العدل ، والجد ؛ وكان العدل على شُرطة تبع ، وكان إذا أراد قتل رجل قال : يُجعل على يدى عدل . وهو قولُ الناس : فلان على يدى عدل ، إذا كان مشرفاً على الهلاك .

ومن أشراف جُعفَى : أبو سَبرة ، وهو يزيد بن مالك ؛ كان وفَد إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا له ؛ ومنهم شراحيل بن الأصهب ، كان أبعدَ العربِ غارة كان يغزو من حضرموت إلى البلقاء فى مائة فارس من بنى أبيه ؛ فقتله بنو جَعدة ففيه يقول نابغة بنى جعدة .

أَرَحْنا معدًا من شراحيل بعـدَ ما ٭ أراها مَعَ الصُّبحِ الكواكِبِ مظْهَرا

وعلْقَمَةَ الجرَّابِ أَدْرَكَ ركْضُنا ٭ بِذِى الرِّمْثِ إذ صامَ النهار وهجَّرا

وعلقمة الجرّاب كان رأس بنى جعف بعد شراحيل . ومن بنى جُعف : زَحْر ابن قيس صاحب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومنهم الأشعر بن أبى حُمران الذى يقول فيه :

أُريدُ دُعاءَ بنى مازنٍ ٭ وراق المُعَلَّى بياضُ اللَّبَن

خليلَانِ مُخْتَلفٌ بينَنا ٭ أُريدُ العلاءَ ويَبغى السِّمَن

ومنهم : عُبيد الله بن مالك الفاتك الُجعفى .

ومن بنى سعد العشيرة : أود ؛ وزُبيد ، واسمه منبّه ؛ وهما ابنا صعب بن سعد العشيرة وزُبيد الأصغر ، وهو منبه الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زُبيد بن صعب بن سعد العشيرة . ومنهم : أبو المغراء الشاعر ، ومنهم الزعافر وهو عامر بن حَرب بن سعد بن مُنبه بن أود ؛ ومنهم عبد الله بن إدريس الفقيه ، ومنهم الأفوه الشاعر ، واسمه صَلاءة بن عمرو ، ومنهم : بنو رَمّان بن كعب بن أود ، من ولده عافية بن يزيد القاضى ، وبنو قرن لهم مسجد بالكوفة .

زُبيد بن صعب بن سعد العشيرة . واسمه مُنبّه وهو زبيد الأكبر . من

ولده زُيد الأصغر ، وهو زيد بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن زيد ابن صعب .

ومن بنى زيد الأصغر : عمرو بن معديكرب ، وعاصر بن الأصقع الشاعر ، ومعاوية بن قيس بن سَلمة ، وهو الأفكل ، وكان شريفاً ، وإنما سمى الأفكل لأنه كان إذا غَضب أرعد ؛ ويقال : الأفكل من بنى زيد الأكبر . ومنهم : الحارث ابن عمرو بن عبد الله بن قيس بن أبى عمرو بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن زيد الأصغر . فهذه سعد العشيرة .

ومن مَذحج : جنب ، وصُداء ، ورُهاء ؛ فمن بنى جَنب : مُنبه ، والحارث ، والغَلِىّ وشَيْحان ، وشِمْران ، وهِفّان . فهؤلاء الستة ـ وهم جَنْب ـ بنو يزيد بن حرب بن عُلَة بن خالد بن مالك بن أدد ؛ وإنما قيل لهم جَنب ؛ لأنهم جانبوا أخاهم صُداء وحالفوا سعد العشيرة ؛ وحالفت صُداء بنى الحارث بن كعب . فمن جَنب أبو طيبان الجنبىّ الفقيه . ومنهم : معاوية الخير بن عمرو بن معاوية صاحب لواء مَذحج . وهو الذى أجار مهلهل بن ربيعة التغلبى على بكر بن وائل ، فتزوج ابنة مهلهل . وفى ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب وائل :

هان على تَغْلبٍ بما لقيَتْ ٭ أختُ بنى الأكرمين من جُشَم
أنكحَها فقْدُها الأراقم فى ٭ جنبٍ وكان الحِباء من أدمِ
لو بأبانَيْن جاء يخطبُها ٭ رُمِّل ماأنْف خاطبٍ بدمِ

وقوله : وكان الحِباء من أدم ، أى إنه ساق إليها فى مَهرها قبة من أدم .

صداء

صُـداء بن يزيد بن حرب بن عُلة بن جَـلْد بن مالك بن أدد ، وهم حلفاء بنى الحارث بن كعب بن مذحج .

رهاء

رهاء بن مُنبّه بن عُلة بن جَلْد بن مالك . ومنهم : هِزّان بن سعيد بن قيس بن سرح ، كان من أشراف أهل الشام .

بنو الحارث

بنو الحارث بن كعب بن حرب بن عُلة بن جَلْد بن مالك بن أدد ، وهو بيت

مذحج . منهم : زَعْبل ، بطن فى بنى الحارث ، وهو الذى يقال فيه : لا يكلم زَعْبل . وكان شريفا . ومنهم المُحجّل بن حَزْن . ومنهم بنو حماس بن ربيعة . منهم النجاشى واسمه قيس بن عمرو . وفيهم بنو المَعْقل بن كعب بن ربيعة . ومنهم مَرثد ومُريثد ابنا سلمة بن المعقل ، قيل لهم المراثد . ومنهم المأمون بن معاوية اجتمعت عليه مذحج ومُزاحم بن كعب . ومنهم اللجلاج ، وأخوه مُسهر الذى فقأ عين عامر بن الطُّفيل يوم فَيف فَيْف الريح ، وعبد يَغوث بن الحارث الشاعر قتيل التَّيم يوم الكُلاب ، وهو القائل :

أقول وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعَةٍ * ألا يال تيْمٍ أطلقوا منْ لسانيا

وتَضحك منى شيْخةٌ عَبْشمِيَّةٌ * كأنْ لم ترى قبلى أسيراً يمانيا

ومنهم بنو قُنان بن سَلمة . منهم : الحُصين ذو الغُصَّة بن مَرْثد بن شدّاد بن قُنان ، وهو رأس بنى الحارث ، عاش مائة سنة ، وكان يقال لبنيه : فوارس الأرباع ، قتلته همدان ؛ من ولده : كَثير بن شهاب بن الحُصين .

ومنهم : محمد بن زُهرة بن الحارث .

وفى بنى الحارث بن كعب : الضَّباب ؛ منهم هند بن أسماء الذى قَتل المُنتشر الباهلى .

وفيهم : بنو الدَّيَّان . فيهم زياد بن النضر صاحب على . والربيع بن زياد ، ولى خراسان أيام معاوية . والنابغة الشاعر ، واسمه يزيد بن أبان . هؤلاء بنو الحارث بن كعب .

الضَّباب فى بنى الحارث بن كعب : مفتوحة الضاد ، وفى عامر بن صعصعة : مكسورة الضاد .

مسلية

ومن بطون مذحج : مُسْلية بن عامر بن عمرو بن عُلة بن جَلْد بن مالك . فولد مُسلية ، كنانة وأسدا : منهما تفرقت مسلية .

بنو حبابة

كنانة وأسد ابنا مُسلية . فمن بنى كنانة بن مسلية : بنو صُبح وثعلبة ابنا ناشرة ،

وأمهما حُبابة بها يعرفون . منهم أُبَىّ بن ربيعة بن صُبح الذى يقول له عمرو بن معديكرب :

تمنَّـــانِى ليقتلنى أُبَىٌّ * وددتُ وأينما منى ودادى[1]

ومن بنى حبابة : عامر بن إسماعيل القائد ، وابن الحبابة الشاعر ، جاهلى ومن مذحج النَّخع بن عمرو بن عُلَة بن جَلد بن مالك بن أدد . ٥

النخع

فمن بطون النخع : عمرو ، بطن ؛ وصُهبان ، بطن ؛ ووَهْبيل ، بطن ؛ وعامر ، بطن ؛ وجَذيمة ، بطن ؛ وحارثة ، بطن ؛ وكعب ، بطن .

بنو جذيمة

فمن بنى جَذيمة سعد بن مالك بن جلد بن النخع : الأشتر ، واسمه مالك بن الحارث ؛ وثابت بن قيس بن أبى المُنقّع .

بنو حارثة

١٠ ومن بنى حارثة بن سعد بن مالك بن النخع : إبراهيم بن يزيد الفقيه ، والحجاج ابن أرطاة .

وهبيل

ومن بنى وهْبيل بن سعد بن مالك بن النخع : سِنان بن أنس الذى قتل الحسين ابن على ؛ وشريك بن عبد الله القاضى .

صهبان

ومن بنى صُهبان بن سعد بن مالك بن النخع : كُميل بن زياد صاحب على بن ١٥ أبى طالب ، قتله الحجاج .

جشم وبكر

وفى النخع : جُشم ، وبكر . فمن بنى جشم : العُريان بن الهيثم بن الأسود .

ومن بنى بكر بن عوف بن النَّخع : يزيد بن المكفف . وعلقمة بن قيس . وأخوه أُبَىّ بن قيس ، قُتل مع علىّ بصفين . وأخوهما يزيد بن قيْس . وابنه الأسود بن يزيد العابد .

عنس

٢٠ ومن مَذحج : عَنس بن مالك بن أُدد . فولد عَنس : سعداً الأكبر ، وسعداً الأصغر ، ومالكا ، وعمرا ، ومخامرا ، ومعاوية ، وعَريبا ، وعَتيكا ، وشهابا ، والقِرية ، وياما .

---

(١) فى بعض الأصول : « ثمامة قفرة بغت المبيضا » .

فمن بنى مالك بن عَنس : الأسود بن كعب الذى تنبأ باليمن .

ومن بنى يام بن عَنس : عمّار بن ياسر صاحب النبى عليه الصلاة والسلام .

ومن بنى سعد الأكبر : الأسود بن كعب : تبناه سعد الأكبر ، وكان كاهنا .

ومن أشراف عنس : عامر بن ربيعة ، شهد بدراً مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو حليف لقريش . ٥

مراد

ومن بطون مذحج : مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ، ويسمى يُحَابِر .

فمن بطون مراد : ناجية وزاهر وأنعم . فمن بنى ناجية بن مراد : فروة بن مُسيك ، كان والياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على نَجران .

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث . ومنهم أُويس القَرنى بن عمرو بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عُصْوان بن قَرن بن ١٠ رُدمان بن ناجية بن مراد ، وهو الذى يقال أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه : يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر . وكان من التابعين ، وقد أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وفى ناجية بن مراد : بنو غُطيف بن عبد الله بن ناجية ، ويقال إنهم من الأزد . وهانئ بن عُروة المقتول مع مُسلم بن عقيل . ١٥

وفى ناجية بن مراد : بنو جمل بن كنانة بن ناجية ، منهم : هند بن عمرو ، قتله عمرو بن اليثربىّ يوم الجمل ، وقال فىَ ذلك :

إنى لمَنْ يَجهَلُنى ابن اليثْربى ٭ قتَلت عِلباءَ وهند الجملىّ

وابناً لصَوحان على دين على

ومن بنى زاهر بن مراد : قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث ، وهو قيس بن مكشوح . ٢٠

طيء

هو طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان أخو مذحج ،

ويقال ابن مذحج فى رواية ابن الكلبى؛ فولد طيئ الغوث وفُطرة والحارث .

فمن بطونِ طيئ : جديلة وهم بنو جندب وبنو حُور ، وأمهما جديلة وبها يعرفون ، وهى جديلة طيئ . فأما بنو حور بن جديلة فسهليون وليسوا من الجبليين ، وأما بنو جُندب بن جديلة فهم من الجَبليين ، وفيهم الشّرف والعدد ، وفيهم الثعالب ، وهم بنو ثعلبة بن جدعاء بن ذُهل بن رُومان بن جُندب .

فمن بنى ثعلبة بن جَدعاء : المعلى بن تيم بن ثعلبة بن جدعاء ، عليه نزل امرؤ القيس بن حُجر الشاعر ؛ إذ قُتل أبوه حجر بن الحارث ، وقال فى المعلى :

كأنّىَ إذ نَزلْتُ على المعَـــلَّى * نَزلْت على البواذِخ من شَمَـامِ

فما مَلِكُ العِراقِ على المعلّى * بِمقْتَـــدِرٍ ولا مُلْكُ الشّآم

أقرّحشا امْرئ القَيسِ بن حُجْرٍ * بنو تَيمٍ مصَابيحُ الظّلام

فسمّى بنو تيم بن ثعلبة : مصابيحَ الظلام .

فمن ثعلبة بن جدعاء : الحر بن مَشجعة بن النعمان ، كان رئيس جديلة يوم مُسيلمة الكذاب ؛ ومنهم أوس بن حارثة بن لأم سيد طيئ ؛ ومنهم حاتم بن عبد الله الجواد ؛ وابنه عدى بن حاتم ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فألقى له وسادة وأجلسه عليها وجلس هو على الأرض . قال عدى : فما رِمت حتى هدانى الله للإسلام ، وسرّنى ما رأيت من إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى بنى عمرو بن الغَوث بن طيئ : ثُعَل ، بطن ؛ ونبْهان ، بطن ؛ وبَولان ، بطن ؛ وسلامان ، بطن ؛ وهَنِيّ ، بطن .

فمن هنىّ : إياس بن قبيصة ؛ وأبو زَبيد الشاعر ، واسمه حَرملة بن المنذر .

ومن بنى سلامان : بنو بُحتر ، بطن طيئ ، ومن بنى بُحتر معرّض بن صالح ، اجتمعت عليه جديلة والغوث .

ومن بنى ثُعل : عمرو بن عبد المسبّح ، كان أرمى العرب ، وإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رُبَّ رامٍ من بني ثعلٍ * مخرجٌ كفَّيْه من قُتَرِهْ

وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس ومائة سنة ، فأسلم .

ومن بني ثعل : أبو حنبل الذي يعد في الأوفياء نزل به امرؤ القيس ومدحه

ومنهم زيد الخيل ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه زيد الخير ، وقال :

« مابلغني عن أحدٍ إلا رأيته دون ما بلغني ، إلا زيد الخيل » . ٥

وفي طيئ : سُدوس . وهي مضمومة السين ، والتي في ربيعة مفتوحة السين .

الأشعـــر

هو الأشعر بن أدد أخو مذحج ـ ويقال : ابن مذحج ، في رواية ابن الكلبي ـ

فولد الأشعر : الجماهر ، والأرغم ، والأدغم ، والأنعم ، وجُدَّة ، وعبد شمس ،

وعبد الثُّريا . ١٠

فمن بطون الأشعريين : مُراطة ، وصُنامة ، وأسد ، وسهلة ، وعُكابة ،

والشراعبة ، وعُسامة ، والدعالج .

ومن أشراف الأشعريين : أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، صاحب

النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم مالك بن عامر بن هانئ بن خِفَاف ، وفد على

النبي صلى الله عليه وسلم وشهد القادسية ، وهو أول من عبر دجلة يوم المدائن ، ١٥

وقال في ذلك :

امْضُوا فإنَّ البَحْرَ بَحْرٌ مأمُور * والأولُ القاطِع منْكم مأْجورْ

قد خابَ كِسْرى وأبُوهُ سابورْ * ما تصْنعُون والحديثُ مأثورْ

وابنه سعد بن مالك ، كان من أشراف أهل العراق ، ومنهم : السائب ابن مالك ،

كان على شرطة المختار وهو الذي قَوىَ أمره ؛ ومنهم : أبو مالك الأشعري ، زوَّجه ٢٠

النبي عليه الصلاة والسلام إحدى نساء بني هاشم وقال لها : « مارضيتِ أن زوجتُك

رجلا هو وقومُه خيرٌ مما طلعت عليه الشمس ! » وقال النبي عليه الصلاة والسلام :

« يابني هاشم ، زوِّجوا الأشعريين وتزوجوا إليهم ؛ فإنهم في الناس كصُرة المسك

وكالأترج الذى إن شممته ظاهراً وجدته طيبا ، وإن آختبرت باطنه وجدته طيبا » .

فهؤلاء بنو أدد ، وهم مذحج وطيئ والأشعر ، بنو أُدد بن زيد بن يَشجب ابن يعرب بن قحطان .

لخــــم

٥ هو مالك بن عدى بن الحـارث بن مرة بن أدد . فولدت لخم : جَزيلة ، ونُمـارة ؛ ومنهما تفرقت بطون لخم .

فمن بنى نمـارة : بنو الدارى ، وهو هانئ بن حبيب بن نمـارة . منهم تميم الدارى صاحب النبى عليه الصلاة والسلام .

وفى نمارة الأجوَد ، وهم بنو مازن بن عمرو بن زياد بن نمارة رهط الطرِمّاح

١٠ ابن حكيم الشاعر ؛ ويقال إن الطرماح من طيئ ـ ومنهم : قصير بن سعد صاحب جَذيمة الأبرش .

ومن بنى نمـارة : ملوك الحيرة اللَّخميون . رهط النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان .

وفى جزيلة بن لخم بطون كثيرة ، منهم : إراش ، وحُجر ، ويشكر وأدب ،

١٥ وخالفة ـ وهو راشدة ـ وغَنم ، وجديس ، بطن عظيم .

وفى جزيلة بن لخم أيضاً العَمَرَّط ، وفيهم عِباد الحِـيرى منهم رهط عدى ابن زيد العِبادى . وفيهم بنو منارة ، وفيهم جَدس بن إدريس بن جَزيلة بن لخم منهم مالك بن ذُعر بن حُجر بن جَزيلة بن لخم ؛ يقال إنه الذى آستخرج يوسف ابن يعقوب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من الجب .

٢٠

جـــــذام

هو جُذام بن عدى بن الحارث بن مُرة بن أدد . فولد جُذام حَراما وحِشم ؛ ومنهما تفرقت جُذام .

فمن بنى حِشم بن جُذام : بنو عتيب بن أسلم بن خالد بن شَنوءة بن تَدِيل ابن حشم بن جذام ، وهم الذين يُنْسبون فى بنى شيبان .

وفى حرام بن جُذام بنو غَطفان ، وأفصى ، ابنا سعد بن إياس بن حرام ؛ وفيهما عدد جذام وشرفُها ؛ ويقال إن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان هو هذا . ٥

فمن بنى أفصى بن سعد : رَوْح بن زِنباع ، وزير عبد الملك بن مروان ؛ وقيس بن زيد ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى غطفان بن سعد : عَبس ، ونضرة ، وأُبامة ، وعبدة ، وحرْب ، ورَيْث ، وعبد الله ، بطون كلهم ؛ فانتسب ريث وعبد الله فى غطفان بن قيس ، وغيرهم فى جذام ١٠

عامــــلة

هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن يشجُب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ولد الحارث الزهدَ ومعاوية وأمهما عاملة بنت مالك بن ربيعة بن قضاعة ، فنسبا إلى أمهما ؛ ويقال عاملة هو الحارث نفسه . ١٥

فمن بنى مُعاوية بن عاملة : شَعْل ، وسَلبه ، وعجل ، بطون كلهم .

فمن أشراف عاملة قوّال بن عمر ؛ وشهاب بن برهم ، وكان سيداً ؛ وهمام ابن معقل ، وكان شريفاً مع مسلمة بن عبد الملك ؛ ومنهم عَدِى بْن الرقاع الشاعر ؛ ومنهم قُعيسيس الذى أسر عدى بن حاتم الطائى فأخذه منه شُعيب بن الربيع الكلبي فأطلقه بغير فداء . ٢٠

فهؤلاء بنو عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يَشجُب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ وهم لخم وجذام وعاملة ، بنو عدى بن الحارث ؛ وكندة بن عُفَيْر بن عدي بن الحارث .

خولان

هو خولان بن عمرو بن يَعْفُر بن مالك بن الحارث بن مُرة بن أدد . فولد خولان : حَبيبا ، وعمراً ، والأصهب ، وقيسا ، ونبتا ، وبكراً ، وسعدا ؛ منهم أبو مسلم عبد الرحمن بن مِشْكم الفقيه .

جرهم

هو من القبائل القديمة ، وهو جُرهم بن يَقطُنَ بن عابر . وعند عابر تجتمع يمن ومضر ؛ لأن مُضر كلها بنو فالغ بن عابر ، واليمن كلها بنو قحطان بن عابر .

حضرموت

هو ابن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث ابن حيدان بن قُصىّ بن عَريب بن زُهير بن أيمن بن الهَمَيْسع بن حمير .

منهم : ذو مَرحب ، وذو نَحْو ؛ ومنهم الأعدل ؛ ومنهم : بنو مَرْثد ، وبنو ضجْع ، وبنو حُجر ، وبنو رَحَب ، وبنو أُقْرن ، وبنو قَلْيان .

قول الشعوبية وهم أهل التسوية

ومن حجة الشعوبية على العرب أن قالت : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية ، وأن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد .

واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون إخوةٌ ، تتكافأ دماؤُهم ويسعى بذمّتهم أدناهم وهم يدٌ على مَنْ سِواهم . وقوله فى حجة الوداع ، وهى خطبته التى ودع فيها أُمّته وختم نبوّته : «أيها الناسُ ، إنّ الله أذهبَ عنكم نَخْوةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء . كلُّكم لآدمَ وآدمُ من تراب ، ليس لعربىٍّ على عجمىّ فضلٌ إلا بالتقوى»

وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافقٌ لقول الله تعالى :

﴿إنَّ أكرمكم عند اللهِ أتقاكمْ﴾ فأبيتم إلا فخراً وقلتم لا تُساوِينا العَجَمُ وإنْ تقدَّمَتْنا إلى الإسلام ، ثم صلت حتى تصير كالحنى ، وصامت حتى تصير كأوتار ، ونحن نسامحكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذى نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، إذ أبيتم إلا خِلافَه ، وإنما نجيبكم إلى ذلك لاتباع حديثه وما أمر به صلى الله عليه وسلم ، فترد عليكم حجتكم فى المفاخرة ، ونقول : أخبرونا إن قالت لكم العجم هل تعدون الفخر كله أن يكون مُلكا أو نبوَّة ؟ فإن زعمتم أنه ملك قالت لكم : وإن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة والنماردة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة ، وهل ينبغى لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان الذى سُخِّرت له الإنسُ والجن والطير والريح ، وإنما هو رجل منا ؟ أم هل كان لأحد مثل ملكِ الإسكندر الذى ملكَ الأرض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبنى ردما من حديد ساوى به بين الصَّدَفَين ، وسجن وراءه خلقا من الناس تربى على خلق الأرض كلها كثرة ؛ يقول الله عز وجل : ﴿حتى إذا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومأجوج وهم مِنْ كلِّ حدَبٍ يَنْسِلونَ﴾ فليس شىء أدل على كثرة عددهم من هذا ، وليس لأحد من ولد آدم مثلُ آثاره فى الأرض ؛ ولو لم يكن له إلا منارة الإسكندرية الذى أسسها فى قعر البحر وجعل فى رأسها مرآة يَظهر البحرُ كله فى زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز : مِن ملك الأملاك الذى هو ابن ألف ملك ، والذى تحته بنت ألف ملك ، والذى فى مربطه ألف فيل ، والذى له نهران ينبتان العود والفُوه والجَوز والكافور ، الذى يوجد ريحه على اثنى عشر ميلا - إلى ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيئا . أما بعد ، فإنى أردت أن تبعث إلىّ رجلا يعلمنى الإسلام ويوقفنى على حدوده والسلام .

وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنبوّة فإن منا الأنبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا أربعة : هوداً وصالحا وإسماعيل ومحمدا ؛ ومنا المصطفَون من العالمين : آدم ونوح ، وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر : فنحن الأصل وأنتم الفرع ، وإنما أنتم غصن من أغصاننا ، فقولوا بعد هذا ما شئتم

وادّعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم فى كل شق من الأرض [لها] ملوك تجمعها ، ومدائن تضمها ، وأحكام تَدين بها ، وفلسفة تنتجها ، وبدائع تفتقها فى الأدوات والصناعات : مثل صنعة الديباج ، وهى أبدع صنعة ؛ ولعب الشطرنج ، وهى أشرف لعبة ، ورمانة القبان التى يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ؛ ومثل فلسفة الروم فى ذات الخلق والقانون ، والأسطرلاب الذى يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودوران الأفلاك ، وعلم الكسوف [وغير ذلك من الآثار المتقنة] ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم قواصيها ، ويقمع ظالمها ، وينهى سفيهها ؛ ولا كان لها قط نتيجة فى صناعة ، ولا أثر فى فلسفة ، إلا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض ؛ فما الذى تفخر به العرب على العجم ؟ فإنما هى كالذئاب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ، ويغير بعضها على بعض ، فرجالُها مُوثَقُون فى حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مُرْدَفات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريخ استنقذن بالعشى وقد وطئن كما توطأ الطريق المَهْيَع ، فخر بذلك شاعر فقال :

وأَلحَقُ رَكْبَ [1] المُرْدفاتِ عَشِيَّةً

فقيل له : ويحك ! وأى فخر لك أن تلحق بالعشى وقد نُكحن وامتُهِنَّ ؟

وقال جرير يعيّر بنى دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وبرَحْرَحانِ غَدَاةَ كُبِّلَ مَعْبَدٌ * نُكِحَتْ نِساؤُكُمْ بغيرِ مُهُورِ

وقال عنترة لامرأته :

إنَّ الرِّجالَ لهم إليْكِ وسيلةٌ * إنْ يأخُذُوكِ تكَحَّلى وتَخَضَّبى

وأنا امْرُؤٌ إنْ يأخُذُونِىَ عَنْوَةً * أُقرنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

ويكونُ مَرْكَبُكِ القَعُودَ ورَحْلَه * وابنُ النَّعامَةِ عند ذلك مَرْكَبى

(١) فى بعض الأصول : « وأوثق عند » .

أراد بابن النعامة : باطن القدم .

وسبى ابنُ هَبولة الغسّانى امرأة الحارث بن عمرو الكندى . فلحقه الحارث فقتله وارتجع المرأة وقد كان نال منها ، فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله ، فما اشتملت النساء على مثله ! فأوثقها بين فرسين ثم استحضرهما حتى قطعاها ؛ وقال فى ذلك : ٥

كلُّ أُنثى وإن بَدا لك منها ٭ آيةُ الودّ عهدُها خيْتَعورُ

إنّ مَن غرّه النساءُ بودٍّ ٭ بعد هندٍ لَجاهلٌ مغرور

وسبت بنو سُليم ريحانة أخت عمرو بن معديكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :

أمِنْ رَيحانة الداعى السميعُ ٭ يُؤرّقُنى وأصحابى هجوع ١٠

وفيها يقول :

إذا لم تستطعْ أمراً فدعْه ٭ وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

وأغار الحوفزان على بنى سعد بن زيد مناة ، فاحتمل الزرقاء من بنى ربيع ابن الحارث ، فأعجبته وأعجبها ؛ فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم ، فاستنقذها وردّها إلى أهلها بعد أن وقع بها . ١٥

فهذا كان شأن العرب والعجم فى جاهليتها . فلما أتى الله بالإسلام كان للعجم شطر الإسلام ؛ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الأحمر والأسود من بنى آدم ، وكان أوّل من تبعه حرّ وعبد واختلف الناس فيهما ، فقال قوم : أبو بكر وبلال ، وقال قوم : علىّ وصُهيب .

ولما طُعن [١] عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيباً على المهاجرين ٢٠ والأنصار فصلى بالناس وقيل له : آستخلف . فقال : ما أجد من [٢] أستخلف . فذكر له الستة من أهل حراء ، فكلهم طَعن عليه ، ثم قال : لو أدرك سالما مولى

(١) فى بعض الأصول : « احتضر » .

(٢) فى بعض الأصول : « لا إخالنى ممن » .

أبى حذيفة حيا لما شككت فيه . فقال فى ذلك شاعر العرب :

هذا صُهيب أمَّ كل مُهاجرٍ ٭ وعَلا جميعَ قبائلِ الأنصار
لم يُرضَ منهم واحدٌ لصَلاتنا ٭ وهمُ الهداةُ وقادة الأخيار
هذا ولو كان المُتَرَّم سالمٌ ٭ حيًّا لَنال خلافةَ الأمْصار
٥ ما بالُ هٰذى العُجْم تحيا دوننا ٭ إنّ الغوىَّ لفى عمًى وخَسار

وقال بُجير يعيِّر العرب باختلافها فى النسب واستلحاقها للأدعياء :

زَعمتم بأن الهندَ أولادُ خندفٍ ٭ وبينَكمُ قربَى وبين البَرابِرِ
ودَيْلمُ من نسْل ابن ضَبَّة باسلٍ ٭ وبُرْجان من أولاد عمرو بن عامر
فقد صار كلُّ الناس أولادَ واحدٍ ٭ وصاروا سواءً فى أصول العناصر
١٠ بنو الأصفرِ الأملاكُ أكرم منكمُ ٭ وأولَى بقرْبانا مُلوك الأكاسر
أتطمع فى صِهْرى دعيًّا مُجاهراً ٭ ولم تَر سِتراً من دعىٍّ مُجاهر
وتَشـــتُم لؤْما رهْطَه وقبيله ٭ وتَمدح جهْلا طاهراً وآبن طاهر

وقد ذكرت هذا الشعر تاما فى كتاب النساء والأدعياء والنجباء .

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوبية :

١٥ وجاورْتُ قوما ليس بينى وبينَهم ٭ أواصِرُ إلا دعوةٌ وبُطونُ
إذا ما دعا بأسمى العَريف أجبْته ٭ إلى دعوةٍ مما علىّ يَهونُ
لِأزْدِعمانَ بالمُهلَّب نزْوة ٭ إذا آفتخر الأقوام ثم تَلين
وبكْرٌ يَرى أن النُّبوّةَ أُنزلتْ ٭ على مَسمعٍ فى البطن وهو جَنين
وقالت تَميم لا نَرى أن واحداً ٭ كأحنفنا حتى المَمات يكون
٢٠ فلا لُمتُ قيساً بعدها فى قتيْبة ٭ إذا آفتخروا إن الفخار فنونُ[1]

---

(١) فى بعض الأصول : « الحديث شجون » .

ردّ ابن قتيبة على الشعوبية

قال ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب :

وأمّا أهل التسوية فإن منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث ، فقضوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله عز وجل : ﴿ يأيُّها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارَفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقوله : ﴿ إنما المؤمنونَ إخوةٌ فأصلِحوا بين أخَوَيْكم ﴾ وإلى قول النبي عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع : أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء . ليس لعربى على عجمى فخر إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب . وقوله : المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يَد على من سواهم . وإنما المعنى فى هذا أن الناس كلهم من المؤمنين سواءٌ فى طريق الأحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة .

لو كان الناس كلهم سواءً فى أمور الدنيا ليس لأحد فضل إلا بأمر الآخرة ، لم يكن فى الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ؛ فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه . وقوله صلى الله عليه وسلم : أقيلوا ذوى الهيئات عثراتِهم . وقوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم : هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول : لا يزال الناسُ بخير ما تباينوا فإذا تساووْا هلكوا . تقول : لا يزالون بخير ما كان فيهم أشراف وأخيار ، فإذا جملوا كلهم جملةً واحدة هلكوا .

وإذا ذمّت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الحمار . وكيف يستوى الناس فى فضائلهم والرجل الواحد لا تستوى فى نفسه أعضاؤه ولا تتكافأ مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ، وللرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس . وقالوا : القلب أمير الجسد . ومن الأعضاء خادمة ، ومنها مخدومة .

قال ابن قتيبة : ومن أعظم ماادعت الشعوبية فخرهم على العرب بآدم عليه السلام وبقول النبي عليه الصلاة والسلام : لا تُفَضِّلونى عليه ، فإنما أنا حسنة من حسناته . ثم فخرُهم بالأنبياء أجمعين وأنهم من العجم غير أربعة : هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ؛ واحتجوا بقول الله عز وجل : ﴿ إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عِمْران على العالَمِينَ ذُرِّيَّةً بعضُها من بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ ﴾ . ثم فخروا بإسحاق بن إبراهيم ، وأنه لِسارة ، وأنّ إسماعيل لأَمَةٍ تسمى هاجَر . وقال شاعرهم :

في بلْدةٍ لم تصل عُكْلٌ بها طنباً ... ولا خِباء ، ولا عَكٌّ وهَمْدان

ولا لجَرْمٍ ولا بهراء من وطنٍ ... لكنها لبنى الأحرار أوطان

أرض يُبنِّى بها كسرى مساكنَه ... فما بها من بنى اللَّخْناء إنسان

فبنو الأحرار عندهم : العجم ؛ وبنو اللخناء عندهم : العرب ؛ لأنهم من ولد هاجر وهى أمَة ، وقد غلطوا فى هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء إنما اللخناء من الإماء الممتهنة فى رعى الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنما أُخذ من اللخن ، وهو نتن الريح ؛ يقال : لَخِنَ السقاء ، إذا تغير ريحه ؛ فأما مثل هاجَر التى طهرها الله من كل دنس وارتضاها للخليل فراشاً ، وللطَّيِّبَيْن إسماعيل ومحمدٍ أُمًّا ، وجعلهما سلالة ـ فهل يجوز لِمُلْحِدٍ فضلا عن مسلم أن يسميها لخناء !

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يردّ به على ابن قتيبة فى تباين الناس وتفاضُلِهم ، والسيد منهم والمسود .

إننا نحن لاننكر تبايُن الناس ولا تفاضُلهم ، ولا السيد منهم والمَسُود ، والشريف والمشروف ؛ ولكنا نزعم أنّ تفاضُل الناس فيما بينهم ليس بآبائهم ولا بأحسابهم ، ولكنه بأفعالهم وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبُعْد هممهم ؛ ألا ترى أنه من كان دنىء الهمة ، ساقط المروءة ، لم يشرف وإن كان من بنى هاشمٍ فى ذؤابتها ، ومن

أمية فى أرومتها ، ومن قيس فى أشرف بطن منها ؛ إنما الكريم من كرُمت أفعاله، والشريف من شرُفت همتُه ؛ وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . وقوله فى قيس بن عاصم : هذا سيدُ أهل الوبَر . إنما قال فيه لسودده فى قومه بالذب عن حريمهم ، وبذله رفدَه لهم ؛ ألا ترى أن عامر ابن الطفيل كان فى أشرف بطن فى قيس يقول : ٥

وإنى وإن كنت ابن سيِّدِ عامرٍ * وفارسها المشهور فى كلِّ موكب

فما سوَّدَتنى عامرٌ عن وراثةٍ * أبىٰ الله أن أسمو بأمٍ ولا أبِ

ولكنّنى أحمِى حِمَاها وأتّقى * أذاها وأرمِى من رماها بمنكبِ

وقال آخر :

إنا وإن كرُمَت أوائلنا * لسنا على الأحساب نتّكِلُ ١٠

نَبنى كما كانت أوائلنا * تَبنى ونَفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة : لأقْضِيَنَّ بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلى ولا يردّها أحد بعدى : أيما رجلٍ رمى رجلا بملامة دونها كرم ، فلا لوْم عليه ، وأيما رجل ادّعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له .

ومثله قول عائشة أم المؤمنين : كل كرم دونه لؤمٌ فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرمٌ فالكرم أولى به . تعنى بقولها ، أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوّليته ، وإن لؤمت فلا ينفعه كرم أوّليته . ١٥

وقال الشاعر :

نفس عصامٍ سَوَّدتْ عصاما * وعلّمتْه الكرّ والإقداما

وصَيَّرتْه ملِكا هُمَاما ٢٠

وقال آخر :

مالىَ عقلى وهمّتى حسبى * ما أنا موْلًى ولا أنا عرَبى

إنِ انتمى مُنتمٍ إلى أحد * فإننى مُنتمٍ إلى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فأعجب عبد الملك ماسمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال : ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك ! قال : صدقت !

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : حَسَبُ الرجل مالهُ ، وكرمُهُ دينه .

٥ وقال عمر بن الخطاب : إن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك دين فلك كرَمَ .

وما رأيت أعجب من ابن قتيبة فى كتاب تفضيل العرب ؛ إنه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية ، فنقض فى آخره كل ما بنى فى أوله ؛ فقال فى آخر كلامه ؛ وأعدل القول عندى أن الناس كلهم لأب

١٠ وأم ، خلقوا من تراب ، وأعيدوا إلى التراب ، وجروْا فى مجرى البول ، وطرأ عليهم الأقذار ؛ فهذا نسبهم الأعلى الذى يرتدع به أهل العقول عن التَّعظُّم والكبرياء ، والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فتنقطع الأنساب ، وتبطل الأحساب ، إلا من كان حسبه التقوى ، أو كانت مادَّتُه طاعة الله .

قول الشعوبية فى مناكح العرب

١٥ قالت الشعوبية : إنما كانت العرب فى الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض فى غاراتهم بلا عقد نكاح ولا استبراء من طمث ، فكيف يدرى أحدهم من أبوه .

وقد فخر الفرزدق ببنى ضبة حين يبتزُّون العيال فى حروبهم فى سبيَّة سبَوها من بنى عامر بن صعصعة فقال :

فظلَّت وظلُّوا يَركبون هَبيرَها ٭ وليس لهم إلا عواليهمُ سِتْر

٢٠ والهبير : المطمئن من الأرض ؛ وإنما أراد هاهنا فرْجها .

وهو القائل فى بعض ما يفخر به :

ومنا التَّميمىُ الذى قام أَيْرُه ٭ ثلاثين يوما ثم قد زادها عَشْرا

باب المتعصبين للعرب

قال أصحاب العصبية من العرب : لو لم يكن منا على المولى عَتاقة ولا إحسان إلا استنقاذُنا له من الكفر وإخراجنا له من دار الشرك إلى دار الإيمان كما فى الأثر : إن قوماً يقادون إلى حظوظهم بالسواجير . كما قال : عجبَ ربُّنا من قوم يُقادون إلى الجنة فى السلاسل . ٥

على أنّا تعرّضنا للقتل فيهم ؛ فَمَنْ أعظم عليك نعمة ممن قتل نفسه لحياتك ؟ فالله أمرنا بقتالكم ، وفرض علينا جهادَكم ورغبنا فى مكاتبتكم .

وقدّم نافع بن جبير بن مطعم رجلا من أهل الموالى يصلى به ، فقالوا : له فى ذلك ؛ فقال : إنما أردت أن أتواضع لله بالصلاة خلفه .

وكان نافع بن جبير هذا إذا مرّت به جنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا قرشى ؛ قال : واقوماه ! وإذا قالوا : عربى ؛ قال : وابلدتاه ! وإذا قالوا : مولى ؛ قال : هو مال الله ، يأخذ ما شاء ويدع ما شاء . ١٠

قال : وكانوا يقولون لا يَقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار ، أو كلب أو مولى .

وكانوا لا يكنونهم بالكنى ، ولا يدعونهم إلا بالأسماء والألقاب ، ولا يمشون فى الصف معهم ، ولا يتقدمونهم فى الموكب ، وإن حضروا طعاماً قاموا على رؤسهم ، وإن أطعموا المولى لسنّه وفضله وعلمه أجلسوه فى طرف الخِوان ؛ لئلا يخفى على الناظر أنه ليس من العرب ، ولا يدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب ، وإن كان الذى يحضر غريرا ؛ وكان الخاطب لايخطب المرأة منهم إلى أبيها ولا إلى أخيها ، وإنما يخطبها إلى مواليها ؛ فإنْ رضى زُوِّج وإلا رُدّ ، فإن زَوّج الأب والأخ بغير رأى مواليه فُسخ النكاح ، وإن كان قد دخل بها كان سفاح غير نكاح . ١٥ ٢٠

وقال زياد : دعا معاوية الأحنف بن قيس وسَمُرَة بن جُندب فقال إنى رأيت هذه الحمراء قد كثُرت ، وأراها قد طعنت على السلف ، وكأنى أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان ؛ فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة

السوق وعمارة الطريق ؛ فما ترون؟

فقال الأحنف : أرى أن نفسى لا تطيب ؛ أخى لأمى وخالى وسولاى ، وقد شاركناهم وشاركونا فى النسب . فظننت أنى قد قتلت عنهم ؛ وأطرق .

فقال سمرة بن جندب : اجعلها إلىّ أيها الأمير ، فأنا أتولى ذلك منهم وأبلغ منه .

٥ فقال : قوموا حتى أنظر فى هذا الأمر .

قال الأحنف : فقمنا عنه وأنا خائف ، وأتيت أهلى حزينا ؛ فلما كان بالغداة أرسل إلىّ ، فعلمت أنه أخذ برأيى وترك رأى سمرة .

وروى أن عامر بن عبد القيس فى نسكه وزهده وتقشفه وإخباته وعبادته كلّمه حمران مولى عثمان بن عفان عند عبد الله بن عامر صاحب العراق فى تشنيع

١٠ عامر على عثمان وطعنه عليه ، فأنكر ذلك ، فقال له حمران : لا كثّر الله فينا مثلك ! فقال له عامر : بل كثّر الله فينا مثلك ! فقيل له : أيدعُو عليك وتَدعو له؟ قال : نعم ، يَكسَحون طرقنا ، ويَخْرزون خِفافَنا ، ويَحوكُون ثيابنا . فاستوى ابن عامر جالساً ، وكان متكئا ، فقال : ما كنت أظنك تعرف هذا الباب ، لفضلك وزهادتك . فقال : ليس كل ما ظننتَ أنى لا أعرفه ، لا أعرفه .

١٥ وقالوا : إن خالد[1] بن عبد الله بن خالد بن أسيد لما وجّه أخاه عبد العزيز إلى قتال الأزارقة ، هزموه وقتلوا صاحبه مقاتل بن مسمع ، وسبَوا أمرأته أم حفص بنت المنذر بن الجارود العبدى ، فأقاموها فى السوق حاسرة بادية المحاسن ، وغالَوْا فيها[2] وكانت من أكمل الناس كمالا وحسنا ، فتزايدت فيها العرب والموالى وكانت العرب تزيد فيها على العصبية ، والموالى تزيد فيها على الولاء ، حتى بلّغتها

٢٠ العرب عشرين ألفا ، ثم تزايدوا فيها حتى بلّغوها تسعين ألفا ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها بالسيف فضرب عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطرى بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفا من

---

(١) فى بعض الأصول : « أمية بن خالد » .

(٢) فى بعض الأصول : « فاعترضوها وقلبوها » .

بيت المال وقتل أمة من إماء المؤمنين . فقال له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
إنى رأيت هؤلاء الإسماعيلية والإسحاقية قد تنازعوا عليها حتى ارتفعت الأصوات
واحمرت الحدق ، فلم يبق إلا الخبط بالسيوف ، فرأيت أن تسعين ألفا فى جنب
ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هينة . فقال قطرى : خَلُّوا عنه ، عين من عيون
الله أصابتها . قالوا : فأَقِدْ مِنه . قال : لا أُقيد من وزَعه الله . ثم قدم هذا العبدى ٥
بعد ذلك البصرة، فإذا النعمان بن الجارود يستجديه بذلك السبب ، فوصله وأحسن إليه.

قال : أبو عبيدة : مر عبد الله بن الأهتم بقوم من الموالى وهم يتذاكرون
النحو ، فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأولُ من أفسده . قال أبو عبيدة : ليته سمع
لحن صفوان وخاقان ومؤمل بن خاقان .

الأصمعى قال : قدم أبو مهدية الأعرابى من البادية فقال له رجل : أبا مهدية ١٠
أتتوضئون بالبادية ؟ قال : والله يا ابن أخى لقد كنا نتوضأ فتكفينا التوضئة
الواحدة ثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه الحمراء ـ يعنى الموالى ـ
فجعلت تليق آستاهها بالماء كما تلاق الدواة .

ونظر رجل من الأعراب إلى رجل من الموالى يستنجى بماء كثير ، فقال له :
إلى كم تغسلها ويلك ! أتريد أن تشرب بها سويقا ! ١٥

وكان عقيل بن عُلَّفَة المُرّى أشدَّ الناس حمِيَّة فى العرب ، وكان ساكنا فى
البادية ، وكان يُصهر إليه الخلفاء ؛ وقال لعبد الملك بن مروان وخطب إليه ابنته
الجرباء : جنِّبنى هجناء ولدك . وهو القائل :

كنَّا بَنُو غَبْط رجالا فأصْبَحت * بَنُو مالِك غَيْظا وصِرْنا لِمالِكِ
لحى اللهُ دهْراً ذعْذَع المالَ كُلَّهُ * وسوَّد أشباه الإماءِ العوارِكِ ٢٠

وقال ابن أبى ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان جائراً [1] شديد العصبية :
من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن أبى الحسن . قال : ثم من ؟ قلت :
محمد بن سيرين . قال : فما هما ؟ قلت : موليان .

(١) فى بعض الأصول : « ديانا » .

قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وسعيد بن جبير ، وسليمان بن يسار . قال : فما هؤلاء ؟ قلت موالى .

فتغير لونه ، ثم قال : فمن أفقه أهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأى ، وابن أبي الزناد ، قال : فما كانا ؟ قلت من الموالى .

٥ فاربد وجهُه ، ثم قال : فمن كان فقيهَ اليمن ؟ قلت : طاوس ، وابنه وهمام بن منبه . قال : فما هؤلاء ؟ قلت : من الموالى .

فانتفخت أوداجه فانتصب قاعداً ، [ثم] قال : فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت : عطاء بن عبد الله الخراسانى . قال : فما كان عطاء هذا ؟ قلت : مولى .

فازداد وجهه تربُّدا واسودّ اسودادا حتى خفتُه ، ثم قال : فمن كان فقيه الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فما كان مكحول هذا ؟ قلت : مولى . ١٠

فازداد تغيُّظا وحَنقا ؛ ثم قال : فمن كان فقيه الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : فما كان ؟ قلت : مولى .

قال : فتنفس الصعداء ، ثم قال : فمن كان فقيه الكوفة ؟ قلت : فوالله لولا خوفه لقلت : الحكم بن عُيينة ، وعمار بن أبي سليمان ، ولكن رأيت فيه الشر ، فقلت : إبراهيم ، والشعبى . قال : فما كانا ؟ قلت : عربيان . قال : الله أكبر ! وسكن جأشه . ١٥

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ ، فى كتاب الموالى والعرب : أن الحجاج لما خرج عليه ابن الأشعث وعبد الله بن الجارود ، ولقى مالقى من قراء أهل العراق وكان أكثرَ من قاتله وخلعه وخرج عليه ، الفقهاء والمقاتلة والموالى من أهل البصرة ؛ فلما علم أنهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، أحب أن يسقط ديوانهم ويفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يتعاقدوا ، فأقبل على الموالى وقال : أنتم علوج وعجم ، وقُراكم أولى بكم . ففرقهم وفض جمعهم كيف أحب وصيَّرهم كيف شاء ، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التى وجّهه إليها ؛ وكان الذى تولى ذلك منهم رجل من بنى سعد بن عجل بن لجيم ، يقال له خراش بن جابر ؛ ٢٠

وقال شاعرهم :

وأنتَ مَن نقشَ العِجْلِيُّ راحتَهُ ٭ وفرَّ شيْخُكَ حتى عاذَ بالحَكَمِ

يريد : الحكم بن أيوب الثقفى عامل الحجاج على البصرة .

وقال آخر ، وهو يعنى أهل الكوفة ، وقد كان قاضيهم رجلا من الموالى يقال له : نوح بن درّاج :

إنّ القِيامةَ فيما أحسَبُ اقتربتْ ٭ إذ كانَ قاضيكُمْ نوح بن درّاج

لو كانَ حيًّا له الحجَّاجُ ما بقِيَتْ ٭ صَحِيحةً كفُّهُ مِنْ نقشِ حجَّاجِ

وقال آخر :

جاريَةٌ لم تَدْرِ ما سوقُ الإبلْ ٭ أخْرجها الحجاجُ مِنْ كِنٍّ وظِلّ

لو كانَ عمْرٌو شاهِداً وابنُ جَبَلْ[1] ٭ ما نُقِشَتْ كفاكِ من غيْرِ جَدَلْ

ويروى أن أعرابيا من بنى العَنبر دخل على سوّار القاضى فقال : إن أبى مات وتركنى وأخاً لى ـ وخط خطّين ـ ثم قال : وهجيناً ـ ثم خط خطا ناحية ـ فكيف يقسم المال ؟ فقال له سوار : هاهنا وارث غيركم ؟ قال : لا . قال : فالمال بينكم أثلاثاً . قال : ما أحسبك فهمت عنى ، إنه تركنى وأخى وهَجينا ، فكيف يأخذ الهجين كما آخذ أنا وكما يأخذ أخى ؟ قال : أجل . فغضب الأعرابى ثم أقبل على سوّار فقال : ماعلمت والله ، إنك قليل الخالات بالدهناء . قال سوار : لا يضرُّنى ذلك عند الله تعالى شيئاً .

....

تم الجزء الثالث من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ؛ ويليه ـ إن شاء الله تعالى الجزء الرابع . وأوله : كتاب العسجدة : فى كلام الأعراب

(١) فى بعض الأصول : « لو كان شاهداً حذيف وحمل » .

فهرس الجزء الثالث من العقد الفريد

صفحة

كتاب الجوهرة : فى الأمثال

لابن عبد ربه

٣ أمثال رسول الله ﷺ
٥ أمثال رونها العلماء
ابن بشير على منبر الكوفة
٦ ابن الزبير وأهل العراق
مثل فى الرياء
فخ الإسرائيلى والعصفورة
٧ إسرائيلى وقبرة . من أمثال الهند
٨ من ضرب به المثل من الناس
من يضرب به المثل من النساء
٩ ماتمثلوا به من البهائم
١٠ مايضرب به المثل من الحيوان
١١ أمثال أكثم بن صيفى وبزرجمهر الفارسى
١٤ ومن أمثال العرب
فى حفظ اللسان
١٥ إكثار الكلام ومايتقى منه . فى الصمت . القصد فى المدح
١٦ صدق الحديث . من أصاب مرة وأخطأ مرة
١٧ سوء المسألة وسوء الإجابة من صمت ثم نطق بالفهاهة . المعروف بالكذب يصدق مرة . المعروف بالصدق يكذب مرة . كتمان السر
١٨ انكشاف الامر بعد اكتتامه . إبداء السر الحديث يتذكر به غيره .
١٩ العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه . الاعتذار فى غير موضعه . التعريض بالكناية المن بالمعروف الحمد قبل الاختبار .

صفحة

٢٠ إنجاز الوعد . التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا . الدعاء بالخير . تعيير الإنسان صاحبه بعيبه .
٢١ الدعاء على الإنسان
٢٢ رمى الرجل غيره بالمعضلات . المكر والخلابة اللهو والباطل . خلف الوعد
٢٣ اليمين الغموس

أمثال الرجال وأختلاف نعوتهم

فى الرجل المبرز فى الفضل . الرجل النبيه الذكر
٢٤ الرجل العزيز يعز به الذليل . الرجل الصعب . النجد يلقى قرنه
٢٥ الأريب الداهى التنبيه بلا منظر ولا سابقة الرجل العالم النحرير
٢٦ الرجل المجرب
٢٧ الذب عن الحرم . الصلة والقطيعة . الرجل يأخذ حقه قسراً . الإطراق حتى تصاب الفرصة
٢٨ الرجل الجلد المصحح . الذل بعد العز . الانتقال من ذل إلى عز
٢٩ تأديب الكبير . الذليل المستضعف . الذليل يستعين بأذل منه . الأحمق المائق
٣٠ الذى تعرض له الكرامة فيختار الهوان . الواهن العزم الضعيف الرأى
٣١ الذى يكون ضارا ولا نفع عنده . الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه . أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم . المتساويان فى الخير والشر
٣٢ الفاضلان وأحدهما أفضل . الرجل يرى لنفسه فضلا على غيره . المكافأة

صفحة

الأمثال فى القرب

التعاطف بين ذوى الأرحام

٣٣ من أمثالهم فى التحنن على الأقارب حماية القريب وإن كان مبغضاً

٣٤ إعجاب الرجل بأهله . تشبيه الرجل بأبيه . تحاسد الأقارب .

٣٥ قولهم فى الأولاد . الرجل يؤتى من حيث أمن

٣٦ الأمثال فى مكارم الأخلاق

« الحلم . العفو عند المقدرة

٣٧ المساعدة وترك الخلاف . مداراة الناس . مفاكهة الرجل أهله .

٣٨ اكتساب الحمد واجتناب الذم . الصبر على المصائب . الحض على الكرم .

٣٩ الكريم لا يجد . القناعة والدعة . الصبر على المكاره تحمده العواقب .

٤٠ الانتفاع بالمال . المتصافيان . خاصة الرجل من يكسب له غيره .

٤١ المروءة مع الحاجة . المال عند من لا يستحقه الحض على الكسب .

٤٢ الخبير بالأمر البصير به الاستخبار عن علم الشىء وتيقنه . انتحال العلم بغير آلته .

٤٣ من يوصى غيره وينسى نفسه . الأخذ فى الأمور بالاحتياط . الاستعداد للأمر قبل نزوله

٤٤ طلب العافية بمسالمة الناس . توسط الأمور .

٤٥ الإنابة بعد الإجرام . مدافعة الرجل عن نفسه . قولهم فى الانفراد .

٤٦ من ابتلى بشىء مرة خافه أخرى . اتباع الهوى الحذر من العطب .

٤٧ حسن التدبير والنهى عن الخرق . المشورة . الجد فى طلب الحاجة .

٤٨ التأنى فى الأمر . سوء الجوار . سوء المرافقة .

صفحة

٤٩ العادة . ترك العادة والرجوع إليها اشتغال الرجل بما يعنيه . قلة الاكتراث قلة اهتمام الرجل بصاحبه .

٥٠ الجشع والطمع . الشره إلى الطعام . الغلط فى القياس .

٥١ وضع الشىء فى غير موضعه . كفران النعمة . التبذير . التهمة .

٥٢ تأخير الشىء وقت الحاجة إليه . الإساءة قبل الإحسان . البخل .

٥٣ الجبن . الجبان يواحد بما لا يفعل الاستغناء بالحاضر عن الغائب . المقادير .

٥٤ الرجل يأتى إلى حتفه . لا يقال للجانى على نفسه جالب الشر على أهله . تصرف الدهر

٥٥ الأمر الشديد المعضل . هلاك القوم .

٥٦ إصلاح ما لا صلاح له صفة العدو . البخيل يعتل بالعسر اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل . البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه .

٥٧ موت البخيل وماله وافر . البخيل يعطى مرة طلب الحاجة المتعذرة .

٥٨ الرضا بالبعض دون الكل . التنوق فى الحاجة استتمام الحاجة .

٥٩ المصادة فى الحاجة . تعجيل الحاجة . الحاجة تمكن من وجهين . من منع حاجة فطلب أخرى . الحاجة يحول دونها مانع .

٦٠ اليأس والخيبة . طلب الحاجة فى غير موضعها طلب الحاجة بعد فوتها .

٦١ الرضا من الحاجة بتركها . من طلب الزيادة فانتقص . الخلاء بالحاجة .

٦٢ إرسالك فى الحاجة من تثق به . قضاء الحاجة قبل السؤال . الانصراف بحاجة تامة مقضية تجديد الحزن بعد أن يبكى منه .

٦٣ جامع أمثال الظلم . الظلم من نوعين .

صفحة

٦٤ من يزداد غما على غمه . المغبون فى تجارته . سرعة الملامة .
٦٥ الكريم يبتضمه اللئيم . الانتصار من الظلم . الظلم ترجع عاقبته على صاحبه . المضطر إلى القتال . المأخوذ بذنب غيره .
٦٦ المتبرئ من الشيء . سوء معاشرة الناس . الجبان وما يذم من أخلاقه .
٦٧ إفلات الجبان بعد إشفائه .
٦٨ الجبان يتهدد غيره . تصرف الدهر . الاستبداد بالنظر عن الضمير .
٦٩ نفى المال عن الرجل . إذا لم يكن فى الدار أحد . اللقاء وأوقاته .
٧٠ فى ترك الزيارة .
٧١ استجهال الرجل ونفى العلم عنه . أمثال مستعملة فى الشعر .

كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد

٧٦ للنبي صلى الله عليه وسلم .
٧٧ لابن عباس فى كلام لعلى . حكيم بباب بعض الملوك .
٧٨ مواعظ الأنبياء عليهم السلام .
٨٠ من وحى الله تعالى إلى أنبيائه .
٨١ المسيح عليه السلام . موسى عليه السلام .
٨٢ يوسف عليه السلام .
مواعظ الحكماء
٨٣ للحسن . كلمات أربع للعرب والعجم . وصية أبى بكر لعمر . الحسن وابن الأهتم .
٨٤ لحكيم يعظ قوما . لأبى الدرداء .
٨٥ لحكيم يعظ رجلا . الرشيد وابن السماك .

مكاتبة جرت بين الحكماء

الحسن وعمر بن عبد العزيز

صفحة

٨٦ بين سلمان وأبى الدرداء . أبو موسى وعامر ابن عبد القيس . من عمر بن عبد العزيز إلى ابن حيوة . من عمر بن الخطاب إلى ابن غزوان
٨٧ مواعظ الآباء للأبناء . لقمان يوصى ابنه .
٨٨ لعلى بن الحسن يوصى ابنه .
٨٩ لعبد الملك يوصى بنيه .
٩٠ من عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله . ومن على إلى ابنه الحسن .
٩٣ مقامات العباد عند الخلفاء .
مقام صالح بن عبد الجليل . مقام رجل من العباد عند المنصور
٩٦ مقام الأوزاعى بين يدى المنصور .
٩٧ كلام أبى حازم لسليمان بن عبد الملك .
٩٨ مقام ابن السماك عند الرشيد .
٩٩ كلام عمرو بن عبيد عند المنصور . خبر سفيان الثورى مع أبى جعفر .
١٠٠ كلام شبيب بن شبة للمهدى . من كره الموعظة لبعض ما فيها من الغلظ أو الخرق .
١٠١ المأمون وواعظ . راهب وضالون فى سفرهم
١٠٢ باب من كلام الزهاد وأخبار العباد .
١٠٣ أبو الدرداء وزوجه . لابن دينار فى قحط .
١٠٤ لأبى حنيفة فى أيوب السختيانى . بين ابن واسع وابن دينار . بشر بن منصور على فراش الموت .
١٠٥ كيف يكون الزهد .
١٠٦ صفة الدنيا .
١٠٧ النبي صلى الله عليه وسلم . لابن مسعود . للمسيح عليه السلام .
١٠٨ لنوح عليه السلام . للقمان . لابن الحنفية .
١٠٩ لأبى العتاهية .
١١٠ للرشيد . لابن عبد ربه .
١١١ لابراهيم بن أدهم . للشعبى .

صفحة
١١٢ قولهم فى الخوف . لابن عباس وعلى رضى الله عنهما . عمر بن عبد العزيز فى مرضه .
١١٣ لعلى رضى الله عنه . الفضيل بن عياض . لعمر بن ذر .
١١٤ قولهم فى الرجاء .
١١٥ معاوية عند الموت . لأعرابى فى دعائه .
١١٦ قولهم فى التوبة . للمسيح عليه السلام . لعلى رضى الله عنه . ابن العلاء فى عابد .
١١٧ لابن عبد ربه . لابن عباس .
١١٨ المبادرة بالعمل الصالح للنبى صلى الله عليه وسلم لابن المبارك .
١١٩ العجز عن العمل .
١٢٠ لعلى رضى الله عنه . لابن السماك الحسن ورجل
١٢١ قولهم فى الموت
بين النبى ﷺ وابن الخطاب . لأبى العتاهية لعمر بن عبد العزيز . يعقوب عليه السلام .
١٢٢ لأمية بن أبى الصلت . لأصبغ بن الفرج . لصريع الغوانى .
١٢٣ للصلتان العبدى . لأبى العتاهية .
١٢٤ لابن عبد ربه .
١٢٥ لأبى الأسود .
١٢٦ لعدى بن زيد . لحريث بن جبلة .
١٢٧ قولهم فى الطاعون
عمر بن الخطاب وابن الجراح فى طاعون وقع بالشام .
١٢٨ ابن وهب وابن الزيات . ابن الزيات وابن أبى دواد .
١٣٠ من أحب الموت ومن كرهه .
١٣١ للنبى ﷺ وعبد الله بن عمر .
١٣٢ التهجد .
للنبى صلى الله عليه وسلم .
البكاء من خشية الله عز وجل .

صفحة
١٣٣ النهى عن كثرة الضحك .
١٣٤ النهى عن خدمة السلطان وإتيان الملوك . لابن الخطاب . بين زياد وأصحابه .
١٣٥ من كليلة ودمنة . لابن عبد ربه .
١٣٦ القول فى الملوك . للأصمعى . لعبدالله بن الحسن .
١٣٧ بلاء المؤمن فى الدنيا . كتمان البلاء إذا نزل .
١٣٨ القناعة . للنبى صلى الله عليه وسلم . لقيس بن عاصم . لسعد بن أبى وقاص .
١٣٩ ابن أبى حازم . للبحترى . عبد الملك وعروة ابن أذينة .
١٤٠ للنبى صلى الله عليه وسلم . للحسن . لابن عبد ربه لمحمود الوراق .
١٤١ لبكر بن حماد لابن أبى حازم .
١٤٢ للأضبط بن قريع لمسلم بن الوليد . لكلثوم العتابى
١٤٣ لابن عباس . لعلى بن أبى طالب . للمسيح عليه السلام . لمحمود الوراق .
١٤٤ ليونس بن حبيب . لخالد بن صفوان بين حكيمين . بين الأصمعى وأعرابية .
١٤٥ الرضا بقضاء الله .
للفضيل بن عياض . الرشيد وبطريق هرقلة
١٤٦ لأبى العتاهية . لابن عمر فى وفاة زيد بن حارثة الحسن وابن الأهتم فى مرضه .
١٤٧ هشام بن عبد الملك حين حضرته الوفاة .
نقصان الخير وزيادة الشر
لمعاذ بن جبل .
العزلة عن الناس
للنبى صلى الله عليه وسلم .
١٤٨ لقمان يعظ ابنه . لابراهيم بن أدهم . لابن محيريز . لأيوب السختيانى . لابن أبى حازم
١٤٩ إعجاب الرجل بعمله .
لابن الخطاب . معاوية وبعض الرجال .
لمحمود الوراق .

صفحة

١٥٠ تواضع ابن سيرين . للنبي ﷺ لمان يعظ ابنه للأشعث فى تخفيف الصلاة . بين طاهر ابن الحسين والمروزى .

١٥١ لمحمود الوراق . لمساور الوراق . للغزال لأبى عثمان المازنى .

١٥٢ أبو العتاهية ومتصوف .

الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم

١٥٣ لابن عباس . لعائشة فى النبي ﷺ .

١٥٤ عمر بن ذر ودعاء له . لعروة بن الزبير فى مناجاته دعاء داود . من دعاء يوسف .

١٥٥ من دعاء على بن الحسين . دعاء للفضيل بن عياض . دعاء لابن مسعود .

١٥٦ كيف يكون الدعاء .

دعاء النبي ﷺ وأبى بكر وعمر

١٥٧ الدعاء عند الكرب .

الكلمات التى تلقى آدم من ربه

اسم الله الأعظم

١٥٨ الاستغفار دعاء المسافر

١٥٩ الدعاء عند الدخول على السلطان .

لابن عباس المنصور وجعفر بن محمد

١٦٠ الدعاء على الطعام . الدعاء عند الأذان .

الدعاء عند الطيرة .

الساعة التى يستجاب فيها الدعاء والتعويذ .

١٦٢ كتاب الدُّرَّة

فى النوادب والتعازى والمراثى

لابن عبد ربه لابن ذر .

القول عند الموت .

١٦٣ بين أبى بكر وطلحة . لمعاذ فى احتضاره . لعمر بن عتبة فى مثله لابن الخطاب فى مثله الأسوارى وأزادمرد فى احتضاره .

صفحة

١٦٤ عمر بن عبد العزيز وأبو قلابة . الحجاج وموت ابنه محمد . عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك مسلمة بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فى إحتضاره . الرسول ﷺ فى قبضه .

١٦٥ عائشة مع أبيها فى احتضاره . عمر مع أبى بكر فى احتضاره .

١٦٦ لمعاوية فى احتضاره . عمرو بن العاص فى احتضاره

١٦٧ الجزع من الموت

لابن عياض . حزن سعيد بن أبى الحسن على أخيه . الحسن فى احتضاره . حجر بن الادبر فى موته .

١٦٨ البكاء على الميت

لابراهيم الأحنف وباكية . النبي ﷺ فى وفاة ابنه ابراهيم ، النبي ﷺ وباكيات من الانصار . النبي ﷺ وباكيات قتلى أحد ابن الخطاب حين نعى إليه ابن مقرن . ابن الخطاب حين نعى إليه زيد أخوه .

١٦٩ عمر ووفاة خالد . لمعاوية فى النساء . لابن عباس . للفرزدق . القول عند المقابر . لزيد بن على . للرقاشى .

١٧٠ لعلى . للنبي صلى الله عليه وسلم . للحسن البصرى لابن الفضل . لاعرابى على قبر الرسول ﷺ

١٧١ لفاطمة على قبر أبيها ﷺ . ابن مسعود على قبر عمر بن الخطاب . على بن أبى طالب على قبر خباب . الحسن على قبر على .

١٧٢ ابن السماك فى رثاء الطائى . للأحنف على قبر أخيه

١٧٣ عائشة على قبر أبى بكر . رثاء على لأبى بكر .

١٧٤ عبد الملك على قبر معاوية . الضحاك فى زياد لعلى فى فاطمة . امرأة الحسن على قبره ، نائلة على قبر عثمان .

صفحة
١٧٥ الراثون على قبر الاسكندر لأبي العتاهية في ابن له لأبي ذر في مثله لابن سليمان في مثله . لأعرابية في أبيها . لأعرابية في رثاء ابنها .
١٧٦ عمر بن عبد العزيز على قبر ابنه . ابن ذر وجنازة جار له . لجارية على قبر أبيها . خصي للوليد على قبره . معاوية على قبر أخيه لابن خذاق .
١٧٧ لعروة بن حزام . للطرماح . لابن اريب .
١٧٨ لأفنون في بكاء نفسه .
١٧٩ لهدبة العذرى لمحمد بن بشير .
١٨٠ لأبي العتاهية في أبيات أوصى أن تكتب على قبره لبعض الشعراء في معارضته . أبيات قيل إنها لأبي نواس . لأبي نواس .
١٨١ أبيات على قبر الإيادى . أبيات على قبر . لمحمد بن عبد الله .
١٨٢ من رثى ولده .
١٨٤ لأبي ذؤيب في رثاء بنيه . وله في طفله .
١٨٥ لأعرابي في رثاء بنيه . لأعرابية في رثاء ابنها للحسن بن هانئ . لابن الأهتم يرثى ابنا له .
١٨٦ لأبي العتاهية في رثاء ابن له . لأعرابي في رثاء ابن له . عمر بن الخطاب وأعرابي فقد ابناً له . المنصور وشعر المطيع حين مات ولده
١٨٧ لأعرابية تندب ابنها . لأبي الخطار في رثاء ابنه . لجرير يرثى ولده سوادة . لأبي الشغب في ابنه . لابن عبد الأعلى في رثاء أيوب بن سليمان
١٨٨ لأب في رثاء ابنه . لأعرابي في رثاء ابنه .
١٨٩ لابن عبد ربه في طفل له لأعرابية في ولدها . لأعرابي في ابنين له .
١٩٠ لهذيلية في رثاء إخوة وابن .
١٩١ لشيبانية في حزنها على أهلها . لابن ثعلبة في ولد له . للعتبي في مثله . لأب في رثاء ابنه .

صفحة
١٩٢ لأبي العتاهية في رثاء الأمين . لأبي شأس في رثاء ابنه .
١٩٣ من رثى إخوته .
لمتمم بن نويرة .
١٩٤ رثاء أخت النضر له .
١٩٥ عمر بن الخطاب والخنساء في أخويها . عائشة والخنساء في صدار كانت تلبسه .
١٩٦ للخنسا في أخويها .
١٩٨ لأخت الوليد بن طريف في رثائه . لآخر في رثاء أخيه .
١٩٩ لكعب في أبي المغوار .
٢٠٠ لامرئ القيس يرثى إخوته ، للأبيرد في رثاء أخيه بريد
٢٠٢ لشبل بن معبد البجلي
٢٠٣ من رثت زوجها
لأسماء في الزبير . لبانة زوجة الأمين ترثيه
٢٠٤ لأعرابية في زوجها . الأصمعي وجارية على قبر زوجها .
٢٠٥ من رثى جاريته .
الأصمعي وجارية .
٢٠٦ مروان بن محمد وجارية له خلفها بالرملة .
٢٠٧ لحبيب في مثله . لأعرابي يرثى امرأته .
٢٠٨ للوراق يرثى جارية محب وجارية له ماتت .
من رثى ابنة .
للبحترى في ابنة الحميدى .
٢٠٩ مراثي الأشراف .
لحسان يرثى الرسول ﷺ وأبا بكر وعمر .
٢١٠ وله في رثاء أبي بكر وله في رثاء عثمان . للفرزدق في رثاء عثمان .
٢١١ للسيد الحميرى في رثاء علي . للفرزدق في رثاء عبد العزيز بن مروان . لجرير في رثاء عمر بن عبد العزيز .

صفحة

٢١٢ لجرير فى رثاء الوليد . لبعض الشعراء فى رثاء قيس بن عاصم . للسندى فى رثاء يزيد بن هبيرة . لمنصور النمرى فى رثاء ابن مزيد .
٢١٣ للأعجم يرثى المغيرة .
٢١٤ لبعض الشعراء . لابن يعفر .
٢١٥ لعبيد بن الأبرص . للحجاج فى ابن خارجة . لبعض الشعراء فيه . لمسلم بن الوليد .
٢١٦ لأشجع فى ابن زياد . وله فى ابن منصور .
٢١٧ للطائى فى رثاء خالد بن يزيد . للتيمى فى يزيد بن مزيد .
٢٢٠ لابن أبى حفصة فى رثاء معن .
٢٢١ لأبى الشيص فى رثاء الرشيد ومدح الأمين . للعدانى فى ابن ظبيان . لأبى توسعة فى رثاء المهلب
٢٢٢ لمهلهل فى رثاء كليب . لابن المعدل فى رثاء سعيد بن سلم . لابن أخت تأبط شرا يرثى خاله
٢٢٣ لابن أبى الصلت يرثى قتلى بدر .
٢٢٤ لسهل بن هارون .
٢٢٥ لفروة الحريرى فى رثاء الخوارج . وله فى رثاء قومه التعازى لابن أبى بكر يعزى سليمان فى ابنه .
٢٢٦ لابن جريج يعزى ابن الأهتم . على والأشعث فى وفاة ابنه . لابن السماك يعزى رجلا لصالح المرى فى مثله . لوالد العتبى فى مثله . لابن عباس يعزى عمر فى ابن له . لعلى فى العزاء .
٢٢٧ للحسن فى المصيبة .

كتاب تعزية

٢٢٨ فى عزاء عقبة بابنه . عزاء الأصمعى لجعفر بن سليمان فى أخيه .
٢٢٩ لمالك بن دينار فى أخيه . لأعرابية فى ميت لأعرابى يعزى الحسن وجازع على ابنه لنصرانى يعزى مسلما . لعلى بن الحسين فى ناعية .
٢٣٠ لابن جبير لرجل يعزى رجلا .

صفحة

تعازى الملوك

لأكثم يعزى ابن هند . فى مهلك المنصور .
٢٣١ فى موت معاوية بن أبى سفيان . عزاء شبيب للمنصور فى أبى العباس لابن إسحاق يعزى بعض الخلفاء . الرشيد وعبد الملك بن صالح المأمون يعزى أم الفضل بن سهل . من عمر بن العزيز إلى عماله فى موت ولده .
٢٣٢ عزاء زياد لسليمان بن عبد الملك فى ابنه . لعطاء يعزى يزيد فى معاوية لابن الوليد يعزى عمر بن عبد العزيز فى ابنه . عمر بن عبد العزيز فى وفاة أخته . لبعض الشعراء فى التعزية .
٢٣٣ للعتابى . لابن طاهر يعزى المتوكل فى ابنه . لأبى عيينة . لحكيم يعزى سليمان بن عبد الملك فى ابنه . للحسن يعزى عمر بن عبد العزيز . للاسكندر يعزى أمه عن فقده . لسهل بن هارون فى التعزية .

٢٣٤ كتاب اليتيمة

فى النسب وفضائل العرب

فى الحديث . لعمر بن الخطاب
أصل النسب .
أولاد نوح .
أصل قريش .
٢٣٥ لعبد المطلب فى قومه . لأبى نواس فى مدح بنى شيبة . بنو هاشم .
٢٣٦ بنو أمية . بنو نوفل . بنو عبد الدار . بنو أسد بنو تيم . بنو مخزوم . بنو عدى . بنو جمح بنو سهم .
٢٣٧ مكارم قريش . بين المأمون وأبى الطاهر .
فضل بنى هاشم وبنى أمية
لعلى فيهم . وللشعبى .

صحيفة

٢٣٨ لمعاوية الرشيد وأموى للنبي ﷺ
جماعة بنى هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش .
عبد المطلب .
٢٣٩ أمية الأكبر .
٢٤٠ جماهير بنى تيم بن مرة .
» مخزوم بن مرة .
» كعب بن عدى
» جمح .
٢٤١ » بنى سهم .
» عامر بن لؤى .
» بنى محارب بن فهر بن مالك .
» بنى الحارث بن فهر بن مالك .
قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش .
٢٤٢ ومن بطون قريش
٢٤٣ فضل قريش .
النبي ﷺ . معاوية وأصحابه . ابن عتبة وابن عمير .
٢٤٤ ابن عتبة وقرشيون تشاحوا . محمد بن الفضل وقوم . بينه وبين والى الأهواز . لابن عتبة ينصح قرشيين .
٢٤٥ مكان العرب من قريش .
النبي ﷺ . لمعاوية . لابن عتبة فى معاوية .
٢٤٦ لابن الكلبي . لابن المقفع .
٢٤٧ ذو الرمة وعبد أسود .
٢٤٨ علمــاء النسب .
أبو بكر وابن المسيب . أبو بكر وبعض القبائل
٢٤٩ دغفل وقوم من الأنصار . ابن شيبان وقوم من العرب .
٢٥٠ قول دغفل فى قبائل العرب .
دغفل وزياد . دغفل ومعاوية .

صحيفة

٢٥١ مفاخرة يمن ومضر .
الأبرش يفاخر ابن صفوان . أبو العباس وقوم من اليمن .
مفاخرة الأوس والخزرج .
٢٥٢ البيــوتات .
علماء النسب فى حضرة عبد الملك .
بيوتات مضر وفضائلها .
للنبي صلى الله عليه وسلم . لبعضهم .
٢٥٣ معاوية والكلبي . النعمان والأحيمر . شىء عن بهدلة .
٢٥٤ بيوتات اليمن وفضائلها .
للنبي ﷺ . لابن عباس . لعمر بن الخطاب . لأبى عبيدة . لابن الكلبي .
٢٥٥ للنبي ﷺ . لابن الكلبي .
٢٥٦ تفسير الأرحاء والجماجم . لأبى عبيدة .
٢٥٧ أسماء ولد نزار .
سطيح وتقسيم ميراث نزار .
٢٥٨ شعر لربيعة بن نزار .
أنساب مضر
٢٥٩ بطون هذيل وجماهيرها .
بطون كنانة وجماهيرها .
٢٦٠ بطون أسد وجماهيرها .
٢٦١ الهون بن خزيمة بن مدركة .
٢٦٢ ومن قبائل طابخة بن اليأس .
بطون ضبة وجماهيرها .
٢٦٣ مزينة — الرباب .
٢٦٤ صــوفة .
بطون تميم وجماهيرها .
بنو العنبر بن عمرو بن تميم .

صحيفة
٢٦٥ الخطبـات.
غيلان وأسلم وحرماز. بنو مالك بن عمر
ابن تميم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم.
٢٦٦ الأجارب.
بنو عطارد بن عوف بن كعب بن سعد.
قريع بن عوف بن كعب بن سعد.
٢٦٧ بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد.
حنظلة بن مالك الأحمق بن زيد مناة.
يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم
٢٦٩ بطون قيس وجماهيرها.
٢٧٠ باهلة - بنو الطفاوة بن أعصر.
بنو خصفة بن قيس بن عيلان.
٢٧١ بنو ذكوان وبهز وبهثة بنو سليم.
٢٧١ قبائل هوازن.
عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
٢٧٢ بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.
بنو العجلان بن كعب.
٢٧٣ بنو سـلول. نسب ربيعة بن نزار.
٣٧٥ النمر بن قاسط.
٢٧٦ تغلب بن وائل.
٢٧٧ بكر بن وائل. يشكر بن بكر.
٢٧٨ عجل بن لجيم. حنيفة بن لجيم.
شيبان بن ثعلبة بن عكابة.
٢٧٩ ذهل بن ثعلبة بن عكابة.
قيس بن ثعلبة بن عكابة.
٢٨٠ سدوس - اللهازم - إياد بن نزار.
٢٨١ القبائل المشتبهة.
٢٨٢ مفاخرة ربيعة. عبد الملك وبعض جلسائه
٢٨٤ جمرات العرب.
٢٨٥ أنساب اليمن.

صحيفة
٢٨٦ حمـير.
٢٨٧ الأوزاع - النبابعة.
٢٨٨ قضـاعة.
٢٩٢ كهلان بن سبأ.
٢٩٣ الخـزرج.
صحيفة
٢٩٧ خـزاعة.
بطون من خزاعة.
٢٩٩ بارق والهجن.
٣٠٠ ومن بطون الأزد.
٣٠١ بنـو لهب.
٣٠٢ دوس. عك. غسان. بنو عنزة.
٣٠٣ بجيلة خثعم.
٣٠٤ همدان.
٣٠٦ كندة.
٣٠٧ مذحج.
٣١٠ مسلية. بنو حبابة.
٣١١ النخع. بنو جذيمة. بنو حارثة. وهبيل.
صهبان جشم وبكر عنس.
٣١٢ مراد - طيء.
٣١٤ الأشـعر.
٣١٥ لخم - جذم.
٣١٦ عامـلة.
٣١٧ خولان - جرم - حضرموت.
قول الشعوبية وهم أهل التسوية.
٣٢٢ رد ابن قتيبة على الشعوبية.
٣٢٣ رد الشعوبية على ابن قتيبة.
٣٢٥ قول الشعوبية فى مناكح العرب.
٣٢٦ باب المتعصبين للعرب.

تم الفهرس

العِقْدُ الفَرِيدُ

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الرابع

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

١٣٧٢ — ١٩٥٣

كتاب العسجدة
فى كلام الأعراب

فرش كتاب العسجدة

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى النسب الذى هو سبب التعارف ، وسلم إلى التواصل ، وفى تفضيل العرب ، وفى كلام بعض الشعوبية : ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى كلام الأعراب خاصة : إذ كان أشرفَ الكلام حسبا ، وأكثرَه رونقا ، وأحسنه ديباجا ، وأقله كُلفة ، وأوضحه طريقة ؛ وإذ كان مدار الكلام كله عليه ، ومُنتسَبُه إليه .

خالد بن صفوان وأعرابى

قال رجل من مِنْقر : تكلم خالد بن صفوان بكلام فى صلح لم يسمع الناس كلاما قبله مثله ، وإذا بأعرابىّ فى بَتّ ، ما فى رجليه حذاء ، فأجابه بكلام وددت أنى متُّ قبل أن أسمعه ، فلما رأى خالد ما نزل بى قال لى : ويحك ! كيف نجاريهم وإنما نحاكيهم ؟ أم كيف نسابقهم وإنما نجرى بما سبق إلينا من أعراقهم ؟ قلت له : أبا صفوان ، والله ما ألومك فى الأولى ، ولا أدع حمدك على الأخرى .

بين أعرابى وربيعة فى مثله

وتكلم ربيعة الرأى يوما بكلام فى العلم فأكثر ، فكأن العُجْب داخَله ، فالتفت إلى أعرابى إلى جنبه فقال : ما تعدون البلاغة يا أعرابىّ ؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العىّ ؟ قال : ما كنتَ فيه منذ اليوم . فكأنما ألقمه حجرا .

قول الأعراب فى الدعاء

لعمر ابن عبد العزيز

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما قوم أشبهَ بالسلف من الأعراب ، لولا جفاءٌ فيهم .

لغيلان

وقال غيلان : إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب .

لأعرابى

٥ قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابى يقال له مرثد : اللهم اغفر لى والجلدُ بارد ، والنفس رطبة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية ، والتوبة مقبولة ، والأنفس مريحة ، والتضرع مرجو ، قبل أزّ العروق ، وحَشك النفس ، وعَلَز الصدر ، وتزيُّل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحيُّف التراب ؛ وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل ، وينقطع العمل . أَعِنّى على ١٠ الموت وكربته ، وعلى القبر وغمّته ، وعلى الميزان وخفّته ، وعلى الصراط وزَلّته ، وعلى يوم القيامة وروعته ؛ اغفر لى مغفرةً واسعة لا تغادر ذنبا ، ولا تدع كرْبا ؛ اغفر لى جميع ما افترضتَ علىّ ولم أؤدّه إليك ؛ اغفر لى جميع ما تبتُ إليك منه ثم عدت فيه . يارب تظاهرتْ علىّ منك النعم ، وتداركتْ عندك منى الذنوب ؛ فلك الحمد على النعم التى تظاهرتْ ، وأستغفرك للذنوب التى تداركتْ . أمسيت ١٥ عن عذابى غنيا ، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيرا ؛ اللهم إنى أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عملى ما ولِىَ أجلى ؛ اللهم اجعلنى من الذين إذا أعطيتَهم شكروا ، وإذا ابتليتَهم صبروا ، وإذا أذكرتهم ذَكروا ، واجعل لى قلبا توّاباً أوّاباً ، لا فاجراً ولا مرتابا . اجعلنى من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ، وإذا أساءوا استغفروا ، اللهم لا تحقق علىّ العذاب ، ولا تقطع بى الأسباب ، ٢٠ واحفظنى فى كل ما تحيط به شَفقتى ، ويأتى من ورائه سُبْحتى ، وتعجز عنه قوّتى ، أدعوك دعاء ضعيف[1] عمله ، متظاهرة ذنوبه ، ضنينٍ على نفسه ـ دعاء مَن بَدنه ضعيف ، ومُنّته عاجزة ؛ قد انتهت عدّته ، وخلقتْ جدته ، وتم ظِمْؤه ؛ اللهم

(١) فى بعض الأصول : « خفيف » .

لا تخيبْنى وأنا أرجوك ، ولا تعذبنى وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسيئة ، وحسن التباعة ، وتشنج العروق ، وإساغة الريق ، وتأخر الشدائد ؛ والحمد لله على حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ والحمد لله الذى لا يُودَى قتيلُه ، ولا يخيب سُوله ، ولا يُرَدّ رسوله . اللهم إنى أعوذ بك من الفقرْ إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ؛ وأعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى فجورا ، أو أكون بك مغرورا ؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعُضال الداء ، وخيبة الرجاء ، وزوال النعمة ، وفُجاءة النقمة .

لأعرابى فى الطواف

دعا أعرابى وهو يطوف بالكعبة فقال : إلٰهى ، مَن أولى بالتقصير والزلل منى وأنت خلقْتنى ، ومَن أولى بالعفو منك عنى وعِلمك بى ماضٍ ، وقضاؤك بى مُحيط ؛ أطعتك بقوّتك والمِنة لك ، وعصيتك بعلْمك ، فأسألك يا إلهى بوجوب رحمتك ، وانقطاع حجتى ، وافتقارى إليك ، وغناك عنى ـ أن تغفر لى وترحمنى ؛ إلهى لم أُحسن حتى أعطيتنى . فتجاوز عن الذنوب التى كتبتَ علىّ ، اللهم إنا أطعناك فى أحب الأشياء إليك : شهادةِ أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، ولم نعْصك فى أبغض الأشياء إليك : الشرك بك ؛ فاغفر لى ما بين ذلك ؛ اللهم إنك آنسُ المُؤنسين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك[1] . إلهى أنت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرّى لك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ؛ إذا أوحشتْنى الغربة ، آنسنى ذكرك ؛ وإذا أكبتْ علىّ الغموم ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ؛ علما بأن أزِمّة الأمور كلها بيدك ، ومصدرَها عن قضائك ، فأقلْنى إليك مغفوراً لى ، معصوما بطاعتك باقى عمرى ، يا أرحم الراحمين .

لآخر فى مثله

الأصمعى قال : حَجَجْتُ فرأيت أعرابيا يطوف بالكعبة ويقول : يا خير موفودٍ سعى إليه الوفْد ، قد ضعُفت قوّتى ، وذهبتْ مُنتى ، وأتيت إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ولا تحملها البحار ؛ أستجير برضاك من سخطك ، وبعفوك من

(١) فى بعض الأصول : « وخير المعينين للمتوكلين عليك »

عقوبتك ، ثم التفت فقال : أيها المُشفقون ، ارحموا من شمِلته الخطايا ، وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملك من التلاد ؛ ارحموا من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب ؛ ارحموا أسير ضُرّ ، وطريد فقر . أسألكم بالذى أعملتْكم الرغبة إليه ، إلا ما سألتم الله أن يَهب لى عظيم جُرمى . ٥ ثم وضع فى حلقة الباب خدّه وقال : ضَرَعَ خدّى لك ، وذل مقامى بين يديك ، ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنب مكروبُ ﴿ من الخيرات مسْلوبُ

وقد أصبحتُ ذا فقرٍ ﴿ وما عنـــدك مطلوب

لآخر بعرفات

العتبي قال : سمعت أعرابيا بعرفات عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن هذه ١٠ عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك ، أن لا يشرك بك شيئا بكل لسان فيها يدعى ، ولكل خير فيها يرجى ؛ أتتك العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العناة من شعب المَضيق ؛ رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ؛ أبدتْ لك وجوهها المصونة ، صابرة على وهج[1] السمائم ، وبرد الليالى ، ترجو بذلك رضوانك ؛ يا غفار ، ١٥ يا مْستَزاداً من نعمه ، ومُستعاذاً من نقمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق . ثم بسط كلتا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إن كنتُ بسطتُ يدى إليك راغبا ، فطالما كفيْتنيه ؛ ساهياً بنعمتك التى تظاهرت علىّ عند الغفلة ، فلا أيأس منها عند التوبة ؛ ولا تقطعْ رجائى منك لما قدمت من اقتراف ، وهب لى الإصلاح فى الولد ، والأمن فى البلد ، والعافية فى الجسد ، إنك سميع مجيب .

٢٠ ودعا أعرابى فقال : يا عمادَ مَن لا عماد له ، ويا ركنَ من لا ركن له ، ويا مجير الضعفاء ، ويا مُنقذ الهلكى[2] ، ويا عظيم الرجاء ، أنت الذى سبح لك سواد الليل وبياضُ النهار ، وضوء القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر

(١) فى بعض الأصول : « لفح » .

(٢) فى بعض الأصول : « الغرقى » .

ودوِىُّ الماء : يامحسن ، يامجمل ، يامُفْضل ، لا أسألك الخير بخير هو عندك ،
ولكنى أسألك برحمتك ، فاجعل العافية لى شعاراً ودثاراً ، وجُنَّة دون كل بلاء .

لآخر بمنى

الأصمعى قال خرجت أعرابية إلى مِنى فقطع بها الطريق ، فقالت : يارب ،
أخذتَ وأعطيت وأنعمتَ وسلبت ، وكل ذلك منك عدلٌ وفضلٌ ، والذى عظَّم
على الخلائق أمرك ؛ لابسطتُ لسانى بمسئلة أحد غيرك ، ولا بذلتُ رغبتى إلا إليك ٥
ياقرةَ أعيُن السائلين ، أغننى بجود منك أتبحبح فى فراديس نعمته ، وأتقلب فى
رواق نضرته ، احملنى من الرُجلة ، وأغننى من العيلة ، وأسدل علىَّ سِتْرك الذى
لا تَخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، إنك سميع الدعاء .

لأعرابى فى فلاة

قال : وسمعت أعرابيا فى فلاة من الأرض وهو يقول فى دعائه : اللهم إن
استغفارى إياك مع كثرة ذنوبى لَلُؤم ، وإن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك ١٠
لعجز ! إلهى كم تحببت إلىّ بنعمتك وأنت غنىٌّ عنى ، وكم أتبغّض إليك بذنوبى
وأنا فقير إليك ! سبحان من إذا توعد عفا ، وإذا وعد وفى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول فى دعائه : اللهم إن ذنوبى إليك لا تضرّك ، وإن
رحمتك إياى لا تنقصُك : فاغفر لى ما لا يضرك ، وهب لى ما لا ينقصك .

لآخرين

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك عمل الخائفين ، ١٥
وخوف العاملين ، حتى أتنعمَ بترك النعيم طمعا فيما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .
اللهم أعِذْنى من سطواتك ؛ وأجرنى من نقماتك ؛ سبقت لى ذنوبٌ وأنت تغفر
لمن يتوب [1] : إليك بك أتوسل ، ومنك إليك أفرُّ .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إن أقواما آمنوا بك بألسنتهم ليحقِنوا
دماءهم فأدركوا ما أمّلوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك فأدرك منا ٢٠
ما أمّلناه .

قال : ورأيت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة رافعا يديه إلى السماء وهو يقول
رب ، أتُراك مُعذبنا وتوحيدك فى قلوبنا ، وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لتَجْمَعَنّا

---

(١) فى بعض الأصول : «يحوب» .

مع قوم طالما أبغضناهم لك .

الأصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول في صلاته : الحمد لله حمداً لايبلى جديدُه ولا يُحصى عديده ، ولا يبلغ حدوده ؛ اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره ، واجعل القبر خير بيت نعمره ، واجعل مابعده خيراً لنا منه ؛ اللهم إن عينىّ قد اغرورقتا دموعا من خشيتك ؛ فاغفر الزلة ، وعُدْ بحلمك على جهل من لم يَرْجُ غيرك

الأصمعي قال : وقف أعرابي في بعض المواسم فقال : اللهم إن لك علىّ حقوقا فتصدّق بها علىّ ، وللناس قِبَلى تباعاتٌ فتحملها عنى ؛ وقد وجب لكل ضيف قِرى ، وأنا ضيفك الليلة ، فاجعل قِراى فيها الجنة .

قال : ورأيت أعرابيا أخذ بحلقتى باب الكعبة وهو يقول : سائلك عَبْد بابك ذهبتْ أيامُه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباعتُه فارض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعفُ عنه غير راض .

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ؛ فأعطنى ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمر (١) : سمعت طاوسا يقول : بينا أنا بمكة إذ دفعتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فثنى لى وساداً فجلست ؛ فبينا نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابى في الوادى رافعا صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : علىّ بالملبّى . فأُتى به ، فقال : مَن الرجل ؟ قال : من أفناء الناس . قال : ليس عن هذا سألتُك . قال : فعمَّ سألتنى ؟ قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفت محمد بن يوسف ؟ يعنى أخاه ، وكان عامله على اليمن ؛ قال : خلفتُه عظيما جسيما خرَّاجا ولَّاجا . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعمَّ سألتنى ؟ قال : كيف خلَّفت سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوما غشوما عاصيا للخالق مطيعا للمخلوق ! فازْوَرَّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته منى ؟ فقال له الأعرابى أفتراه بمكانته منك أعزَّ منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافد

(١) في بعض الأصول : « عمرو » .

بيته ، وقاضي دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ! قال : فوجم لها الحجاج ولم يُحر له جوابا ، حتى خرج الرجل بلا إذن . قال طاوس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك ألوذ ، فاجعل لى فى اللهف إلى جوارك والرضا بضمانك : مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيد المستأثرين ؛ اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة . ٥

قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألفيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حَجّى ونصبى وتعبى فلا تَحرمنى أجر المصاب على مصيبته فلا أعلم مصيبةً أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رحمتك [1]

الأصمعى قال : رأيت أعرابيا يطوف بالكعبة وهو يقول : إلهى عَجّت إليك الأصواتُ بضروبٍ من اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكُرَنى على طول البلاء [2] إذا نسينى أهل الدنيا . اللهم هَب لى حقك ، وأرْض عنى خلْقك ، اللهم لا تعْيِنى بطلب مالم تقدّره لى ، وماقدرته لى فيَسّره لى . ١٠

لأعرابية — قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة ، فقالت : كان الله صاحبَك فى أمرِك ، وخليفتَكَ فى أهلك ، ووَلِيَّ نُجح طَلِبَتِكَ . امْض مُصاحَبا مكلوءا ، لا أشمت الله بك عَدُوًّا ، ولا أرى محبيك فيك سُوءا . ١٥

لأعرابى مات ابنه — قال : ومات ابن لأعرابى فقال : اللهم إنى وهبتُ له ما قصر فيه من برى ، فهب له ما قصَّر فيه من طاعتك ؛ فإنك أجودُ وأكرَم .

قولهم فى الرقائق

لأعرابى — العتبى قال : ذكر أعرابى مصيبة فقال : والله تركت سُودَ الرءوس بِيضا ، وبِيض الوجوه سُوداً ، وهوّنت المصائبَ بعدها . ٢٠

(١) فى بعض الأصول : «رغبتك» .

(٢) فى بعض الأصول : «البكاء» .

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثى آل أبى سفيان :

رمى الحِدثانُ نسوةَ آل حرب ∗ بمقدار سَمَدن له سُمُودا

فردّ شعورهن السود بيضا ∗ وردّ وجوههن البيض سودا

فإنك إذ سمعت بكاء هند ∗ ورملة إذ يلطمن الخدودا

٥ بكيت بكاء موجَعة بحزن ∗ أصاب الدهر واحدها الفريدا

لأعرابية

قال : قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءكِ قالت : إنّ فقدى إياه أمّننى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هوّنت على المصائب بعده : ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدَكَ فليَمتْ ∗ فعلَيكَ كنتُ أُحاذرُ

كنت السوادَ لمقلتى ∗ فعليك يبكى الناظر

١٠ ليت المنازلَ والدِّيا ∗ رَ حفَائرٌ ومقابرُ

لأعرابى فى حزنه على ولده

وقيل لأعرابى : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك همُّ الغَداءِ والعشاء لى حزنا !

لآخر فى ذهاب شبابه

وقيل لأعرابى : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : مَن طال أمده ، وكثر ولده ، وذهب جلده : ذهب شبابه .

لآخر فى نحول جسمه

١٥ وقيل لأعرابى : ما أنحل جسمَكَ ؟ قال : سوء الغِذاء ، وحُدوبة المرعى ، واختلاجُ الهموم فى صدرى . ثم أنشأ يقول :

الهمّ مالم تُمْضِهِ لسبيلِه ∗ داءٌ تضمَّنَهُ الضُّلوعُ عظيمُ

ولرُبّما آستَيأستُ ثم أقولُ لا ∗ إنّ الذى ضمِنَ النجاح كريمُ

لآخر فى الكبر

وقيل لأعرابى قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تقيّدنى

٢٠ الشعرة ، وأعثر فى البَعرة ؛ قد أقام الدهر صَعَرى بعد أن أقمت صَعَره .

وقال أعرابى : لقد كنتُ أُنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء ؛ فيا خير مبدول ويا شرَّ بدل !

لبعض الشعراء

وقال أعرابى :

إذا الرجال وَلَدتْ أولادُها ۞ وجعَلت أسـقامُها تعتادُها

واضطرَبتْ من كِبَرٍ أعضادُها ۞ فهْىَ زُروعٌ قد دنا حَصادُها

لأعرابى فى القطيعة

وذكر أعرابى قطيعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرت عِيابُ الودّ بعد امتلائها واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها ؛ فأدبر ما كان مقبلا ، وأقبل ماكان مدبراً .

لآخرين فى تغير الديار

وذكر أعرابى منزلا باد أهله ، فقال : منزل والله رحلتْ عنه ربات الخدور وأقامت فيه أثافىُّ[1] القدور ، وقد اكتسى بالنبات كأنما أُلبس الحُلل ؛ وكان أهله يُعَفُّون فيه آثار الرياح ، وأصبحت الريح تُعَفِّى آثارهم فالعهد قريب والملتقى بعيد .

ذكر أعرابى قوما تغيرت أحوالهم ، فقال : أعينٌ والله كحلت بالعبرة بعد الحَبْرَة ، وأنفسٌ لبسَت الحزن بعد السرور .

وذكر أعرابى قوما تغيرت حالهم ، فقال : كانوا والله فى عيش رقيق الحواشى فطواه الدهر بعد سعة ، حتى يبست أبدانهم من القُر ، ولم أر صاحبا أغرّ من الدنيا ، ولا ظالما أغشم من الموت ؛ ومن عصف به الليل والنهار أردياه ، ومن وُكِل به الموت أفناه .

وقف أعرابى على دار قد باد أهلها ، فقال : دارٌ والله معتصرة للدموع ، حطت بها السحاب أثقالها ، وجرّت بها الرياح أذيالها .

وذكر أعرابى رجلا تغيرت حاله ، فقال : طُويت صحيفته وذهب رزقه ، فالبلاء مُسْرِع إليه ، والعيش عنه قابض كفَّيه .

وذكر أعرابى رجلا ضاق عيشه بعد سعة ، فقال : كان والله فى ظل عيش ممدود ، فقدحت عليه من الدهر زَند عين كابية الزند .

---

(١) فى بعض الأصول : « رواحل » .

لأعرابية ترثى ابنها

الأصمعى قال : أنشدنى العُقيل لأعرابية ترثى ابنها :

ختلَته المنونُ بعد آختيال ﴿ بين صفَّيْن من قَناً ونِصالِ
فى رداء من الصفيح صقيل[1] ﴿ وقميص من الحديد مُذال
كنتُ أخباك لاعْتداء يدِ الدهـــرِ ولم تخطرِ المنونُ ببالى

لأعرابى فى مثله

٥ وقال أعرابى يرثى ابنه :

دَفنْت بكفى بعض نفْسى فأصبحَت ﴿ وللنَّفس منها دافِنٌ ودفين

وقال أعرابى : إن الدنيا تنطق بغير لسان فتُخبر عما يكون بما قد كان .

خرج أعرابى : هاربا من الطاعون ؛ فبينا هو سائر إذ لدغته أفعى فمات ، فقال فيه أبوه :

١٠ طاف يَبغى نَجوَة ﴿ من هلاكٍ فهلكْ
ليت شِعْرى ضَلَّة ﴿ أىُّ شىء قتلكْ
والمَنايا رَصَـــدٌ ﴿ للفتى حيث سَلك
كلُّ شىء قاتلٌ ﴿ حين تلقَى أجلك

لأعرابى فى بلد

وذكر أعرابى بلدا فقال : بلد كالتُّرس ، ما تمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل ،
١٥ ولا يمر فيها السَّفر إلا بأدلِّ دليل .

قولهم فى الاستطعام

معن بن زائدة وأعرابى

قدم أعرابى من بنى كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال : إنى والله ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثلى من أهل السن والحسب إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك فى
٢٠ المعروف : فإن رأيت أن تضعنى من نفسك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل . فوصله وأحسن إليه .

لأعرابى

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : وقف أعرابى

(١) فى بعض الأصول « جديد » .

على قوم فقال : إنا ـ رحمكم الله ـ أبناء سبيل ، وأنضاء طريق وفُلّال سنة ؛ رحم الله امرأ أعطى عن سعة ، وواسى من كفاف . فأعطاه رجل درهما ، فقال : آجرك الله من غير أن يبتليك .

ووقف أعرابى بقوم فقال : يا قوم ، تتابعت علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رجْع ، ولا للأرض فيها صدْع ، فنضب العِدّ ، ونشف الوشل ، وأمحل الخصب ، وكلح الجدب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشظف المعاش ، وذهب الرياش ؛ وطرحتنى الأيام إليكم غريب الدار ، نائى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ؛ فرحم الله امرَأً رحم اعترابى ، وجعل المعروف جوابى .

المهدى فى الطواف

خرج المهدى يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول : قوم معوزون[1] ، نبتْ عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ؛ باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهل من آمرٍ بخير ، كلأه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ؟ فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

خزيمة فى إبل أغير عليها

الأصمعى قال : أُغِير على إبل خزيمة ، فركب بَحِيرة ، فقيل له : أتركب حراما ؟ قال : يركب الحرام من لا حلال له .

لأعرابى

وقال أعرابى :

ياليت لى نعلَيْن من جِلْدِ الضَّبُع ٭ كلَّ الحذاء يَحتذِى الحافى الوَقِـعْ

بين عتبة بن أبى سفيان وأعرابى

أبو الحسن قال : اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة . قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : فيا أخاه ! قال : أسْمعت فقل . قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخُئُولة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدةَ فقر ، وترادُف ضُر ، وعندك ما يسعُه ويصرف

(١) فى بعض الأصول : « مبطلون »

عنه بؤسه فقال عتبة أستغفر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بغناك ، فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

لأعرابى يسأل

وسأل أعرابى فقال : رحم الله مسلما لم تمجّ أذناه كلامى ، وقدم لنفسه معاذا من مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والدارَ مضيعة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، ٥ والعُدم عاذر يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله آمراً بمير وداعيا بخير . فقال له بعض القوم : ممن الرجل ؟ فقال : ممن لا تنفعكم معرفته ، ولا تضركم جهالته . ذلُّ الاكتساب ، يمنع من عز الانتساب .

أعرابى أغير على إبله

العتبي قال : قدم علينا أعرابى فى فِشّاش[1] قد أطردت اللّصاصُ إبله ، فجمعت له شيئا من أهل المسجد ، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول :

١٠ لا والذى أنا عبدٌ فى عبادته ٭ لولا شماتةُ أعداءٍ ذوى إحَنِ

ما سرّنى أنّ إبْلى فى مباركِها ٭ وأنّ أمرا قضاهُ الله لم يكن

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال :

لولا شماتةُ أعداءٍ ذوى حسدٍ ٭ وأنْ أنال بنفعى من يُرجّينى

لمّا خطَبْت إلى الدُّنيا مطالبَها ٭ ولا بَذلتُ لها عِرضى ولا دينى

١٥ لكن مُنافسة الأكفاءِ تَحملُنى ٭ على أُمورٍ أراها سوف تُرْدينى

وقد خشيت بأنْ أبقى بمنزلةٍ ٭ لا دين عندى ولا دُنيا تُواتينى

بين خالد القسرى وأعرابى

العتبي قال : دخل أعرابى على خالد بن عبد الله القسرى ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

أصلحَك الله قَلَّ ما بيدى ٭ فما أُطيق العيال إذ كثُروا

٢٠ أناخ دهرٌ ألقَى بكلْكَلِه ٭ فأرْسَلونى إليك وانتظروا

قال : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ! فأمر له بأربعة أبعرة موقورة بُرًّا وتمرا وخلع عليه .

(١) الفشاش : كساء غليظ .

ابن طوق وأعرابى

الشيبانى قال : أقبل أعرابى إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرحبة حيناً ، وكان الأعرابى من بنى أسد صعلوكا فى عباءة صوف وشملة شعر ، فكلما أراد الدخول منعه الحجاب ، وشتمه العبيد ، وضربه الأشراط ؛ فلما كان فى بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة ، فعارضه الأعرابى ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إنى عائذ بالله ٥ من أشراطك هؤلاء ! فقال مالك : دعوا الأعرابى ؛ هل من حاجة يا أعرابى ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير ؛ أن تُصغى إلىّ بسمعك ، وتنظر إلىّ بطرفك ، وتُقبل إلىّ بوجهك . قال : نعم . فأنشأ الأعرابى يقول :

ببابِكَ دون الناس أنزلْتُ حاجتى * وأقبلْتُ أسعَى حولهُ وأطوفُ
ويَمنَعُنى الحُجّابُ والسِّترُ مُسْبَل * وأنت بعيد والشروطُ صفوفُ ١٠
يدورونَ حوْلى فى الجلوسِ كأنهمْ * ذِئاب جياع بينهنَّ خروفُ
فأمّا وقد أبصَرْتُ وجهَكَ مُقبلاً * فأُصْرَف عنه إننى لضَعيفُ
ومالِى مِنَ الدُّنيا سِواكَ ولا لِمَنْ * تَركتُ ورائِى مَرْبَعٌ ومَصيفُ
وقد عَلِمَ الحيَّان قيْسٌ وخنْدفٌ * ومَنْ هُو فيها نازِلٌ وحليفُ
تَخَطَّيْتُ أعناقَ المُلوكِ ورِحْلَتى * إليكَ وقد حنَّتْ إليكَ صُروفُ ١٥
فجِئتُكَ أبغِى اليُسْرَ مِنكَ فمرَّ بِى * بِبابِكَ مِنْ ضرْبِ العبيدِ صُنوفُ
فلا تَجْعلنْ لى نحوَ بابِكَ عوْدَةً * فقلْبِى من ضرْبِ الشُّروطِ مَخوفُ

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ؛ ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين ؟ فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى تحير الأعرابى ؛ ثم قال له : هل بقيتْ لك حاجة يا أعرابى ؟ قال : ٢٠ أما إليك فلا ! قال : فإلى من ؟ قال : إلى الله أن يبقيك للعرب ؛ فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل أعرابى إلى هشام بن عبد الملك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أتت علينا

ثلاثة أعوام : فعام أذابَ الشحم ، وعام أكلَ اللحم ، وعام آنتقى العظم ؛ وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثوها فى عباد الله ، وإن تكن للناس فلِمَ تُحْجَبُ عنهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا ؛ إن الله يجزى المتصدقين ! قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابى ؟ قال : ماضربتُ إليك أكباد الإبل أذرع الهجير ، وأخوض الدجا لخاصٍّ دون عام ، ولا خير فى خير لا يعم . فأمر له هشام بأموال فُرِّقتْ فى الناس ؛ وأمر للأعرابى بمال فرّقه فى قومه .

لبعض الأعراب

طلب أعرابى من رجل حاجة فوعده قضاءها ؛ فقال الأعرابى : إن مَن وعَدَ قضى الحاجةَ وإن كثُرتْ ؛ والمطل من غير عسر آفةُ الجود .

وقال أعرابى ، وأتى رجلا لم تكن بينهما حرمة فى حاجة له ، فقال : إنى امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن : فحقق الأمل ، وأحسن المثوبة [1] ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد .

أعرابى فى حلقة يونس

وقف أعرابى على حلقة يونس النحوى ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . إنا أُناس قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا ؛ لا ندفن ميتاً ؛ ولا نتحول من منزل وإن كرهناه ؛ فرحم الله عبداً تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، ورسل سَنَة ؛ فإنه لا قليل من الأجر ؛ ولا غنى عن الله ، ولا عملَ بعد الموت ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ ذا الذى يُقرِضُ الله قرْضاً حسَناً ﴾ إن الله لا يستقرض من عَوز ؛ ولكن ليبلو خيارَ عباده .

وقف أعرابى فى شهر رمضان على قوم ؛ فقال : يا قوم لقد ختمت هذه الفريضةُ على أفواهنا من صُبح أمس ، ومعى بنتان لى ، والله ما عَلِمْتُهما تَخلّلا بخلال ؛ فهل رجل كريمٌ يرحم اليوم مقامنا [2] ، ويرد حشاشتنا ؛ منعه الله أن

(١) فى بعض الأصول « المنزلة » .

(٢) فى بعض الأصول « ذلنا » .

يقوم مقامى فإنه مقام ذل وعار وصَغار ! فافترق القوم ولم يعطوه شيئا ! فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعا ، ثم قال : أشدُّ واللهِ علىّ من سوء حالى وفاقتى ، توهُّمى فيكم المواساة ! انتعِلوا الطريق لاصحبكم الله .

الأصمعى قال : وقف أعرابىٌّ علينا فقال : يا قوم ، تتابعت علينا سنون بتغير وانتقاص ، فما تركت لنا هُبَعاً ولا رُبعاً ، ولا عافطة ولا نافطة ، ولا ثاغية ولا راغية ؛ فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ؛ فأعينونى من فضلِ ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، ونضو زمان ؛ فلقد خلفت أقواما يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه ؛ ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى [1] .

لأعرابية مع عبد الرحمن ابن أبى بكر

الأصمعى قال : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فقالت : إنى أتيتُ من أرض شاسعة ، تهيضنى هائضة [2] وترفعنى رافعة فى بوادٍ بَرَيْن لحمى ، وهِضن عظمى : وتركننى والهة ، قد ضاق بى البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد ؛ لا قرابة تُئوينى ، ولا عشيرة تحمينى ؛ فسألت أحياء العرب : مَن المرتجَى سَيْبُه ، المأمونُ عيبه ، الكثير نائلُه ، المكفىُّ سائله ؟ فدُللتُ عليك ؛ وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع فى أمرىَ واحدة من ثلاث : إما أن تُحْسِن صَفَدى ، وإما أن تُقيم أَوَدى ، وإما أن تَرُدَّنى إلى بلدى . قال : بل أجمعهن لك ! ففعل ذلك بها أجمع .

شعر لبعض الأعراب

وقال أعرابى :

يا عامِلَ الخيرِ رُزِقت الجنَّهْ * أُكْسُ بُنيّاتى وأُمَّهُنَّهْ
وكُنْ لنا مِنَ الزمانِ جُنَّهْ * وارْدُدْ علينا إنّ إنّ إنَّهْ
أقسَمْتُ باللهِ لتَفْعلنَّهْ

(١) فى بعض الأصول : « الثرى » .

(٢) فى بعض الأصول : « تهبطنى هابطة » .

لبعض الأعراب

الأصمعى قال : وقفت أعرابية فقالت : يا قوم ، سَنة جردتْ وأيد جمدت ، وحال أجهدت ؛ فهل من فاعل لخير ، وآمر بِمَيْر ؟ رحم الله من رَحم ، وأقرض من يُقرض[١] .

الأصمعى قال : أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجَهْد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابى وهو يقول : أيها الناس ، إخوانكم فى الدين ، وشركاؤكم فى الإسلام ، عابرو سبيل ، وفُلال بؤس ، وصرعى جدب ، تتابعت علينا سنون ثلاثة ، غيرت النِّعم وأهلكت النَّعم ، فأكلنا ما بقى من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمنِّى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاماً ، وعاد إشراقنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، ويكتنا السهل ، وهذه آثار مصائبنا ، لائحة فى سِماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومواسيا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال وبلغ المجهود ، والله يجزى المتصدقين .

الأصمعى قال : كنتُ فى حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابى سائلا ، فقال : أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُبرز الكَعاب ؛ وقد حملتنا سِنو المصائب ، ونكبات الدهور ، على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

أتى أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته إليك الحاجة ، وبلغت به الغاية ، والله سائلك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ أبلغَ من قائل ولا أوعظ لِمَقول له من كلامك هذا[٢] .

سمع عدى بن حاتم رجلا من الأعراب وهو يقول : ياقوم ، تصدقوا على شيخ مَعِيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهرُه ، وسَمِع شكواه خالقه ، بدنه مطلوب وثوبهُ مسلوب ! فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بنى سعد فى ديةٍ لزمتنى ، قال : فكم هى ؟ قال : مائة بعير . قال : دُونَكَها فى بطن الوادى !

(١) فى بعض الأصول : « من لايظلم » .
(٢) فى بعض الأصول : « ولا أوعظ من واعظ ولا أبلغ من مقول له منك ومنى » .

سأل أعرابى رجلا فأعطاه ، فقال : جعل الله للمعروف إليك سبيلا ، وللخير عليك دليلا ، ولا جعل حظّ السائل منك عذرة صادقة .

وقف أعرابى بقوم فقال : أشكو إليكم أيها الملأ زمانا كلح فىّ وجهه ، وأناخ علىّ كلكله ، بعد نعمة من البال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ؛ اعتورتنى شدائده ، بنَبل مصائبه ، عن قِسِىّ نوائبه ، فما ترك لى ثاغية أجتدى ضرعها ، ولا راغية أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرفه ، أو مُعدٍ على حتفه ؟ فردّ القوم عليه ولم يُنيلوه شيئا ؛ فأنشأ يقول :

قد ضاع مَن يأمُل من أمثالِكمْ * جُوداً وليس الُجود من فعالِكمْ

لا بارك الله لكم فى مالِكم * ولا أزاح السوء عن عيالِكم

فالفقر خير من صَلاحِ حالِكم

الأصمعى قال : سأل أعرابى فلم يُعطَ شيئا ، فرفع يديه إلى السماء وقال :

يا ربِّ أنت ثقتِى وذخْرى * لِصبيةٍ مثل صِغار الذَّرّ

جاءهم البَرد وهم بشرّ * بغير لُحْفٍ وبغير أُزْر

كأنهم خنافسٌ فى جُحر * تَراهم بعد صلاة العصْر

وكلهم مُلتصِقٌ بصدرى * فاسمعْ دعائِى وتَولَّ أمرى

سأل أعرابى ومعه ابنتان له ، فلم يُعطَ شيئا ؛ فأنشأ يقول :

أيا ابنتىّ صابِرا أباكما * إنكما بعين مَن يَراكما

اللهُ مولاىَ وهو مولاكما * فأخلِصا لله فى نَجواكما

تضرَّعا لا تَدَّخرا بُكاكما * لعله يَرحم مَن آواكما

إنْ تَبكيا فالدهرُ قد أبكاكما

هشام وأعرابى

العتبى قال : كانت الأعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام ، فتقدم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابى فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ؛ والمنع مبغضة ؛ فلأَنْ

نحبك خير من أن تبغضك ! فأعطاه وأجزل له .

الأصمعى قال : وقف أعرابى غَنَوِىٌّ على قوم ؛ فقال بعد التسليم : أيها الناس ، ذهب النَّيْل ؛ وعجف الخَيْل ؛ وبُخس الكيل ؛ فمن يرحم نضو سفر ، وقل سنة ، ويُقرض الله قرضاً حسنا . لا يستقرض اللهُ من عُدْم ، ولكن ليبلوَكم فيما آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هل من فتًى مقتدرٍ معينِ * على فقيرٍ بائس مسكينِ

أبِى بناتٍ وأبى بنينِ * جزاه ربِّى بالذى يُعطينِى

أفضلَ ما يُجزَى به ذو الدِّين

لبعض الأعراب

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول لرجل : أطعمك الله الذى أطعمتنى له ؛ فقد أحييتنى بقتل جوعى ، ودفعت عنى سوء ظنى بيومى ؛ فحفظك الله على كل جنب ، وفرج عنك كل كرب ، وغفر لك كل ذنب .

وسأل أعرابىّ رجلا فاعتلّ عليه ، فقال : إن كنتَ كاذبا فجعلك الله صادقا !

المأمون وأعرابى

وقال أعرابى للمأمون :

قلْ للإمام الذى تُرْجَى فضائله * رأسِ الأنام وما الأذنابُ كالراسِ

إنى أعوذ بهرون وحُفرته * وبابن عمِّ رسول الله عبّاس :

من أن تُشدَّ رحال العِيس راجعةً * إلى اليمامة بالحرْمان واليْاس

أعرابى وزوجه فى مجاعة

الأصمعى قال : أصابت الأعرابَ مجاعةٌ ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق وهو يقول :

يا ربِّ إنى قاعدٌ كما ترى * وزوجتى قاعدة كما ترى

والبطن منِّى جائع كما ترى * فما ترى يا ربَّنا فيما ترى !

أعرابى فى مجاعة

الأصمعى قال : حدثنى بعض الأعراب قال : أصابتنا سَنَة وعندنا رجل غنى وله كلب ، فجعل كلبه يعوى جوعا ، فأنشأ يقول :

تشكّى إلىّ الكلب شدّة جُوعه ٭ وبِى مثلُ ما بالكلب أو بىَ أكثرُ
فقلتُ : لعلّ الله يأتى بغيْثه ٭ فيُضْحِى كلانَا قاعداً يتكبّر[1]
كأنى أمير المؤمنين من الغنَى ٭ وأنت من النعمى كأنك جعفر

أعرابى اسمه عمرو

الأصمعى قال : سأل أعرابىّ رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ؛ فردهما عليه وقال :

٥

تَركتُ لعمرو درْهميْه ولم يكن ٭ ليُغْنِىَ عنّى فاقتِى درهما عمرِو
وقلتُ لعمرو خذهما فاصطرفهما ٭ سريعيْن فى نقْض الموذة والأجْر

لبعض الأعراب

أبو الحسن قال : وقف علينا أعرابى ، فقال : أخ فى كتاب الله ، وجار فى بلاد الله ، وطالب خير من رزق الله ؛ فهل فيكم من مُواس فى الله ؟ .

١٠

الأصمعى قال : ضجر أعرابى بكثرة العيال والولد ، وبلغه أنّ الوباء بخيبر شديد ؛ فخرج إليها يعرّضهم للموت ، وأنشأ يقول :

قلتُ لُحمّى خيبَر آستعدّى ٭ هاكِ عيالى فاجهدى وجِدّى
وباكرى بصالِب ووِرْدِ ٭ أعانكِ الله على ذى الُجند

فأخذته الحمى ، فمات هو وبقى عياله .

مروان وأعرابى

١٥

سأل أعرابىٌّ شيخاً من بنى مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا سنة . ولى بضعَ عشرة بنتا ، فقال الشيخ : أمّا السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفائح من حديد ، ويكون مسيلها مما يلينى فلا تقطر عليكم قطرة ؛ وأمّا البنات فليت الله أضعفهن لك أضعافا كثيرة ، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسب غيرك ! قال : فنظر إليه الأعرابى ثم قال : والله ما أدرى ما أقول لك ، ولكن أراك قبيح المنظر ، سيئ الخلق ، فأعضّك الله ببظر أمّهات هؤلاء الجلوس حولك !

٢٠

طائفى وأعرابى

وقف أعرابىٌّ على رجل شيخ من أهل الطائف ، فذكر له سنة وسأله .

(١) فى بعض الأصول : « يتذمر » .

فقال : وددت والله أنّ الأرض خطة لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيبس لجفير أمك فى آستها .

قولهم فى المواعظ والزهد

هشام وأعرابى
أبو حاتم عن الأصمعى قال : دخل أعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له : عظنى يا أعرابى . فقال : كفى بالقرآن واعظا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيْلٌ للمطفِّفين ۝ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوْفون ۝ وإذا كالوهمْ أو وزَنوهم يُخسِرون ۝ ألا يظُنُّ أُولئك أنهم مَبعوثون ۝ ليومٍ عظيمٍ ۝ يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين ﴾ ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفِّف فى الكيل والميزان ، فما ظنُّك بمن أخذه كله ؟ !

لأعرابى يعظ أخاه
وقال أعرابى لأخيه : يا أخى ، أنت طالب ومطلوب ، يطلبك ما لا تفوته ، وتطلب ما قد كُفيتَه ، فكأنّ ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت عنه ، فامهد لنفسك ، وأعدّ لغدك ، وخذ فى جهازك .

ووعظ أعرابى أخا له أفسد ماله فى الشراب ، فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تُنذرك ، ولا الشيب يزجرك ؛ والساعات تُحصى عليك ، والأنفاس تُعَدّ منك ، والمنايا تُقاد إليك ؛ أحب الأمور إليك أعْودها بالمضرة عليك .

لبعض الأعراب
وقيل لأعرابى : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لثَلاث خلال فيه : لأنه متلف للمال ، مذهب للعقل ، مُسقط للمروءة .

وقال أعرابى لرجل : أى أخى ، إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق غنى ، فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم ، غرثان[1] من الكرم ؛ وآعلم أن المؤمن على خير ، ترحّب به الأرض ، وتستبشر به السماء ؛ ولن يُساء إليه فى بطنها ، وقد أحسن على ظهرها .

---

(١) فى بعض الأصول : « عريان » .

وقال أعرابى : الدراهمُ مياسم تَسِمُ حمداً وذمًّا ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ؛ وما كلُّ من أُعْطِى مالا أُعْطِىَ حمداً ولا كل عديمٍ ذميمٌ .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أنتَ للمالِ إذا أمسكْتَهُ * فإذا أنفقْتَهُ فالمالُ لكْ

لابن عباس — وهذا نظير قول ابن عباس ـ ونظر إلى درهم فى يد رجل ـ فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك . ٥

لبعض الأعراب — وقال أعرابى لأخ له : يا أخى ، إن مالك إن لم يكن لك ، كنت له ؛ وإن لم تُفنه أفناك : فكُلْه قبل أن يأكلك .

وقال أعرابى : مضى لنا سلفٌ أهل تواصُل اعتقدوا مننا ، واتخذوا الأيادى ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضا لازما ، وإظهار البرِّ واجباً ١٠ ثم جاء الزمان ببنين اتخذوا مِنَنهم بضاعة ، وبرَّهم مرابحة ، وأياديهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة كنقد [السوق] : خذ منى وهات .

وقال أعرابى لولده : يابنى ، لا تكن رأسا ولا ذَنَبا ، فإن كنت رأسا فتهيأ للنطاح ، وإن كنت ذَنَبا فتهيأ للنكاح .

قال : وسمعت أعرابيا يقول لابن عمه : سأتخطى ذنْبك إلى عُذْرك ، وإن كنتُ ١٥ من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين ؛ ولكن لِيَتِمّ المعروف منى إليك ، ولتقوم الحجة لى عليك .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن الموفَّق من ترك أرفق الحالات به لأصلحِها لدينه ، نظرا لنفسه إذا لم تنظر نفسه لها .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الله مُخْلِفُ ما أتلف الناس ، والدهر مُتلِف ٢٠ ما أخلفوا ، وكم من ميتة عليها طلب الحياة ، وكم من حياة سببها التعرض للموت .

وقال أعرابى : إن الآمال قَطَعت أعناق الرجال ، كالسراب : غرَّ من رآه ، وأخلف من رجاه .

وقال أعرابى لصاحب له : اصحب من يتناسى معروفهُ عندك ، ويتذكر حقوقَكَ عليه .

وقال أعرابي : لا تسأل عمن يفرّ من أن تسأله ، ولكن سل مَن أمَرَك أن تسأله ، وهو الله تعالى .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشتكى ؟ قال : تمامَ العِدَّةِ ، وانقضاء المدّةِ .

ونظر أعرابي إلى رجلٍ يشكو ماهو فيه من الضيق والضر ، فقال : ياهذا ، أتشكو مَنْ يرحَمُك إلى من لا يرحَمُكَ . ٥

وقالت أعرابية لابنها : يابنيّ ، إن سؤالك الناسَ مافى أيديهم أشد من الافتقار إليهم ، ومن افتقَرْت إليه هُنْت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تَسأل وتَرغب فإذا ألحتْ عليك الحاجة ولزمك سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول ، فإنه يعطى السائل .

١٠ وقالت أعرابية تُوصى ابناً لها أراد سفرا : يا بُنَيّ ، عليك بتقوى الله فإنها أجدى عليك من كثير غيرك ؛ وإياك والنمائم ، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثّل لنفسك مثالا تستحسنه من غيرك فاحذر عليه واتخذه إماماً ، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء ، فقد أجاد الحلةَ إزارَها ورداءها .

قال الأصمعى : لا تكون الحلة إلا ثوبين : إزاراً ورداء .

١٥ أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عاتقه حول الكعبة :

إنْ تَركبي على قذالى فاركَبي * فطالما حَملْتِنِي وسِرْتِ بِي

فى بطنِكِ المطهِّرِ المطيَّبِ * كم بين هذاك وهذا المرْكَب

وأنشد لآخر كان يطوف بأمه :

ماحجَّ عبدٌ حَجَّةً بأمِّه * فكان فيها مُنْفقاً من كدِّهِ

٢٠ إلا ٱستتمَّ الأجرَ عِند ربِّهِ

قال وسمعت أعرابيا يقول : مابقاء عمرٍ تقطعه الساعات ، وسلامة بَدَنٍ مُعرّض للآفات ! ولقد عَجِبتُ من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذى أحيا له ليلَه وأظمأ له نهاره .

وذكر أهل السلطان عند أعرابي فقال : أما والله لئن عزُّوا فى الدنيا بالجوْر

لقد ذلُّوا فى الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل فان عِوضاً عن كثير باق ، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم .

ووصف أعرابى الدنيا فقال : هى رنقةُ المشارب ، جمة المصائب لا تمتعك الدهر بصاحب .

وقال أعرابى : من كان مطيته الليل والنهار سارا به وإن لم يَسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ . ٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الزهادة فى الدنيا مفتاحُ الرغبة فى الآخرة والزهادة فى الآخرة مفتاحُ الرغبة فى الدنيا .

وقيل لأعرابى وقد مرض : إنك تموت ! قال : وإذا متُّ فإلى أين يُذهَب بى ؟ قالوا : إلى الله ! قال : فما كراهتى أن يذهب بى إلى من لم أر الخير إلا منه ؟ ١٠

وقال أعرابى : من خاف الموت بادره الموت ، ومن لم يُنَحِّ النفس عن الشهوات أسرعت به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك .

وقال أعرابى لصاحب له : والله لئن هملجت إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق ، وإن أبطأت ليُسْرِعَنَّ إليك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون ؛ فلا تغرَّنَّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك . ١٥

وقال أعرابى : خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت .

وقال أعرابىٌّ : حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع ، وأخفافا ترفع ، والخيرَ يُطلب عند غير أهله ، والفقيرَ قد حل غير محله .

وقدم أعرابى إلى السلطان فقال له : قُلِ الحقَّ وإلا أَوْجَعْتُكَ ضرباً ! قال له : وأنت فاعمل به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه أعظمُ مما توعَّدُنى به . ٢٠

وقيل لأعرابى : من أحقُّ الناس بالرحمةِ ؟ قال الكريم يسلَّط عليه اللئيم ، والعاقل يسلط عليه الجاهل .

وقيل له : أى الداعين أحق بالإجابة ؟ قال المظلوم .

وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : من أفرد الله بحاجته .

ونظر عثمان إلى أعرابى فى شَملة غائر العينين مُشرف الحاجبين ناتئ الجبهة ، فقال له : يا أعرابى ، أين ربُّك ؟ قال : بالمرصاد .

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : من نتَج[1] الخير أنتج له فِراخا تطير بأجنحة السرور ؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرًّا مذاقه ، وقضبانه الغيظ ، وثمرته الندم .

وقال أعرابى : الهوى[2] عاجله لذيذ ، وآجله وخيم .

وقيل لأعرابى : إنك لحَسَن الشارة . قال : ذلك عنوان نعمة الله عندى .

قال الأصمعى : ورأيت أعرابيا أمامه شاء فقلت له : لمن هذه الشاء ؟ قال : هى لله عندى .

وقيل لأعرابى : كيف أنت فى دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصى وأرقعه بالاستغفار .

وقال أعرابى : من كساه الحياء ثوبَه خَفِىَ على الناس عيبه .

وقال : بئس الزاد التعدى على العباد .

وقال : التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة .

وقال : من ثقل على صديقه خفّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .

قال وسمعت أعرابيا يقول لابنه وهو يعاتبه : لا تتوهمن ـ على من يستدل على غائب الأمور بشاهدها ـ الغفلة عن أمور يعاينها ، فتكون بنفسك بدأت ، وحظَّك أخطأت .

ونظر أعرابى إلى رجل حسن الوجه بَضِّه فقال : إنى أرى وجها ما عَلِقه

(١) فى بعض الأصول : « ولد » .
(٢) فى بعض الأصول : « الشر » .

بُرْدُ وُضُوء السَّحَر ، ولا هو بالذى قال فيه الشاعر :

من كلِّ مجتهدٍ يرَى أوصالَه ٭ صومُ النهار وسجدة(١) الأسحار

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا ينشد :

وإذا أظهرْتَ أمراً حَسَنا ٭ فليكن أحسن منه ما تُسِرّ

فمُسِرُّ الخير مَوسومٌ به ٭ ومُسِرُّ الشرِّ مَوسومٌ بِشَرّ ٥

وقول الأعرابى هذا على ما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسر امرؤٌ سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر .

قال : وأنشدنى أعرابى :

وما هــــذه الأيام إلَّا مُعــارةٌ ٭ فما اسطعْت من معْروفها فتزوَّدِ

فإنك لا تدرى بأيَّة بـــلدةٍ ٭ تموت ولا ما يُحدِث الله فى غدِ ١٠

يقولون لا تَبعَدْ ومَن يك مُسدَلاً ٭ على وجهه سِتْرٌ من الأرض يَبعَدِ

وقال أعرابى : أعجز الناس من قصَّر فى طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيَّع من ظفر به منهم .

وقال أعرابى لابنه : لا يسرك أن تغلب بالشر ؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب .

وقال أعرابى لأخ له : قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه . ١٥ فإن حظك من عطيته السؤال .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره .

وشهد أعرابى عند سوار القاضى بشهادة ، فقال له : يا أعرابى ، إن مدانا لا يجرى من العتاق فيه إلا الجياد . قال : لئن كشفت لتجدنِّى عثوراً ! فسأل ٢٠ عنه سوار فأُخبر بفضل وصلاح ، فقال له : يا أعرابى ، أنت ممن يجرى فى ميداننا . قال : ذلك بستر الله .

(١) فى بعض الأصول : « وسهرة » .

وقال أعرابي : والله لولا أن المروءة ثقيل محملها ، شديدة مؤنتها ، ما ترك اللئام للكرام شيئاً .

احتُضر أعرابي ، فقال له بنوه : عظنا يا أبت . فقال : عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوا عليكم .

٥ ودخل أعرابي على بعض الملوك فى شملة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : إن الشملة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .

مرّ أعرابي بقوم يدفنون جارية ، فقال نعم الصهر ما صاهرتم ! وأنشد :

وفى الأعياص أكفاءٌ لليْلى * وفى لحدٍ لها كُفءٌ كريمُ

وقال أعرابي : رب رجل سِره منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه

١٠ قلبه التحاف الجناح على الخوافى .

ومرّ أعرابيان برجل صَلَبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية ! وقال الآخر : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحق فالجِذْع راحلته .

العتبي عن زيد بن عُمارة ، قال : سمعت أعرابيا يقول لأخيه وهو يبنى

١٥ منزلا : يا أخى :

أنت فى دارِ شَتَاتٍ * فتأَهّبْ لِشتاتِكْ

واجعل الدُّنيا كيوْمٍ * صُمْتَه عن شهواتِكْ

واجعل الفِطْر إذا ما * نِلْتَه يوم مماتك

واطلبِ الفوْز بعيش الز * هد[1] من طول حياتك

٢٠ ثم أطرق حينا ورفع رأسه وهو يقول :

قائدُ الغَفْلة الأمل * والهوى قائدُ الزَّلل

قَتَلَ الجهلُ أهله * ونجا كلُّ من عقلْ

(١) فى بعض الأصول : « الدهر » .

فاغتنم دولة السّلا ٭ مة واستأنف العملْ
أيها المُبتنى القصو ٭ رَ وقد شاب واكتَهلْ
أخبَر الشَّيْب عنك أنـك فى آخر الأجل
فعلامَ الوقوفُ فى ٭ عَرْصة العجز والكسل
أنت فى منزلٍ إذا ٭ حَلَّه نازلٌ رَحلْ ٥
منزل لم يَزل يَضيقُ ويَنبو بمن نزل
فتأهّب لرحلة ٭ ليس يسعى بها جَمل
رِحلةٍ لم تزل على الدهر مكروهة القَفَلْ

لأعرابى فى السر — وقيل لأعرابى: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما جوفى له إلا قبر.

لآخر فى الوفاء — وقال أعرابى: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل. ودوام عهده، فانظر إلى ١٠ حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكائه على مامضى من زمانه.

لآخر فيما يضيع الأمور — وقال أعرابى: إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه ـ ضاعت الأمور.

لآخر فى القدر — وسئل أعرابى عن القدر فقال: الناظر فى قدَر الله كالناظر فى عين الشمس: يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها. ١٥

وسئل آخر عن القدر فقال: علمٌ اختصمتْ فيه العقول، وتقاول فيه المختلفون، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه.

وقال أعرابى تكوير[1] الليل والنهار، لا يُبْقِى على الأعمار، ولا لأحد فيه الخيار.

الحجاج وأعرابى — أبو حاتم عن الأصمعى قال: خرج الحَجاج ذات يوم فأصحر، وحضر ٢٠ غداؤه فقال: اطلبوا من يتغدّى معنا. فطلبوا، فلم يجدوا إلا أعرابياً فى شملة، فأتوه به، قال له: هلم. قال له: قد دعانى من هو أكرم منك فأجبتُه! قال:

(١) فى بعض الأصول: «تعاور».

ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعانى إلى الصيام ، فأنا صائم . قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حَر ؟ قال صمت ليوم هو أحرّ منه ! قال فأفطر اليوم وتصوم غدا . قال : ويضمن لى الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلى قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجِلٍ ليس إليه سبيل ! قال : إنه طعام طيب . قال : والله ماطيّبه خبازك ولا طباخك ، ولكن طيبته العافية ! قال الحجاج : تالله ٥ مارأيت كاليوم ، أخرجوه عنى .

لأعرابى

أبو الفضل الرياشى قال : أنشدنا أعرابى :

أباكِيَة رزيْنةُ إن أتاها * نعِيِّى أمْ يكونُ لها اصْطِبارُ

إذا ما أهلُ وُدّى ودَّعونِى * وراحوا والأكُفُّ بها غُبارُ

١٠ وغُودِرَ أعْظِمِى فى لحدِ قبْرٍ * تعاوَرُهُ الجنائِبُ والقِطارُ

تظَلُّ الرِّيحُ عاصفةً عليهِ * ويَرعَى حولَهُ اللَّهِقُ النَّوَارُ

فذاكَ النَّأْىُ لا الهِجرانُ حوْلا * وحَوْلا ثم تجمَعُنا الدِّيارُ

لليلى الأخيلية

وهذا نظير قول ليلى الأخيلية :

لعَمْرُكَ ماالهِجرانُ أن تَشْحَط النَّوَى * ولكِنما الهجرانُ ماغيَّبَ القَبرُ

للخنساء

١٥ ونظيره قول خنساء :

نأْىُ الخَليلينِ كوْنُ الأرضِ بينهما * هذا عليها وهذا تحتَها رِمَما

لبعض الشعراء

وأنشد الآخر :

إذا ما المنايا أخطأتْك وصادفتْ * حبيبَكَ فاعْلمْ أنها ستَعودُ

عمر وأعرابى بالجبانة

الرياشى قال : مَرَّ عمر بن الخطاب بالجبّانة فإذا هو بأعرابىّ ، فقال : ماتصنع ٢٠ هنا ياأعرابى فى هذه الديار الموحشة ؟ قال : وديعة لى هاهنا ياأمير المؤمنين . قال : وما وديعتك ؟ قال : بُنَىٌّ لى دفنته ، فأنا أخرج إليه كل يوم أندبه . قال : فاندبه حتى أسمع . فأنشأ يقول :

ياغائباً ما يؤُوبُ من سَفرهْ * عاجَله موتُه على صِغَرهْ

يا قرّةَ العَيْنِ كنتَ لى سكَنا * فى طولِ ليْلِى نعمْ وفى قِصَرِهْ
شرِبْت كأساً أبوكَ شارِبُها * لابُدَّ يوماً له على كِبَرِهْ
يشرَبُها والأنامُ كلُّهُمُ * مَنْ كان فى بَدوِهِ وفى حَضَرِهْ
فالحمــدُ للهِ لاشَريكَ لهُ * الموتُ فى حُكمِهِ وفى قدرِهْ
قد قُسِّم العمر[1] فى العِبادِ فما * يقدِرُ خلْقٌ يزيدُ فى عُمرِهْ ٥

قولهم فى المدح

لـضهم فى المدح

ذكر أعرابى قوما عُبادا ، فقال : تركوا والله النعيم ليتنعموا ؛ لهم عبرات متدافعة ، وزفرات متتابعة ، لا تراهم إلا فى وجه وجيه عند الله .

وذكر أعرابىّ قوما فقال : أدّبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ؛ فلم تغرُرْهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى به قطع الناس مسافة آجالهم ؛ فدلّت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالوُجْد [2] فأحسنوا المقال ، وشَفعوه بالفعال . ١٠

وسئل أعرابى عن قوم فقال : كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ؛ وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها ؛ فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم ؛ إنما قومى البحر . ما ألقمتَه التقَم . ١٥

وذكر أعرابى قوما فقال : مارأيت أسرع [منهم] إلى داع بليل على فرس حسيب وجمل نجيب . ثم لا ينتظر الأولُ السابق الآخرَ اللاحن .

وذكر أعرابى قوما فقال : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم . فالخير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ؛ فيعطونها بطيبة أنفسهم إذا طلبت إليهم . ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغى لديهم . ٢٠

وذكر أعرابى قوما فقال : والله ما أنالوا شيئا بأطراف أناملهم إلا وطئناه

(١) فى بعض الأصول : « الموت » .
(٢) الوجد : الغنى والسعة .

بأخماص أقدامنا ؛ وإن أقصى هممهم لأدنى فعالنا .

وذكر أعرابى أميرا فقال : إذا ولى لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيونَ على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسيء خائف .

ودخل أعرابى على رجل من الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلنى زماما من أزمتك تجرّبه الأعداء ، فإنى مِسْعَر حرْب ، وركّاب نُجب ، شديد على الأعداء لين على الأصدقاء ؛ منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، نومى غِرار ، قد غَذَتْنى الحرب بأفاويقها ، وحلبت الدهر أشطره ؛ ولا تمنعك منى الدمامة ؛ فإن من تحتها شهامة .

وذكر أعرابى رجلا ببراعة المنطق فقال : كان والله بارع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربىّ اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشى الكلام ، بليل الريق ، قليل الحركات ، ساكن الإشارات .

وذكر أعرابى رجلا فقال : رأيت له حلما وأناة ، يحدثك الحديث على مقاطعه ، ينشدك الشعر على مدارجه ، فلا تسمع له لحنا ولا إحالة .

العتبى قال : ذكر أعرابى قوما ، فقال : آلت سيوفهم ألّا تقضى دينا عليهم ، ولا تضيّع حقا لهم ، فما أُخذَ منهم مردود إليهم ، وما أَخَذُوا متروكٌ لهم .

ومدح أعرابى رجلا ، فقال : ما رأيت عينا قط أخرقَ لظلمة الليل من عينه ولحظةً أشبه بلهيب النار من لحظته ؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة كجرأة الليث إذا غضب .

ومدح أعرابى رجلا فقال : كان الفهمُ منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ؛ لم أر أحدا أَرْتقَ لخلل الرأى منه ، بعيد مسافة العقل ومَراد الطرف ، إنما يرمى بهمته حيث أشار الكرم .

ومدح أعرابىّ رجلا فقال : ذاك والله فسيح النسب ، مستحكم الأدب ، من أى أقطاره أتيته انتهى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومدح أعرابى رجلا فقال : كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، آمرا بإرشاد ، وناهيا عن فساد ، لحديث السوء غيرَ منقاد .

وقال أعرابى : إن فلاناً « نعم » للسانه قبل أن يخلق لسانه لها : فما تراه الدهر إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج ؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه المذنب ، وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسىء .

وذكر أعرابى رجلا فقال : اشترى والله عِرْضَه من الأذى : فلو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى بعدها عليه حقوقا ، وكان منهاجا للأمور المشكلة إذا تناجز الناس باللائمة .

ومدح أعرابىّ رجلا فقال : كان والله يغسل من العار وجوها مسودة ، ويفتح من الرأى عيونا منسدة .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك والله ينفع سلمه ولا يستمر ظلمه : إن قال فعل ، وإن ولى عدل .

ومدح أعرابى رجلا فقال : ذاك والله يعنى فى طلب المكارم ، غير ضالّ فى مسالك طرقها ، ولا مُشتغل عنها بغيرها .

وذكر أعرابى رجلا فقال : يفوِّق [1] الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم من الرمِيَّة ، فما أصاب قتل ، وما أخطأ أشوى ، وما عظعظ له سهم منذ تحرك لسانه فى فيه .

وذكر أعرابى أخاه فقال : كان والله رَكوبا للأهوال ، غير ألوف لربّات الحِجال ؛ إذا أرعد القوم من غير كرّ [2] ، يهين نفسا كريمة على قومها ، غير مبقية لغد ما فى يومها .

ومدح رجل رجلا فقال : كأن الألسن ريضت فما تنعقد إلا على ودِّه ، ولا تنطق إلا بثنائه .

---

(١) فى بعض الأصول : « يسدد » .
(٢) فى بعض الأصول : « قر » .

ومدح أعرابى رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصولا ، وللمال بَذولا ، وكان الوفاء بهما عليه كفيلا ، فمن فاضله كان مفضولا .

وقيل لأعرابى : ما البلاغة ؟ قال : التباعد من حشو الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير .

٥ ومدح أعرابى رجلا فقال : كان والله من شجر لا يخلف ثمره ، ومن بحر لا يخاف كدره .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك والله فتى زانه الله بالخير ناشئا ، فأحسن لبسه ، وزين به نفسه .

ومدح أعرابى رجلا فقال : يصم أذنيه عن استماع الخَنا ، ويخرس لسانه

١٠ عن التكلم به ؛ فهو الماء الشريب ، والمصقع الخطيب .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك رجل سبق إلىّ معروفه قبل طلبى إليه ، فالعرض وافر ، والوجه بمائه ؛ وما أستقل بنعمة إلا أثقلنى[1] بأخرى .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك رضيع الجود والمفطوم به ، عَيِيّ[2] عن الفحشاء ، معتصم بالتقوى ؛ إذا خَرست[3] الألسن عن الرأى حذف بالصواب

١٥ كما يَحذف الأرنب ؛ فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام القوم سابقا .

وذكر أعرابى رجلا فقال : إن جليسه لطِيب عشرته أطربُ من الإبل على الحداء ، والثمل على الغناء .

وذكر أعرابى رجلا فقال : كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه

٢٠ كذب ، كأنه الوبْل عند المحْل .

(١) فى بعض الاصول : « أقفلنى » .

(٢) فى بعض الاصول : « عقيم » .

(٣) فى بعض الاصول : « حذفت » .

وذكر أعرابى رجلا فقال : مارأيت أعشق للمعروف منه ، ومارأيت المنكر أبغض لأحد منه [١] .

وقدم أعرابى البادية وقد نال من بنى برمك ، فقيل له : كيف رأيتهم ؟ قال : رأيتهم قد أنست بهم النعمة كأنها من بناتهم [٢] .

قال : وذكر أعرابى رجلا فقال : مازال يبنى المجد ، ويشترى الحمد ، حتى بلغ منه الجهد . ٥

ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال : إن جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح ، وإنى والله مارأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك . ثم أنشد :

ما لى أرى أبوابَهم مهجورةً ‍ ‍٭ ‍ وكأن بابك مَجمع الأسواقِ ١٠
حابَوكَ أم هابُوك أم شاموا النَّدَى ‍٭ ‍ بيديْك فاجتمعوا من الآفاق
إنى رأيتـك للمكارم عاشقاً ‍٭ ‍ والمكرُمات قليلة العشّاق

لبعض الشعراء — وأنشد أعرابى فى مثل هذا المعنى :

بَنَت المكارمُ وسْط بيتك بيتَها [٣] ‍٭ ‍ فتِلادُها بكَ للصديق مُباحُ
وإذا المكارم أغلقتْ أبوابَها ‍٭ ‍ يوما فأَنت لقُفْلها مِفتاح ١٥

لشاعر فى بنى المهلب — وأنشد أعرابى فى بنى المهلّب :

قدِمتُ على آل المُهلّب شاتياً ‍٭ ‍ قصيًّا بعيد الدار فى زمن المَحْلِ
فما زال بى إلْطافُهم وافتقادُهم ‍٭ ‍ وبِرهم حتى حسبْتهم أهلى

لأعرابى فى مثله — وأنشد أعرابى :

كأنكَ فى الكتاب وجدْت لاءً ‍٭ ‍ مُحرَّمةً عليك فما تَحلُّ ٢٠

---

(١) فى بعض الأصول : « بغضه » .
(٢) فى بعض الأصول : « ثيابهم » .
(٣) فى بعض الأصول : « كهفها » .

وما تَدرى إذا أعطيتَ مالا ۞ أتُكثِر من سماحك أم تُقل
إذا دخل الشتاء فأنت شمس ۞ وإن دخل المَصيف فأنت ظل

لشاعر فى عمر ابن عبد العزيز

وقال أعرابى فى مدح عمر بن عبد العزيز :

مُقابل الأعْراق فى الطاب الطاب ۞ بين أبى العاص وآل الخطابْ

لشاعر

٥ وأنشد أعرابى :

لنا جَوَادٌ أعارَ النَّيلَ نائله ۞ والنَّيل يَشكر منه كثرةَ النيْلِ
إن بارز الشمسَ ألقى الشمس مُظلمةً ۞ أو زاحمَ الصُّم ألجاها إلى المَيْل
أهْدَى من النَّجْم إن تأتيه مشكِلةٌ ۞ وعند إمضائِه أمضى من السيْل
والموتُ يَرهب أن يلقى منيَّته ۞ فى شدِّه عند لفِّ الخيْل بالخيل

١٠ قولهم فى الذمّ

لبعض الأعراب

الأصمعى قال : ذكر أعرابى قوما فقال : أولئك سُلخت أقفاؤهم بالهجاء ، ودُبغت وجوههم باللؤم ؛ لباسهم فى الدنيا الملامة ، وزادهم إلى الآخرة الندامة .

قال : وذكر أعرابى قوما فقال : لهم بيوت تُدخَل حبْواً إلى غير نمارق ١٥ ولا وسائد ، فُصْحُ الألسن بِرَدّ السائل ؛ جُعْد الأكف عن النائل .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : لقد صغَّر فلانا فى عينى عظم الدنيا فى عينه ، وكأنما يرى السائلَ إذا أتاه ، ملَك الموت إذا رآه .

وسئل أعرابى عن رجل ، فقال : ماظنكم بسِكير لا يفيق ، يتهم الصديق ، ويعصى الشفيق ، لا يكون فى موضِع إلا حرمتْ فيه الصلاة ، ولو أفلتت كلمة ٢٠ سوء لم تصر إلا إليه ، ولو نزلت لعنة من السماء لم تقع إلا عليه .

وذكر أعرابى قوما فقال : أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم ؛ يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء .

وذكر أعرابى رجلا فقال : إن فلانا ليُعدِى بإثمه من تسمّى باسمه ، ولئن خيبنى فلرب باقية قد ضاعت فى طلب رجل كريم .

وذكر أعرابى رجلا فقال : تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده ببُدور الآثام ، مُعدِم مما تُحب ، مُثْر[1] مما تكره . وصاحب السوء قطعة من النار

٥ وقال أعرابى لرجل : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوّف ، وإذا حدّث حلف ، وإذا وعد أخلف ؛ تنظر نظر حسود ، وتُعرض إعراض حَقود .

وسافر أعرابى إلى رجل فحرَمه ، فقال لما سئل عن سفره : ماربحنا فى سفرنا إلا ما قصّرْنا من صلاتنا ؛ فأمّا الذى لقينا من الهواجر ، ولقيتْ منا الأباعر ، فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا . ثم أنشأ يقول :

١٠ رجَعنا سالمين كما خرجْنا * وما خابتْ سرِيّة سالمِينا

لشاعر فى الهجاء — وقال أعرابى :

لمّا رأيتُك لا فاجراً * قويًّا ولا أنت بالزاهد

ولا أنت بالرجل المتّقِى * ولا أنت بالرجل العابد

عرضْتك فى السُّوق سوقِ الرقيق * وناديتُ هل فيك من زائد

١٥ على رجلٍ خان وُدّ الصديق[2] * كَفورٍ بأنعُمه جاحد

فما جاءنى رجل واحد * يَزيد على درهم واحد

سِوى رجلٍ زادنى دانقاً * ولم يك فى ذاك بالجاهد

فبِعتك منه بلا شاهدٍ * مخافةَ ردّك بالشاهد

وأُبت إلى منزلى غانما * وحلّ البلاء على الناقد

٢٠ لبعض الأعراب — قال : وذكر أعرابى رجلا ، قال : كان إذا رآنى قرّب من حاجب حاجبا ، فأقول له : لا تُقبّح وجهك إلى قُبحه ، فوالله ما أتيتك لطمعٍ راغبا ، ولا لخوف راهبا .

(١) فى بعض الأصول « مكثر » .

(٢) فى بعض الأصول « خائن للصديق » .

وذم أعرابي رجلا فقال : عبد الفعال ، حر المقال ؛ عظيم الرواق ، دنىء الأخلاق ؛ الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه .

وذم أعرابي رجلا فقال : ضيق الصدر ، صغير القدر ، عظيم الكبر ، قصير الشبر ، لئيم النَّجر ، كثير الفخر .

٥ وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد ؛ إقبالُ حظهم إدبارُ حظ الكرام ، شجرٌ أصولُه عند فروعه ، شغلهم عن المعروف رغبتُهم في المنكر .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذاك يتيم [1] ، أعْيا ما يكون عند جلسائه أبلَغ ما يكون عند نفسه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : ذلك إلى من يداوى عقلَه من الجهل ، أحوجُ منه

١٠ إلى من يداوى بدنَه من المرض ؛ إنه لا مرض أوْجع من قلة عقل .

وذكر أعرابي رجلا لم يدرك بثأره ، فقال : كيف يدرك بثأره من في صدره من اللؤم حشو مرفقته ؛ ولو دُقّت بوجهه الحجارة لرضّها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها .

وذكر أعرابي رجلا فقال : تسهر والله زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعا ؛

١٥ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ؛ كالبهيمة أكلت ما جمعت ، ونكحت ما وجدت .

وسمع أعرابي رجلا يزعق ، فقال : ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم ، ولست بواحد منهما ؛ وأراك يخف عليك ثقلُ الذنوب فيحسّن عندك مقابحَ العيوب .

وذكر أعرابي رجلا بضعف فقال : سيئ الروية ، قليل التقية ، كثير السعاية ،

٢٠ ضعيف النكاية .

وذكر أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه : وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال .

وذكر أعرابي رجلا بذلة فقال : عاش خاملا ومات موتورا .

(١) في بعض الأصول : « سم » .

وذكر قوما فقال : أُلبسوا نعمة ثم عُرُّوا منها فقال : ما كانت النعمة إلا طيفا لما انتبهوا لها ذهبت عنهم .

وذم أعرابى رجلا فقال : هو كعبد القِنّ يسرك شاهدا ويسوءك غائبا .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : أمكن اللهُ منك عدوًّا حسودا ، وفجع بك صديقا ودُودا ؛ وسلط عليك هَمًّا يضنيك ، وجاراً يؤذيك . ٥

وقال أعرابى لرجل شريف البيت دنىء الهمة : ما أحوجك أن يكون عِرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه .

وذكر أعرابى رجلا فقال : إن حدثته يسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكتّ عنه أخذ فى الترّهات .

وذكر أعرابى أميرا فقال : يصل النشوة ، ويقضى بالعَشْوة ، ويقبل الرشوة . ١٠

وذكر أعرابى رجلا راكبا هواه ، فقال : والله لهو أسرع [1] إلى مايهواه ، من الأَسن [2] إلى راكد المياه ، أفقره ذلك أو أغناه .

وقال أعرابى : ليتَ فلانا أقالنى من حسن ظنى به ، فأختمَ بصواب إذ بدأت بخطإ ؛ ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالذم إلى من يستوجب المدح . ١٥

وقال أعرابى لرجل : هل أنت إلا أنت لم تغير ! ولو كنتَ من حديد وُضعت على أتون محمىّ لم تذب .

وسمعت أعرابيا يقول لأخيه : قد كنت نهيتك أن تدنس عِرضك بعِرض فلان ، وأعلمتُك أنه سمين المال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصير عمر الغنى ، طويل عمر الفقر . ٢٠

أقبل أعرابى إلى سوّار فلم يصادف عنده ما أحب ، فقال فيه :

رأيتُ لى رُؤْيا وعبّرْتُها ۝ وكنْت لِلأحلامِ عبّارَا

(١) فى بعض الأصول : « أقصد » .

(٢) فى بعض الأصول : « الطرق » .

بأنى أخبط فى ليلتى * كلباً فكانَ الكلبُ سوّارَا

وقال أعرابى فى ابن عم له يسمى زيادا : لشاعر فى ابن عم له

من يبادلنى قريباً * ببعيد من إيادِ ؟

من يقادرْ، من يطافِس * من ينـاذِل بزيادِ

٥ وقال سعيد بن سلم الباهلى : مدحنى أعرابىّ ، فاستبطأ الثواب فقال : فى هجاء ابن سلم

لكلِّ أخى مدحٍ ثوابٌ يُعِدُّه * وليس لِمدْحِ الباهلىِّ ثوابُ

مَدَحت سَعيدا والمديح مَهزَّة * فكان كصفْوانٍ ، عليهِ تُراب

وقال أيضا :

وإنَّ من غايةِ حرْصِ الفتى * طِلابَه المعروفَ فى باهلَه

١٠ كبيرُهم وغْدٌ ومولودُهم * تلعنُه فى قُبحِه القـابِله

وقال أيضا :

سبَكناهُ ونحسَبهُ لُجيناً * فأبدَى الكيرُ عن خَبثِ الحديدِ

وقال فيه :

لمَّا رآنا فرَّ بوّابُه * وأُنسدَّ من غير يدٍ بابُه

١٥ وعِنْدهُ من مَقْتِه حاجبٌ * يحجبه إنْ غابَ حُجّابه

دخل أعرابى على المساور بن هند وهو على الرىّ ، فلم يعطه شيئا ؛ فخرج وهو يقول : فى هجاء المساور

أتيتُ المساورَ فى حاجةٍ * فما زال يَسْعُلُ حتى ضَرط

وحكَّ قفاهُ بِكُرْسـوعِهِ * ومسّحَ عُثنونَه وامْتخَط

٢٠ فأمسكْت عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقطِّع شَرْجَ السَّفَط

فأُقسمُ لو عُدْتُ فى حاجتى * لَلطّخ بالسلْح وجْه النَّمط

وقال غَلطنا حِسابَ الخَرَاج * فقلْت مِنَ الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغلط . حتى هرب من غير

عزل إلى بلاد أصبهان .

في رجل قصير

أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :

يكادُ خليلي من تَقاربِ شخصِهِ * يَعضُّ القرادُ اسْتَهُ وهو قائمُ

في امرأة قبيحة

وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : ترخي ذيلها على عرقوبَيْ نعامة ، وتسدل خمارها على وجه كالجعالة .

لبعض الأعراب

العتبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لاترك الله مُخًّا في سُلامَى ناقة حملتني إليك وللداعي عليها أحق بالدعاء عليه ؛ إذ كلفها المسير إليك .

وقال أعرابي لابن الزبير لا بُوركت ناقةٌ حملتْني إليك . قال : إنَّ وصاحبها .

قوله : إنّ ، يريد « نعم » . قال قيس الرقيات :

وتقُولُ شَيْبٌ قد عَلا * كَ وقد كبِرْتَ فقلْتُ إنَّه

يريد : نعم .

وذكر أعرابي رجلا ، فقال : لا يؤنس جارا ، ولا يؤهل دارا ، ولا يُثقِب [1] نارا .

وسأل أعرابي رجلا فحرمه ، فقال له أخوه : نزلت والله بواد غيرِ ممطور ، وبرجل غير مبرور [2] ؛ فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ؛ فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ؛ كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها دَبّة ، وكأن استها رُقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عِفْرِيَته يقاتل ديكا .

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنكِ لمشرفة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبعت بطرت ، وإن جعتِ صخبتِ ، وإن رأيتِ حسناً دفنتيه ، وإن رأيتِ سيئاً أذعتيه ؛ تكرمين من حقرك ، وتحقرين من أكرمك .

(١) في بعض الأصول : « يبعث » .

(٢) في بعض الأصول : « مسرور » .

في هجاء امرأة

وهجا أعرابي امرأته فقال:

يا بِكْر حوّاء من الأولاد * وأمَّ آلافٍ من العبادِ
عُمرُكِ ممدودٌ إلى التّنادى * فحدِّثينا بحديثٍ عادِ
والعهدِ من فرعوْن ذى الأوتاد * يا أقدم العالَم فى الميلاد
إنىَ من شخصك فى جهاد ٥

في عجوز

وقال أعرابي في امرأة تزوجها، وقد خطَبها شابة طربة ودسوا إليه عجوزاً:

عجوزٌ تُرَجِّى أن تكون فتيَّةً * وقد نَحل الجنْبان واحدَوْدَب الظَّهر
تَدسُّ إلى العطَّار سلعة[1] أهلِها * وهل يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ
تزوّجتُها قبل المِحاق[2] بليْلةٍ * فكان مُحاقاً كله ذلك الشهر
وما غرّنى إلا خِضابٌ بكفِّها * وكحلٌ بعيْنيْها وأثوابُها الصُّفْر ١٠

وقال فيها:

ولا تستطيع الكحلَ من ضِيق عيْنها * فإن عالجتْه صار فوْق المحاجرِ
وفى حاجبيْها حَزَّةٌ كغِرارة * فإن حُلِقا كانا ثلاث غرائرِ
وثَديان أمّا واحدٌ فهو مِزْوَدٌ * وآخَرُ فيه قِرْبةٌ للمسافر

١٥ وقال فيها:

لها جسم بُرغوث وساقَا بعوضةٍ * ووجهٌ كوجهِ القرد بل هو أقبح
وتَبرُق عيْناها إذا ما رأيْتَها * وتَعبِسُ فى وجه الضَّجيع وتكلحُ
لها مَضحكٌ كالحَشِّ تحسَب أنها * إذا ضحكتْ فى أوْجُه القوْم تَسلح
وتَفتح ـ لا كانت ـ فماً لو رأيْتَه * توهَّمتَه باباً من النار يُفتح
إذا عاين الشيْطان صورة وجهها * تعوّذ منها حين يُمسى ويُصبح ٢٠

(١) فى بعض الأصول: «ميرة».
(٢) فى بعض الأصول: «الهلال».

في سوداء

وقال أعرابى فى سوداء :

كأنها والكحلُ فى مِرْوَدِها * تَكحَل عيْنيها ببعض جلدها

وقال فيها :

أشبَهكِ المسك وأشبهته * قائمةً فى لونه قاعدهْ

لاشكّ إذ لونُكما واحدٌ * أنكما من طينةٍ واحدهْ ٥

لكثير فى نصيب

وقال كُثيِّر فى نصيب بن رباح ، وكان أسود :

رأيت أبا الحَجْناء فى الناس حائراً * ولون أبى الحجناء لون البهائم

تراه على مالاَحَه من سَـــوادِه * وإن كان مظلوماً له وجهُ ظالمِ

أعرابى وعامل

وقال رجل من العمال لأعرابى : ما أحسبكِ تعرف كم تصلى فى كل يوم وليلة !

فقال له : فإن عرفتَ أتجعل لى على نفسك مسألة ؟ قال : نعم . قال : ١٠

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهُنّ أربعُ

ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّع

قال : صدقت ، هات مسألتك ؟ قال له : كم فقار ظهرِك ؟ قال : لا أدرى .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك ؟

قولهم فى الغَزَل ١٥

لبعض الأعراب

ذكر أعرابى امرأة فقال : لهــا جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفى كل عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابى امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونَها لولا ماتم منهــا وما نقص منه .

وقال أعرابى فى امرأة ودّعها للسير : والله مارأيت دمعة ترقرق من عين ٢٠ بإثمد على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أمطرتْها عينُها فأعشب لهـا قلبي .

قال : سمعت أعرابيا يقول : إن لى قلباً مَروعا ، وعيناً دَموعا ؛ فمــاذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما ، دواؤهما ، وسقَمهما شفاؤهما ؟

وقال أعرابى : دخلت البصرة ، فرأيت أعينا دُعجا ، وحواجب زُجّا ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب .

وذكر أعرابى امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرتنيه ، قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب[1] ما أحل الله مما حرّم الإشارة بغير باس ، والتقرب من غير مساس .

وذكر أعرابى امرأة فقال : هى أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا ؛ ولقد تقطعت كبدى للعاشقين . لوم العاذلين قِرَطةٌ فى آذانهم ، ولوعات الحب جَمرات على أبدانهم[2] ، مع دموع على المغانى ، كغروب السوانى .

وذكر أعرابى امرأة فقال : لقد نعمتْ عينٌ نظرت إليها ، وشقى قلب تفجع عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بى طرْفها ، ويتجهّمنى لسانها . قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إنى ذاكرٌ لها وبينى وبينها عَدْوَةُ الطائر ، فأجد لِذِكرِها ريح المسك .

وذكر أعرابى نِسْوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق كأعناق اليعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهنّ وكم مطلق .

قال : وسمعت أعرابيا يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس[3] الشام ؛ والحريص جاحد ، والمُضِل ناشد ؛ ولو خضت إليها النار ما ألمتها[4] .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الهوى هوان ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول ، من أبكته المنازل والطلول .

---

(١) فى بعض الأصول : « أعذب » .
(٢) فى بعض الأصول : « نيران فى أبدانهم » .
(٣) فى بعض الأصول : « أطوار » .
(٤) فى بعض الأصول : « ما ألمستها » .

وقال أعرابى : كنت فى شبابى أعضّ على الملام ، عضّ الجواد على اللجام ، حتى أخذ الشيب بعنان شبابى .

وذكر أعرابى امرأة فقال : إن لسانى لِذِكرها لَذلول ، وإن حبّها لقلبى لَقتول ، وإن قصير الليل بها ليطول .

وصف أعرابى نساء ببلاغة وجمال ، فقال : كلامهنّ أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الوبْل بالمِحل ؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل .

ونظر أعرابى إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذَلْفاء ، ومعها صبى يبكى : فكلما بكى قبلته ؛ فأنشأ يقول :

يا ليْتنِى كنت صبيًا مُرْضَعَا ۝ تحملنى الذَّلفاء حوْلا أكْتعَا
إذا بكيْتُ قبّلتنى أربعا ۝ فلا أزالُ الدهر أبكى أجْمعا

وأنشد أبو الحسن على بن عبد العزيز بمكة لأعرابى :

جاريةٌ فى سَفَوانٍ دارُها ۝ تمشى الهوَيْنا مائلاً خِمارها
قد أعصَرتْ أو قد دَنا إعصارها ۝ يَطير من غُلْمتِها إزارها

العتبى قال : وصف أعرابى امرأة حسناء ، فقال : تَبْسِم عن حُمْش اللثات ، كأقاحى النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقى من راقه .

وقال العتبى : خرجتُ ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها ؛ فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها عَلم ، فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أما لك ناهٍ من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله ما يرانى إلا الكواكب . قالت : فأين مُكوكبها .

ذكر أعرابى امرأة فقال : هى السقم الذى لا بُرء معه ، والبُرء الذى لا سقم معه ؛ وهى أقرب من الحَشا ، وأبعد من السما .

وقال أعرابى وقد نظر إلى جارية بالبصرة فى مأتم :

بَصْريّةٌ لم تُبصر العينُ مثلَها ۝ غدتْ ببياضٍ فى ثياب سوادِ

غَدَوتِ إلى الصحراء تبكينَ هالكا ٭ فأهلكتِ حيا ، كنتِ أشأمَ عادِ !
فيارِبِّ خُذ لى رحمةً من فؤادِها ٭ وحُلْ بين عينيها وبين فؤادى

وقال فى جارية ودّعها :

مالت تُودِّعُنى والدمعُ يَغلبُها ٭ كما يَميلُ نسيمُ الريحِ بالغُصنِ
٥ ثم آستمرّتْ وقالت وهى باكيةٌ ٭ ياليتَ مَعرفتى إيّاك لم تكُنِ

العتبى قال : أنشد أعرابى :

يا زَيْنَ من ولَدتْ حواءُ مِن ولد ٭ لولاكِ لم تَحْسُن الدنيا ولم تطِبِ
أنتِ التى من أراهُ اللهُ صُورتَها ٭ نال الخلودَ فلم يَهرَمْ ولم يَشِبِ

وأنشد الرياشى لأعرابى :

١٠ من دِمْنةٍ خُلقت عيناك فى هَتَنٍ ٭ فما يُردُ البُكا جهلاً من الدّمَنِ
ماكنتِ لِلقلبِ إلا فتنةً عَرَضت ٭ يا حبّذا أنتِ من مَعروضةِ الفِتَن
تسىء سَلْمى وأجزيها به حَسَنا ٭ فمن سِواى يُجازِى السُّوءَ بالحَسَنِ

قال وسمعت أعرابيا يصف امرأة ؛ فقال : بيضاء جعْدَة ، لا يمس الثوبُ منها إلا مُشاشةَ كتفِها ، وحَلَمَتى ثديَيْها ، ورضْفَتَى ركْبتيها ، ورانِفَتَىْ
١٥ أليتيها . وأنشد :

أبتِ الرّوادِفُ والثُّدِىُّ لِقُمصها ٭ مَسَّ البطونِ وأنْ تَمسَّ ظهورا
وإذا الرّياحُ مع العشِىِّ تناوحت ٭ نبّهْن حاسِدَةً وهِجْن غَيورا

لبعض الأعراب — وقال أعرابى : ليت فلانة حظى من أملى ، ولَرُب يوم سِرتُه إليها حتى قبض الليل بصرى دونها ؛ وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمإ .

٢٠ وذكر أعرابى آمرأة فقال : تلك شمسٌ باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى اقتضائها ، وإن نفسى لكتومٌ لدائها ، ولكنها تفيض عند امتلائها .

أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسَ أرضيها التى تَم نورُها ٭ فباهت بها الأرضونَ شمسَ سمائها

شكوتُ وما الشّكوى لِمثْلِيَ عادة * ولكنْ تَفيضُ النّفس عند امتلائها

وقيل لأعرابي : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحب فى القلب فانتقل إلى المعده ؛ إن أطعمتْه شيئا أحبها ، وإلا فلا : كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حَولا ، ويفرح إن رأى مَن رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعده فإذا اجتمعا لم يشكوَا حبا ، ولم ينشدا شعرا ، ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد . ٥

وقال أعرابي :

شكوتُ ! فقالت : كلُّ هذا تبَرُّماً * بِحُبِي ! أراح الله قلبَكَ من حُبِّي

فلمّا كتمْتُ الحبَّ قالت : لَشدَّ ما * صبَرْتَ ! وما هذا بفِعلِ شجِى القلْبِ ! ١٠

وأدْنو فتقْصِينى ، فأبعــدُ طالِبا * رِضاها ، فتعْتدُّ التّباعُدَ من ذَنْبى

فشكْواى تؤذِيها ، وصبرِى يَسوءها * وتَجزَعُ من بُعدى ، وتنْفِرُ من قُرْبى

فيا قومْ هل من حيــلةٍ تعلَمونَها * أشِيروا بها واسْتوجِبوا الشُّكر من ربى

قولهم فى الخيل

لبعض الأعراب — الأصمعى قال : سمعتُ أعرابيا يقول : خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع ، ١٥ كأنّ هواديَها أعلام ، وآذانَها أطرافُ أقلام ، وفرسانُها أسودُ آجام .

أخذ هذا المعنى عدى بن الرقاع فقال :

يخرُجْن من فُرجاتِ النقْعِ داميةً * كأنّ آذانَهـــا أطْرافُ أقلامِ

وقال أعرابي : خرجنا حفاةً حين انتعل كلُّ شىء بظلّه ، وما زادُنا إلا التوكل ولا مطايانا إلا الأرجل ؛ حتى لحقنا القوم . ٢٠

وذكر أعرابي فرساً وسرعته ؛ فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطاناً فى أشطان ، فلما أُرْسِلَتْ لمع لمعَ البرق ؛ فكان أقربها إليه الذى تقع عينُه [من بُعدٍ] عليه .

وقال أعرابى فى فرس الأعور السلمى :

مرّ كلمع البرقِ سام ناظِرُه * يسبَحُ أُولاه ويطفو آخرهْ
فما يَمسُّ الأرض مِنه حافرُه

سئل أعرابى عن سوابق الخيل ، فقال : الذى إذا مشى رَدَى ، وإذا عدا دحا ؛
٥ وإذا استُقبل أقعى ، وإذا استدبر جَبّى[1] ، وإذا اعترض استوى .

وذكر أعرابى خيلا ؛ فقال : والله ما انحدرتْ فى وادٍ إلا ملأت بطنَه ، ولا ركبت بطنَ جبل إلا أسهلت حَزنه .

وقال أعرابى : خرجت على فرس يختال اختيال النّشوان ، نسوفٍ للحزام ؛ مُهارش للجام ؛ فما مَتع النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة .

١٠ قولهم فى الغيث

لامرئ القيس وعبيد بن الأبرص

الأصمعى قال : قلت لأعرابى : أى الناس أوصفُ للغيث ؟ قال : الذى يقول ـ يعنى أمرأ القيس ـ :

دِيمةٌ هَطلاءُ فيها وطَفٌ * طَبقَ الأرضِ تحرّى وتدرّ

قلت : فبعده مَن ؟ قال : الذى يقول ـ يعنى عبيد بن الأبرص ـ :

١٥ يامن لِبَرْقٍ أبيت اللّيْلَ أرقُبه * فى عارضٍ مكْفهِرّ المزن دَلّاحِ
دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدبه * يكاد يدفعه منْ قام بالراح

سليمان وأعرابى

ودخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتك سماء فى وجهك يا أعرابى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحْاء[2] طَخياء وطْفاء ؛ كأن هواديها الدّلاء ، مرَجحِنّة النواحى ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛
٢٠ كثير زَجَلها ، قاصفٌ رعدها ، خاطف برقُها ، حثيثٌ ودْقها ، بطىءٌ سيرها ؛ مُثْعنْجِرٌ قَطرها ، مظلم نوْؤها ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطاونها ، تبحث عن أصوله

(١) فى بعض الأصول « جنأ » .
(٢) فى بعض الأصول : « سماء » .

بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ؛ فلولا اعتصامُنا يا أمير المؤمنين بعضاهِ الشجر ، وتعلقنا بقنن الجبال ، لكنا جُفاء فى بعض الأودية ولقَم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسأ لها فى أجلك ، فهذا ببركتك وعادةِ الله بك على رعيتك ، وصلى الله على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أبيك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت . قال : بل محبرة مزورة[1] يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام أعطه ؛ فو الله لصدقُه أعجب إلينا من صفته .

لأعرابى

قيل لأعرابى : أى الألوان أحسن ؟ قال : قصور بيض فى حدائق خضر .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : بيضة فى روضة غِبَّ سارية والشمس مُكبِّدة .

وقال أعرابى : لقد رأيت بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهى تروع واللابس لها أروع .

العتبى قال : سمعت أعرابيا يقول : مررت ببلد ألقى بها الصيِّفُ بعاعَه ، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أرجائه ، وقد نفت الريح القذى عن مائه ؛ فكأنه سلاسل درع ذات فضول .

شعر لبعض الأعراب

وأنشد أبو عثمان الجاحظ لأعرابى :

أين إخوانُنا على السَّرَّاء ٭ أين أهل القِبابِ والدهناء
جاورونا والأرض مُلبَسة نو ٭ ر إقاحٍ يُجادَ بالأنواءِ
كلَّ يومٍ بأقحوانٍ جديدٍ ٭ تضحكُ الأرضُ من بكاء السماء

لابن مطير

ابن عمران المخزومى قال : أتيت مع أبى والياً على المدينة من قريش ، وعنده أعرابى يقال له ابن مطير ، وإذا مطر جَود ؛ فقال له الوالى : صفه ؛ فقال : دعنى أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم قال :

كثرتْ لكثرةِ ودْقه أطْباؤهُ ٭ فإذا تُحلِّب فاضت الأطباء

(١) فى بعض الأصول : « مهدودة » .

وله ربابٌ هَيْدَبٌ لرقيقه * قبلَ التَّبعُّق ديمَة وطفاء
وكأنّ بارِقهُ حريقٌ تلتَقِى * ريحٌ عليه وعرْفَجٌ وألاء
وكأنّ ريِّقهُ ولمَّا يحتفِــلْ * وَدْق السماءِ عجاجَةٌ طخْياء
مُسْتضْحِكٌ بلوامع مُسْتعْبِرٌ * بمدامع لم تُمْــرِها الأقذاء
٥ فلهُ بِلا حزنٍ ولا بمسرَّةٍ * ضحِك يُؤَلِّفُ بينه وبُكاء
حيْرانُ مُتَّبعٌ صباهُ تقودُهُ * وجنوبهُ كف له ورِهاء
ثقُلتْ كُلاهُ فبَهَّرتْ أصلابهُ * وتبعَّجَتْ عن مائهِ الأحشاء
غدَقٌ تبَعَّجَ بالأباطِحِ مُزِّقتْ * تلك السُّيولُ ومالَها أشلاء
غُرٌ مُحجَّــلةٌ دوالِجُ ضُمِّنت * حَمْلَ اللِّقاحِ وكُلُّها عذراء
١٠ سُحْمٌ فهُنّ إذا عبَسْنَ فواحِمٌ * سودٌ، وهُنَّ إذا ضَحِكْنَ وِضاء
لو كان من لُجَجِ السواحِلِ ماؤُهُ * لم يبْقَ فى لُجج السواحِلِ ماء

هشام وأعرابى يصف له السحاب — قال هشام بن عبد الملك لأعرابى: آخرج فانظر كيف ترى السحاب. فخرج فنظر، ثم انصرف فقال: سفاثن، وإن احتمعت فعين.

قولهم فى البلاغة والإيجاز

لبعض الأعراب — ١٥ قيل لأعرابى: من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة.

الأصمعى قال: خطب رجل فى نكاح فأكثر وطَوّل، فقيل: من يجيبه؟ قال أعرابى: أنا. قيل له: أنت وذاك؟ فالتفت إلى الخاطب فقال: إنى والله ما أنا من تخطيطك وتمطيطك فى شيء؛ قد مَتَتَّ بحرمة، وذكرت حقا، وعظَّمت مرجوًا؛ فحبلك موصول، وفرضك مقبول، وأنت لها كفءٌ كريم، وقد ٢٠ أنكحناك وسلّمنا.

ربيعة الرأى وأعرابى — وتكلم ربيعةُ الرأى يوما فأكثر، فكأن العُجب داخله، وأعرابى إلى جنبه، فأقبل على الأعرابى فقال: ما تعدون البلاغة يا أعرابى؟ قال: قلة[1] الكلام

(١) فى بعض الأصول: «حذف».

وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العىّ ؟ قال : ما كنتَ فيه منذ اليوم ! فكأنما ألقمه حجرا .

شبيب وأعرابى

شبيب بن شيبة قال : لقيت أعرابيا فى طريق مكة ، فقال لى : تكتب ؟ قلت : نعم . قال : ومعك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كمه ، ثم قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عُقيل الطائى لأمَتِه لؤلؤة : إنى أعتقتُكِ لوجه الله واقتحامِ العقبة ، فلا سبيل لى ولا لأحد عليك إلا سبيل الولاء ، والمنةُ علىّ وعليك من الله وحده ، ونحن فى الحق سواء . ثم قال : اكتب شهادتك .

روى أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس ، فسمع عنده قارئا يقرأ : ﴿وكُنْتُم على شفَا حُفرَةٍ من النارِ فأنقذَكم منها﴾ ؛ فقال الأعرابى : والله ما أنقذكم منها وهو يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قولهم فى حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب

قيل لأعرابى : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وقيل لأعرابى : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : عُمْرُ ليلةٍ وأديمُ يوم .

وقال آخر : سوادُ ليلة وبياضُ يوم .

وقيل لأعرابى : كيف كتمانُك للسر ؟ قال : ماصدرى له إلا قبرٌ .

معاوية وأعرابية

قال معاوية لأعرابية : هل من قِرى ؟ قالت : نعم . قال : وما هو ؟ قالت : خُبز خمير ، ولبن فطير ، وماء نمير .

وقيل لأعرابى : فيم كنتم ؟ قال : كُنا بين قِدْر تفور ، وكأس تدور ، وحديث لا يحور .

وقيل لأعرابى : ما أعددتَ للبرد ؟ قال : شدةَ الرعدة ، وقرفصاء القِعدة ، وذَرَبَ المعدة .

وقيل لأعرابى : مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث . قيل له : ما معناه ؟ قال : إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى !

وقال : أضل أعرابى الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ؛ فرفع رأسه إليه متشكراً فقال : ما أدرى ما أقول لك وما أقول فيك ؛ أأقول رفعك الله ! فقد رفعك ؛ أم أقول : نوّرك الله ! فقد نوّرك ؛ أم أقول : حسّنك الله ! فقد ٥
حسّنك ؛ أم أقول : عمّرك الله ! فقد عمّرك ؛ ولكنى أقول : جعلنى اللهُ فِداك !

وقيل لأعرابى : ما تقول فى ابن العم ؟ قال : عدوُّك وعدوُّ عدوِّك .

وقيل لأعرابى وقد أدخل ناقته فى السوق ليبيعها : صف لنا ناقتك . قال : ماطلَبْتُ عليها قط إلا أدركْتُ ، وما طُلِبْتُ إلا فتُّ . قيل له : فلم تبيعها ؟ قال :
١٠ لقول الشاعر :

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أُمَّ عامرٍ * كرائمَ من ربٍّ بِهِنّ ضنينِ

وقيل لأعرابى : كيف ابنك ؟ وكان به عاقا : قال : عذابٌ لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتنى قد استودعتُه القبر .

لشريح — قيل لشريح القاضى : هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابا ؟ قال ما أعلمه
١٥ إلا أن يكون أعرابيا خاصم عندى ويشير بيديه ، فقلت له : أمسك ، فإن لسانك أطولُ من يدك ! قال :

أسامِرِىٌّ أنت لا تُمَسّ

لبعض الأعراب — وقيل لأعرابى : ماعندكم فى البادية طبيب ؟ قال : حُمُرُ الوحش لا تحتاج إلى بيطار .

٢٠ لبعض الأعراب فى الخاتم — وقال أعرابى يصف خاتما ـ فقال : سُيِّف تدوير حَلْقته ، ودُوِّر كُرْسِىُّ فضته ، وأُحكِم تركيبُه ، وأُتقِنَ تدبيرُه ، فيه يتمُّ الملك ، وينفُذُ الأمر ، ويكْرُمُ الكتاب ويشرُف المكتوب إليه .

وقال آخر يصف خاتما :

وأبيضُ أمّا جِسْمُهُ فمُنوّرٌ ... نقيٌّ وأمّا رأسُهُ فمُعارُ
ولم يُكْتسبْ إلا لتسْكُنَ وسْطَهُ ... بزيعة رأسٍ ما عليه خِمارُ
لها أخواتٌ أربعٌ هُنّ مِثلُها ... ولكنها الصُّغرى وهُنّ كِبارُ

قولهم فى المناكح

٥

بين جاريتين

يحي بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعى قال : تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول :

وما يستوى الرِّجلانِ رِجْلٌ صحيحةٌ ... ورِجْلٌ رمَى فيها الزمانُ فشلّتِ

١٠

ثم مرت بعد أيام فقالت :

وما يستوى الثّوْبانِ ثوبٌ به البِلَى ... وثوبٌ بأيدى البائعين جديد

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِنَ الهوى ... ما القلْبُ إلّا للحبيبِ الأوّلِ
كم منزِلٍ فى الأرضِ يألَفُه الفتَى ... وحنينُه أبداً لِأوّلِ منزلِ

أعرابى وولى امرأة

١٥

الأصمعى قال : أخبرنى أعرابى قال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة فزوّجوه : فقال رجل لولىّ المرأة : تعَمَّم لكم فلان فزوجتموه ! فقالوا : ما تعمم لنا حتى تبرقعنا له .

لأعرابية تنصح بنات عمها

أبو حاتم عن الأصمعى قال : قالت أعرابية لبنات عم لها : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بتيسين وكلبين وعَيرين ورَحيين ، فيثِبُ التيسان، وينهق العَيران ، وينبح الكلبان ، وتدور الرحيان ، فيعجّ الوادى : والشقية منكن من يتزوجها الحضرى ، فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخبز ، ويحملها ليلة الزفاف على عود ـ تعنى : سرجا .

٢٠

الأصمعى قال: سمعت أعرابيا يُشارّ امرأته ، فقالت لها أخته . أما والله أيامَ شرخه

إذ كان ينكُتك كما ينكت العظم عن مخه ، لقد كنتِ له تَبوعا ، ومنه سَموعا ؛ فلما لان منه ما كان شديدا ، وأخلَق منه ما كان جديدا ، تغيرت له ! وايمُ الله لئن كان تغير منه البعضُ لقد تغير منك الكل .

لأعرابي في زوجته

وقيل لأعرابي : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش ٥ فمدّت يدها إلى صدري ، فوددت والله أن آجُرَّةً خرت من السقف فقدّت يدها وضلعين من أضلاع صدري ! ثم أنشأ يقول :

لقد كنتُ محتاجًا إلى موت زوجتي ٭ ولكنْ قرينُ السُّوء باقٍ معمَّرُ

فياليتَها صارت إلى القبر عاجلاً ٭ وعذّبها فيه نكيرٌ ومنكَر

لآخر في مثله

وتزوج أعرابي امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت في السنّ ، ١٠ فقالت له : ألم تكن تُرضى إذا غضبتُ ، وتُعتب إذا عَتبت ، وتُشفق[1] إذا أبَيت ؛ فما بالك الآن ؟ قال : ذهب الذى كان يُصلح بيننا .

الأصمعي وأعرابي طلق زوجته

الأصمعي قال : كنت أختلف إلى أعرابي أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أُمامة ، إيذني له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مراراً فلم أسمعه يذكر أمامة ؛ فقلت له : رحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين ! ١٥ قال : فوجم وجمة ندِمتُ على ما كان مني ؛ ثم قال :

ظعَنتْ أمامةُ بالطلاقِ ٭ ونَجوتُ من غُلِّ الوَثاقِ

بانتْ فلم يألَم لها ٭ قلبي ولم تَدمع مآقي

ودواءُ ما لا تشتهيـ ٭ ـه النفسُ تَعجيل الفِراق

والعيشُ ليس يطِيب بيْـ ٭ ـن اثنين في غير اتّفاق

٢٠ لو لم أُرِحْ بفِـــراقها ٭ لأَرحْتُ نفسى بالإباق

لأعرابي طلق امرأته

الأصمعي قال : تزوج أعرابي امرأة فآذَته وافتدى منها بحمار وجُبة ، فقدم عليه ابن عم له من البادية ؛ فسأله عنها ؛ فقال :

(١) في بعض الأصول : « وتسعد » .

خطَلَتْ إلى الشيطان للحيْن بلْتَه ٭ فأدخلها من شِقْوتى فى حِبالِيا
فأنقذَنى منهـا حمـارى وجُبَّتى ٭ جَزى الله خيراً جُبتى وحماريَا

لأعرابى بين يدى زياد

الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى زياد ، فشدّد على الأعرابى ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن خيرَ عُمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ويثوب حلمه ، ويجتمع رأيه ؛ وإن شر عُمُر المرأة آخره ؛ يسوء خلقها ، ويَحِدّ لسانها ، وتَعقم رحمها ! قال له : صدقت ، اسفع بيدها .

لبعض الأعراب فى مثله

قال : وذكرتْ أعرابية زوجها وكان شيخا ! فقالت : ذهب ذَفَرُه ، وبقىَ بَخَره ، وفتَر ذَكَره .

الأصمعى قال : كان أعرابى قبيح طويل خطَب امرأة ؛ فقيل له : أىَّ ضرب تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتى ولدها فى جمالها وطولى . فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدها فى قصرها وقبحه !

قدم أعرابى من طيئ فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجعان ، فقالت له : مَن أنعم عيشا ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ، إلا أنَّا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا أنا نحن أظهر منهم ليلا .

الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيرا ، كبها الله لوجهها ولو أمر بى إلى السجن !

الأصمعى قال : استشارت أعرابية فى رجل تتزوجه ، فقيل لها : لا تفعلى فإنه وُكَلَةٌ تُكَلَة ، يأكل خِلله أى يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل . قال أبو حاتم : هو الخلالة . ووكلة تكلة : إذا كان يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم .

العتبى قال : خَطب إلى أعرابى رجل موسر إحدى ابنتيه . وكان للخاطب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ! قال أبوها : ولمَ ؟ قالت : يومٌ عتاب ، ويوم اكتئاب ، يبلَى فيما بين ذلك الشباب ! قالت الصغرى : زوّجنيه ! قال لها :

على ما سمعت من أختك ؟ قالت : نعم ، يوم تَزَيُّن ، ويوم تسمُّن ، وقد تقر فيها بين ذلك الأعيُن .

لأعرابية ترقص طفلا

الأصمعى قال : رأيت امرأة تُرَقِّص طفلا لها ، وتقول :

أحبّه حُبّ الشحيح مالهْ * قد كان ذاقَ الفقرَ ثمّ نالهْ

٥ إذا أراد بَذلَه بَدا لهْ

أعرابية فقدت زوجها

الأصمعى قال : هلك أعرابى ، فأدمنت امرأته البكاء عليه . فقال بعض بنيها :

أتفقِدين من أبينا غيرَهْ * أتفقِدين نفعه وخيْرَهْ

أَراكِ ما تبْكين إلا أيْرَهْ

فأمسكتْ عن البكاء .

أعرابية وأعرابى ينظر إلى ابنتها

١٠ جلس أعرابى إلى أعرابية ، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها ، فأنشأت تقول :

وما نلتَ منها غيرَ أنكَ نائِكٌ * بعينيْك عينيها وأيْرك خائبُ

لبعض الأعراب

الرياشى قال : أنشدنى العتبى لأعرابى :

ماذا تظن بسلْمى إن ألمَّ بها * مُرجَّل الرأس ذو بُردين مَزَّاحُ

١٥ حُلوٌ فكاهته خزٌّ عمامته * فى كفِّه من رُقَى إبليسَ مِفتاح !

أعرابى وامرأة خطبها

أبو حاتم عن الأصمعى قال : خطب أعرابى امرأة ، فقالت : سل عنى بنى فلان وبنى فلان . قال لها : وما عِلمهم بذلك ؟ قالت : فى كلهم نكحت وكنت ، قال : أراكِ جَلَنْفَعَةً قد خزمتك الخزائم ، قالت : لا ، ولكنْ جوّالة بالرجل عَنتريس .

٢٠ تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال ، فكان يصبر عليها لمالها ، ثم ملّها وتركها ، وكتبتْ إليه تستردّه ، فكتب إليها يقول :

ليس بينى وبين قيس عِتاب * غيرَ طعْن الكُلا وضرْب الرِّقاب

فكتبت إليه : إنه والله ما يريد قيسٌ غير طعن الكلا !

أعرابي خاطب

المفضل الضبي قال : خطب أعرابي آمرأة ، فجعل يخطُبها ويُنعظ ، فضرب ذكره بيده وقال : مَهْ ! إليك يساق الحديث . فأرسلها مثلا .

أبو البيداء

على بن عبد العزيز قال : كان أبو البيداء عِنّينا ، وكان يتجلد ويقول لقومه : زوّجونى امرأتين ! فيقال له : إن فى واحدة كفاية . فيقول : أمالى فلا ! فقالوا : نزوّجك واحدة ، فإن كمتك وإلا زوجناك أخرى . فزوجوه أعرابية ، فلما دخل ٥ بها أقام معها أسبوعا ، فلما كان فى اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا البيداء ، ما كان أمرك فى اليوم الأول ؟ قال : عظيم جدا ! قالوا : فنى الثانى ؟ قال : أجلّ وأعظم ! قالوا : فنى الثالث ؟ قال : لا تسألوا ! فأجابت المرأة من وراء الستر ، فقالت :

١٠ كان أبو البيْداء يَنزو فى الوهَقْ * حتى إذا أُدخل فى بيْتٍ أَبَقْ

فيه غزالٌ حسَنُ آلدَّلِّ خرق * مارَسهُ حتى إذا آرفضَّ العرق

آنكَسَرَ المِفتاح وآنسدّ الغلَقْ

لأعرابى فى امرأته

كانت لأعرابى آمرأة لا تَرُدّ يَد لامس ؛ فقيل له : مالك لا تفارقها ؟ قال : إنها حسناء فلا تُفرك ، وأم بنين فلا تُترك .

لشيخ من الأعراب

١٥ قال شيخ من الأعراب :

أنا شيْخٌ ولى امرأةٌ عجوز * تُراوِدُنى على ما لا يجوز

تريد أنيكُها فى كلِّ يومٍ * وذلك عند أمثالى عزيزُ

وقالت دَقَّ أَيْرُكَ مُذْ كبرنا * فقلت لها بل اتَّسَع القفيز

الأصمعى قال : قال أعرابى فى امرأة تزوجها ، وقد تزوجت قبله خمسة ، وتزوج هو قبلها أربعا ، فلاحتْه يوما ، فقال فيها :

٢٠ لو لابس الشيطانُ ما أُلابِس * أو مارَسَ الغولُ التى أُمارسُ

لأصبح الشيطان وهو عابس * زوّجها أربعةٌ عمارس

فانفلتوا منها ومات الخامس * وساقنى الحين فهانا السادس

وقال فيها :

بُوَيْزِل أعوام أذاعت بخمسة ٭ وتَعْتَدُّنى - إن لم يَقِ الله - ساديا
ومن قبلها غيّبتُ فى الترب أربعا ٭ وأعتدُّها مُذ جئتُها فى رجائيا
كلانا مُطلٌ مشرف لغنيمـــة ٭ يراها ويقضى اللهُ ما كان قاضيا

٥ وقال أعرابى :

أشكو إلى الله عيالًا دَرْدَقا ٭ مُقَرْقَمِين وعجوزا شَمْلقا

الدردق : الصغار . والمقرقم : البطىء الشباب . والشملق السيئة الخلق .

قولهم فى الإعراب

لبعض الأعراب فى معنى هذا العنوان

الأصمعى قال : قلت لأعرابى : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إنى إذاً لرجل سوء ! ١٠ قلت له : أفتجرّ فلسطين ؟ قال : إنى إذاً لقَوِى .

وسمع أعرابى إماما يقرأ : ولا تَنْكِحوا المُشرِكينَ حتى يُؤمِنوا ، قال : ولا إن آمنوا أيضاً ، لا ننكحهم . فقيل له : إنه يلحن ، وليس هذا يُقرأ . فقال : أخّروه قبحه الله ! ولا تجعلوه إماما ؛ فإنه يُحِلُّ ما حرّم الله .

وسمع أعرابى أبا المكنون النحوى وهو يقول فى دعائه يستسق : اللهم ربّنا ١٥ وإلهنا وسيدَنا ومولانا ، صلّ على محمد نبينا ، [اللهم] ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثم أرسخه على هامسته كرُسوخ السِّجِّيل على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثا مريثا مريعا مُجلجلا مُسحنفِرا هزجا سحًّا سَفوحا طبقا غدَقا مُثْعَنجرا صَخِبا نافعا لعامّتنا وغير ضارّ بخاصّتنا . فقال الأعرابى : ياخليفة نوح ، [هذا] الطوفان وربِّ الكعبة ، دعنى حتى آوى إلى ٢٠ جبل يعصمنى من الماء .

الأصمعى قال : أصابت الأرض مجاعة ؛ فلقيت رجلا منهم خارجا من الصحراء كأنه جذعٌ محترق فقلت : أتقرأ فى كتاب الله شيئا ؟ قال : لا . قلت : فأعلمك ؟ قال : ما شئت . قلت : اقرأ ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ . قال : كل ياأيها

الكافرون . قلت : [قُلْ] ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ كما أقول لك . قال : ما أجد لسانى ينطق بذلك .

قال : ورأيت أعرابيا ومعه بُنَىّ له صغير ممسك بفم قربة ، وقد خاف أن تغلبه القربة ؛ فصاح : يا أبت ، أدرِك فاها ، غلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها !

قولهم فى الدَّيْن

٥

لبعض الأعراب

قال أعرابى : الدَّيْن ذُل بالنهار وهمٌّ بالليل .

لبعض الشعراء فى غرمائه

وقال أعرابى فى غرماء له يطالبونه بدَين :

جاءوا إلىّ غِضاباً يَلْغَطون معاً ٭ فقلت موعدكم دار ابن هَبَّار

وما أُواعِـــدُهم إلّا لأَدْرأَهُمْ ٭ عنى فيُحرِجُنى نقْضى وإمرارى

وما جلَبْت إليهم غيْر راحلةٍ ٭ تَخْدِى برَحْلى وسيْفٍ جَفْنُه عارى

١٠

إنّ القضاء سيأْتى دونَه زمنٌ ٭ فاطْوِ الصحيفةَ واحفظْها من النار

الأصمعى قال : كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دين ؛ فلما حل دينه هرب الأعرابى وأنشأ يقول :

إذا حلّ دَيْنُ اليَحْصُبىِّ فقل له ٭ تَزَوّدْ بزادٍ واستعنْ بدليلِ

سيُصبح فوْقى أقْتَم الريش واقعاً ٭ بقالى قَلاَ أو من وراء دبيل

١٥

الأصمعى قال : فأخبرنى رجل أنه رآه مقتولا بقالى قَلا وعليه نَسْر أقتم الريش.

بين أعرابيين

قال الأصمعى : اختصم أعرابيان إلى بعض الولاة فى دَين لأحدهما على صاحبه ؛ فجعل المدَّعَى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال له المدعِى : دعْنى من هذه الأيمان واحْلِفْ بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا ؛ وحَتَّك من أهلك ومالك حتّ الورق من الشجر ، إن لم يكن لى هذا الحق قِبلك ! فأعطاه حقه ولم يحلف له .

٢٠

الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها أعرابى أبداً : لا أورد الله لك صادرة ، ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

قولهم فى النوادر والملح

أبو العباس وأعرابى

الشيبانى قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزهاً بالأنبار ، فأمعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه ؛ فوافى خباء لأعرابى ، فقال له الأعرابى : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة . قال : من أى كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة . قال : فأنت إذاً من قريش ! قال : نعم . قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ! قال : نعم . قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال : فأنت إذاً أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة .

الشيبانى قال : خرج الحجاج متصيدا بالمدينة ، فوقف على أعرابى يرعى إبلا له ، فقال له : يا أعرابى ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابى : غشوم ظلوم ! لا حيّاه الله ! فقال : فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغشم ! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ الحجاج إلى الأعرابى ، فأُخذ وحُمل ؛ فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ! فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ! قال : ما تشاء يا أعرابى ؟ قال : السر الذى بينى وبينك أحب أن يكون مكتوما ! قال : فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله .

يوسف بن عمر ووال

الأصمعى قال : ولّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابيًّا على عمل له ؛ فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ! أكلت مال الله ! قال الأعرابى : فمالَ مَن آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن يعطينى فلسا واحدا فما فعل . فضحك منه وخلى سبيله .

ابن جعفر وأعرابية

الشيبانى قال : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لى كنت أدجنها وأعلفها من قوتى ! وألمسها فى آناء الليل فكأنما ألمس بنتى زلّت

عن كبدى ، فنذرت لله أن أدفنها فى أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم .

بين أعرابى وقوم فى الهلال

ونظر أعرابى إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أريتُموه لتُمْسِكُنّ منه بذِناب عيش أغبر . ٥

بين الأصمعى وأعرابى فى ماء

الأصمعى قال : رأيت أعرابيا واقفا على ركيّة مِلحة ، فقلت : كيف هذا الماء يا أعرابى ؟ قال : يخطئ القلب ويصيب الاست .

بينه وبين أعرابى سمين

ونظر أعرابى إلى رجل سمين فقال : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك.

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إنى أسألك ميتة كميتة أبى خارجة أكل بَذَجا ، وشرب مُعسَّلا ، ونام فى الشمس ، فمات دَفْآن شَبْعان رَيان . ١٠

النبى صلى الله عليه وسلم وبعض الأعراب

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل أعرابى المسجد والنبىّ صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلى : فلما فرغ قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لقد حَجَّرْتَ واسعا يا أعرابى .

لبعض الأعراب

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول فى الطواف : اللهم اغفر لأمى . فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسة ضعيفة . ١٥

أبو حاتم عن أبى زيد قال : رأيت أعرابيا كأنّ أنفه كوز من عظَمه ؛ فرآنا نضحك منه ؛ فقال : ما يُضحككم ؟ فوالله لقد كنت فى قوم ما كنت فيهم إلا أفْطس .

قال : وجىء بأعرابى إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم اقرءوا كتابِيَهْ . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة ؛ إن يوم القيامة يؤتَى بحسناتى وسيئاتى ، وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى . ٢٠

لأبى الخش

وقيل لأبى المِخَش الأعرابى : أيسرك أنك خليفة وأن أمَتك حرة ؟ قال : لا والله ما يسرنى ! قيل له : ولم ؟ قال : لأنها كانت تذهب الأمة وتضيع الأُمّة .

اشترى أعرابى غلاما ، فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه يبول فى الفراش . قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشاً فليَبُلْ فيه .

الحجاج وأعرابى لص

٥ أخذ الحجّاج أعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه ؛ فلما قرعه بسوط قال : يارب شكرا ! حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقيه أشعب ، فقال له : أتدرى لَم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ؛ إن الله تعالى يقول : ﴿ لَئِن شَكرتمْ لأزِيدنَّكم ﴾ قال : وهذا فى القرآن ؟ قال : نعم . فقال الأعرابى :

١٠ ياربِّ لا شُكر فلا تَزدْنى ٭ أسأتُ فى شكْرى فاعف عنى

باعدْ ثوابَ الشاكرين منى

أعرابى ينشد غلاما

مرّ أعرابى بقوم وهو يَنشد ابنا له ، فقالوا له : صفه . قال : كأنه دُنينير ! قالوا : لم نره . ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابى وعلى عنقه جُعل ، فقالوا : هذا الذى قلت فيه كأنه دنينير ؟ فقال : القَرَنْبَى فى عين أمها حسناء .

١٥ والقرنبى : دويبة من خشاش الأرض إذا مسّها أحدٌ تقبّضتْ فصارت مثل الكرة .

لبعض الأعراب فى الغزو

قيل لأعرابى : مايمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إنى لأُبغض الموت على فراشى ، فكيف أن أمضىَ إليه ركضا .

وغزا أعرابى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : مارأيتَ مع رسول الله

٢٠ فى غزاتك هذه ؟ قال : وضع عنا نصفَ الصلاة ، وأرجو فى الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقى !

السختيانى وبعض الأعراب

جلس أعرابى إلى مجلس أيوب السِّختيانى ، فقيل له : ياأعرابى ، لعلك قَدَرىّ ؟ قال : وماالقَدَرى ؟ فذُكر له محاسن قولهم ؛ قال : أنا ذاك . ثم ذكر له مايعيب الناس من قولهم ؛ فقال : لست بذاك . قال : فلعلك مثبت ؟

قال : وما المثبت ؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم ؛ فقال : لست بذاك . قال أيوب : هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ من كل شيء أحسنه .

جرير وأعرابي

الأصمعي قال : سمع أعرابي جريراً ينشد :

كاد الهوَى يومَ سلْمانين يقْتلني ٭ وكاد يقْتلني يوما بنَعْمانِ ٥

وكاد يقْتلني يوما بذي خُشُب ٭ وكاد يقتلني يوما بسَلْمانِ

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات ! لا يموت هذا أبدا .

الشيباني قال : بلغني أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتهما سنة ، فانحدرا إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان في السوق ـ واسم أحدهما خندان ـ إذا فارسٌ قد أوطأ دابته رِجلَ خندان ، فقطع إصبعا من أصابعه ، فتعلقا به حتى ١٠ أخذا أرْش الإصبع ، وكانا جائعين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصدا إلى بعض الكرابج ، فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :

فلا غَرْثة ما دام في الناس كُرْبجٌ ٭ وما بَقيتْ في رِجل خُنْدانَ إصبَعُ

اعرابية وابنها

وهذا شبيه قول أعرابية في ابنها ، وكان لها ابن شديد العُرام ، كثير القتال للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب ، فقطع الفتى ١٥ أنفه ، فأخذت أمه دية أنفه ؛ فحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم واثب آخر ، فقطع أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت في المال وحُسن الحال ؛ ثم واثب آخر فقطع شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم والمتاع بجوارح ابنها ، ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلِفُ بالمَرْوةِ حقًّا والصَّفا ٭ أنكَ خيرٌ من تَفاريق العصا ٢٠

فقلت لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجورا ، ثم يقطع الساجور أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد أشظّة .

لبض الأعراب في الحج

الأصمعي قال : خرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال :

آعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع فى بيتك الحريق . فرفع الأعرابى يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك أنت وتُخرب بيوتنا .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب ، أخرجتنى من بيتى إلى بيتك ، فلا بيتى ولا بيتك !

الأصمعى قال : عُرضت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يَجب على واحد منهم قتل ولا صلب ؛ وفيهم أعرابى أُخذ يبول فى أصل سور مدينة واسط ؛ فكان فيمن أُطلق ؛ فأنشأ يقول :

إذا ما خرجْنا من مدينة واسِطٍ * خَرِينا وبُلْنا لا نَخاف عِقابَا

لأعرابى فى الأولاد

ذُكر عند أعرابى الأولاد والانتفاع بهم ؛ فقال : زوِّجونى امرأة أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجرى الرهان ؛ والنزعَ عن القوس حتى يصيب الحدَق ، وروايةَ الشعر حتى يُفحم الفحول . فزوّجوه امرأة فولدت له ابنة ، فقال فيها :

قد كنتُ أرجو أن تكون ذكَرَا * فشقَّها الرَّحمٰن شقًّا منكَرا
شقًّا أَبَى الله له أن يُجبَرا * مِثل الذى لأمّها أو أكبَرا

ثم حملت حملا آخر ، فدخل عليها وهى فى الطاق ـ وكانت تسمى ربابا ـ فقال :

أيَا رَبابِى طرِّقى بخيرِ * وطرِّقى بخُصْيةٍ وأيْرِ
ولا تُرينا طرَفَ البُظَيْرِ

ثم ولدت له أُخرى ، فهجر فراشها وكان يأتى جارة لها ، فقالت فيه ـ وكان يكنى أبا حمزة ـ :

ما لأبى حمزةَ لا يأتينا * يظلُّ فى البيت الذى يَلينا
غضبانَ أن لا نلدَ البَنينا * وإنما نأخذ ما أُعطينا !

فألانه قولها ورجع إليها .

لأعرابى يدعو

وقال سعيد بن أبى الفَرج : سمعت أعرابيا يطوف بالبيت وهو يقول :

لاهُمَّ ربَّ الناس حين لبَّبوا ٭ وحين راحوا من منًى وحصَّبوا

لا سُقيتْ عَشَبْثَبْ وغُلُبُ ٭ والمُستَزار لا سَقاه الكوكبُ

٥ فقلت : يا أعرابى ، ما لهذه المواضع تدعو عليها فى هذا الموضع ؟ فنظر إلىّ كالغضبان فقال :

٭ من أجل حماهن ماتت زينب ٭

قولهم فى التلصص

لبعض الشعراء

أبو حاتم قال : أنشدنا أبو زيد الأعرابى ، وكان لصا :

١٠ ثلاث خِلال لستُ عنهنّ نائباً ٭ وإن لامَنى فيهن كلُّ خليلِ

فمنهن أنى لا أزال مُعانِقاً ٭ حَمائل ماضى الشَّفرتيْن صَقيل

به كنت أستعدِى وأُعْدى صَحابتى ٭ إذا صرَخ الزحْفان باسم قتيل

ومنهنّ سُوق النهْب فى ليلة الدّجْى ٭ يَحار بها فى الليل كل دليـــل

ومنهن تَجريد الكَعاب ثيابَها ٭ وقد مال جُنح الليل كلَّ مَميل

١٥ وهذا المعنى سبقه إليه الأول :

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى ٭ وجَدِّك لم أحفِل متى قام رامِسُ

فمنهن سبْق العاذِلات بشَرْبةٍ ٭ كأنّ أخاها مطلَعَ الشمسِ ناعس

ومنهن تقْريط الجَواد عِنانَه ٭ إذا ابتَدر الشخصَ الصفىْ الفوارس

ومنهنّ تَجريد الكواعب كالدُّمَى ٭ إذا ابتُزَّ عن أكفالهنّ الملابس

لطرفة

٢٠ وأول من قال هذا المعنى طَرَفة حيث يقول :

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى ٭ وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوَّدِى

فمنهن سَبْق العاذِلات بشَرْبَةٍ ٭ كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِد

وكَرّى إذا نادَى المُضافُ مُجَنَّبا ٭ كسيدِ الغَضا نبَّهْتَهُ المُتوردِ
وتقصيرُ يومِ الدّجنِ والدجنُ مُعجبٌ ٭ ببَهْكَنَةٍ تحت الخِباءِ المُعَمَّدِ

قولهم فى الطعام

شيخ وحدث

الأصمعى قال : اصطحب شيخٌ وحدَث فى سفر ، وكان لهما قرص فى كل يوم ، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطىء الأكل ، وكان الحدث يطيش بالقرص ثم يجلس يشتكى العشق ، ويتضور الشيخ جوعا ، وكان يسمى الحدثُ جعْفَراً ، فقال الشيخ :

لقد رابنى مِن جعفرٍ أنّ جعْفَرًا ٭ يطيشُ بقُرْصِى ثم يبكى على جُمْلِ
فقلتُ له لو مَسَّكَ الحبُّ لم تبتْ ٭ بَطيناً ونَسّاك الهوَى شرَهَ الأكل

لبعض الشعراء

الأصمعى قال : أنشدنى أعرابى لنفسه :

ألا ليتَ لِى خُبْزاً تسرْبَل رائباً ٭ وخيْلاً مِنَ البَرْنىِّ فُرْسانها الزُّبدُ
فأَطلُبَ فيما بيْنَهُنَّ شهادةً ٭ بموْتٍ كريم لا يُعدُّ له لَحْد

لأعرابى فى ثريدة

الشيبانى عن أبيه قال : قال أعرابى : كنت أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل ، رقطاء من الحمص ، ذات حِفافين من اللحم ، لها جناحان من العُراق ، أضرب فيها كما يضرب ولىُّ السوء فى مال اليتيم !

بين أعرابيين

وقال رجل لأعرابى : ما يسرنى لو بتَّ ضيفاً لك ! فقال له الأعرابى : لو بتَّ ضيفاً لى لأصبحت أبطنَ من أمك قبل أن تلدَكَ بساعة .

أعرابى على مائدة سليمان

حضر أعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمرّ إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجب : مما يليك فكُلْ يا أعرابى . فقال : مَن أجدبَ انتجع . فشق ذلك على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعُد إلينا . وشهد بعد هذا سُفْرتَه أعرابى آخر ، فمر إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك فكُل يا أعرابى . قال : مَن أخصب تخيّر . فأعجب ذلك سليمان ، فقربه وأكرمه وقضى حوائجه .

أعرابى وقوم من الكتبة

مر أعرابى بقوم من الكتبة فى متنزه لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده يأكل معهم ، فقالوا : أعَرَفت فينا أحداً ؟ قال : بلى ، عرفت هذا ! وأشار إلى الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكله :

* لم أرَ مِثْل ترْطِه ومطِّهِ *

قال الثانى : * وأكْلُهُ دجاجَهُ ببطِّهِ *

قال الثالث : * ولفِّــهِ رُقاقهُ بإقْطِهِ * ٥

قال الرابع : * كأنّ جالينوسَ تحت إبطِهِ *

فقالوا للرابع : أما الذى وصفنا من فعله ففهوم ؛ فما يصنع جالينوس من تحت إبطه ؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة ، يهضم بها طعامه !

مدنى وأعرابى

وقال رجل من أهل المدينة لأعرابى : ما تأكلون وما تعافون ؟ قال له الأعرابى : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حُبيْن . قال المدنى : ليَهْنِئْ أمَّ حُبين العافية . ١٠

أعرابى وولده

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحماً . فاشتروا وطبخوا له حتى تهرّأ ، فأكل منه حتى انتهى ، ولم يبق إلا عظامه ؛ وشرعتّ إليه عيون ولده ، فقال : ما أنا مطعِمه أحداً منكم إلا من أحسنَ أكله . فقال له الأكبر : أَلُوكه يا أبت حتى لا أدع فيه للذرّة مقيلا . قال : لست بصاحبه . قال الآخر : ألوكه حتى لا يدرى ألعامه هو أو لعامٍ أوّل؟ قال : لستَ بصاحبه . قال له الأصغر : أدقّه يا أبت وأجعل إدامه المخ . قال : أنت صاحبه ، هو لك . ١٥

لعذرى فى حضر المسلمين

بلغنى عن محمد بن يزيد بن معاوية ، أنه كان نازلا بحلب على الهيثم بن عدى ، فبعث إلى ضيف له من عذرةَ أعرابىٍّ ، فقال له : حدِّث أبا عبد الله بما رأيت فى حضر المسلمين من الأعاجيب . قال : نعم ، رأيت أُموراً معجبة . منها أنى دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالى ، وإذا أنا بدور متباينة ، وإذا خِصاص يبضُّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، وعليهم ثياب حَكَوْا بها أنواع الزهر ؛ فقلت لنفسى : هذا أحد العيدين : الفطر أو الأضحى . ثم رجع ٢٠

إلىّ ما عزب من عقلى ، فقلت : خرجت من أهلى فى عقب صفَر وقد مضى
العيدان قبل ذلك ! فبينا أنا واقف أتعجب إذ أتانى رجل فأخذ بيدى فأدخلنى
بيتاً قد نُجِّدَ ، وفى وجهه فُرُشٌ ممهدة ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره كتفيه ،
والناس حوله سماطين ، فقلت فى نفسى : هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسُه
٥ وجلوس الناس حوله . فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير
ورحمة الله ! قال : فجذب رجلٌ بيدى وقال : ليس بالأمير ، اجلس . قلت فمن
هو ؟ قال : عروس . قلت : واثكل أمّاه ! لرُبَّ عروسٍ بالبادية قد رأيته
أهون على أصحابه من هَنِ أمه ! فلم ألبث أن أُدخلت الرجالُ عليها هَناتٌ مدوّرات
من خشب ، أما ما خف منها فيُحمل حملا ، وأما ما ثقل فيُدحرج ؛ فوضعت
١٠ أمامنا وتحلَّقَ القوم عليها حلَقا ، ثم أُتينا بخِرق بيض فأُلقيت عليها ؛ فهممت والله
أن أسأل القوم خِرقة منها أرقع بها قميصى ، وذلك أنى رأيت لها نسجاً
متلاحما لا يتبين له سدى ولا لُحمة ؛ فلما بسط القوم أيديهم ، إذا هو يتمزق
سريعا ، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه ؛ ثم أُتينا بطعام كثير من حُلْو وحامض ،
وحارٍّ وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما فى عقبه من التخم والبَشم ؛ ثم أتينا
١٥ بشراب أحمر فى عِساس بيض ؛ فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لى به ؛ لأنى
أخاف أن يقتلنى ! وكان إلى جانبى رجل ناصحٌ لى - أحسن الله عنى جزاءه ! -
كان ينصحنى بين أهل المجلس ؛ فقال لى : يا أعرابى ، إنك قد أكثرت من الطعام
فإن شربت الماء همَى بطنك . فلما ذكر البطن ، ذكرت شيئا أوصانى به
الأشياخ ، قالوا : لا تزال حيا ما دام بطنك شديدا ، فإذ اختلفت فأوص . فلم
٢٠ أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أملُّه ، حتى داخلنى به صلف لا أعرفه من نفسى
ولا عهد لى به ، واقتدارٌ على أمرى ؛ وكان إلى جانبى الرجل الناصح لى ؛ فجعلت
نفسى تحدثنى بهتْم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى ؛ وأهم أحيانا أن أقول له :
يا ابن الزانية ! فبينا نحن كذلك ، إذ هجم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق
جعبة فارسية منتفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط ، وقد ألبست قطعة فرو ،

كأنهم يخافون عليها القر ؛ ثم بدا الثانى فاستخرج من كمه هنة كفيشلة الحمار ، فوضع طرفها فى فيه فضرط فيها ، ثم حَسَب على جِحَرة فاستخرج منها صوتا مُشاكلا بعضه بعضا ؛ ثم بدا الثالث وعليه قميص وسخ ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مِرْآتان ، فجعل يَمرِى إحداهما على الأخرى ؛ ثم بدأ الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصيرة ، فجعل يقفز صلبه ، ويهز كتفيه ، ثم التبط بالأرض ، ٥
فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبة . ثم مابرح مكانه حتى كان أغبط القوم عندى . ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتِعونا من لهوكم . فبعثوا بهم إليهن ، وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا ؛ وكان معنا فى البيت شاب لا آبَه له ، فعلَتِ الأَصوات له بالدعاء ، فخرج فجاء بخشبة فى يده ، عينها فى صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه ، ثم زمّ الخيوط الظاهرة ، فلما أحكمها عرك ١٠
أذنها فنطق فوها ، فإذا هى أحسنُ قينة رأيتها قط [وغنَّى عليها] فاستخفَّنى حتى قمت من مجلسى فجلست إليه فقلت : بأبى أنت وأُمى ، ماهـذه الدابة ؟ قال : يا أعرابى ، هذا البَرْبط . قلت : فما هذه الخيوط ؟ قال : أما الأسفل فزير ، والذى يليه مثْنى ، والذى يليه مَثلث . والذى يليه بَمّ . فقلت : آمنت بالله .

لأعرابى فى تمر

وقال أعرابى . تمرنا خُنسٌ فُطُس ، يغيب فيهن الضرس ، كأن فاها ألسن الطير ، ١٥
تقع التمرة منها فى فيك ، فتجد حلاوتها فى كعبك .

أعرابى على سفرة سليمان

وحضر أعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أُتى بالفالوذج جعل يسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابى ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، إنى لأجد ريقا هنيئا ، ومزدَرَداً لينّاً ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه ! قال : فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابى ، فإنهم يذكرون أنه ٢٠
يزيد فى الدماغ ، قال : كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل .

لأعرابى غير صائم

قال : ومررت بأعرابى يأكل فى رمضان . فقلت له : ألا تصوم يا أعرابى ؟ فقال :

وصائمٍ هبَّ يلحانى فقلتُ له ٭ أعمِدْ لِصَومِكَ واتْرُكْ وإفطارى

وآظمَا فإنى سأرْوى ثم سوف تَرى * من ذا يَصيرُ إذا مِتنا إلى النّار

لأعرابى على سفرة سليمان أيضا

وحضر سفرةَ سليمان أعرابى ، فنظر إلى شعرة فى لقمة الأعرابى ؛ فقال : أرى شعرة فى لقمتك يا أعرابى ! قال : وإنك لتُراعينى مراعاةَ من يُبصر الشعرة فى لقمتى ؟ والله لا واكلتك أبداً ! فقال : استرها يا أعرابى ، فإنها زلة ولا أعود ٥ إلى مثلها .

أخبار أبى مهدية الأعرابى

أبو عثمان المازنى قال : قال أبو مَهدية : بلغنى أن الأعراب والأعزاب هجاهما واحد . قلت : نعم . قال : فاقرأ : «الأعْزابُ أشدُّ كفْراً ونفاقاً» ولا تقرأ : الأعراب . ولا يغرّك العَزَبُ وإن صام وصلى .

١٠ وتوفى بُنَىٌّ لأبى مهدية صغير ، فقيل له : أبشر أبا مهدية ؛ فإنا نرجو أن يكون شفيع صدق يوم القيامة ! قال : لا وَكَلَنا الله إلى شفاعته ، إذاً والله يكون أعيانا لسانا وأضعَفَنا حجة ؛ ليته المسكين كفانا نفسه !

وقيل لأبى مهدية : أكنتم تتوضؤن بالبادية ؟ قال : نعم والله ؛ لقد كنا نتوضأ فتكفى التوضئة الواحدة الرجل منا الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه ١٥ الحمر - يعنى الموالى - فجعلت تليق أستاهَها كما تلاق الدواة .

وقيل لأبى مهدية : أتقرأ من كتاب الله شيئا ؟ قال : نعم . ثم افتتح يقرأ : ﴿والضُّحَى واللَّيْلِ إذا سَجَى﴾ حتى انتهى إلى ﴿ووجَدكَ ضالاً فَهَدى﴾ فالتفت إلى صاحب له فقال : إن هؤلاء العلوج يقولون : ووجدك ضالا فهدى . والله لا أقولها أبداً .

٢٠ ولما سن أبو مهدية ولِيَ جانبا من اليمامة ، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء وجِدة ، فأرسل إليهم فقال : ما عندكم فى المسيح ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ! قال : فهل غرمتم دِيته ؟ قالوا : لا . قال : إذاً والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديته ! فأَرْضَوه حتى كف عنهم .

وقيل لأبي مهدية : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو ؛ قال : كيف لا يصبر على البدو مَن طعامُه الشمس وشرابه الريح !؟

ونظر أبو مهدية إلى رجل يستنجي ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها ويحك ! أتريد أن تشرب فيها سويقا !

ومات طفل لأبي مهدية ، فقيل له : اصبر يا أبا مهدية ؛ فإنه فرط افترطتَه ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته . فقال : بل ولدٌ دَفَنْتُه ، وثكلٌ تعجلته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص ، لا أفرحُ للمزيد .

قال أبو عبيدة : سمع أبو مهدية رجلا يقول بالفارسية : زود زود . فقال : ما يقول هذا ؟ فقيل له يقول : عجل عجل . فقال : أفلا يقول : حيهلا .

خبر أبي الزهراء

المعلى بن المثنى الشيباني قال : حدثنا سويد بن منجوف قال : أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تخب ، وعليها ذلاذل وأطمار من سَحْق صوف ، قد اعتم بما يشبه ذلك ؛ من أشوه الناس منظرا وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول ألا سَبَد ، ألا لَبَد ألا مُؤْو ألا مُقْرٍ ، ألا سعديّ ألا يَرْبُوعيّ ، ألا دَارميّ ! هيهات هيهات ! وما يُغنى أهل حوض الماء صاديا مُعَنى ! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحي ، قال : فسمعت سواديا يقول له : يا عماه ، يا إبليس ! متى أُذِنَ لك بالظهور ؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا آباءكم وفشوا أمهاتكم ! قال : وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك مولى بني تميم ؛ فأتيته فأخبرته ؛ فخرج مبادرا كأني قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان ، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان ـ وهو يقول لأتانه :

قد كنتِ بالأمْعَزِ فى خِصبٍ خصِبْ * ماشئتِ من مَحْضٍ وماءٍ مُنسكِبْ
فربُّكِ اليومَ ذليلٌ قد نُصب * يَرى وجوهاً حوله ماترتقب
ولا عليها نُور إشرافِ الحَسَبْ * كأنها الزّنجُ وعُبدَانُ العرب
إلى عَجِيل كالرعيـــل والسربْ * ولو أمِنْتُ اليوم من هذا اللّجَبْ
٥ رميتُ أفواقاً قويمَات النُّصُبْ * الرِّيش أولاها وأُخراها العقب

قال : فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبجله ، إلى أن أدخله منزله ؛ فهد له وحطه عن أتانه ، ودعا بالعلف ؛ فجعل الأعرابى يقول : أين الليف والنَّنيف والوساد والنجاد ؟ يعنى بالليف : الحصير : و بالننيف عشبة عندهم يقال لها النُّهْمَى والوساد : جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُتّكأ عليه ؛ والنجاد : ١٠ مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهْرها قد دَبِر حتى أضرّت بنا رائحته : فجعل الأعرابى يتنهد ويقول :

إنْ تُنحَضِى أو تُدبَرى أو تُزجَرى * فذاك من دُءوبِ ليلٍ مسهرِ
أنا أبو الزهراءِ من آلِ السَّرى * مُشَمَّخ الأنفِ كريم العُنْصرِ
إذا أتيت خُطَّةً لم أُقسَرِ

١٥ وكان يسمى الأعرابى صلتان بن عوسجة من بنى سعد بن دارم ، ويكنى بأبى الزهراء ، وما رأيت أعرابيا أعجب منه ؛ كان أكثر كلامه شعرا ؛ وأمثل أعرابى سمعته كلاما ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانفهمها ؛ وكان من أضجر الناس وأسوئهم خُلقا ، وإذا نحن سألناه عن الشىء قال : ردّوا على القوس والأتان ! يظن أنا نتلاعب به ، وكنا نجتمع معه فى مجلس أبى حماد ، وما منا إلا من يأتيه ٢٠ بما يشتهيه ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتيناه يوما بخَزْبَز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها تأملها طويلا وجعل يقول :

بُدِّلْت والدهرُ قديما بَدَّلا * من قَيْض بِيضِ القَفْرِ فقْعاً حَنظَلا
أخبثُ ما تُنبت أرض مأكلا

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنىء مرىء ،

ونحن نبدؤك فيه إن شئت . قال : فخذوا منه حتى أرى ! فبدأنا نأكل وهو ينظر لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فنزع أعلاها وقوّر أسفلها ، فقلنا له . ماتريد أن تصنع يا أبا الزهراء ؟ فقال : إن كان السم يا ابن أخى ففيما ترون ! فلما طَعِمَه استخفَّه واستعذَبه واستحلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا نأتيه بعد بغيره ، وجعل فى خلال ذلك يقول : ٥

هــــذا طعامٌ طيِّبٌ يلينُ ٭ فى الجوفِ والحلْقِ له سُكونُ

الشَّهْدُ والزبد به مَعْجون

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك فى الحمام ؟ قال : وما الحمام يا ابن أخى ؟ قلنا له : دار فيها أبيات : حارّ ، وفاتر ، وبارد ؛ تكون فى أيها شئت يَذهب عنك قشف السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجابنا ، ١٠ فأتينا به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يُدخل علينا أحداً ، فدخل وهو خائف مترقب ، لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار فى داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه بالنُّورة ، وكان جلده أشعر كجلد عنز . فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛ فقلنا أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال : يا بن أخى ، وهل بقى إلا أن أنسلخ كما ينسلخ الأديم فى احتدام الغيظ ! وجعل يقول : ١٥

وهل يطيبُ الموتُ يا إخوانى ٭ هل لكم فى الفرسِ والأتانِ

خذوهما مِنّى بلا أثمــانِ ٭ وخلِّصوا المُهجةَ يا صبيان

فاليوم لو أبصرَنى جيرانى ٭ عُرْيان بل أعرى من العرْيان

قد سَقَط الشَّعرُ من الجثمان ٭ حُسِبْت فى المنظَرِ كالشَّيْطان !

قال : ثم خرج مبادراً ، واتبعه أحداثٌ لنا ، لولاهم لخرج بحاله تلك ما يستره ٢٠ شىء ؛ ولحقناه فى وسط البيوت ، فأتيناه بماء بادر ، فشرب وصب على رأسه ، فارتاح واستراح . وأنشأ يقول :

الحمد للمستحمدِ القهّار ٭ أنقذنى من حرّ بيتِ النارِ

إلى ظليلٍ ساكنِ الأُوار * من بعد ما أيقنتُ بالدّمار

قال: فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه، وأتينا به مجلس أبى حماد؛ وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التّمّار ماهراً؛ فإذا خضنا فى النحو وذكرنا الرؤاسى والكسائى وأبا زيد، جعل ينظر، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل؛ فقلنا له: ماتقول ياأباالزهراء؟ فقال: ياابن أخى، إن كلامكم هذا لا يسد عوزا مما تنعلمونه له. فقال أبو الحسن: إن بهذا تَعرف العربَ صوابَها من خطئها. فقال له: ثَكِلْتَ وأَثْكَلْتَ! وهل تخطئ العرب؟ قال: بلى. قال: على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك! قال سويد: وكنت أحدثَهم سنا (قال) فقلت: جُعِلْتُ فداك، وأنا رجل من بنى شيبان وربيعة؛ ما تعلم أنّا على مثل الذى أنت عليه من الإنكار عليهم؛ فقال فيهم:

يُسائلُنى بيّـــاعُ تمرٍ وجرْدَقٍ * ومازجُ أبوالٍ له فى إنائهِ
عن الرّفعِ بعد الخفْض، لازال خافضاً * ونصبٌ وجزْمٌ صِيغ من سُوءِ رائه
فقلت له هـــذا كلامٌ جهلْته * وذو الجهلِ يَروِى الجهلَ عن نظرائه
فقال بهـــذا يُعرف النحوُ كلُّه * يرى أننى فى العُجْم من نُظرائه
فأمّا تميمٌ أو سُليمٌ وعامر * ومَن حلّ غمْرَ الضّالِّ أو فى إزائه
ففيهم وعنهم يُؤثر العِـــلم كلُّه * ودَع عنك من لا يهتدى لِخَطائه
فمَن ذا الرُّؤَاسِيُّ الذى تذكرونه * ومن ذا الكِسائى سالحٌ فى كِسائه
ومن ثالثٌ لم أسمع الدهرَ باسْمِه * يُسمُّونه من لؤمه سِيبوائه
فكيف يُخِلُّ القوْلَ من كان أهله * ويُهدَى له من ليس من أوليائه
فلستُ لبيّاعِ التُّميْرات مُغْضِياً * على الضّيْمِ إن واقفت بعد عشائه[1]

ولقد قلنا له: ياأبا الزهراء، هل قرأت من كتاب الله شيئاً؟ قال: إى وأبيك، آيات مفصلات أردّدهن فى الصلوات، آباء وأمهات، وعمات وخالات

(١) فى بعض الأصول: «إن راقبت فقد عدائه».

ثم أنشأ يقول :

قرأت قول الله فى الكتاب * ما أنزل الرحمنُ فى الأحزابِ
لعُظْم ما فيها من الثواب * الكفرُ والغلْظة فى الأعرابِ
وأنا فاعلمْ من ذوى الألباب * أُومنُ بالله بلا ارتياب
فى عرشِه المستور بالحجاب * والموْت والبعْث وبالحساب
وجنّةٍ فيها من الثياب * ما ليس بالبَصْرة فى حساب
وجاحِمٍ يلْفحُ بالتهاب * أوْجُهَ أهلِ الكفرِ والسِّباب
ودفْعِ رحْلِ الطارقِ المُنتاب * فى ليْلةٍ ساكتةِ الكلاب

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، فقلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت الكوفة ؟ قال : يا ابن أخى ، حضرا حاضرا ؛ ومحلا آهلا ؛ أنكرتُ من أفعالكم الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذه التلال يا ابن أخى ؟ قلت له : أجداث الموتى ، فقال : أماتوا أم قتلوا ؟ فقلت : قد ماتوا بآجالهم ميتات مختلفات . قال : فماذا ننتظر نحن يا ابن أخى ؟ قلت : مثل الذى صاروا إليه ، فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول :

يا لهفَ نفْسى أن أموت فى بلدْ * قد غاب عنى الأهْل فيه والولدْ
وكلُّ ذى رحْمٍ شفيقٍ مُعْتقَدْ * يكوى ما كنتُ سقيما كالرمِدْ
يا ربِّ يا ذا العرش وفِّقْ للرَّشَدْ * ويسِّر الخيْر لشيْخٍ مُختضدْ

ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكنا لا نبارحه عائدين متفقدين ؛ فبينا نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول :

أبلغ بناتى اليوْم أبلغْ بالصّوى * قد كنّ يأْمُلن إيابى بالغِنى
وقد تمنَّيْن وما يُغْنى المُنى * بأنّ نفسى وردت حوْض الرّدى
يا ربِّ يا ذا العرش فى أعلا السّما * إليك قدّمت صيامى فى الظّما
ومن صلاتى فى صباحٍ ومَسا * فعُدْ على شيخٍ كبيرٍ ذى آنحنا
يكفيه ما لاقاهُ فى الدُّنيا كفى

قلنا له : ياأبا الزهراء ، ما تأمرنا فى القوس والأتان ، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق؟ فقال : يابن أخى ، أما ماقسم الله لى عندكم فمردودٌ إليكم ، وأما القوس والأتان فبيعوهما وتصدقوا بثمنهما فى فقراء صَلِبة بنى تميم ، وما بقى فى مواليهم . ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له حق إيمانه بك ، وتصديقه برسلك ، صليت عليهم وسلمت ؛ اللهم إنى جانٍ مقترف وهائب معترف ، لا أدعى براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياى ، وتجاوُزِك عنى ؛ اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب ، وكان فى قضائك ، وسابق علمك قبْضُ روحى فى غير أهلى وولدى ، اللهم فبدل لى التعب والنصب رَوحا وريحاناً وجنةَ نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ، رحمه الله ؛ فما سمعت دعاء أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكيا وداعياً من جنازته؛ رحمه الله .

* * *

لبعض الأعراب

وقال أعرابى يصف كساء .

من كان ذا بتّ فهذا بَتِّى ٭ مُقيِّظ مُصيِّف مُشَتّى

نسجْتُه من نعَجاتٍ ستِ

وقال أعرابى :

قالت سُليمى : ليت لى بَعْلاً يَمَنْ ٭ يَغسل رأسى ويُسَلِّينى الحزن

وحاجةٍ ليس لها عندى ثمنْ ٭ مشهورةٍ قضاؤُها منه وهَنْ[1]

قلن جوارِى الحيِّ : ياسَلْمى وإن ٭ كان فقيراً مُعْدِماً ؟ قالت وإنْ !

وقال أعرابى :

جاريتان حلَفتْ أمّاهُما ٭ أنْ ليس مَغْبوناً من اشتراهُما

والله لا أُخبرُكم إسماهُما ٭ إلّا بقولى هكذا هُما هُما

هُما اللتان صادَنى سَهماهُما ٭ حيّا وحيّا الله من حيّاهُما

أمات ربّى عاجلاً أباهُما ٭ حتى تُلاقى مُنْيتى مُناهُما

(١) الوهن : « قريب من منتصف الليل » .

وقال أعرابى :

إنّ لنا لَكَنَّهْ ، مِعَنَّــةً مِفَنَّـهْ
سِمِعْنَـةً نظرنَّهْ ، إلا تَرَهْ تَظُنَّـهْ

السمعنة النظرنة : المرأة التى إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً تظنّت تظنيا .

وأنشد أبو عبد الله بن لُبانة الأعرابى :

٥

كريمةٌ يُحبها أبوها ، مليحةَ العيْنَيْن عذْباً فُوها
لا تُحْسِنُ السَّبَّ وإنْ سبُّوها

الرشيد والأصمعى

الأصمعى قال : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بَدرة ، فقال : يا أصمعى ، إن حدثتنى بحديث فى العجْز فأضحكتنى وهبتك هذه البدرة . قلت : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا فى صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابى قاعد على أجمة ، قد احتملت الريح كساءه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ؛ فقلت له : يا أعرابى ، ما أجلسك ههنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتُها يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها . فقلت : وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ قال : العجْز يوقفنى عن أخذه . فقلت له : فهل قلت فى سلمى شيئا ؟ قال : نعم . قلت له : أسمعنى لله أبوك ! قال لا أُسمعك حتى تأخذ كسائى وتُلقيه علىَّ ! قال : فأخذته فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

١٠

لعلَّ الله أنْ يأتى بسلْمى ، فيَبْطحُها ويُلْقينى عليهـا
ويأتى بعد ذاك سَحابُ مُزْن ، تُطهِّرنا ولا نسعى إليهـا

١٥

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البدرة لا بُورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابيا أتى عينا من ماء صاف فى شهر رمضان ، فشرب حتى روى ، ثم أومأ بيده إلى السماء فقال .

إن كنتَ قدرت الصيا ، م فأعفنا من شهر آبْ
أوْ لا فإنَّا مُفْطِرو ، نَ وصابرون على العذابْ

٢٠

خلا أعرابى بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له ؛ فقالت له . قُم خائبا ! فقال . الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكَلْ له دقيق . فخجلت ولم ترد جوابا .

كتاب المجنبة في الأجوبة

فرش الكتاب

تمهيد المؤلف

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى كلام الأعراب خاصة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الجوابات التى هى أصعب الكلام كلّه مركباً ، وأعزه مطلبا ، وأغمضُه مذهبا ، وأضيقه مسلكا ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة ، واستعمال القريحة ، يروم فى بديهته نقض ما أبرم القائل فى رويّته ، فهو كمن أُخذتْ عليه الفجاج ، وسُدَّت عليه المخارج ، قد اعترض الأسِنة ، واستهدف للمرامى ، لا يدرى ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما يفجأه من خصمه فيقرعه بمثله ، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه بعد أن روّى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأى يغبّ حتى يختمر ؛ فقد كرهوا الرأى الفطير ، كما كرهوا الجواب الدَّبَرىّ ، فلا يزال فى نسج الكلام واستتناسه ، حتى إذا اطمأن شارده ، وسكن نافره ، صك به خصمَه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطئ ، وأسرع ولا تبطئ ، تراه يجاوب من غير أناة ولا استعداد ، يطبِّق المفاصل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما يرمى الجندل بالجندل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عُراه ، وينقض به مرائره ، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبّدت عجاجة ؛ فلا شىء أعضل من الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الألد الذى يقرع صاحبه ، ويصرع منازعه بقولٍ كمثل النار فى الحطب الجزل .

لأبي الحسن
قال أبو الحسن : أسرع الناس جوابًا عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب . وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا ، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ .

فى ابن عفان
وكان يقال : اتقوا جواب عثمان بن عفان .

النبي صلى الله عليه وسلم فى الزبرقان
وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمرو بن الأهتم : أخبرنى عن الزّبرقان ، قال : مطاع فى أدانيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، قال الزبرقان : والله يارسول الله ، لقد علم منى أكثر من هذا ، ولكن حسدنى . قال عمرو ابن الأهتم : أما والله يارسول الله ، إنه لزمِر المروءة ، ضيق العطن ، أحمق الوالد ، لئيم الخال ؛ والله يارسول الله ، ما كذبتُ فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ؛ رضيت عن ابن عمى فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب ، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب ! فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إنّ من البيان لَسِحرا .

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لما قدم عَقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقربه وقضى حوائجه وقضى عنه دَينه ، ثم قال له فى بعض الأيام : والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطية وأعظمَها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسُن ظنُّه بالله ، إذ ساء به ظنُّك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ خُنتم وأفسدتم وجُرتم ، فاكفف لا أبالك ، فإنه عما تقول بمعزل .

وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خيرٌ من أخيك على . قال : صدقت ، إن أخى آثر دينَه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت خير لى من أخى ، وأخى خير لنفسه منك .

وقال له ليلة الهَرير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال : أخونُ منى والله مَن سفك دمه بين أخى وابن عمى ، أن يكون أحدهما أميرا !

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له : أنتم معشر بنى هاشم، تصابون فى أبصاركم ! قال : وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم !

ودخل عتبة بن أبى سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ، فقال عقيل : مَن هذا الذى أجلس أميرُ المؤمنين بينى وبينه ؟ قال : أخوك وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن كان أقرب إليك منى ، إنى لأقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضٌ ونحن سماء . قال عتبة : أبا يزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ما ذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب ! قال له عقيل ، وهذا معاوية عمته حمّالة الحطب ! ثم قال : يا معاوية ، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمى أبا لهب مفترشاً عمتَك حمالة الحطب ؛ فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوما : ما أبين الشَّبَق فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم أبين يا بنى أمية !

وقال له معاوية يوما : والله إنّ فيكم لخصلةً ما تعجبنى يا بنى هاشم . قال : وما هى ؟ قال : لِين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعيّر يا معاوية ؟ أجل ، والله إن فينا لليناً من غير ضعف ، وعِزا من غير جبروت ؛ وأمّا أنتم يا بنى أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كلَّ هذا أردْنا يا أبا يزيد . قال عقيل :

لِذى اللُّبِّ قبل اليوم ما تُقرَع العصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعْلما

قال معاوية :

وإنَّ سَفاهَ الشيخِ لا حِلم بعدَه ٭ وإن الفتى بعدَ السَّفاهة يَحلُمُ

وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب : لم جفوتَنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إنى آمرؤٌ منى التكرم شِيمةٌ ٭ إذا صاحبى يوما على الهُون أضمرا

ثم قال : وآيمُ الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهَّدتك مهادَها ، وأظلتك بحذافيرها ومدت عليك أطناب سلطانها ـ ما ذاك بالذى يزيدك منى رغبة ، ولا تخشُّعاً لرهبة . قال معاوية نعتَّها أبا يزيد نعتاً هَشَّ لها قلبى ؛ وإنى لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما ردّانى رِداء ملكها ، وحبانى بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة ادّخرها لى ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكا ؛ وإنما هو المثال يُحتذى عليه ، والأمور أشباه ؛ وآيم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريما ، وإلينا حبيبا ، وما أصبحتُ أُضمر لك إساءة .

ابن عقيل وامرأته: ويقال إن امرأة عقيل وهى بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل : يا بنى هاشم ، لا يحبكم قلبى أبداً ؛ أين أبى ؟ أين أخى ؟ أين عمى ؟ كأن أعناقهم أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلتِ جهنم فخذى على شمالك .

جواب ابن عباس رضى الله عنهما

لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ؛ وكان جريئاً على معاوية حقّاراً له ، فبلغه عنه بعض ما غمّه ؛ فقال معاوية : رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيَّين دون الناس ، فحفظت الميتَ فى الحىّ والحىَّ فى الميت ؛ استعملكَ علىٌّ يا ابن عباس على البصرة ، واستعمل أخاك عبيدَ الله على اليمن ، واستعمل أخاك تمّاما على المدينة ؛ فلما كان من الأمر ما كان ، هنأتُكم ما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعتْ غرائركم ، وقلت : آخذ اليوم وأعطى غداً مثله . وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت

بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم . ولا يزال يبلغنى عنكم ما تبرك له الإبل ، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم : خذلتم عثمانَ بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتمونى بصِفِّين ، ولعمرى لبنو تيمٍ وعدىٍّ أعظم ذنوبا منا إليكم ؛ إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنة ؛ فحتى متى أُغضِى الجفون على القذى ، ٥ وأسحب الذيول على الأذى ، وأقول : لعل الله وعسى ... ماتقول يا ابن عباس ؟!

قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين : لم يكن لأبى من مال إلا ما فضل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبى ؛ ولكن من هنأ أباك بإخاء أبى أكثر ممن هنأ أبى بإخاء أبيك ؛ نصَر أبى أباك فى الجاهلية ، وحقن دمه فى الإسلام ؛ وأما استعمال علىٍّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت ١٠ أنت رجالا لهواك لا لنفسك ، منهم ابن الحضرمىّ على البصرة فقُتل ، وابن بشر ابن أرطاة على اليمن فخان ، وحبيب بن مُرة على الحجاز فرُدّ ، والضحاك بن قيس الفهرى على الكوفة فحُصِب ؛ ولو طلبت ماعندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا عنك ، ولو وضِع أصغرُ ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسَّنها . وأما خذلُنا عثمان ١٥ فلو لزمنا نصره لنصرناه ، وأما قتلُنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حربُنا إياك بصِفين فعلى تركك الحقَّ وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدى فلو أردناها ماغلبونا عليها .

وسكت ، فقال فى ذلك ابن أبى لهب :

كان ابنُ حرْبٍ عظيمَ القدْرِ فى الناسِ ٭ حتى رماهُ بما فيه ابنُ عباسِ
٢٠ مازال يُهبِطُهُ طوراً ويُصعِدهُ ٭ حتى استقاد وما بالحقّ من باس
لم يتركَنْ خُطةً مما يُذلّلهُ ٭ إلا كواه بها فى فرْوةِ الراس

لابن أبى مليكة فى ابن عباس

وقال ابن أبى مليكة : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أفصحَ الناس ، وإذا تكلم فأعربُ الناس ، وإذا أفتى فأفقه الناس ما رأيت أكثرَ صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس .

بين ابن عباس ومعاوية

ابن الكلبى قال : أقبل معاوية يوما على ابن عباس فقال : لو وليتُمونا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم ، من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبرى على ما صبرتُ عليه منكم ، إنى لا أرِدُ أمراً إلا أظمأتم صدره ولا آتى معروفا إلا صغَّرتم خطره وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها متكارهين عليها ؛ تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ! فأى أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم ، ثم أكون أسرَّ بإعطائها منه بأخذها ؟ والله لئن انخدعت لكم فى مالى وذللت لكم فى عرضى ، أرى انخداعى كرما وذلى حلما . ولو وليتمونا رضينا منكم بالانتصاف ، ولا نسألكم أموالكم ، لعلمنا بحالكم وحالنا ؛ ويكون أبغضَها إلينا أحبها إليكم أن نُعفيكم .

فقال ابن عباس : لو ولينا أحسنّا المواساة ، وما ابتلينا بالأثرة ؛ ثم لم نغشِم الحى ، ولم نشتم الميت ؛ فلستم بأجود منا أكفاً ، ولا أكرم أنفساً ، ولا أصون لأعراض المروءة ؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى فى الحق منكم فى الباطل ، وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والعدل فى الرعية يأتيان على المنى والأمل ، ما أرضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتم منا لم ترض أنفسُنا به لكم ؛ والكفاف رضا من لا حق له ؛ فلا تُبخلونا حتى تسألونا ، ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

أبو عثمان الحزامى قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال : يا بنى هاشم ، والله إن خيرى لكم لممنوح ، وإن بابى لكم لمفتوح ؛ فلا يقطع خيرى عنكم عِلة ولا يوصِد بابى دونكم مسألة ؛ ولما نظرت فى أمرى وأمركم رأيت أمرا مختلفا : إنكم لترون أنكم أحق بما فى يدى منى ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدْرنا ؛ فصرت كالمسلوب ، والمسلوب لاحمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا بابا حتى قرعْناه ؛ ولئن قطعتَ عنا خيرك للهُ أوسعُ منك ولئن أغلقت

دوننا بابك لنَكُفّن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا فى كتاب الله حقان : حق فى الغنيمة ، وحق فى الفىء ؛ فالغنيمة ماغَلبنا عليه ، والفىء ما اجتبيناه ، ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفانى ، فإنك تُهر ولا تُنبح .

٥ وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابتها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم بصديقها وجوادها ، وبنو عدى بفاروقها ومتفكّرها ، وبنو سهم بآرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريعها ، فمن ذا يُجلى فى مضمارها

١٠ ويجرى إلى غايتها ؟ ما تقول يابن عباس ؟

قال : أقول : ليس حى يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوة التى لا يشاركون فيها ولا يُساوَوْن بها ولا يُدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله فى بنى عبد المطلب إلا وهم خير بنى هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ؛

١٥ إن بنا فتح الأمر وبنا يُختم ، ولك ملك معجّل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد مُلكنا مُلك ، لأنا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

ابن عباس وابن العاص

أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فمر بعبد الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتنى ولّيتنى القَصَرة ، وكان بين عينيك دَبَرة ، وإذا كنت فى ملأ من الناس

٢٠ كنت الهَوْهاةَ الهُمَزَة .

فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقا علموه ، وهم أعظم الناس أحلاما ، وأرفع الناس أعلاما ، دخلتَ فى قريش ولستَ منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا فى بنى هاشم رحْلُك ، ولا فى بنى عبد شمس راحلتك ، فأنت الأثيم الزنيم ، الضال

المضلُّ ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحلمه ، وتسمو بكرمه .

فقال عمرو : أما والله إنى لمسرور بك ، فهل ينفعنى عندك ؟

قال ابن عباس : حيث مال الحقُّ مِلنا ، وحيث سلك قصدنا .

المدائنى قال : قام عمرو بن العاص فى موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية ابن أبى سفيان وبنى أمية ، وتناول بنى هاشم ، وذكر مشاهدَه بصفِّين ، واجتمعت قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال ٥

يا عمرو ، إنك بعت دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيدك ، ومَنَّاكَ ما بيد غيره فكان الذى أخذ منك أكثر من الذى أعطاك ، والذى أخذتْ منه دون الذى أعطيته ، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر فى يدك كدَّرها عليك بالعدل والتَّنَقص ، وذكرت مشاهدك بصفِّين ، فو الله ما ثقلتْ علينا يومئذ وطأتُك ١٠ ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان ، قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان ، يد لا تبسطها إلى خير ، وأخرى لا تقبضها عن شر ، ولسانٌ غادر ذو وجهين ، ووجهان وجه موحِش ووجه مؤنِس ، ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لَحَرِىّ أن يطول عليها ندمه ، لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نكَد ، ولك قدرٌ وفيك حَسَد ، وأصغرُ ١٥ عيب فيك أعظم عيب فى غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما فى قريش أثقل علىّ مسألةً ، ولا أمرّ جواباً منك ، ولو استطعت أن لا أجيبَك لفعلت ، غير أنى لم أبِع دينى من معاوية ، ولكن بعتُ الله نفسى ولم أنس نصيبى من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته ، فإنه لا تُعلَّمُ العوانُ الخِمْرَةَ ، وأما ما أتى إلى معاوية فى مصر فإن ذلك ٢٠ لم يغيِّرنى له ، وأما خفة وطأتى عليكم بصفين فلما استثقلتم حياتى ، واستبطأتم وفاتى ، وأما الجبن ، فقد علمت قريش أنى أولُ من يبارز ، وآخر من ينازل وأما طول لسانى فإنى كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

لسانى طويلٌ فاحْتَرِس من شَذَاته ٭ عليكَ وسيْفى من لِسانِىَ أطوَلُ

وأما وجهاى ولساناى ، فإنى ألقى كلّ ذى قدْر بقدْره ، وأرمى كلّ نابح بحَجَرِه ، فمن عرف قدره كفانى نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسى ، ولعمرى مالأحد من قريش مثل قدرك ماخلا معاوية ، فما ينفعنى ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشمٍ مالى أراكمْ كأنكمْ ٭ بىَ اليوْمَ جُهَّالٌ وليس بكم جَهْلُ
٥ ألم تعلموا أنى جَسورٌ على الوغَى ٭ سريعٌ إلى الدّاعى إذا كثُر القتْلُ
وأوّلُ من يدعو نَزالِ طبيعةً ٭ جُبِلْت عليها والطِّباعُ هو الجِبْلُ
وأنى فَصَلْت الأمر بعد آشتباهِه ٭ بِدوْمَةَ إذ أعْيا على الحكَمِ الفصل
وأنىَ لا أعْيـــا بأمْرٍ أريدُه ٭ وأنى إذا عَجَّتْ بكارُكم فَحْلُ

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
١٠ ابن عباس بعد قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن هذا الأمر الذى نحن فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ، أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ! ولكنا نقول : ليتها لم تكن كانت ! فانظر فيما بقى بعين ما مضى ؛ فإنك رأس هذا الأمر بعد علىّ ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو .

١٥ مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير

الشعبى قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أمّ المؤمنين ، وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأفتيت بتزويج المُتعة .

فقال : أمّا أُم المؤمنين فأنت أخرجتَها وأبوك وخالك ، وبنا سُمِّيَتْ أم المؤمنين وكنا لها خير بنين ؛ فتجاوز الله عنها ؛ وقاتلت أنت أبوك عليا ، فإن كان عليا
٢٠ مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان علىّ كافرا فقد بُؤْتم بسخط من الله بفراركم من الزحف ؛ وأما المتعة فإن عليا رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رَخّص فيها ، فأفتيت بها ؛ ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها ؛ وأول مِجْمَر سطع فى المتعة مِجْمَرُ آل الزبير .

مناظرة فى مجلس معاوية

دخل الحسن بن علىّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبى سعيد بن عقيل بن أبى طالب؛ فلما جلس الحسن قال معاوية: ياأبا محمد، أيهما كان أكبر، علىّ أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، علىّ كان أسنّ من الزبير؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتبسم الحسن؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبى طالب: دع عنك عليا والزبير؛ إن عليا دعا إلى أمر فاتُّبع وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة؛ فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قِيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه، ومضى علىٌّ قُدُماً كعادته مع ابن عمه ونبيِّه صلى الله عليه وسلم؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا ياأبا سعيد لعلِم ... قال: إنّ الذى تعرّض به يرغب عنك. وأُخبرت عائشة بمقالتهما، فمر أبو سعيد بفنائها فنادته: ياأحول ياخبيث! أنت القائل لابن أختى كذا وكذا؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً؛ فقال: إن الشيطان ليراك من حيث لا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ما أخبث لسانك.

الحسين ومعاوية

الشعبى قال: دخل الحسين بن علىّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره، وقال: ترى هذا القاعد - يعنى ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبنى عبد مناف.

فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكن إن شئت أُعلِمك فضل الزبير على أبيك أبى سفيان فعلت، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن على فقال:

يا ابن الزبير، إن مولاى ما يمنعه من الكلام أنْ لا يكون طلق اللسان رابط الجنان؛ فإن نطق نطق بعلم؛ وإن صمت صمت بحلم؛ غير أنه كفّ الكلام، وسبق إلى السنان، فأقرت بفضله الكرام؛ وأنا الذى أقول:

فمَ الكلام لِسابق فى غايةٍ * والناس بين مُقصِّر ومُبلِّدِ

إنّ الذى يجرى لِيُدرِكَ شَأوهُ ٭ يُنْمى بغير مُسوّدٍ ومُسدَّدِ
بل كيف يُدرَكُ نورُ بدرٍ ساطعٍ ٭ خيْرِ الأنامِ وفرعِ آلِ محمدِ

فقال معاوية : صدق قولك ياذكوان ؛ أكثر الله فى موالى الكرام مثلك .

فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ، أو لكففنا عن جوابه إجلالا له ؛ ولا جواب لهذا العبد .

قال ذكوان : هذا العبد خير منك ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موْلى القوْم منهم » ؛ فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن العوام ابن خويلد ؛ فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلا .

قال ابن الزبير : إنى لست أجيب هذا ؛ فهات ما عندك .

فقال معاوية : قاتلك الله يابن الزبير . ما أعياك وأبغاك . أتفخر بين يدى أمير المؤمنين وأبى عبد الله ؟ إنك أنت المتعدى لطَوْرك ، الذى لا تعرف قدرك ؛ فقس شِبرك بفترك ؛ ثم تعرّفْ كيف تقع بين عرانين بنى عبد مناف ؛ وأما والله لئن دفعت فى بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لقطّعتك بأمواجها ، ثم لترمينّ بك فى لُججها ؛ فما بقاءك فى البحور إذا غمرتك ، وفى الأمواج إذا بَهَرَتك ؟ هنالك تعرف نفسك ؛ وتندم على ماكان من جرأتك ، وتُمَنّى ما أصبحت فيه من أمان وقد حِيل بين العير والنّزوان .

فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال أسألكم بالله : أتعلمون أن أبى حوارىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أباسفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأمه هند آكلة الأكباد ؟ وجدى الصدّيق ، وجده المشدوخ ببدر ورأس الكفر ؟ وعمتى خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الحطب ؟ وجدتى صفية ، وجدته حمامة ؟ وزوج عمتى خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب سيصلى ناراً ذات لهب ؟ وخالتى عائشة أم المؤمنين ،

وخالته أشق الأشقين ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية ؟

وقال له معاوية : ويحك يابن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك فى القديم من رياسة ، ولا فى الحديث من سياسة ، ولقد قُدناك وسُدْناك قديما وحديثاً ، لا تستطيع لذلك إنكارا ، ولا عنه فِرارا ، وإن هؤلاء الحضور ليَعْلمون أن قريشا قد اجتمعت يوم الفخار على رياسة حرب بن أمية وأن أباك ٥ وأسرتك تحت رايته راضُون بإمارته غير مُنكرين لفضله ولا طامعين فى عَزْله ، إن أمر أطاعوا ، وإن قال أنصَتوا ، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية ؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتى لا أسرتك ، وبنى أبى لا بنى أبيك ، فجحدته قريشٌ أشدّ الجحود ؛ وأنكرته أشدّ الإنكار وجاهدتْه أشدّ الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ؛ فما ساد قريشا وقادهم ١٠ إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا ؛ فمهديُّكم تحت راية مهديّنا ، وضالُّكم تحت راية ضالّنا ؛ فنحن الأرباب ، وأنتم الأذناب ؛ حتى خلّص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعَصمَه بالإسلام من عبادة الأصنام ؛ فكان فى الجاهلية عظيما شأنه ، وفى الإسلام معروفا مكانه ؛ ولقد أُعطِىَ يوم الفتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك ؛ وإن منادىَ ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمِن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمِن ؛ وكانت داره حَرما ، لا دارُك ولا دار أبيك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش فى الجاهلية عظيمة الخطر ؛ وفى الإسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصِّديق فبتصديق عبد مناف سُمى صديقاً لا بتصديق عبد العُزَّى ، وأما ماذكرت من جدى المشدوخ ببدر ، فلعمرى لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه ٢٠ فلو برزْت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم ، فقضى الله مناياهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك ؟ وأما عمتك أم المؤمنين فبِنا شرُفت وسُميت أُمّ المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهى أَدْنَتْك من الظل ،

ولولا هى لكنت ضاحيا ؛ وأمّا ماذكرت من عمك وخال أبيك سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، وفخرُهم وإرْثهم لى دونك ، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم ؛ وأمّا قولك : أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمتْ قريش أيُّنا أجْود فى الإزَم ، وأحْزم[1] فى القُدُم ، وأمنع للحُرَم ؛ لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بنى عبد مناف مارام أبوك ، فقد طالبهم بالذُّحول وقدّم إليهم الخيول ، وخدعتم أمَّ المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مددتم على نسائكم السُّجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم يُنْجِه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحْن الحصِيد بأيدى العبيد ، وأمّا أنت فأفلتَّ بعد أن خمشتْك براثنُه ونالتْك مخالبه ، وايْم الله ليقومِّنَّك بنو عبد مناف بثقافها ، أو لَتُصبِحَنّ منها صباحَ أبيك بوادى السِّباع ، وما كان أبوك المرهوبَ جانبه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أكِيلة سِرحانٍ فَريسة ضيْغمٍ ٭ فقَضْقَضَه بالكفّ منه وحطَّما

٭ ٭ ٭

ابن الزبير ومعاوية

نازع مروان بن الحكم يوما ابنَ الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع مروان ؛ فقال ابن الزبير : يامعاوية ، إنّ لك حقا وطاعة ، وإن لك صلة وحرمة ؛ فأطِعِ الله نُطعْك ؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ؛ ولا تُطرق إطراق الأفعوان فى أصول السَّخْبر .

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذُكر له مرْوان ـ فقال : إن يطلب هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ؛ وما أراكم بمُنْتَهِينَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا ترده مودّة ، يسومكم خسفاً ويُوردكم تلفا .

قال ابن الزبير : إذاً والله نُطلق عقال الحرب بكتائبَ تمور كرِجْل الجراد ، حافاتها الأسَل ، لها دوىٌّ كدوى الريح ، تتبع غِطريفاً من قريش

(١) فى بعض الأصول : « وأمضى » .

لم تكن أمه براعيةِ ثَلّة .

قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلتُ ذِروة السنام ، وشربت عنفوان المَكْرَع ، وليس للآكل بعدى إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرَّنْق .

مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه ٥

ابن العاص والحسن

وفد الحسن بن علىّ على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية ، ياأمير المؤمنين ، إن الحسن لَفَهٌّ ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم . ففعل ، فصعد المنبر وتكلم وأحسن ؛ ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم ابناً لنبيّكم ما بين لابتَيها لم تجدوه غيرى وغير أخى . وإنْ أدرى لعله فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين . فساء ذلك عَمْراً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : ١٠ أبا محمد ، أتصف الرُّطب ؟ فقال : أجل ، تلقحه الشمال وتخرّجه الجنوب ، وتُنضجه الشمس ، ويصبغه القمر . قال : أبا محمد ، هل تنعت الخَرَاءة ؟ قال : نعم ، تُبعد المَشْىَ فى الأرض الصَّحْصَح حتى تتوارى من القوم ، ولا تَستقبل القبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالقُمّة والرِّمّة - يريد الروث والعظم - ولا تبُل فى الماء الراكد . ١٥

مروان والحسن فى مجلس معاوية

بينما معاوية بن أبى سفيان جالس فى أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب . فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ! فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ؛ فإنى أسأله ما ليس عنده فيه جواب . قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم قد أُلهموا الكلام وأذِن له ؛ فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيبُ إلى شاربك ياحسن ، ويقال إنّ ذلك من الُخرْق ! ٢٠

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكنا معشر بنى هاشم أفواهُنا عذبة شِفاهها فنساؤنا يُقْبلن علينا بأنفاسهن وقُبَلهن ؛ وأنتم معشر بنى أُمية فيكم بَخَر شديد ، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسَهن عنكم إلى أصداغكم ؛ فإنما يشيب منكم

موضعُ العِذار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بنى هاشم خصلةَ سوء .
قال : وما هى ؟ قال : الغُلْمَة . قال : أجل ، نُزعت الغلمة من نسائنا ووضعت
فى رجالنا ، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت فى نسائكم ، فما قام لأموية
إلا هاشمى ! فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم
٥ عليكم بيتكم وأفسد عليكم مجلسكم .

فخرج الحسن وهو يقول :

ومارَسْتُ هذا الدهر خمسين حِجّةً * وخمساً أُزَجِّى قائلا بعــد قائل
فلا أنا فى الدنيــا بلغتُ جَسيمَها * ولا فى الذى أهوى كدَحْت بطائل
وقد أشرعتْ فىَّ المَنايا أكفَّها * وأيقنتُ أنى رهْن موتٍ بعاجل

الحسن وحبيب الفهرى

١٠ قال الحسن بن على لحبيب بن مسلمة الفِهرى : ربَّ مسير لك فى غير
طاعة الله ! قال : أما مسيرى إلى أبيك فلا ! قال : بلى ، ولكنك أطعت
معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى آخرتك ،
ولو كنتَ إذ فعلتَ شرا قلتَ خيراً كنت كما قال الله عز وجل : ﴿خلطوا
عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً﴾ ، ولكنك كما قال الله : ﴿بل رانَ على قلوبهم
١٥ ما كانوا يكسِبون﴾ .

ابن جعفر وابن الحكم فى مجلس عبد الملك

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان ، فقال له يحي بن الحكم :
ما فعلتْ خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيْبة
وتسميها خبيثة ؟ لقد اختلفتما فى الدنيا وستختلفان فى الآخرة ! قال يحي : لأن
أموت بالشام أحب إلىّ من أن أموت بها ! قال : اخترت جوارَ النصارى على
٢٠ جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحي : ما تقول فى علىّ وعثمان ؟
قال : أقول ما قاله من هو خير منى فيمن هو شر منهما : ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادُك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ .

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

معاوية والضحاك وابن العاص

قال معاوية يوما وعنده الضحاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو ابن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

قال الضحاك بن قيس : إكداء العاقل وإجداء الجاهل . وقال سعيد بن العاص : أعجب الأشياء ما لم يُرَ مثله . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء ٥ غلبة من لا حقّ له ذا الحقّ على حقه . وقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطِى مَن لا حق له ما ليس له بحق من غير غلَبة .

معاوية وقوم من قريش

حضر قوم من قريش مجلس معاوية ، فيهم عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ؛ فقال عمرو : أحمد الله ١٠ يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من يغضى على القذى ، ويتصامّ عن العوراء ، ويجرّ ذيله على الخدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لمشّنا إليه الضر أو دبينا إليه الخَمر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مالَ مصر . قال معاوية : يا معشر قريش ، حتى متى لا تُنصفون من أنفسكم ؟ . قال عبد الرحمن بن الحارث : إن عَمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك . لو أغضيتَ عن هذه . قال : إن عمراً لى ١٥ ناصح . قال عبد الرحمن : فأطعِمنا مثل ما أطعمتَه ، وخذنا بمثل نصيحته ؛ إنا رأيناك يا معاوية تضرب عوامّ قريش بأياديك فى خواصها ، كأنك ترى أن بكرامها جاروك دون لئامها ، وإنا والله لنُفرغ من إناء فعم فى إناء ضخم ، وكأنك بالحرب قد حَل عقالها عليك من لا ينظر لك . قال معاوية : يا بن أخى ، ما أحوج أهلك إليك ! فلا تفجعهم بنفسك ! ثم أنشد :

٢٠ أعَزّ رجالا من قرَيْش تتابَعوا ٭ على سَفه ، مِنى الحيا والتكرمُ

معاوية وابن الزبير

وقال معاوية لابن الزبير : تُنازعنى هذا الأمر كأنك أحق به منى ! قال : لم لا أكون أحق به منك يا معاوية ، وقد اتبع أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الإيمان واتبع الناسُ أباك على الكفر ؟ قال له معاوية : غلطت يا ابن الزبير بعث الله ابنَ عمى نبيا فدعا أباك فأجابه ؛ فما أنت إلا تابعٌ لى ، ضالا كنتُ أو مَهْديًّا .

معاوية ومروان وابن العاص فى الحسين

العتبي قال : دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له : أشِر على فى الحسين . قال : تخرجه معك إلى الشام ، فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه . قال : أردتَ والله أن تستريح منه وتبتليني به ، فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره ، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رحِمه ! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص ، فقال له : يا أبا عثمان ، أشر علىّ فى الحسين . فقال : والله إنك ما تخاف الحسين إلا على من بَعْدك ، وإنك لتُخلف له قِرنا إن صارعه ليصرعنه ، وإن سابقه ليسبقنّه ؛ فذَر الحسين منبت النخله ، يشرب من الماء ، ويصعد فى الهواء ، ولا يبلغ إلى السماء ! قال : فما غيَّبك عنى يوم صفِّين ؟ قال : تحملت الحُرم ، وكُفيت الحزم ، وكنت قريبا لو دعوتنا لأجبناك [1] ، ولو ثُلمت لرقعناك ! قال معاوية : يا أهل الشام ، هؤلاء قومى وهذا كلامُهم .

مجاوبة بين بنى أمية

ابن سعيد وابن عتبة فى حضرة معاوية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان وليَهُم بعد الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان ، قال عمر بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة هو الذى أمر أهلَ المدينة بإخراجى ؛ فأَرْسلْ إليه وتوَبِّخه . فأرسل إليه معاوية ، فلما دخل عليه قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجى ؟ قال لا وربحِك أبا أمية ، ولا أمرت أهلَ الكوفة بإخراج أبيك ؛ بل كيف أطاعنى أهل المدينة فيك ، إلا أن تكون عَصَيت الله فيهم ؟ إنك لتحل عُرى ملك شديدةً عقدتُها ، وتمترى أخلاف فيقَةِ سريعةٍ درتُها ؛ وما جعل الله صالحا مصلِحا كفاسدٍ مفسِد !

معاوية وخالد بن عبد الله فى أموال العراق

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ،

---

(١) فى بعض الأصول : « لأطعناك » .

وعند رجليه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأُدخلت عليه الأموال التي جاءت من قِبَل الحجاج حتى وُضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة؛ لا ما فعل هذا ـ وأشار إلى خالد ـ آستعملته على العراق فاستعمل كل مُلِطٍّ فاسق فأدّوا إليه العشرة واحداً ، وأدّى إليّ من العشرة واحداً ! واستعملت هذا على خراسان ـ وأشار إلى أمية ـ فأهدى إليّ برذونين حَطِمَيْن ، فإن استعملتكم ضيعتم ٥
وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا ! فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهلُه رجلان : سامع مطيع مناصح ، وعدوّ مبغض مكاشح ؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنا جزيناه ليزداد وُدًّا إلى وده ، وأما المبغض المكاشح ، فإنا داريناه ضغنه وسللنا حقده ، وكثّرنا لك المودةَ في صدور رعيتك ؛ وإن هذا جَبَى الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ؛ فيوشك أن تَنبت البغضاء ١٠
فلا أموال ولا رجال ! فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : هو والله ما قال خالد .

خالد بن يزيد ومحمد بن عمرو

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام ، فأتى عمّته آمنة بنت سعيد ابن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه فرآه فقال له : ما يَقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه ١٥
يعرّض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح ، فنكحوا أمّك ، وسلبوك ملكك ، وفرّغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجةِ ما لا تقدر عليه . يعني الكيميا ، وكان يعملها .

عثمان وابن العاص بعد عزله عن مصر

لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ماحشوُ جُبّتك يا عمرو ؟ قال : أنا ! قال : ٢٠
قد علمت أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن اللّقاحَ درّت بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أعجفتم أولادَها .

ابن لعمر بن عبد العزيز وابن لسليمان

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابنٍ لسليمان بن عبد الملك كلام . فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان : إن شئت فأقلل وإن شئت

فأكثر ؛ ماكان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبى ! لأن سليمان هو ولى عمرَ ابن عبد العزيز .

العباس بن الوليد والوليد بن يزيد

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بنى مروان كانوا عند هشام ، فذكروا الوليد بن يزيد ، فحمّقوه وعابوه ، وكان هشام يبغضه ؛ ودخل الوليد ، ٥ فقال له العباس بن الوليد : كيف حبُّك للروميات ؟ قال : إن أباك كان مشغوفا بهنّ . قال : إنى لا أحبهن . [قال] : وكيف لا يُحببن وهن يلدن مثلك ؟ قال : اسكت ، فلستَ بالفحل يأتى عسْبه بمثلى . قال له هشام : يا وليد ، ماشرابك ؟ قال : شرابُك يا أمير المؤمنين . وقام فخرج ، فقال هشام : هذا الذى تزعمون أنه أحمق .

الوليد بن يزيد وولد لهشام

١٠ وقرّب إلى الوليد بن يزيد فرسُه ، فجمع جراميزه ووثب على سرجه ، ثم التفت إلى ولدٍ لهشام بن عبد الملك ، فقال : يحسن أبوك أن يصنع مثلَ هذا ؟ قال : لأبى مائة عبد يصنعون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه فى الجواب .

عبدالملك ويحيى ابن الحكم وبنت لعبد الرحمن بن هشام

خطب عبد الملك بن مروان بنتَ عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقالت : والله لا تزوجنى أبو الذباب ! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى : ١٥ أما والله لقد تزوجت أسودَ أفوَه ! قال يحيى : أما إنها أحبّت منى ماكرهت منك ! وكان عبد الملك ردىء الفم ، يدمى فيقع عليه الذباب ، فسمى أبا الذباب .

الجواب القاطع

ثابت بن عبدالله وسعيد بن عثمان

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إنى لأبغض هذه ٢٠ الوجوه . قال له سعيد بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ! قال : صدقت ، ولكن الأنصارُ والمهاجرون قتلوا أباك !

الحجاج وخارجى

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغِضُهم ! قال له : أدخل اللهُ أشدّنا بغضاً لصاحبه الجنة .

عمرو بن معديكرب وباهلى

وقال ابن الباهلى لعمرو بن معديكرب : إن مُهرك لمقرف . قال : هجينٌ عرف هجيناً مثلَه .

الحجاج وخارجية

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعُدَّنكم عَدًّا ولأحصُدَنَّكم حَصداً ! قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق !

٥ وأُتِىَ الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابها : ما تقولون فيها ؟ قالوا : عاجلها القتل أيها الأمير ، قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك ياحجاج ! قال لها : ومَن صاحبي ؟ قالت : فرعون ؛ استشارهم فى موسى فقالوا : أرْجِهْ وأخاه !

زياد وخارجى

وأُتِى زيادٌ برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فىّ وفى أمير المؤمنين ؟ ١٠ قال أما الذى تسميه أميرَ المؤمنين فهو أميرُ المشركين ، وأما أنت فما أقول فى رجل أوله لزنية وآخره لدعوة ! فأمر به فقتل وصلب .

الأشعث وشريح

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضى : لشدّ ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت ذلك ضرَك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .

ابن الفضل وبعض قرابته

نازع محمد بن الفضل بعض قرابته فى ميراث ، فقال له : يابن الزنديق ! قال له : ١٥ إن كان أبى كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعنى فى هذا الميراث ؛ إذ كان لا يرث دِينٌ ديناً .

الحجاج وخارجية

وأُتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهى لا تنظر إليه ، فقيل لها الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إنى لأستحيي أن أنظر إلى من لاينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .

عثمان وعلى

٢٠ لقى عثمان بن عفان علىَّ بن أبى طالب ، فعاتبه فى شىء بلغه عنه ، فسكت عنه على ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟ قال : له على : ليس لك عندى إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره

وتكلم الناس عند معاوية فى يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت

الأحنف ؛ فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ؟ قال : أخافك إن صَدقْتُ وأخاف الله إن كذَبْتُ !

لمعاوية

قال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله فضّل قريشاً بثلاث : فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿وأنذرْ عشيرَتكَ الأقربين﴾ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : ﴿وإنهُ لذِكْرٌ لكَ ولقَوْمِكَ﴾ ، فنحنُ قومُهُ ؛ وقال : ﴿لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشّتاءِ والصَّيْفِ فلْيَعْبُدوا رَبَّ هٰذا البيْتِ الذى أَطْعَمَهُم من جوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ، ونحن قريش ! فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ﴿وكذّبَ بهِ قومكَ﴾ ، وأنتم قومه ؛ وقال : ﴿ولمّا ضُرِبَ ابن مريَمَ مثَلاً إذا قومُكَ مِنه يَصِدُّونَ﴾ وأنتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿يارَبِّ إنّ قومى اتَّخَذُوا هٰذا القرآنَ مهجوراً﴾ ، وأنتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتَنا لزدناك ! فأفحَمَه .

معاوية ويمنى

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهلَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهلُ من قومى قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿اللهُمَّ إن كانَ هذا هو الحقَّ من عِندِك فأَمْطِر علينا حِجارةً مِنَ السماءِ أوِ آئتِنا بعذابٍ أليمٍ﴾ ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

مجاوبة الأمراء والردّ عليهم

معاوية وابن قدامة

قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك جارية . قال : ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك معاوية ، وهى الأنثى من الكلاب . قال : لا أمّ لك ! قال : أمى ولدتنى للسيوف التى لقيناك بها فى أيدينا . قال : إنك لتهدّدنى ! قال : إنك لم تفتَتِحْنا قسرا ولم تَمِلكنا عَنوة ، ولكنك أعطيتَنا عهدا وميثاقاً وأعطيناك سمعا وطاعة ، فإن وفَيْتَ لنا وفينا لك ، وإن فزعت إلى غير ذلك ، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حداداً .

قال له معاوية : لا كثّر الله فى الناس أمثالك . قال جارية : قُلْ معروفاً وراعنا ؛ فإن شر الدعاء المحتطَب .

معاوية والأحنف

عدّد معاوية بن أبى سفيان على الأحنف ذنوباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم تردّ الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التى أبغضناك بها لبيْنَ جوانحنا ، والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددتَ فِتْراً من غَدْر لنَمُدّن باعاً من ختْر ؛ ولئن شئت لنستصفينّ كدرَ قلوبِنا بصفو حلمك . قال : فإنى أفعل !

معاوية وعدى

قال معاوية لعدى بن حاتم : مافعلت الطرفات يا أبا طريف ؟ يعنى أولاده ؛ قال : قُتلوا ! قال : ما أنصفك ابن أبى طالب إذ قُتِل بنوك معه وبَقِىَ له بنوه ! قال : لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبقيتُ أنا بعده ! قال له معاوية : ألم تزعم أنه لا يُخْنَق فى قتل عثمان عنز ؟ قال : قد والله خُنق فيه التيس الأكبر . قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها ! قال عدى : لا أبالك ! شِمِ السيف ، فإنّ سلّ السيف يَسُلُّ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال : اجعلها فى كتابك فإنها حكمة .

الأحنف وشامى لعن عليا

الشيبانى عن أبى الجناب الكِندى عن أبيه ، أن معاوية بن أبى سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا ، فكان آخرُ كلامه أن لعن عليا ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رُضاك فى لعْن المرسلين لعنهم ، فاتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقى ربّه ، وأُفرِد فى قبره ، وخلا بعمله ؛ وكان والله ــ ما علمنا ــ المبرِّز بسبقه ، الطاهرَ خلقه[1] ، الميمونَ نقيبتُه ، العظيمَ مصيبتُه فقال له معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت ما ترى ! وآيم الله لتصعدنّ المنبر فتلعننّه طوعا أو كرها ، فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين ، إن تعفنى فهو خيرٌ لك ، وإن تجبُرْنى على ذلك فوالله لا تجرى فيه شفتاى أبداً !

(١) فى بعض الأصول : « ثوبه » .

قال : قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك فى القول والفعل . قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتَنى ؟ قال : أصعدُ المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلِّ على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا ، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا ، وادّعى كلٌّ واحد منهما أنه بُغِي عليه وعلى فئته ؛ فإذا دعوتُ فأمّنوا رحمكم الله . ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتُك وأنبياؤك وجميعُ خلقك الباغىَ منهما على صاحبه ؛ وآلعَنِ الفئة الباغية ؛ اللهم العنهم لعنا كبيراً ! أمّنوا رحمكم الله . يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسى ؛ فقال معاوية : إذاً نُعْفيك يا أبا بحر .

معاوية وعقيل فى أمر على

وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب : إن عليا قد قطعك ووصلتُك ؛ ولا يرضينى منك إلا أن تلعنه على المنبر ! قال : أفعل ، فأُصعد ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن علىّ بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل ، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد مَن لعنتَ بينى وبينه . قال : والله لازدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم .

الهيثم بن عدى قال : قال معاوية لأبى الطفيل : كيف وَجْدُك على علِىّ ؟ قال : وجدُ ثمانين مثكلا ! قال : فكيف حبُّك له ؟ قال : حب أم موسى ، وإلى الله أشكو التقصير !

وقال مرة أخرى : أبا الطفيل ! قال : نعم . قال : أنت مِنْ قتلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكنى ممن حضره ولم ينصره . قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره . قال : لقد كان حقُّه واجبا وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعَك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبى بدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان

كما قال الشاعر :

لأعرِفنّك بعد الموْتِ تَندُبُنى ٭ وفى حياتى مازوّدْتَنى زادا

معاوية وابن الخطل

العتبى قال : صعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن عمر ولانى أمراً من أمره ، فوالله ماغششتُه ولاخنتُه ثم ولانى الأمر مَن بعده ولم يجعل بينى وبينه أحداً ؛ فأحسنت والله وأسأت ، وأصبت وأخطأت ؛ فمن كان يجهلنى فإنى أُعَرِّفه بنفسى . فقام إليه سلمة بن الخَطِل العرجىّ ؛ فقال : أنصفت يامعاوية وماكنت منصفا . قال فغضب معاوية وقال : ماأنت وذاك ياأحدب ؟ والله لكأنى أنظر إلى بيتك بمَهْيعة ، وبُطْنُب تَيْس ، وبطنب بهمة ، بفنائه أعنز عشر ، يحتلبن فى مثل فوارة حافر العَير ، تهفو الريح منه بجانب ، كأنه جناح نسر . قال : رأيت والله ذاك فى شر زماننا إلينا ، ووالله إن حَشْوه يومئذ لحسبٌ غير دنس ؛ فهل رأيتنى يامعاوية أكلت مالا حراما أو قتلت امرأً مسلما ؟ قال : وأين كنت أراك وأنت لاتدبُّ إلا فى خمر ؟ وأى مسلم يعجز عنك فتقتله ؟ أم أى مال تقوى عليه فتأكله ؟ اجلس لا جلست . قال : بل أذهب حتى لا ترانى . قال إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها . فمضى ، ثم قال معاوية : رُدّوه علىّ ، فقال الناس : يعاقبه ! فقال له : أستغفر الله منك ياأحدب ، والله لقد بررتَ فى قرابتك ، وأسلمت فحُسن إسلامك ، وإن أباك لسيّدُ قومه ؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد .

معاوية وخريم الناعم

الأوزاعى قال : دخل خريم الناعم على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أىُّ ساقين . لو أنهما على جارية . قال فى مثل عجيزتك ياأمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادى أظلم .

عبدالملك وعطاء

دخل عطاء المُضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أمَا وجَدَتْ لك أمك آسما إلا عطاء ؟ قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتَه ياأمير المؤمنين ، ألَا سمّتنى باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

معاوية وصحار

قال معاوية لصُحار بن العباس العبدى : ياأزرق . قال : البازى أزرق . قال :

يا أحمر . قال : الذهب أحمر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس ؟ قال : شيء يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتُنا كما يقذف البحر الزَّبَد . قال : فما البلاغة عندكم؟ قال : أن نقول فلا نخطئ ، ونجيب فلا نُبطئ .

ابن عامر وابن حازم

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يا ابن عَجْلَى . قال: ذاك اسمها . قال : يا بن السوداء . قال : ذاك لونها . قال : يا بن الأمة . قال : كل أنثى أمة فاقصد بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإماء قد ولدْنَك .

عبد الملك وابن ظبيان

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على من لم يشبه أباه . قال : من هو ؟ قال : من لم تُنضجه الأرحام ، ولم يولد لتمام ، ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف . وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه وُلد لستة أشهر .

هشام وزيد ابن علي

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا نقعد فيه : فعلم أن ذلك فُعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد : إنه لا يكبر أحدٌ فوق تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله . قال له هشام : بلغني أنك تحدِّث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛ إنك ابن أمة . قال : زيد : أما قولك إني أحدِّث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة من صُلبه خير البشر محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أُخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . قال له : قم . قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذَل . قال له حاجبه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

وقال زيد بن علي :

شرَّده الخوف وازرى به * كذاك من يكره حرَّ الجِلادْ

مُحتفِى الرِّجليْن يشكو الوجا ۔ تَقْرعُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَادْ

قد كان فى الموْتِ له راحةٌ ۔ والموتُ حَتْمٌ فى رقاب العِبادْ

ثم خرج بخراسان ، فقتل وصلب فى كناسة . وفيه يقول سُديف بن ميمون فى دولة بنى العباس :

واذكروا مَقْتل الحسيْنِ وزيْداً ۔ وقتيـــلًا بجانب المِهْراس ٥

يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأُحد .

عبد الملك ورجل من قيس

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان ؛ فقال : زُبيرى . والله لا يحبك قلبى أبداً . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع مِن الحب النساء ، ولكن عدل وإنصاف .

عمر بن الخطاب وأبو مريم

١٠ وقال عمر بن الخطاب لأبى مريم الحنفى قاتل زيد بن الخطاب : والله لا يحبك قلبى أبداً حتى تحب الأرض الدم . قال : يا أمير المؤمنين ، فهل تمنعنى لذلك حقا ؟ قال : لا . قال : فحسبى .

سليمان ويزيد ابن أبى مسلم

دخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك ، فقال : على امرئ أوطأك رسَنَه وسلَّطك على الأمة لعنه الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتنى والأمر مدبر عنى ولو رأيتنى والأمر مقبل علىَّ لعظم فى عينك ما استصغرت منى . قال : أتظن ١٥ الحجاج استقر فى قعر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتى يوم القيامة بين أبيك ، وأخيك فضعه من النار حيث شئت .

مروان وزفر

وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغنى أن كندة تدَّعيك . قال : لا خير فيمن لا يتَّقى رهبة ولا يدَّعى رغبة .

مروان وابن دلجة

٢٠ قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلْجة : إنى أظنك أحمق . قال : [أحمق] ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه .

مروان وحويطب

وقال مروان لحويطب بن عبد العُزّى ، وكان كبيراً مُسنًّا : أيها الشيخ ، تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث . فقال : الله المستعان ، والله لقد هممت بالإسلام

غير مرة ، وكل ذلك يعوقنى عنه أبوك وينهانى ، ويقول : يضع من قدرك أن تترك دين آبائك لدينٍ محدَث ، وتصير تابعاً فسكت مروان .

عبدالملك وثابت ابن عبد الله

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ماكان أعلم بك حيث كان يشتمك . قال : ياأمير المؤمنين ، إنما كان يشتمنى أنى كنت أنهاه أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة ؛ فإن الله لاينصر بهما ؛ أما أهل مكة فأخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فآذوه حتى سيرهم - يعرِّض بالحكم بن أبى العاص طريد النبى صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه . قال له : عليك لعنة الله .

معاوية والبراءة من على

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من علىّ ؛ فقال له رجل من بنى تميم : ياأمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولانبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى زياد فقال : هذا رجل فاستَوْص به .

معاوية والأنصار

قال معاوية يوما : يامعشر الأنصار ، بمَ تطلبون ماعندى ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معى كثيراً معى على ، ولقد فَللتم حدّى يوم صِفين حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم ، ولقد هجوتمونى [فى أسلافى] بأشدَّ من وخز الأسل ، حتى إذا أقام الله مِنَّا ما حاولتم مِيْله ، قلتم ارْعَ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . هيهات . يأبى الحَقينُ العِذْرة .

فأجابه قيس بن سعد ، فال أما قولك جئناك نطلب ما عندك ، فبالإسلام الكافى به الله ماسواه ، لابما نمتّ إليك به من الأحزاب ؛ وأما استقامة الأمر ، فعلى كره مناكان ؛ وأما فَلُّنا حدَّك يوم صِفين ، فأمرٌ لانعتذر منه ؛ وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتَها عنك ؛ وأما هِجَاؤنا إياك ، فقولٌ يَثبت حقُّه ويزول باطله ؛ وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمنْ بها يحفظْها مِن بعده ؛ وأما قولك يأبى الحقين العِذْرة ، فليس دون الله يدٌ تحجزك منا ؛ فدونك أمرك يامعاوية ؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر .

يا لك من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ ﻫ خلَالك الجوُّ فبيضى واصْفِرِى

سليمان وابن المهلب

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفى حلفائنا من ربيعة . قال سليمان : الذى تحالفتما عليه أعزُّ منكما .

عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير

مرّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففزوا وثبت ابن الزبير ؛ قال له عمر : كيف لم تفرّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم فأخافك ، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسّع لك ! ٥

عبدالله بن الزبير وعدى بن حاتم

وقال عبد الله بن الزبير لعدى بن حاتم : متى فقئتْ عينك ؟ قال : يوم قتِل أبوك ، وهربتَ عن خالتك ، وأنا للحقّ ناصر ، وأنت له خاذل . وكان فقئت عينه يوم الجمل .

الرشيد وابن مزيد

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء فى ربيعة ؟ قال : نعم ، ولكن منابرهم الجذوع . ١٠

يزيد بن معاوية والمسور

كان المِسْور بن مخرمة جليلا نبيلا ، وكان يقول فى يزيد بن معاوية إنه يشرب الخمر ؛ فبلغه ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلده الحد ، ففعل ، فقال المسور فى ذلك :

أيشرَبُها صِرْفا يفُضّ ختامَها ٭ أبو خالدٍ ويُجلَد الحدَ مِسْوَرُ

المأمون وابن أكثم

قال المأمون ليحي بن أكثم القاضى : أخبرنى من الذى يقول : ١٥

قاضٍ يَرى الحدَ فى الزّناء ولا ٭ يَرَى على مَن يَلوط من بَاسِ

قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذى يقول :

لا أحسبُ الجوْرَ ينقضى وعلى الْـ ٭ أُمّة والٍ من آل عبّاسِ

قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم . قال : يُنفى إلى السند . وإنما مزحْنا معك .

سليمان وابن الرقاع

قال سليمان بن عبد الملك لعدى بن الرقاع : أنشدنى قولك فى الخمر : ٢٠

كُميْت إذا شُجّت، وفى الكأس ورْدة ٭ لهـــا فى عِظام الشاربين دَبيبُ

تُريك القذَى مِن دونِها وهى دونَه ٭ لوجه أخيهـــا فى الإناء قطوب

فأنشده ؛ فقال له سليمان : شربتَها ورب الكعبة ! قال عدى : والله

يا أمير المؤمنين ، لئن رأبك وضنى لهما قد رابنى معرفتك بهما ! فتضاحكا وأخذا فى الحديث .

بلال وخالد بن صفوان

الأصمعى قال : لما ولى بلال بن أبى بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان ، فقال :

* سحابة صيفٍ عن قليل تقشّعُ *

٥ فبلغ ذلك بلالا فدعا به ، فقال : أنت القائل ؟

* سحابة صيفٍ عن قليل تقشع ؟ *

أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ! فضربه مائة سوط .

وكان خالد يأتى بلالا فى ولايته ، ويغشاه فى سلطانه ، ويغتابه إذا غاب عنه .

ويقول ما فى قلب بلال من الإيمان إلا ما فى بيت أبى الزرد الحنفى من الجوهر .

١٠ وأبو الزرد رجل مفلس .

عتبة وخالد القسرى

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرّض به : إن ها هنا رجالا يُداينون فى أموالهم ، فإذا فنيَت يداينون فى أعراضهم ! فعلم القرشى أنه يعرّض به ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالا تكون أموالهم ١٥ أكثر من مروءاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ؛ ورجالا تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم ، فإذا نفدت اذانوا على سعة ما عند الله ! فخجل خالد وقال : أمَا إنك منهم ما علمت .

شريك والربيع

كان شريك القاضى يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدى لحمل الربيعُ المهدىَّ عليه ، فدخل شريك يوما على المهدى ، فقال له المهدى : بلغنى أنك ٢٠ وُلدت فى قوصرة . فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان ، والقواصر هناك عزيزة ، قال : إنى لأراك فاطميا خبيثا ! قال : والله إنى لأحب فاطمة وأبا فاطمة . صلى الله عليه وسلم ؛ قال : وأنا والله أحبهما ؛ ولكنى رأيتك فى منامى مصروفا وجهك عنى ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ؛ وما أرانى إلا قاتلك لأنك زنديق ! قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الدماء لا تسفك بالأحلام ؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأمّا قولك بأني زنديق ، فإنّ للزنادقة علامة يُعرفون بها . قال : وما هي ؟ قال : بشرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ، وأنت خير من الذى حملنى عليك .

عمر بن الخطاب وابن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد سرت سيرة عاشق . قال : والله ما تأبطتْنى الإماء ولا حملتنى البغايا فى غُبَّرات المآلى ! قال عمر : والله ما هذا جواب كلامى الذى سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص فى الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طَرْقها . وقام عمر فدخل ، فقال عمرو : لقد فحش علينا أمير المؤمنين !

بين عبدالله بن مسلم والحضين ابن المنذر

وتزعم الرواة أنّ قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم يُرَ مثله ، وإلى آلات لم ير مثلها ، وأراد أن يُرِىَ الناس عظيم ما فتح الله عليهم ، ويعرّفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بدارٍ ففرشت وفى صحنها قدور أشتات تُرتقَى بالسلالم ؛ فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة : ائذن لى فى كلامه . فقال : لا تردْه فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله إلا أن يأذن له . وكان عبد الله يضعَّف ، وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك ؛ فأقبل على الحضين فقال : أمِن الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ قال : أجل ، ضعف عمُّك عن تسوّر الحيطان ! قال : أرأيت هذه القدور ؟ قال : هى أعظم من أن لا تُرى . قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها . قال : أجل ، ولا عيلان : ولو كان رآها سُمِّى شبعان ، ولم يسمَّ عيلان ! قال له عبد الله : أتعرف الذى يقول :

عزلْنا وأمَّرْنا ، وبكر بن وائلٍ ٭ تجرّ خُصاها تبتغى مَن تُحالفُ

قال : أعرفه وأعرف الذى يقول :

وخَيبة من يخيب على غنىّ ٭ وباهلة بن يَعْصر والرِّباب

يريد : يا خيبة من يخيب .

قال : أتعرف الذى يقول :

كأنّ فِقاحَ الأزْد حوْلَ ابن مِسمعٍ ٭ إذا عَرِقتْ أفواه بكر بن وائلِ

قال : نَعم ، وأعرف الذى يقول :

قوْمٌ قتيْبة أمّهم وأبوهم ٭ لولا قتيْبة أصبحوا فى مَجهلِ

٥ قال : أمّا الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ منه الأكثر : ﴿هل أتى على الإنسان حِينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾ . قال : فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أنّ امرأة الحضين حُملت إليه وهى حبلى من غيره ! قال : فما تحرّك الشيخ عن هيئته الأولى ؛ ثم قال على رِسله : وما يكون ؟ تلد غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ! فأقبل

١٠ قتيبة على عبد الله فقال : لا يبعد الله غيرك !

والحضين هذا هو الحضين بن منذر الرقاشى ، ورقاش أمّهم ، وهو من بنى شيبان بن بكر بن وائل ، وهو صاحب لواء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول على بن أبى طالب :

لِمَن رايةٌ سوداءُ يَخفِق ظلُّها ٭ إذا قيل قدّمها حضيْن تقدّما

١٥ يقدمها فى الصفّ حتى يُزيرَها ٭ حِياضَ المنايا تَقطر السُّمَّ والدّما

جزى الله عنى والجزاءُ بفضله ٭ رَبيعةَ خيراً ما أعَفَّ وأكرَما

ابن الجارود وابن العاص

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمرو بن العاص : أىّ رجلٍ أنت لو لم تكن أمّك ! ممن هى ؟ قال : أحمد الله إليك ؛ لقد فكرت فيها البارحة ، فجعلت أنقلها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس ببال .

ابن صفوان ودارى

٢٠ قال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من قريش ـ فقال له خالد : لقد هشمتك هاشم ، وأمّتك أميّة ، وخزمتك مخزوم ، وجمحتك جُمَح ، وسهمتك سهم ؛ فأنت ابنُ عبد دارها ، تفتح الأبواب إذا أغلقت ، وتغلقها إذا فتحت .

جواب فى هزل

المغيرة وأعرابى يؤكله

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة ، جَدْىٌ يوضع على مائدته ، يحضره أعرابى ، فمد يده إلى الجدى وجعل يسرع فيه ؛ فقال له المغيرة : إنك لتأكله بحَرْدٍ كأن أمه نطحتك ! قال : وإنك لمشفق عليه كأنّ أمه أرضعتْك .

ابن عنبسة وإبراهيم فى حضرة هشام

كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن ٥ عنبسة بن سعيد بن العاص ، أحمرَ الجبة والمطرف والعمامة ؛ فقال إبراهيم ؛ هذا ابن عنبسة قد أقبل فى زينة قارون ! قال : فضحك هشام ؛ قال له عبد الرحمن : ما أضحكك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره بقول إبراهيم ؛ قال له عبد الرحمن : لولا ما أخاف من غضبه عليك وعلىّ وعلى المسلمين لأجبتُه ! قال : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغنى أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها . وكان إبرهيم أعور ! قال إبراهيم ١٠ لولا أن له عندى يداً عظيمة لأجبتُه ! قال : وما يده عندك ؟ قال : ضربه غلام له بمدية فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لايدخل عليه مملوك إلا قال له : أنت حُرٌّ ! فدخلت عليه عائدا له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لى : أنت حر ! قلت له : أنا إبراهيم ! قال لى : أنت حُرٌّ ، فضحك هشام حتى استلق .

ابن حسان وعطاء

قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبى صيفى بن ثابت : لو أصبت ركوة مملوءة ١٥ خمرا بالبقيع ماكنت صانعاً ؟ قال : كنت أعرّفها بين التجار ، فإن لم تكن لهم فهى لك ! لكن أخبرنى عن الفريعة أهى أكبر أم ثابت ، وقد تزوجها قبله أربعة ، كلهم يلقاها بمثل ذراع البَكر ثم يطلقها عن قِلى ، فقيل لها : يافريعة ، لم تطلقين وأنت جميلة حلوة ؟ قالت : يريدون الضيق ضيّق الله عليهم ...!

جارية وقرشى

ولقى رجل من قريش كان به وضح جارية من بدر وكان مغرماً بالشراب ؛ فقال ٢٠ لها : أشعرتِ أنه بُعث نبىٌّ لهذه الأمة يُحل الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لانصدق به حتى يبرئ الأكمه والأبرص !

الزبرقان وزياد

دخل الزبرقان بن بدر على زياد ، فسلّم تسليما جافياً ، فأدناه زياد وأجلسه

معه ؛ ثم قال له : يا أبا عباس الناس يضحكون من جنائك ! قال : ولم ضحكوا ؟ فوالله إنْ منهم رجل إلا ودّ أنّي أبوه دون أبيه ، لغيّة كان أو لرِشدة !

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال: يا أبا فراس ، أتدري ممّ يضحكون ؟ قال : لا أدرى . قال : من جفائك . قال : أصلح الله الأمير . حججتُ فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأةٌ آخذة بمئزره وهو يقول :

أنتَ وهبْتَ زائداً ومزْيداً ٭ وكهْلةً أُولِج فيها الأجْرَدَا !

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : ممن الرجل ؟ قال : من الأشعريين . فأنا أجفى من ذلك الرجل ؟ قال : لا حياك الله ! فقد علمت أنا لا نُفلت منك .

كوسج ومسبل

اجتمع كوسج مع رجل مُسبِل ، فقال المسبل : ﴿والبلدُ الطيّبُ يَخرُجُ نباتُه بإذنِ ربه ، والذي خَبُثَ لا يخرُجُ إلا نَكِدا﴾ ! قال الكوسج : ﴿قُل لا يَستوى الخبيثُ والطّيّبُ ولو أعجبَكَ كثْرةُ الخبيث﴾ !

مسلمة وموسوس

مر مسلمة بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بموسوس على مزبلة ؛ فقال الموسوس : لو رآك أبوك آدم لقرت عينُه بك . قال له مسلمة : لو راك أبوك آدم لأذهب سخنةُ عينه بك قرةَ عينه بي . وكان مسلمة من أحضر الناس جوابا .

النخعي والأعمش

خرج إبراهيم النخعي ، وقام سليمان الأعمش يمشي معه ؛ فقال إبراهيم : إن الناس إذا رأونا قالوا : أعور وأعمش ! قال : وما عليك أن يأثموا ونُؤجَر ؟ قال : وما عليك أن يَسلموا ونَسلم ؟

شداد وأسود

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، فقلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال : لسيد الحي يا أصلع ! قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لي : الحق أغضبك . قلت : أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع .

ابن أسماء في سجن الكوفة

أُدخل مالك بن أسماء السجن ، سجن الكوفة ؛ فجلس إليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المري يحدثه ؛ ثم قال : أتدرى كم قتلنا منكم في الجاهلية ؟ قال : أما في

الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا فى الإسلام ! قال : ومن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتَنى بنَتن إبْطيك !

نميرية فى يوم ريح

مرت امرأة من بنى نمير على مجلس لهم فى يوم ريح ، فقال رجل منهم : إنها لرسْحاء ! قالت : والله يا بنى نمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُل لِلمؤْمنينَ يَغُضُّوا من أبصارِهِمْ ﴾ . وقال الشاعر : ٥

فغُضَّ الطَّرف إنَّك من نُمَيْرٍ

لشريح

قيل لشريح : أيهما أطيبُ : الجوْزنيق أم اللَّوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب .

هشام والفرزدق

هشام بن القاسم قال : جمعنى والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : مَن الكهل ؟ قال : وما تعرفنى ؟ قلت : لا ! قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس قال : الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت : ١٠ لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يتشهَّون به كهيئة السويق . قال : الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم يتشهون بى !

هشام والأبرش الكلبى

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبى : زوجنى امرأةً من كلب . فزوجه ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا فى نساء كلب سَعة ! قال : يا أمير المؤمنين ، نساء كلب خُلقن لرجالِ كلب . ١٥

وقال له يوماً وهو يتغذى معه : يا أبرش ، إن أكلك أكلٌ معدّى قال : هيهات ، تأبى ذلك قضاعة .

عمارة وشيطان الطاق

عَمارة عن محمد بن أبى بكر البصرى قال : لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامُك . وذلك عند المهدى ؛ فقال شيطان الطاق : لكن إمامك من المُنْظَرِين إلى يوم الوقت المعلوم ! فضحك المهدى ٢٠ من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

نساء كندة

العتبى قال : حدثنى أبى لما افتتح النجير ، وهى مدينة باليمن : سمع رجلٌ من كندة رجلا وهو يقول : وجدنا فى نساء كندة سَعة ! فقال له : إن نساء كندة مكاحل فَقدت مَراودَها .

ابن صفوان والفرزدق

لقى خالد بن صفون الفرزدق ، وكان كثيراً ما يداعبه ، وكان الفرزدق دميا ؛ فقال له . يا أبا فراس ، ما أنت بالذى ﴿لما رأينَهُ أكبَرْنه وقطعْنَ أيدِيهُنّ﴾ قال له : ولا أنت أبا صفوان بالذى قالت فيه الفتاة لأبيها : ﴿يا أبتِ ٱسْتأجِرْهُ إنّ خيْرَ منِ ٱسْتأجَرْتَ القوىُّ الأمينُ﴾.

بين رجلين

٥ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال للمشترى : أما والله لقد أخذتها كثيرةَ المئونة قليلة المعونة . قال له المشترى : وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة الافتراق !

واشترى رجل من رجل دارا ، فقال لصاحبها : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ! قال له البائع : وأنت لو صبرت لاشتريت منك
١٠ الذراع بدرهم !

بقرة بني إسرائيل

وكان بالرقة رجل يحدّث بأخبار بنى إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حَنْتَمة : كيف كان اسم بقرة بنى إسرائيل ؟ قال حنتمة ! فقال له رجل من ولد أبى موسى الأشعرى : أين وجدت هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاص .

للشعبي

وقال رجل للشعبي : ما كان اسمُ امرأةِ إبليس ؟ قال : إن ذالك نكاحٌ
١٥ ما شهدْناه !

ودخل رجل على الشعبي ، فوجده قاعداً مع امرأة ؛ فقال : أيكما الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه ! وأشار إلى المرأة .

معن بن زائدة

كان معن بن زائدة ظنيناً فى دينه ، فبعث إلى ابن عياش المنتوف بألف دينار وكتب إليه : قد بعثنا اليك بألف دينار ، اشتريتُ بها منك دِينَك ؛ فاقبض
٢٠ المال واكتب إلى بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعتك به دِينى خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه !

ابن أبي بردة والممرور

بعث بلال بن أبى بردة إلى ابن أبى علقمة الممرور ، فلما أتى قال : أتدرى لم بعثت إليك ؟ قال لا أدرى . قال : بعثت إليك لأضحك بك ! قل : لقد ضحك أحد الحَكمين من صاحبه ـ يعرّض له بجده أبى موسى ـ فغضب بلال

وأمر به إلى الحبس ، فكلّمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعاقَب ولا يحاسب . فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأُتى به فى يوم سبت وفى كمه طرائف أُتحف بها فى الحبس ؛ فقال له بلال : ما هـذا الذى فى كمك ؟ قال : من طرائف الحبس . قال : ناولنى منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يُعطَى فيه ولا يؤخَذ ! يعرِّض بعمة كانت له من اليهود . ٥

حسان وعائشة

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضى الله عنها فأنشدها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ٭ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ

قالت له : لكنك لست كذلك ! وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك .

ابن الأحوز وأزدى

نظر رجل من الأزد إلى هـلال بن الأحوز حين قدم من قنـدابيل وقد أطافت به بنو تميم ، فقال : انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى . ١٠ فقال له محمد بن عبد الملك المازنى : هـذا ضدٌّ : عيسى كان يحيى الموتى ، وذا يميت الأحياء .

ربيعة وبعض النساء

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبى عبـد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف عليه كل يوم فى حلقته ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن ! من حلق لحيتك ؟ فلما أبرمته قال لها : يا هذه ، إن ذلك حلقها فى جزّة واحدة ، وأنت تحلقينها ١٥ فى كل يوم .

سعيد بن هشام وبعض الرجال

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بحمص فى يوم مطر، عليه طيلسان وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : أفسدتَ ثوبك أبا عبد الله ! قال : وما يضرك ؟ قال : وددتُ أنك وهو فى النار ! قال : وما ينفعك ؟

الحجاج وابن ظبيان

قال : لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظبيان ٢٠ متوكئا على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجل على دِينى . فقال له حصين بن المنذر الرقاشى : فهو إذاً منافق ! قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ! قال له حصين : إذاً يقتلك .

خالد بن يزيد والحجاج

ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ، فمر الحجاج بخالد ابن يزيد بن معاوية وهو جالس فى المسجد ، وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبخترا فى المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا التّخطارة ؟ فقال خالد : بخ بخ ! هذا عمرو بن العاص ! فسمعه الحجاج ، فمال إليه فقال : قلتَ : هذا ٥ عمرو بن العاص ، والله ما سرنى أن العاص ولدنى ولا ولدته ، ولكن إن شئت أخبرتك من أنا ! أنا ابن الأشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش ، والذى ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب الخمر ، حتى أقروا أنه خليفة ! ثم ولى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص .

وهب بن منبه ولهبي

قال رجل من بنى أبى لهب لوهب بن مُنَبّه : ممن الرجل ؟ قال : رجل من ١٠ اليمن . قال : فما فعلتْ أمكم بلقيس ؟ قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ، وأمكم حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسَد !

وقال رجل لابن شُبرمة : مِنْ عِندنا خرج العلم إليكم . قال : نعم ، ثم لم يرجع إليكم .

يزيد بن منصور وابن مزيد

نظر يزيد بن منصور خال المهدى إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو ١٥ يسحبه ، فقال : ليس عليك عزله ، فاسحبْ وجُرَّ ! قال له : على آبائك عزلُه وعلىّ سحبه ! فشكاه إلى المهدى ، فقال : لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد ابن مزيد !

أبو يقظان وابن حاتم

دخل أبو يقظان القيسى على يزيد بن حاتم وهو والى مصر وعنده هاشم بن حُديج ، فقال له يزيد : حرّكه ! وعلى أبى اليقظان حلة وشى وكساء خز ، فقال له ٢٠ هشام : الحمد لله أبا اليقظان ، لبستم الوشى بعد العباء ! قال : أجل ، تحوكون ونلبس ، فلا عدمتم هذا منا ، ولا عدمنا هذا منكم .

الفرزدق وعبد الجبار

كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سَلمى المُجاشعى يستهديه جارية وهو بعمان فكتب إليه :

كتبتَ إلىّ تَستَهدِى الجوارى ٭ لقد أنعظْتَ من بلَدٍ بعِيد !

وقال رجل من العرب : رأيتُ البارحةَ الجنة فى منامى ، فرأيت جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لى : للعرب ! قال له رجل من الموالى : أصَعِدتَ الغُرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

ابن صفوان وابن جعفر

قال عبد الله بن صفوان — وكان أمّيا — لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب أبا جعفر ، لقد صرتَ حجةً لفتياننا علينا ؛ إذا نهيناهم عن الملاهى قالوا : هذا ابن جعفر سيد بنى هاشم يحضرها ويتخذها ! قال له : وأنت أبا صفوان صرتَ حجة لصبياننا علينا ؛ إذا لُمناهم فى ترك المكتب قالوا : هذا أبو صفوان سيد بنى جمح لا يقرأ آية ولا يخطُّها .

معاوية وابن عامر

قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لى إليك حاجة ! قال : بحاجةٍ أقضيها يا أمير المؤمنين ؛ فسل حاجتك . قال : أريد أن تهب لى دورك وضياعك بالطائف . قال : قد فعلت ! قال : وصَلَتْكَ رحِم ! فسَلْ حاجتك . قال : حاجتى إليك أن تردّها علىّ يا أمير المؤمنين ! قال : قد فعلت !

ثمامة وبعض الرجال

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة ! قال : وأنا لى إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : فتقضيها ؟ قال : نعم . فلما توثق منه قال : فإن حاجتى إليك أن لا تسألنى حاجة .

جواب فى فخر

عمرو بن سعيد وخالد بن يزيد فى حضرة عبد الملك

سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد ابن يزيد بن معاوية ، عند عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالى قريش : اقض بينهما . فقال الشيخ : كان سعيد بن العاص لا يعتمُّ أحد فى البلد الحرام بلون عمامته ؛ وكان حرب بن أمية لا يُبكى على أحد من بنى أمية ما كان فى البلد شاهداً ؛ فلما مات سعيدٌ وحربٌ شاهد لم يُبْك عليه .

الأبرش وخالد ابن صفوان

قال الأبرش الكلبى لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك — وهما عند هشام بن عبد الملك — قال له خالد : قل . فقال له الأبرش : لنا رُبع البيت — يريد الركن

اليمانى ـ ومنا حاتم طيئ ، ومنا المهلب بن أبى صفرة ! فقال خالد بن صفوان : منا النبي المرسّل ، وفينا الكتاب المُنْزَل ، ولنا الخليفة المؤمّل ! قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضَرِيًّا بعدك .

هشام وقوم من اليمن

ونزل بأبى العباس قومٌ من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال أمير المؤمنين . قال لابد أن تقول . قال : وماأقول ياأمير المؤمنين ، وماأقول لقوم هم بين حائك بُرْد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ؛ ملكتهم امرأة ، ودل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ؟

فلم يقم بعدها ليمانىٍّ قائمة .

الحجاج وعبد الملك

قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنته . قال له رجل من قريش وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ما خلا هاجَر . فقال له : لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .

دخل عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر على عبد الملك بن مروان ، وعليه جِبَرة صَدْآء عليها أثر الحمائل ، فقال له أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص ، أىُّ رجلٍ أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش ! قال : ما أحب أنى مِن غير مَن أنا منه ؛ إن منا لسيدَ الناس فى الجاهلية ، عبد الله بن جدعان ؛ وسيد الناس فى الإسلام ، أبا بكر الصديق ؛ وما كانت هذه يدى عندك . إنى استنقذت أمهات أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبالى ، فولدن فى حجابك .

عبد الرحمن بن خالد ومعاوية

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذاً كنت أكون معاوية بن أبى سفيان ، منزلى الأبطح ينشق عنى سَيْلُه ؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد ، منزلك أجياد أعلاه مَدَرة ، وأسفله عذرة .

الزبير وعثمان

تنازع الزُّبير بن العوام وعثمان بن عفان فى بعض الأمر ؛ فقال الزبير : أنا ابن صفية . قال عثمان : هى أدْنَتْك من الظل ، ولولا ذاك لكنت ضاحياً .

حمد بن يوسف وابن الفضل

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : ياهذا ، إنك تتطاول بهاشم كأنك جمعتها ، وهى تعتد فى أكثر من خمسة آلاف . قال له : محمد بن الفضل : إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فضْل واحدها .

زياد ومعاوية

فخر مولى زياد بزياد عند معاوية ؛ فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبُك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلسانى . ٥

الأحوص ومخزومى

وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصارى : أتعرف الذى يقول :

ذهَبت قريشٌ بالمكارِمِ كلِّها ٭ والذُّلُّ تحت عمائم الأنصارى ؟

قال : لا ، ولكنى أعرف الذى يقول :

الناسُ كَنَّوْهُ أباحكَمٍ ٭ واللهُ كَنَّاهُ أبا جهْلِ

أبقَتْ رياستُه لِأُسْرتِه ٭ لُؤْمَ الفروعِ ورِقّةَ الأصل ١٠

قريش وقيس

سأل رجل من قريش رجلا من بنى قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : من ربيعة . قال له القرشى : لا أثر لكم ببطحاء مكة . قال القيسى : آثارنا فى أكناف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا فى يوم ذى قار معروفة ؛ فأما مكة فسواءٌ العاكفُ فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأفحمه .

الأشعث وشريح

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضى : لَشَدَّ ما ارتفعت . قال : فهل ضرَّك ؟ ١٥ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .

سليمان ويزيد ابن المهلب

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفى أحلافنا من ربيعة . قال له سليمان بن عبد الملك : الذى تحالفتما عليه أعز منكما .

أعتبة وأعرابى

قدم أعرابى البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلْقانٌ وعمامة قد كوّرها ٢٠ على رأسه ، فرمى بطرْفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومى فدنا منهم وفى الحلقة فرجة فطبقها ؛ فقال له عتبة : ممن أنت يا أعرابى ؟ قال : من مذحج . قال : من زيدها الأكرمين ،

أو من مرادها الأطيبين ؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فمن أيها ؟
قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بنى زبيد . قال : فأفحم عتبة حتى
وضع قلنسوته عن رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابى : فأنت يا أصلع ، ممن
أنت ؟ قال : أنا رجل من قريش . قال : فمن بيت نُبُوَّتها ، أو من بيت مملكتها ؟
٥ قال : إنى من ريحانتها بنى مخزوم . قال : والله لو تدرى لِمَ سُمِّيت بنو مخزوم
ريحانة قريش ، ما فخرْت بها أبداً ؛ إنما سميَت ريحانة قريش لِخَوَر رجالها ولين
نسائها ! قال عتبة : والله لانازعت أعرابيًّا بعدك أبداً .

فيروز ونميلة

وضع فيروز بن حُصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبى عكابة عند زياد ،
فقال : من هذا العبد ؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضربناك فما انتصرت ، ومَنَنَّا
١٠ عليك فما شَكَرْت .

مالك بن مسمع وابن ظبيان

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراده مالك ؛ فأرسل إلى
بكر بن وائل ، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظبيان ؛ فأتى عبيد الله فقال :
يا أبا مِسْمع ، ما منعك أن ترسل إلىّ ؟ قال : يا أبا مطر ، ما فى كنانتى سهم أنا أوثق
به منى بك . قال : وإنى لفى كنانتك ؟ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطُولنَّها ،
١٥ ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقنّها .

ابن مسمع وشقيق

نازع مالك بن مِسْمع شقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما شرَّفك قبرٌ
بِتُسْتَر . قال شقيق : لكن وضعك قبر بالمُشَقَّر . وذلك أن مسمعا أبا مالك
جاء إلى قوم بالمشقر ، فنبحه كلبهم ، فقتله ، فقتلوه به ؛ فكان يقال له : قتيل
الكلاب ، وأراد مالك قبر مجزءة بن ثور أخى شقيق ، وكان استشهد بتُستر مع
٢٠ أبى موسى الأشعرى .

قتيبة بن مسلم وهبيرة

قال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح : أىْ رجل أنت لو كانت أخوالك من
غير سلول . فبادلْ بهم . قال : أصلح الله الأمير ، بادلْ بهم من شئت وجنِّبنى
باهلة . وكان قتيبة من باهلة .

جواب ابن أبى دؤاد

ابن أبى دؤاد وابن الزيات

قال أحمد بن أبى دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الواثق : أصْوى ، أى اسكت ، بالنبطية ؛ فقال له : لماذا ؟ والله ما أنا بنبطى ، ولا بدعى . قال له : ليس فوقك أحد يفضُلك ، ولا دونك أحد تنزل إليه ؛ فأنت مطَّرَح فى الحالتين جميعا .

هو وأشناس

دخل أحمد بن أبى دواد على أشناس ، فقال له : بلغنى أنك فاسدت هذا الرجل ٥ يعنى محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ؛ فأحب أن لا يأتينا . قال له ابن أبى دواد أنت رجل صنعتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .

هو والواثق

قال أحمد بن أبى دواد : دخلت على الواثق ؛ فقال : ما زال قوم اليوم فى ثلْبك ونقصك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؛ فالله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين ١٠ من ورائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حائطه ، ولا ذلَّ من كنت ناصره ؛ فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ : قال أبا عبد الله .

وسعى إلىَّ بعيْب عَزَّةَ نسْوة ٭ جعل المليكُ خُدودهُنّ نعالَهـا

هو وأبو العيناء

وقال أبو العيناء الهاشمى : قلت لابن أبى دواد : إن قوما تضافروا علىَّ . قال : ﴿يدُ اللهِ فوْق أيديهم﴾ قلت ، إنهم جماعة . قال ﴿كمْ منْ فئةٍ قَليلةٍ غلَبتْ فئةً كثيرة ١٥ بإذْنِ اللهِ ، واللهُ مع الصَّابرين﴾ قلت : إن لهم مكراً . قال ﴿ولا يَحِيقُ المكْرُ السّيِّئُ إلَّا بأهْلِه﴾ قال أبو العيناء : فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يرى ابن أبى دواد إلا أن القرآن إنما أنزِل عليه .

جواب فى تفحش

خالد القسرى وبدوى

خطب خالد بن عبد الله القسرى فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم ، ٢٠ وأغلظ معاشكم ، وأجفى أخلاقكم ؛ لا تشهدون جُمُعة ، ولا تجالسون عالما . فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا وغِلَظ طعامنا فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هى شر من كل ما ذكرت .

قال له خالد : وما هي ؟ قال : تنقُبُون الدُّور ، وتنبُشُون القبور ، وتنكحون الذُّكور ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به !

موسى بن مصعب وامرأة

أبو الحسن قال : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها ؛ فإذا امرأة جميلة لها هيئة ؛ فنظر إلى رجل دميم يجيء ويذهب ويأمر وينهى فى الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل؟ قالت : هو زوجى ! قال ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ أما وَجدْتِ من الرجال غير هـذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا عبد الله ، لو استدبرك بمثل ما يستقبلنى به لعظُمَ فى عينك .

بنت الملاءة ورائض خيل

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت المُلاءة لرائض دواب زوجها فى طريق مكة : ما وجدت عملا شرًّا من عملك ؛ إنما كَسْبك باستك ! فقال لها : جُعلتُ فداك ! ما بين ما أكسب به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ! قالت : ويلى عليك ! خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ؛ ففاتهم ركضا .

يونس النحوى وأزدى

أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد فى مجلس يونس النحوى ؛ وددت والله أن بنى تميم جميعا فى جوفى ؛ على أن يُضرب وسطى بالسيف ! قال له شيخ فى ناحية المجلس ، حِرمازىٌّ من بنى تميم : ما هذا ، يكفيك من ذاك كُرةٌ حاريّة تملأ بها استك إلى لهاتك !

بين أعرابيين

وسأل أعرابى شيخاً من بنى مروان وحوله قوم جلوس فقال : أصابتنا سَنَة ولى بضعَ عشرةَ بنتا ! فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفيحةً من حديد ؛ وأما البنات فليت اللهَ أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسب غيرك ! قال : فنظر الأعرابى مليا ثم قال : ما أدرى ما أقول لك ، ولكنى أراك قبيح المنظر ، لئيم المخبر ؛ فأعضَّك الله ببظور أمهات هؤلاء الجلوس حولك .

وسأل أعرابىٌّ شيخا من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ، فقال : وددت والله أن الأرض حصّاء لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيبس لِجَعْر أمك فى استها .

قال : عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزُرعة بن ضمرة الضمرى : إنى لو أدركتك

يوم الأهواز لقطعت منك طابقا شحيما ، قال. أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ! قال : البظر الذي بين إسكَتَىْ أمك !

قال عبد الله بن الزبير لعدى بن حاتم : متى فقئت عينك ؟ قال يوم طعنتُك فى استك وأنت مُوَلٍّ .

للفرزدق

٥ وقال الفرزدق : ماعييتُ بجواب أحدٍ قطُّ ماعييت بجواب امرأة وصبى ونبطي ؛ فأما المرأة فإنى ذهبت ببغلتى أسقيها فى النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزْت البغلة حبَقت ؛ فاستضحك النسوة ، فقلت لهن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملتنى أنثى قط إلا فعلتْ مثلَها ! فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراط أمك مقبرةً ، فقد حملتك فى بطنها تسعة أشهر ! فما وجدتُ لها جواباً . وأما الصبى ، ١٠ فإنى كنت أنشد بجامع البصرة ، وفى حلقتى الكميت بن زيد وهو صبى ، فأعجبنى حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُنَيَّ ؟ قال لى : حسن ! قلت : فسرَّك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أريد به بديلا ، ولكن وددت أن تكون أمى ! قلت : استرها علىّ يا ابن أخى ، فما لقيت مثلها وأما النبطى ، فإنى لقيت نبطيا بيثرب ، فقال لى : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال أنت الذى يخاف الناس لسانك؟ ١٥ قلت : نعم . قال : فأنت الذى إذا هجوتنى يموت فرسى هذا ؟ قلت : لا . قال : فيموت ولدى ؟ قلت : لا . قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا . قال : فأدخلَنِيَ الله فى حِرِ أم الفرزدق ، من رجلى إلى عنقى ! قلت : ويلك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية !

بين جرير والفرزدق

ولقى جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال أبا فراس : تحتمل عنى مسألة ؟ قال : ٢٠ أحتملُها بمسألة . قال : نعم . قال : فسل عما بدا لك . قال : أى شىء أحب إليك يتقدمُك الخيرُ أو تتقدمُه ؟ قال : لا يتقدمنى ولا أتقدمه ، ولكن أكون معه فى قران . قال : هات مسألتك . قال له الفرزدق : أى شىء أحبُّ إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو يدَ رجل على حِرِها قال : قاتلك الله ! ما أقبح كلامك وأرذل لسانك .

الفرزدق ومسجد الأحامرة

أبو الحسن قال : مر الفرزدق يوما بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو المزرد الحنفى ، فقال له الفرزدق : يا أخا بنى حنيفة ، ما شىء لم يكن ، ولا يكون ولو كان لا يستقيم ؟ قال : لا أدرى ! قال : يا أبا المزرد ، إنه سفيه ؛ فإن لم تغضب أخبرتُك . قال : فإنى لا أغضب . فقال : حِرِ أمك : لم تكن له أسنان ، ولا تكون ، ولو كان لم يستقم !

الفرزدق وابن عفراء

أبو الحسن قال : لقى الفرزدق عمرو بن عفراء ، فعاتبه فى شىء بلغه عنه ؛ فقال له ابن عفراء وهو بالمريد : ما شىءٌ أحبُّ إلىَّ من أن آتى كلَّ شىء تكرهه ! قال له الفرزدق : بالله إنك تأتى كل شىء أكرهه ؟ قال : نعم ! قال : فإنى أكره أن تأتى أمك فأْتها .

بين الجماز وضيف

ضاف رجلٌ قبيح الوجه دنىّ الحسب ، أبا عبد الله الجمّاز ؛ فجعل يفخر ببيته ؛ فقال له الجماز : اسكت ، فقباحةُ وجهك ، ودناءةُ لفظك [1] ، يمنعاننا من سبّك ! فأبى إلا التمادى فى اللجاج ؛ فقال له الجماز :

لو كنتَ ذا عِرْضٍ هَجَوْناكا * أو حَسَنَ الوجهِ لنِكْناكا
جَمَعْت مع قُبحِكَ لؤما فلا * قُبْح أو اللُّؤم تركْناكا !

(١) فى بعض الأصول : « ودنو حسبك » .

كتاب الواسطة في الخطب

فرش الكتاب

قال أبو عُمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الأجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الخطب التى يتخير لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب فى مشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها فى مواسمهم ، وقامت بها على رءوس خلفائهم ؛ وتباهت بها فى أعيادهم ومساجدهم . ووصلتها بصلواتهم ، وخوطب بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيرت لها المعانى .

اعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه ؛ فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ؛ لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقهم ، كخطبة قطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا ؛ فإنها معدومة النظير ، منقطعة القرين ؛ وخطبةِ أبى حمزة التى سمعها مالك بن أنس فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردد فيها المرتاب ، ثم نسمح بصدر من خطب البادية وقول الأعراب خاصة ؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

عبد الملك وابن سلمة

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشى المخزومى : من أخطب الناس؟ قال : أنا ! قال : ثم من ؟ قال : شيخ جذام . يعنى روح بن زنباع ، قال :

ثم من ؟ قال : أخيفِش ثقيف . يعنى الحجاج ، قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين !

لمعاوية فى زياد

وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا : والله لأرمينّكم بالخطيب المِصْقع . قم يا زياد !

لأبى دواد

وقال محمد كاتب المهدى ـ وكان شاعراً راوية ، وطالباً للنحو علامة ـ قال :

٥ سمعت أبا دواد يقول ـ وجرى شىء من ذكر الخطب وتحبير الكلام ـ فقال : تلخيص المعانى رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق فى غير أهل البادية نقص ، والنظر فى عيوب الناس عِىّ ، ومسح اللحية هُلْك ، والخروج عما بُنى عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدُّرْبة ، وحَليها

١٠ الإعراب . وبهاؤها تخيُّر اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه .

وأنشدنى بيتاً له فى خطباء إياد .

يَرمون بالُخطب الطوال وتارةً ، وَحْىَ الملاحِظ خِيفة الرُّقباء

وأنشدنى فى عىّ الخطيب واستعانته بمسح العثنون وفتل الأصابع :

ملِىء ببُهْر والتفاتٍ وسُــعْلةٍ ، ومسْحةِ عُثْنونٍ وفتْل الأصابع

بشر بن المعتمر وابن جبلة

١٥ مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب ، وهو يعلم فتيانهم الخطابة ؛ فوقف بشر يستمع ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد ، أو يكون رجلا من النظارة ؛ فقال بشر : آضربوا عما قال صفحا ، وآطووا عنه كشحا . ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره ، فيها :

خذ من نفسك ساعةَ نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإنّ قليل تلك

٢٠ الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الاستماع ، وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عينٍ من لفظ شريف ، ومعنى بديع ؛ واعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومُك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم

من معدنه ؛ وإياك والتوعُّر ، فإنّ التوعر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فإنّ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما ؛ ٥ فكن فى ثلاثة منازل : فأوّل ذلك أن يكون لفظك رشيقاً عذبا ، أو فخما سهلا ؛ ويكون معناك ظاهراً مكشوفا ، وقريباً معروفا ، إمّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإمّا عند العامّة إن كنت للعامّة أردت ؛ والمعنى ليس يَشرُف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معانى العامّة ؛ وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة ١٠ الحال وما يجب لكل مقام من المقال ؛ وكذلك اللفظ العامى والخاصى ؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة لفظك ، ولطف مداخلك ، وقدرتك فى نفسك ـ أن تُفهم العامّة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام . ١٥

فقال له إبراهيم بن جبلة : جُعلتُ فداك ، أنا أحوج إلى تعلمى هذا الكلام من هؤلاء الغلمة .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى حجة الوداع

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من ٢٠ شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهدِ الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و[أشهد] أن محمداً عبده ورسوله .

أُوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأَحُثُّكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذى هو خير .

أمّا بعد : أيها الناس ، اسمعوا منى أُبيّن لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ! أيها الناس : إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذى ائتمنه عليها ؛ وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب : وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسّقاية ، والعمد قوَد ، وشِبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضِى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تَحقِرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النَّسىء زيادة فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحلُّونَه عاماً ويحرّمونه عاما ليُواطِئوا عِدّةَ ما حرّم الله . وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعةٌ حُرُم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرّم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد !

أيها الناس ، إنّ لنسائكم عليكم حقا ، وإنّ لكم عليهن حقا : لكم عليهنّ أن لا يُوطِئنَ فُرُشكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضُلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح ؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ؛ وإنما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؛ فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا [ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد !] .

أيها الناس ؛ إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ! فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا [بعده] كتاب الله وأهل بيتى ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس ، إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ؛ كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربىّ على عجمى فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إنّ الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ؛ ولا يجوز لوارث وصية فى أكثر من الثُّلث ؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر ؛ من دُعىَ إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرفا ولا عدلا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطب أبى بكر

وخطب أبو بكر يوم السقيفة : أراد عمرُ الكلام ، فقال له أبو بكر : على رِسْلِك . ثم حمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادةً فى العرب ، وأمسّهم رحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلمْنا قبلكم ، وقدِّمْنا فى القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسانٍ ﴾ ؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارنا على العدو ؛ آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيرا ،

فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لاتدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ؛ فلا تنفَسُوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنى قد وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حقٍّ فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ؛ أطيعونى ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيتُه فلا طاعة لى عليكم . ألا إنّ أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفَكم عندى القوىُّ حتى آخذَ الحق منه ! أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وخطب أخرى . فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ، قال :

إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك !

فرفع الناسُ رُءوسَهم ، فقال :

مالكم أيها الناس ؟ إنكم لطعانون عَجِلون ، إن من الملوك من إذا مَلك زَهّده الله فيما بيده ، ورَغّبه فيما بيد غيره ، وانتقصه شطرَ أجله ، وأشرَب قلبه الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط على الكثير ، ويسأم الرخاء وتنقطع عنده لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِىّ والسراب الخادع ، جذِل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسُه ، ونضب عُمرُه ، وضحا ظله ، حاسبه الله ، فأشدّ حسابَه ، وأقلّ عفوَه . ألا وإن الفقراء هم المرحومون ! ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه وسُنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدى مُلكا عضوضا ، ومَلِكا عَنودا ، وأمة شَعاعا ، ودما مباحا ؛ فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد خَرْشَنَة إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأومن به ، وأتوكل عليه وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ؛ من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يُضلل فلن تجد له وليا مرشداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حى لا يموت ، يعزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ إلى الناس كافة ، رحمةً لهم وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية ، دينُهم بِدعة ، ودعوتُهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ؛ فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : ﴿من يُطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ .

أما بعد أيها الناس : إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كلّ أمر وعلى كل حال ولزومِ الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، من يكْذِب يفجُر ، ومن يفجُر يهلِك ، وإياكم والفخرَ ؛ وما فَخْرُ مَن خُلِقَ من تراب وإلى التراب يعود ، هو اليومَ حى وغداً مَيِّتٌ ! فاعملوا وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى ، وما أشْكَلَ عليكم فرُدُّوا عِلْمَهُ إلى الله ، وقدّموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحْضَراً ، فإنه قال عز وجل : ﴿يومَ تَجِدُ كل نفسٍ ما عمِلَتْ من خيْرٍ مُحضَراً وما عَمِلتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لو أنَّ بيْنَها وبيْنَهُ أمَداً بعيدا ، ويُحذِّرُكم الله نفسَهُ ، والله رءوفٌ بالعبَادِ﴾ فاتقوا الله عبادَ الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ، صغيرِها وكبيرِها ، إلا ما غفر الله ، إنه غفورٌ رحيم ، فأنفسَكم أنفسَكم والمستعانُ الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إنّ الله وملائكتَه يُصَلونَ على النبيِّ ، يا أيُّها الذينَ آمنوا صَلُّوا عليهِ وسَلِّموا تسْليما﴾

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، أفضل ما صليتَ على أحدٍ من خلقك ؛ وزكّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشرنا فى زمرته ، وأوردْنا حَوضه اللهم أعِنّا على طاعتك ، وانصرنا على عدوّك

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أُوصيكم بتقوى الله ، وأن تُثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تَخْلِطُوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : ﴿إنَّهم كانوا يُسارِعُونَ فى الخيْرَاتِ ويدعُوننا رَغَباً ورهَباً وكانوا لنا خاشِعين﴾ ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقَكم ، وعوّضكم بالقليل الفانى الكثيرَ الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبُه ، ولا يُطفأ

١٠ نورهُ ، فثِقُوا بقوله ، وانتَصِحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، ووَكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون . ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجلٍ قد غُيِّب عنكم علمُه ، فإن استطعتم أن [لا] تنقضى الآجالُ [إلا] وأنتم فى عمل لله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ـ فسابقوا فى مَهَل بأعمالكم ، قبل أن تنقضىَ آجالكم فتردّكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواما

١٥ جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسَهم] ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ؛ فالوحَى الوحى والنجاء النجاء ؛ فإن وراءكم طالبا حثيثا مَرُّه ، سريعا سيرُه .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

وخطب عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

٢٠ أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبَىَّ بنَ كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت مُعاذَ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى ؛ فإن الله جعلنى له خازنا وقاسما : إنى بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ، ثم المهاجرين

الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابى ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أَسْرَعَ إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومنّ رجلٌ إلا مُناخ راحلته . إنى قد بقيتُ فيكم بعد صاحبى ، فابتُليتُ بكم وآبتليتُم بى ، وإنى لن يحضُرَنى من أموركم شىء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأُحسنَنّ إليهم ، ولئن أساءوا لأُنكِّلَنّ بهم .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ، ورحِمَنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومَكن لنا فى البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ؛ ؛ فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صَدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ؛ وإياكم والعمل بالمعاصى وكفرَ النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سُلبوا عزّهم وسُلِّط عليهم عدوُّهم .

أيها الناس : إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها وأظهر فلجها ونصرها وشرفها ، فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه : جعلنا الله وإياكم من الشاكرين .

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيها الناس ؛ تعلموا القرآن [تُعرفوا به] ، واعملوا به تكونوا من أهله ؛ واعلموا أنه لم يبلغ من حق مخلوق أن يطاع فى معصية الخالق [ألا وإنى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، وإن استغنيتُ عففت ، وإن افتقرتُ أكلت بالمعروف ، تقرُّمَ البَهْمةِ الأعرابية] ، القضمَ دون الخضم .

وخطبة له أيضا :

أيها الناس ؛ إنه قد أتى علىّ زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن [إنما] تريدون به الله عز وجل وما عنده ؛ [ألا وإنه قد] خُيِّل إلىّ أن قوما قرءوه

إذ يتنزل الوحى وإذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم؛ فقد انقطع الوحى وذهب النبي . فإنما نعرفكم بما أقول لكم؛ ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيرا وأحببناه عليه ، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه؛ سرائركم بينكم وبين ربكم؛ ألا وإنى إنما أبعث عمالى ليُعَلّموكم دينَكم وسُنّتَكم ، ولا أبعثهم ليضْرِبوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم ؛ ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفسى بيده لأقِصَّنّكم منه .

فقام عمرو بن العاص فقال : ياأمير المؤمنين ، أرأيت أن بعثْتَ عاملا من عُمالِك فأدب رجلا من رعيتك فضربه ، أتقصّه منه ؟

قال : نعم ، والذى نفس عمر بيده لأقصنّه منه ؛ فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه .

وخطب أيضاً فقال : أيها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلانيتكم ، وأْمُروا بالمعروف وآنْهوا عن المنكر ، ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه ، فنظر إليه أصحابه فمنعوه ، فقال : هو موضعى ولى أن أحكم فيه ، فإن أخذوا على يده سَلِم وسَلِموا ، وإن تركوه هَلَكَ وهَلَكوا معه ! وهذا مثلٌ ضربتُه لكم . رحمنا الله وإياكم .

وخطب عام الرَّمادة بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ، ثم قال :

أيها الناس ، استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك اللهم إنا نتقرب إليك بعمِّ نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول وقولك الحق ﴿ وأمّا الجدارُ فكانَ لِغلامَيْنِ يَتيمَيْنِ فى المدينةِ وكانَ تحتَهُ كَنْزٌ لهما وكان أبوهُما صالحاً ﴾ ؛ فحفظتهما لصلاح أبيهما ؛ فاحفظ اللهم نبيِّك فى عمه ؛ اللهم آغفر لنا إنك كنت غفارا ، اللهم أنت الراعى لا تُهمل الضالّة ، ولاتدع الكسيرة بمَضْيَعَة ، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم

السرّ وأخفى ؛ اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا ييْأس من روْح اللهِ إلا القومُ الكافرون .

فما برحوا حتى علّقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون : هنيئا لك يا ساقى الحرمين .

وخطب إذ ولى الخلافة : ٥

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، إنى داعٍ فأمّنوا : اللهم إنى غليظ فَلَيِّنّى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغِلْظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلمٍ منى لهم ، ولا اعتداءٍ عليهم ؛ اللهم إنى شحيح فسخّنى فى نوائب المعروف ، قصدا من غير سَرَف ولا تبذير ، ولا رياء ١٠ ولا سمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدر الآخرة ؛ اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إنى كثير الغفلة والنسيان ، فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين ؛ اللهم إنى ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعوْنك وتوفيقك ؛ اللهم ثبّتنى باليقين والبرّ والتقوى ، وذِكر المقام بين يديك والحياء ١٥ منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ؟ والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ؛ اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ؛ إنك على كل شى قدير .

وكان آخر كلام أبى بكر الذى إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته : ٢٠

اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك .

وكان آخر كلام عمر الذى إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته :

اللهم لا تدعْنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غِرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين .

خطبة عثمان بن عفان

رضى الله عنه

ولما ولى عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم أُرتِجَ عليه ؛ فقال :

أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإنْ أَعِشْ فستأتيكم الخُطَب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

خطب على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال :

أيها الناس : كتابَ الله وسُنّةَ نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فلا يَدَّعِيَنْ مُدَّعٍ إلا على نفسه ، شُغِل مَن الجنةُ والنار أمامَه . ساع نَجا ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّر فى النار : [ثلاثة ؛ واثنان] : ملَك طار بجناحيه ، ونبى أخذ الله بيده ، لا سادس . هلك من ادعى ، ورَدِى من اقتحم . اليمين والشمال مَضلة ، والوسطى والجادّة : منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة ؛ إن الله داوى هذه الأمة بدواءين : السوط والسيف ، فلا هوادة عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ؛ فالموت من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين . أما إنى لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب ، همته بطنه ، ويله ! لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ! انظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتم فآزِرُوا ؛ حق وباطل ، ولكُلٍّ أهل ؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل : ولقلما أدبر شىء فأقبل ؛ ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه :

ألا إن الأبرار عترتى ، وأطايب أرومتى ، أحلَم الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا ؛ ألا وإنا أهل البيت مِن عِلْم اللهِ علِمنا وبحكْمِ الله حَكمنا ، ومن قوْلِ صادقٍ سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا] معنا راية الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فُتح وبنا يختم . ٥

وخطبة له أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل ، وترك الأمل ؛ فإنه من فَرَّط فى عمله لم ينتفع بشىء من أمله ، أين التَّعِب بالليل والنهار ، ١٠ المقتحم لِلجج البحار ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال ، يصل الغدو بالرواح ، والمساء بالصباح ، فى طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه منيتُه ، فعظَمت بنفسه رزيتُه ؛ فصار ما جمع بُورا ؛ وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسوراً :

أيها اللاهى الغار بنفسه ، كأنى بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ، ١٥ ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بديلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ، ولا يرحم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤديَك إلى قعر مظلمة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية ! أين من سعى واجتهد ؟ وجمع وعدَّد ، وبنى وشيَّد ؛ وزخرف ونجَّد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتع ؟ أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؟ أضحوا رفاتا ! تحت الثرى أمواتا ، وأنتم بكأسهم شاربون ، ٢٠ ولسبيلهم سالكون .

عباد الله ! فاتقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذى تسير فيه الجبال ، وتشقَّق السماء بالغمام ، وتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل ؛ فأى رجل يومئذ تراك ؟ أقائل هاؤم اقرءوا كتابيه ! أم : ياليتنى لم أوت كتابيه ! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته

أن يقينا سخطه ؛ إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذى استخلص الحمدَ لنفسه ، واستوجبه على جميع خلقه ، الذى ناصية كلّ شىء بيده ، ومصير كل شىء إليه ، القوىّ فى سلطانه ، اللطيف فى جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطىَ لما منع ، خالق الخلائق بقدرته ، ومسخِّرهم بمشيئته ، وفىّ العهد ، صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ؛ أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يَعرف كنهه غيره ؛ وأتوكل عليه توكُّل المتسلم لقدرته ، المتبرى من الحول والقوة إليه ؛ وأشهد شهادةً لا يشوبها شك أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلٰهاً واحداً صَمَدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولىٌّ من الذل وكبِّره تكبيرا ، وهو على كل شىء قدير ، قطَع ادعاء المدّعى بقوله عز وجل : ﴿ وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ ؛ وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم صفوتُه من خلقه ، وأمينه على وحْيه ، أرسله بالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، وإلى الحق داعيا ؛ على حين فترة من الرسل ، وضلالةٍ من الناس ، واختلافٍ من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تمم به الوحى ، وأنذر به أهل الأرض .

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيل إلى كل نجاة ؛ فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحُها ، وتضمنتها أجداثها ، فلن يستقبل معمّر منكم يوما من عمره إلا بانتقاص آخرَ من أجله ، وإنما دنياكم كفَىْءِ الظل أو زاد الراكب ؛ وأُحذّركم دعاءَ العزيز الجبار عبدَه ، يوم تعفى آثاره ، وتُوحش منه دياره ، ويُيتّم صغاره ، ثم يصير إلى حفير من الأرض ، متعفراً على خدّه ، غير موسد ولا ممهد ؛ أسأل الذى وعدنا على طاعته جنته ، أن يقينا سخطه ، ويجنّبنا نقمته ، ويهب لنا رحمته . إنّ أبلغ

الحديث كتاب الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أمّا بعد ؛ فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع ، وإنّ المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ؛ فَمَن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله ، نفَعه عمله ولم يضره أمله ؛ ومَن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله وضره أمله ؛ ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ؛ [ألا وإنه من لا ينفعُه الحقُّ يضرُرْه الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يَجُرّ به الضلال إلى الرَّدى] ؛ ألا وإنكم قد أُمرتم بالظعن ، ودُللتم على الزاد ، وإن أخْوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وخطبة له : قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزْدى على الأنبار فى خلافة على رضى الله عنه ، وعليها [ابن] حسان البكرى ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السُّدّة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعد ؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشَمْلَةَ البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النَّصف ؛ ألا وإنى دعوْتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوْم قط فى عُقر دارهم إلا ذلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولى فاتخذتموه وراءكم ظهريا ؛ حتى شُنّت عليكم الغارات ؛ وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل ابن حسان البكرى ؛ وأزال خيلكم عن مسالحها ؛ وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغنى أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهِدة ، فينزع حِجلها وقلبها ورعاثها ، ثم انصرفوا وافرين ما كُلِم رجل منهم ؛ فلو أنّ

رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندى ملوما ، بل كان به عندى جديرا ؛ فواعجباً من جدّ هؤلاء فى باطلهم وفشلكم عن حقكم ؛ فقبحاً لكم وترحا حين صرتم غرضا يُرمَى ؛ يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزوْن ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضوْن ؛ فإذا أمرتكم بالمسير إليهم فى أيام الحرّ ، قلتم : حَمارّة القيظ ؛ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحرّ ! وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى فى الشتاء ، قلتم : [صَبارّة القُرّ] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القرّ ! كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ ؛ فأنتم والله من السيف أفرّ ! يا أشباه الرجال ولا رجال ! ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال ! وددت أنّ الله أخرجنى من بين أظهركم ، وقبضنى إلى رحمته من بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعرفكم ! معرفةٌ والله جرّت وهنا ! [لقد ملأتم قلبى قيحا] وورّيتم والله صدرى غيظا ، وجرعتمونى الموت أنفاسا ، وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إنّ ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ! لله أبوهم ! وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطولُ تجربة منى ؟ لقد مارستها وأنا ابن عشرين ، فها أنا ذا الآن قد نيّفت على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع !

وخطبة له رضى الله عنه ، قام فيهم فقال :

أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ! كلامكم يوهى الصم الصّلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم ؛ تقولون فى المجالس كيت وكيت ؛ فإذا جاء القتال قلتم : [حِيدى] حياد ما عرت دعوة من دعاكم ؛ ولا استراح قلب من قاساكم ؛ أعاليل بأباطيل ؛ وسألتمونى التأخير ؛ دفاعَ ذى الدَّين المطول ؛ ألا [لا] يدفع الضيمَ الذليل ، ولا يُدرَك الحقُّ إلا بالجدّ . أىَّ دار بعد داركم تمنعون ؟ أم مع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرورُ والله من غررتموه ؛ ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيَب ! أصبحت والله لا أصدّق قولكم ؛ ولا أطمع فى نُصْرتكم ؛ فرّق الله بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم ! وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم ، صرف

الدينار بالدرهم !

وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن رضى الله عنهم ، فقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، أمّا بعد ؛ فإنّ الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة ، والناسَ فى اختلاف ، والعرب بشرِّ المنازل ، مستضيئون للشاءات بعضهم على بعض ، فرأب الله به الثَّأى ، ولأَم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمّن به السبل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة للصدور ؛ ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مرضيًا عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريمًا عند ربه نُزُله ؛ فيالها مصيبة عمَّت المسلمين ، وخصَّت الأقربين ؛ وولى أبو بكر ، فسار بسيرة رضيها المسلمون ؛ ثم ولى عمر ، فسار بسيرة أبى بكر رضى الله عنهما ؛ ثم ولى عثمان ، فنال منكم ونلتم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتمونى فقلتم لى : بايعنا ! فقلت لكم : لا أفعل ! وقبضت يدى فبسطتموها ، ونازعتم كفى فجذبتموها ، وقلتم : لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ! وتداككتم علىّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلىّ ، وأنّ بعضكم قاتل بعض ؛ فبايعتمونى ، وبايعنى طلحة والزبير ، ثم مالبثا أن استأذنانى للعمرة فسارا إلى البصرة فقتلا بها المسلمين وفعلا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أنىْ لست بدون واحدٍ ممن مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت ؛ اللهم إنهما قطعا قرابتى ، ونكثا بيعتى ، وألبا علىَّ عدوّى ؛ اللهم فلا تُحكم لهما ما أبرما ، وأرِهما المساءة فيما عملا وأملا !

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر : قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، فإنى لجالس تحت منبره ، وعليه عمامة سوداء ، وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان

تحت عمامتى هذه ! فقال له عدى بن حاتم : قلت لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه .
وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ! والله ماندرى ما نصنع بك ؟ وقام إليه
رجل أحدب من أهل العراق فقال : أمرت بها أمس وتنهى عنها اليوم ، فأنت
كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت . فقال على : إلى يقال هذا .

٥ أصبحْتُ أذكُرُ أرْحاماً وآصِرةً ۞ بُدلتُ منها هَوِىّ الرِّيحِ بالقَصَبِ

أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ،
حملتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا إذا كان فيه ، لكانت الوثقى
التى لاتقلع ، ولكن بِمَنْ ؟ وإلى مَن ؟ [أريد أن] أُداوى بكم [وأنتم دائى] ؛
إنى والله بكم كناقِش الشَّوكة بالشوكة ، ياليت لى بعض قومى وليت لى من بعد
١٠ خير قومى ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان ، اللهم سلط
عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ؛ ويل للنَّزَعة يا أشطان الرُّكِىّ ! [أين الذين]
دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرءوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشعر فأحكموه
وهيجوا إلى الجهاد فولِهُوا [وَلَهَ] اللقاح [إلى] أولادها ، وسلبوا السيوف
أغمادها ضرباً ضربا ، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحفا زحفا ، لا يتباشرون
١٥ بالأحياء ، ولا يُعزَّون على القتلى ولا يغيرون على العلى .

أُولئِكَ إخوانِى آلذاهبُونَ ۞ فحقٌّ البُكاءِ لهُمْ أنْ يَطيبا
رُزِقتُ حبيبــاً على فاقةٍ ۞ وفارَقْتُ بعدَ حبيبٍ حبيبا !

ثم نزل تدمع عيناه ؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ماصرت إليه ! فقال:
نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقوَّمهم والله غدوة ويرجعون إلىّ عشية مثل ظهر
٢٠ الحية ، حتى متى ؟ وإلى متى ؟ حسبى الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء ، رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا مِن شىء كان ولا من
شىء خُلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرةً بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه ،

فليست له صفة تنال ، ولا حدٌّ يضرب له فيه الأمثال ، كلَّ دون صفته تحبيرُ
اللغات ، وضلت هناك تصاريفُ الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب
التفكير ، وانقطعت دون علمه جوامعُ التفسير ، وحالت دون غيبه حُجُبٌ
تاهت في أدنى دنوِّها طامحاتُ العقول ؛ فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعدُ الهمم ،
ولا يناله غوص الفطن ؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود ، ولا وقت ٥
محدود ، وسبحان الذي ليس له أول مُبتدأ ، ولا غاية منتهى ، ولا آخر يفنى ؛
وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ؛ أحاط بالأشياء
كلها علمه وأتقنها صنعُه ، وذللها أمره ، وأحصاها حفظُه ؛ فلا يعزب عنه غيوب
الهوى ، ولا مكنونُ ظلم الدجى ، ولا مافى السموات العلى إلى الأرض السابعة
السفلى ؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها الأحدُ الصمد الذى ١٠
لم تغيِّره صروف الأزمان ، ولا يتكاده صنعُ شيء منها كان ؛ قال لما شاء أن
يكون : كن ! فكان ؛ ابتدع ماخلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ؛
وكل عالم من بعد جهلٍ يعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالأشياء كلها علماً ،
ولم يزدد بتجربتها خُبرا ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينها ؛ لم يكوِّنها
لتسديد سلطان ، ولا خوف زوال ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ند ١٥
مكاثر ، ولكن خلائق مربوبون ، وعباد آخرون ، فسبحان الذى لا يئُودُه خلق
ما ابتدأ ، ولا تدبير ما برأ ، خلق ما عَلِم ، وعلِم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث
أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، لكن قضاءٌ مُتقَن ، وعلمٌ محكَم ،
وأمرٌ مُبرَم ، توحَّد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، فلبس العز والكبرياء ،
واستخلص المجد والسناء ، واستكمل الحمد والثناء ؛ فانفرد بالتوحيد ، وتوحد ٢٠
بالتمجيد ؛ فجل سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء ؛
فليس له فيما خلق نِدّ ، ولا فيما ملك ضد ، هو الله الواحد الصمد ، الوارث
للأبد الذى لا يبيد ولا ينفد ، مَلك السموات العلى ، والأرَضين السفلى ، ثم دنا

فعلا . وعلا فدنا ، له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنى ، والحمد لله رب العالمين ؛
ثم إن الله تبارك وتعالى ـ سبحانه وبحمده ـ خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم
صفوته ، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وحيه ، وخزنةً له على أمره ،
إليهم ينتهى رسله ، وعليهم ينزل وحيه ، جعلهم أصفياء ، مصطفين أنبياء ، مهديين
٥ نجباء ؛ آستودعهم وأقرهم فى خير مستقر ، تناسختهم أكارم الأصلاب ، إلى
مطهّرات الأمهات ، كلما مضى منهم سلف انبعث لأمره منهم خلف ، حتى انتهت
نبوّة الله وأفضت كرامتُه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرجه من أفضل المعادن
محتداً ، وأكرم المغارس منبتا ، وأمنعها ذروة ، وأعزها أرومة ، وأوصلها مكرمة
من الشجرة التى صاغ منها أمناء ، وانتخب منها أنبياء ، شجرة طيبة العود ، ، معتدلة
١٠ العمود ، باسقة الفروع ، مخضرة الأصول والغصون ، يانِعةَ الثمار ، كريمة
المجتنى ، فى كرم نبتتْ ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فامتنعت ، حتى أكرمه
الله بالروح الأمين ، والنور المبين ، ختم به النبيين ، وأتم به عدة المرسلين ،
[وجعله] خليفته على عباده ، وأمينه فى بلاده ؛ زينه بالتقوى وآثارِ الذكرى ؛
وهو إمام من اتقى ، ونصرُ مَن آهتدى ، سراجٌ لمعَ ضوءه ، وزَند برقَ لمعه ،
١٥ وشهابٌ سطع نوره ؛ فاستضاءت به العباد ، وآستنارت به البلاد ؛ وطوى به
الأحساب فأزجى به السحاب ، وسخر له البراق حتى صافحته الملائكة ، وأذعنت له
الألسنة ، وهدم به أصنام الآلهة ، سِيرته القَصد ، وسُنّته الرشد ؛ وكلامُه فصل ،
وحكمه عدل ؛ فصدع صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد
دعوته ؛ وأظهر فى خلقه لا إله إلا الله ، حتى أذعن له [الخلقُ] بالربوبية ،
٢٠ وأقر له بالعبودية والوحدانية ؛ اللهم فخصَّ محمداً بالذكر المحمود . والحوضِ
المورود . اللهم آت محمداً الوسيلة والرفعة والفضيلة ، واجعل فى المصطَفَيْن محلته ،
وفى الأعلين درجته ، وشرِّف بنيانه وعظِّم برهانه ، واسقنا بكأسه ، وأوردنا
حوضه ، واحشرنا فى زمرته ، غير خزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين

ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين ؛ اللهم أعط محمداً
من كل كرامة أفضلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم
أتمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقربَ منك مكاناً ، ولا أحظى عندك منزلة
ولا أقرب إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقا ـ ولا شفاعة ، من محمد ؛ واجمع
بيننا وبينه فى ظل العيش ، وبرد الرَّوْح ، وقرة الأعين ، ونضرة السرور ، وبهجة ٥
النعيم ؛ فإنا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة .
وجاهد فى سبيلك . وأوذى فى جنبك ولم يَخَف لومة لائم فى دينك . وعَبدَك
حتى أتاه اليقين ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمـام النبيين ، وخاتم المرسلين
ورسول رب العالمين ؛ اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن
والمقام ، ورب المشعر الحرام ؛ بلّغ محمداً منا السلام ؛ اللهم صل على ملائكتك ١٠
المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين ، وصلى الله على
أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين .

وخطبته الزهراء :

الحمد لله الذى هو أول كل شىء ووليه ، وكل شىء خاشع له ، وكل شىء قائم به ،
وكل شىء ضارعٌ إليه ، وكل شىء مستكين له ؛ خشعت له الأصوات ، وكلّت دونه ١٥
الصفات ، وضلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار
لا يقضى فى الأمور غيره ، ولا يتم شىءٌ منها دونه ، سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم
سلطانه ! تُسبح له السموات العلى ، ومن فى الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ،
والملك والقدرة ، والحولُ والقوة ، يقضى بعلم ويعفو بحلم ؛ قوةُ كلِّ ضعيف ، ومفزع
كل ملهوف وعِزُّ كلِّ ذليل ، ووليُّ كل نِعمة ، وصاحب كلِّ حسنة ، وكاشفُ كل كربة ٢٠
المُطّلع على كل خفِيَّة ، المحصِى كلَّ سريرة ، يعلم ما تُكنُّ الصدور ، وما تُرْخى عليه
الستور ؛ الرحيم بخلقه ، الرؤف بعباده ؛ من تكلم منهم سمع كلامه ، ومن سكت منهم
عَلِم مافى نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رِزْقُه ، ومن مات منهم فإليه مصيره ؛
أحاط بكل شىء علمُه وأحصى كل شىء حفظُه ، اللهم لك الحمد عدد ماتحيي

وتُميت ، وعدد أنفاس خلقك ولفظِهم ولحظِ أبصارهم ، وعدد ماتجرى به الريح وتحمله السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر والنجوم - حمداً لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده : اللهم أنت قبل كل شيء ، وإليك مصير كل شيء ، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى ويفنى كلُّ شيء ، وأنت وارثُ كلِّ شيء ، أحاط علمُك بكلِّ شيء ، وليس يُعجزُك شيء ، ولا يتوارى عنك شيء ، ولا يقدر أحد قدرتَك ، ولا يشكرك أحد حقَّ شكرك ، ولا تهتدى العقول لصفتك ، ولا تبلغ الأوهام حدّك : حارت الأبصار دون النظر إليك ، فلم ترك عينٌ فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت . لا نعلم اللهم كيف عظمتُك ، غير أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم ، لا تأخذك سِنَةٌ ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يُدْرِكْكَ بصر ، ولا يقدر قدرتَك ملَكٌ ولا بشَر ؛ أدركت الأبصار ، وكتمت الآجال ، وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصى والأقدام ، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة ملأْت كلَّ شيء عظمة ، فلا يُردُّ ما أردت ، ولا يعطَى مامنعت ، ولا ينقُص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد فى ملكك من أطاعك ؛ كلُّ سرّ عندك علمُه ، وكل غيب عندك شاهده ؛ فلم يستتر عنك شيء ، ولم يشغلك شيء عن شيء ، وقدرتُك على ما تقضى . كقدرتِك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات ؛ فإليك المنتهى وأنت الموعد ، لا منجى إلا إليك ؛ بيدك ناصيةُ كل دابة ، وبإذنك تسقط كلُّ ورقة ؛ لا يعزب عنك مثقال ذرة ؛ أنت الحيُّ القيوم ؛ سبحانك ! ما أعظم ما يُرى من خلقك ! وما أعظم ما يُرى من ملكوتك ! وما أقلهما فيما غاب عنا منه ! وما أسبغ نعمتَك فى الدنيا وأحقرها فى نعيم الآخرة ! وما أشدّ عقوبتك فى الدنيا وما أيسرها فى عقوبة الآخرة ! وما الذى نرى من خلقك ، ونعتبر من قدرتك . ونصف من سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قصُرَت أبصارُنا عنه وكانت عقولنا دونه ، وحالت الغيوب بيننا وبينه ، فمن فرغ سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك ، وكيف ذرأت خلقك ، وكيف علقت فى الهواء سمواتك ، وكيف مددت أرضك - يرجعْ

طرْفُهُ حاسراً، وعقلُه مبهوراً ، وسمعه والها ، وفكرُه متحيراً ؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك فى الغيوب التى لم يكن فيها غيرُك ، ولم يكن لها سواك ؟ لا أحد شهدك حين فطَرْتَ الخلق ، ولا أحد حضرك حين ذرأتَ النفوس ، فكيف لا يعظم شأنُك عند من عرفك ، وهو يرى من خلقك ماترتاع به عقولهم ، ويملأ قلوبهم ، من رعدٍ تفزَعُ له القلوب ، وبرقٍ يخطف الأبصار ، وملائكةٍ خلقتَهم وأسكنتَهم سمواتك ، وليست فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا بهم معصية ؛ هم أعلمُ خلقك بك ، وأخوفهم لك ، وأقومُهم بطاعتك ، ليس يغشاهم نومُ العيون ، ولا سهوُ العقول ؛ لم يسكنوا الأصلاب ، ولم تضمّهم الأرحام ؛ أنشأتهم إنشاء ، وأسكنتهم سمٰواتك ، وأكرمتَهم بجوارك ، وائتمنتهم على وحيك ، وجنبتَهم الآفات ، ووقيتهم السيئات ، وطهرتَهم من الذنوب ؛ فلولا تقويتك لم يقْوَوا ، ولولا تثبيتك لم يثبتوا ، ولولا رهبتك لم يطيعوا ، ولولاك لم يكونوا ؛ أما إنهم على مكانتهم منك ، ومنزلتهم عندك ، وطولِ طاعتهم إياك — لو يعاينون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم ، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقّ عبادتك؛ فسبحانك خالقا ومعبودا ومحمودا ، بحسن بلائك عند خلقك ! أنت خلقت ما دبرته مطعما ومشرباً ، ثم أرسلت داعياً إلينا ، فلا الداعِيَ أجبنا ، ولا فيما رغَّبتَنا فيه رغِبْنا ، ولا إلى ما شوّقتنا إليه اشتقنا ؛ أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضُنا على بعض حرصاً لما يرى بعضُنا من بعض ، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على حبها ، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا ، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة ، ويسمعون بآذان غير سميعة ، فحيثما زالت زالوا معها ، وحيثما مالت أقبلوا إليها ، وقد عاينوا المأخوذين على الغِرّة كيف فجأتْهُمُ الأمور ، ونزل بهم المحذور ، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون ، وقدِموا من الآخرة ما كانوا يوعدون : فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور ، وعَرفوا ما كانوا فيه من الغرور ؛ فاجتمعت عليهم حسرتان : حسرةُ الفَوت وحسرةُ الموت ؛ فاغبرّت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم ، وعرقت بها جباهُهم ، وشخَصتْ أبصارُهم ، وبردت أطرافهم،

وحيل بينهم وبين المنطق ، وإن أحدهم لبيِّنَ أهله ، ينظر ببصره ، ويسمعُ بأذنه ؛
ثم زاد الموت فى جده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت
عند ذلك حجته ، وعاين هول أمر كان مغطى عليه فأحدّ لذلك بصرَه ؛ ثم زاد
الموتُ فى جده حتى بلغت نفسه الحلقوم ، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقىً
٥ لا يجيب داعياً ، ولا يسمع باكياً ؛ فنزعوا ثيابه وخاتمه ، ثم وضّئوه وضوء
الصلاة ، ثم غسلوه وكفنوه إدراجا فى أكفانه وحنطوه ، ثم حملوه إلى قبره ،
فدلوه فى حفرته ، وتركوه مخلى بمفظعات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير ،
مع ظلمة وضيق ووحشة قبر ، فذاك مثواه حتى يبلى جسدُه ويصير تراباً ؛ حتى إذا
بلغ الأمر إلى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاءه أمر من خالقه ، أراد به
١٠ تجديد خلقه ـ أمر بصوت من سمواته فمارت السموات مورا ، وفزع من فيها ،
وبقى ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر إلى الأرض ، والخلقُ رفاتٌ لا يشعرون
فأرج أرضهُم وأرجَفها وزلزلها ، وقلع جبالَها ونسفَها وسيّرَها ، ودكَّ بعضُها بعضاً
من هيبته وجلاله ، وأخرج من فيها فجدّدهُمْ بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرُّقهم ، يريد أن
يُحصيَهم ويميزهم ، فريقا فى ثوابه ، وفريقا فى عقابه ، فخلّد الأمر لأبده ، دائما خيره
١٥ وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن
يجازى هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بجواره ، ، وحلولِ داره ،
وعيشِ رغد ، وخلود أبد ، ومجاورةِ للرب ، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم ،
حيث لا ظعن ولا تغيُّر ؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ؛
ولا تُشْخِصُهم الأسفار ؛ وأما أهل المعصية فخلدهم فى النار ، وأوثق منهم الأقدام
٢٠ وغلَّ منهم الأيدى إلى الأعناق ؛ فى لهب قد اشتد حره ، ونارٍ مطبقة على أهلها
لا يدخل عليهم بها روح ، همُّهم شديد ، وعذابُهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضى ،
ولا أجل للقوم ينتهى .

اللهم إنى أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليهما لا يليهما أحد
غيرك ، وأسألك باسمك المخزون المكنون ، الذى قام به عرشُك وكرسيُّك وسمواتك

وأرضُك ، وبه ابتدعتَ خلقَك ـــ الصلاةَ على محمد ، والنجاةَ من النار برحمتك ، آمين ؛ إنك وليٌّ كريم .

وخطب أيضا فقال : أيها الناس احفظوا عنى خمساً فلو شدَدْتُم إليها المطايا حتى تُنضوها لم تظفروا بمثلها : ألا لا يرجُونَّ أحدُكم إلا ربَّه ، ولا يخافنّ إلا ذنبَه ولا يستحْيِ أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ألا وإن الخامسة الصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له : ولا خير فى قراءة إلا بتدبُّر ولا فى عبادة إلا بتفكُّر ، ولا فى حلم إلا بعلم ؛ ألا أنبئكم بالعالِم كلّ العالم ؟ من لم يزين لعباد الله معاصىَ الله ، ولم يُؤمِّنْهم مكرَه ، ولم يُؤيِسْهم من روْحه . لا تُنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضىَ الله فيهم بأمره ؛ ولا تأمنوا على خير هـذه الأمة عذابَ الله ؛ فإنه يقول : ﴿ فلا يَأْمنُ مَكْرَ اللهِ إلّا القوْمُ الخاسِرون ﴾ ؛ ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رَوح الله إلا القوم الكافرون .

* * *

ومن كلامه رضوان الله عليه : قال ابن عبّاس : لمـا فرغ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من وقعة الجمل ، دعا بآجُرَّتين فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة ! رغا فأجبتم وعُقِرَ فهربتم ؛ دخلت شرَّ بلاد [أقربها من المـاء ، و] أبعدها من السماء . بها يغيض كل ماء ، ولهـا شرُّ أسماء : هى البصرة ، والبُصيرة ، والمؤتفكة ، وتَدمر . أين ابن عبّاس ؟ فدُعيت . فقال لى : مُرْ هذه المرأة فلْتَرْجع إلى بيتها الذى أُمِرَت أن تَقرَّ فيه .

وتمثل على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد الحكمين :

زَلَلتُ فيـــكم زَلّةً فأعتذِرْ ۞ سوف أكِيس بعدَها وأشتَمِرْ

وأجمعُ الأمر الشّتيت المُنْتشر

خطب معاوية

قال القحذمى : لما قَدم معاويةُ المدينة عام الجماعة تلقّاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ماردّ عليهم شيئاً حتى صعد المنبر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أما بعد فإنى والله ما وليتُها بمحبة علمتُها منكم ولا مسرّة بولايتى ، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة ، ولقد رُضْتُ لكم نفسى على عمل ابن أبى قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرتْ من ذلك نفارا شديداً ؛ وأردتها مثل ثَنِيّات[1] عثمان ، فأبت علىّ ؛ فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة : مؤاكلةٌ حسنة ، ومُشاربة جميلة ؛ فإن لم تجدونى خيرَكم فإنى خيرٌ لكم ولاية ؛ والله لا أحمل السيف

١٠ على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذنى وتحت قدمى ؛ وإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه ، فإن أتاكم منى خيرٌ فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد عَنّى ، وإذا قلّ أغنى ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدّر النعمة . ثم نزل .

خطبة أيضا لمعاوية

١٥ حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدِمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ﴿ فإنْ أُعْطُوا منها رَضُوا وإنْ لم يُعطَوْا منها إذا هُمْ يَسْخَطون ﴾ . ولست واسعاً كلّ الناس ؛ فإن كانت محمدةٌ فلا بدّ مِن مَذَمّة ، فلَوْناً هَوْناً إذا ذُكر غُفِر ؛ وإياكم والتى إن أُخفيت

٢٠ أوبقت ، وإن ذُكرت أوثقت . ثم نزل .

---

(١) فى بعض الأصول : « على مسنيات » .

وخطبة أيضا لمعاوية

صعد منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى ، عليه ثم قال :

ياأهل المدينة ، إنى لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق : يعيبون الشىء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعةُ نفسه ، فاقبلونا بما فينا فإن ماوراءنا شرٌّ لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكَرُ زمان قد مضى ، ومنكَر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالرّتق خير من الفتق ، وفى كلّ بلاغ ، ولا مقام على الرزية . ٥

وخطبة لمعاوية أيضا

قال العتبي : خطب معاوية الجمعة فى يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ١٠

إن الله عز وجل خلقكم فلم يَنسكُم ، ووعظكم فلم يهمِلكم ، فقال : ﴿ ياأيها الذينَ آمنوا اتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه ولا تَموتُنَّ إلّا وأنتمْ مُسْلِمون ﴾ . قوموا إلى صلاتكم .

وممـا ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

قال ابن دأب : لمـا قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره ، فجعل يتصدّى له بخلوة ليسبُر من رأيه ماكَرِهَ أن يُشرِك به عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطُّلاب وإشغال الخاصة وافتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذى كان يخلو فيه بنفسه ، ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذِن له ، فسلم ووقف واجما يتصفح وجوه القوم ، ثم قال : ١٥ ٢٠

صريح العقوق مُكاتمةُ الأدنَين ، لا خير فى اختصاص وإن وفَرَ ، أحمد الله

إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأواء ، وأستهديه من عمى مُجهِد ، وأستعينه على عدوّ مرصِد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شقاء هاوٍ ، ومن غواية غاوٍ ، وصلوات الله على الزكى ، نبىّ الرحمة ، ونذير الأمّة ، وقائد الهدى ؛ أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فقد عسف بنا ظنٌ فرّع ، وفزع صدّع ،
٥ حتى طمع السحيق ، ويئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلهم متحفز للمداوة ، وقد قلّص الإزرة ، وشمّر عن عِطافه ، ليقول : مضى زياد بما استُلحق به ، وولّى على الدنية من مُستلحِقه . فليت أمير المؤمنين سَلِم فى دَعته ، وأسلم زياداً فى ضَعته ، فكان ترِب عامّته ، وواحد رعيّته ، فلا تشخص إليه عين ناظر ولا أصبع مشير ، ولا تذلّق عليه ألسنٌ كلَمَتْه حيا ونبشته ميتا ؛ فإن
١٠ تكن يا أمير المؤمنين حابيت زياداً بولاء رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك زياد بجدّ هصور وعزم جسور ، حتى لانت شكائمُ الشَّرِس ، وذلّت صعبة الأشوس ، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المنيع ، وتقهر بهما البزيع ، حتى مضى والله يَغفر له ؛ فإن يكن زياد أخذ بحقّ فأنزلنا منازل الأقربين ، فإنّ لنا بعده ما كان له ، بدالّة الرحم ، وقرابة الحَميم ؛ فما لنا يا أمير المؤمنين
١٥ نمشى الضَّرّاء وندبّ الخفاء ، ولنا من خيرك أكله ، وعليك من حوبنا أثقله ، وقد شهد القوم ، وما ساءنى قربهم ليُقرّوا حقا ، ويردّوا باطلا ؛ فإنّ للحقّ مناراً واضحا ، وسبيلا قصْدا ؛ فقل يا أمير المؤمنين بأى أمريْك شئت ، فما نأرِز إلى غير جُحرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ، وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فنظر معاوية فى وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفّحهم بلحْظه رجلا
٢٠ رجلا وهو متبسم ، ثم اتجه تلقاءه وعقد حبوته وحسر عن يده وجعل يومئ بها نحوه ، ثم قال معاوية :

الحمد لله على ما نحن فيه ؛ فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ فكل شيء خاضع له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، دلّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومصدّق المرسلين ، وحجة رب العالمين ،

صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ، أمّا بعد ، فرب خيرٍ مستور ، وشر مذكور ، وما هو إلا السهم الأخْيب لمن طار به ، والحظ المرغِب لمن فاز به ، فبهما التفاضل ، وفيهما التغابن ، وقد صفقتْ يداى فى أبيك صفقة ذى الخَلة من ضوارع الفُصْلان ، عامَلَ اصطناعى له بالكفر لما أوليته ، فما رميتُ به إلا انتصل ، ولا انتضيته إلا غلّقَ جفنه ، وزلّت شفرته ، ولا قلتُ إلا عانَد ، ولا قمتُ إلا قعد ، حتى اخترمه الموت ، وقد أوقع بخَترِه ، ودل على حقده ، وقد كنت رأيت فى أبيك رأيا حضَرَه الخطل ، والتبس به الزلل ، فأخذ منى بحظ الغفلة ، وما أُبرِّئ نفسى ، إنّ النفس لأمّارة بالسوء ؛ فما برحت هَناة أبيك تحطب فى جبل القطيعة حتى انتكث المبرم . وانحل عقد الوداد . فيالها توبةً تُوتَنَف من حَوبة أورثت ندما أسمعَ بها الهاتف وشاعت للشامت ؛ فليهنأ الواصم ما به احتقر ؛ وأراك تحمد من أبيك جِدا وجُسورا : هما أوفيا به على شرف التقحم . وغمط النعمة ؛ فدعْهما فقد أذكرَتنا منه ما زهَّدَنا فيك من بعده ، وبهما مشيتَ الضرّاء ودبيت الخفاء ؛ فاذهب إليك ، فأنت نَجْل الدَّغَل ، وعِترة النَّغَل ؛ والآخَر شرّ .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إنّ للشاهد غيرَ حكم الغائب ، وقد حضرك زياد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظنّى ، ولا تغيّرها التهم ، وأهلوه أهلوك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فتوافرتْ به الرُّكبان ، وسمعت به أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا يتحجَّر يا أمير المؤمنين ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

فانحرف معاوية إلى من معه فقال : هذا ، وقد نَفِس عليه ببيعته ، وطعن فى إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ؛ يا لَلرجال من آل أبى سفيان ! لقد حكموا وبذَّهم يزيدُ وحده .

ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا ابن أخى ، إنى لأعْرَف بك من أبيك ، وكأنى بك فى غمرة لا يخطوها السابح ؛ فالزم ابنَ عمك ، فإنّ لما قال حقا .

فخرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد يرِد مجلسه ويطأ عقِبَه أياما ، حتى رَمَى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاويةَ الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المرِّى ، والضحاك بن قيس الفهرى ، وقال لهما : أبلغا عنى يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهدْه ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزلَ عامل فى كل يوم فاعزله عنهم ، وإن عزلَ عامل واحد أهونُ عليك من سلّ مائة ألف سيف ، ثم لاتدرى علامَ أنت عليه منهم ؛ ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم الشعار دون الدِّثار ، فإن رابك من عدوّ ريبٌ فارْمِهِ بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ؛ ولست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير . والحسين بن على ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقذه الورع ، وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خَب ضَبّ ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا .

ومات معاوية : فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال :

إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مُدْرِجوه فيها ومُخَلُّون بينه وبين ربه : فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .

وصلى عليه الضحاك . ثم قدم يزيد ؛ فلم يقدِم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام فأنشأ يقول :

اْصبِر يزيدُ فقد فارَقْتَ ذا مِقَةٍ * واْشكُرْ حِبَاءَ الذى بالمُلْكِ حاباكا
لارُزْءَ أعْظَمُ فى الأقوامِ قد عَلِموا * مِمَّا رُزِئْتَ ولا عُقْبى كعُقْباكا
أصْبَحْتَ راعِى أهْلِ الدينِ كُلِّهِمُ * فأنت تَرعاهُمُ والله يَرْعاكا

وفى مُعاوية الباقى لنا خلَفٌ ، أمّا نُعِيت فلا يُسمَع بمَنعاكا

قال فانفتح الخطباء بالكلام .

وخطبة أيضا لمعاوية

ولما مرض معاية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ! قال : ويحك ! لم ؟ فوالله مالهم بعدى إلا الذى يسوءهم ٥ وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علِمنا ، ولا نسأل عما جهِلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحُلَّ بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلا مَهانةُ نفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره ؛ ومنهم ١٠ المصلِت لسيفه ، المجلِب برجله ، المعلن بشرّه ؛ قد أشرط نفسَه ، وأوبق دينه : لحُطام ينتهزه ، أو مِقْنبٍ يقوده ، أو مِنبر يَفرعه ؛ ولبئس المتجرُ أن تراهما لنفسك ثمنا ، ومما لَكَ عند الله عوضاً ـ ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ؛ قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر عن ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن ١٥ طلب الملك ضُئُولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أمله ؛ فتحلى باسم القناعة ، وتزيّا بلباس الزهادة ؛ وليس مِن ذلك فى مَراح ولا مَغدى ؛ وبقى رجال غض أبصارَهم ذكرُ المرجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع ؛ فهم بين شريد باد ، وبين خائف منقمع وساكتٍ مكعوم ، وداع مخلص ، وموجَع ثكلان ؛ قد أخملتهم التَّقِيَّة ، وشملتهم الذلة ؛ فهم فى بحر أجاج ؛ أفواههم ضامزة ، وقلوبهم ٢٠ قرِحة ؛ قد وُعِظوا حتى ملوا ، وقُهِروا حتى ذلوا ؛ وقُتِلوا حتى قَلُّوا ؛ فلْتكن الدنيا فى أعينكم أصغر من حُثالة القَرَظ ، وقُراضة الجلمين ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم مَن بعدكم ، وارفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشغَفَ بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذى ما شاء صنع ، من شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبْلا من حبال الله ، مده ما شاء أن يمده ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ؛ وكان دون مَن قبله ، وخيراً مما يأتى بعده ، ولا أزَكّيه عند ربه وقد صار إليه ؛ فإن يعْف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبْه فبذنبه ؛ وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أنِى على طلب علمٍ ؛ وعلى رِسْلِكُمْ إذا كَرِه الله شيئا غيره ؛ وإذا أحب شيئا يسّره .

وخطبة ليزيد أيضا

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأُومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادىَ له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه لوحيه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فصّله وفضّله ، وأعزّه وأكْرمه ، ونصره وحفظه ؛ ضرب فيه الأمثال ، وحلّل فيه الحلال وحرَّم فيه الحرام وشرع فيه الدين إعذاراً وإنذارا ؛ لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرُسل ، ويكون بلاغا لقومٍ عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتدأ الأمور بعلمه وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرم دارها . ثم إنى أحذّركم الدنيا . فإنها حلوة خضِرة ، حُفّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفانى ، وتحببت بالعاجل . لا يدوم نعيمُها ، ولا تُؤمن فجيعتُها ، أكَّالةٌ غوّالةٌ غرّارةٌ . لا تُبْقى على حال . ولا يَبْقى لها حال . لن تعدو الدنيا — إذا تناهت إلى أمنّية أهل الرغبة فيها . والرضا بها — أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ واضرِبْ لهم مثَل الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزَلناهُ مِن السَّماءِ فاختَلَط به نباتُ الأرض فأصْبَح هَشيما تذْرُوه الرِّياحُ وكان اللهُ على كلّ شىءٍ مُقْتدِرا ﴾ . نسأل الله ربّنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزَع يومَئذٍ آمنين .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : ﴿ وإذا قرِئَ القرآنُ فاستَمعوا له وأنْصِتُوا لعلَّكُمْ تُرحمونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لقدْ جاءكم رسولٌ من أنفسِكُمْ عزيزٌ عليهِ ماعنِتُّمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤْمنينَ رءوفٌ رحيمٌ . فإنْ تولَّوْا فقلْ حسْبِيَ اللهُ لا إلهَ إلا هو عليه توَكَّلْتُ وهوَ ربُّ العرْشِ العظِيم ﴾ . ٥

خطب بنى مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : اللهم إن ذنوبى قد عظمت وجلَّت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى .

وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال فى خطبته : ١٠

إنى والله ماأنا بالخليفة المستضعَف — يعنى عثمان — ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية — ولا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد .

قال أبو إسحاق النظام : أما والله لولا نسبك من هـذا المستضعف ، وسببك من هذا المداهِن ؛ لكنتَ منها أبعد من العَيُّوق . والله ما أخذْتَها بوراثة ، ولاسابقة ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية . ١٥

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان ، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس : الصلاة جامعة ! فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، لا مؤخِّر لِمَا قدم الله ، ولا مقدِّم لِمَا أخَّر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقِ علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه ٢٠ من الموت ، موتُ وَلِيِّ هـذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ماأقام

من مَنار الإسلام وأعلامه ، وحجِّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ؛ فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وانيا ، ولا مفرطا ؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الفذ ، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات

٥ بدائه . ثم نزل

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال : الحمد لله ، ألا إنّ الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحِك باكيا ، وتُبكى ضاحكا ، وتُخيف آمنا ، وتُؤمِّن خائفا ، وتُفقر مثريا ، وتثرى مقترا ميّالة ، غرارة ، لعّابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضُوا به

١٠ حَكَماً . واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَسْعَسْ .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضى عنه

قال العتبي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس

١٥ أصلحوا سرائركم تَصْلُح لكم علانيتُكم ، وأصلحوا آخرتكم تَصلح دنياكم ، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أبٌ حى لَمُعْرِقٌ فى الموت .

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة . فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرهبوا ورغِبوا .

٢٠ ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسوَ قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم . فإنه ما بُسط أمل مَن لا يدرى لعله لا يصبح بعد إمسائه أو يمسى بعد إصباحه . وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أمِنَ عواقبها . فإنّ من

يُداوِى من الدنيا كَلْمًا أصابته جراحة من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن إليها ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى ؛ فتخسر صفقتى ، وتظهر عَيْلتى ، وتبدو مسكنتى ، فى يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق .

ثم بكى وبكى الناس معه .

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

٥

شبيب بن شيبة عن أبى عبد الملك قال كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ونبدؤهم بالسلام ؛ فخرج علينا عمر رضى الله عنه فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه ، فقال : مَهْ ! أنتم جماعة وأنا واحد ؛ السلام علىَّ والردُّ عليكم ، وسلِّمْ ، فرددنا ، وقربت له دابته ، فأعرض عنها ، ومشى ومشينا حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردّوا على فقرائهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أولهم . ثم قال : مالى وللدنيا ؟ أم مالى ولها وتكلم فأرقَّ حتى بكى الناسُ جميعاً يميناً وشمالا ، ثم قطع كلامه ونزل ؛ فدنا منه رجاء بن حيوة فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلمت الناس بما أرقَّ قلوبَهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوجَ ما كانوا إليه ؛ فقال : يا رجاء ، إنى أكره المباهاة .

١٠

١٥

خطبة عبد الله بن الأهتم بين يدى عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم ؛ فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد ، فإن الله خلق الخلق غنيًّا عن طاعتهم ، آمِناً من معصيتهم ؛ والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشَرِّ تلك المنازل ؛ أهل الوبر وأهل المدر ، تُحْتازُ دونهم طيباتُ الدنيا ورفاهة عيشها ؛ ميِّتهم فى النار وحيهم أعمى ، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه ؛ فلما أراد الله أن ينشر فيهم

٢٠

رحمتَه ، بعثَ إليهم رسولا منهم عزيزاً عليه ما عَنِتُوا حَريصا عليهم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ؛ فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه فى جسمه ، ولقبوه فى اسمه ، ومعه كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار ؛ فلما أُمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لونُه ، فأفلج اللهُ حجتَه ، وأعلى كلمتَه ، وأظهر دعوتَه . وفارق الدنيا تقيا صلى الله عليه وسلم .

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله ؛ وارتدّت العرب فلم يقبل منهم إلا الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران فى شُعلها ، ثم ركب بأهلِ الحق أهلَ الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الباب الذى خرجوا منه ، وقررهم بالأمر الذى نفروا منه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه . وحبشية ترضع ولدا له ؛ فرأى ذلك غُصَّة فى حلقه عند موته ، وثقلا على كاهله ، فأدّاه إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه ، وفارق الدنيا تقِيا نقِيا على منهاج صاحبه .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ فمصّر الأمصار ، وخلط الشدة باللين ، وحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها ، فلما أصابه قِنُّ المغيرة بن شعبة ، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يُثبِتون قاتله ؟ فلما قيل له قِنّ المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق فى الفىء ، فيستحل دمه بما استحل من حقه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا فكسر بها رِباعه ، وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه .

ثم إنّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها ، وألقمتك ثديها ، فلما وليتَها ألقيتها وأحببتَ لقاء الله وما عنده ؛ فالحمد لله الذى جلا بك حوبتَنا ، وكشف بك كُرْبتنا . امض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شىء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين وللمؤمنات .

ولما قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج . سكت الناس كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت !

وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصِرَة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات ، رحمه الله : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ٥

أيها الناس ، إنكم لم تُخْلقوا عبثا ، ولم تُتْرَكوا سدى ؛ وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخَسِرَ من خرج من رحمة الله التى وسِعَتْ كل شىء ، وحُرِم جنةً عرضُها السموات والأرض ؛ واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ؛ ألا ترَوْن أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلّفها من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين ؛ ثم إنكم فى كل يوم ١٠ تُشَيِّعون غاديا ورائحا إلى الله ، قد قضى نحبَه ، وبلغ أجله ، ثم تغيِّبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مُوَسَّد ولا ممَهَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب وواجه الحساب ، [مرتهناً بعمله] ، غنيا عما ترك ، فقيراً إلى ما قدَّم ؛ وآيم الله إنى لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر مما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تبلغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها ١٥ ما عندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى ولُحمتى الذين يلوننى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم : وآيم الله إنى لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسُنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى عن معصيته . ٢٠

ثم بكى ، فتلقى دموعَ عينيه بردائه ، ونزل ؛ فلم يُرَ بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قَتل الوليدَ بن يزيد

بقِيّ بن مخلد قال : حدثنى خليفة بن خياط ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثنى إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قَتَلَ الوليد بن يزيد قام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إنى ما خرجت أشراً ولا بطراً ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ؛ وما بى إطراء نفسى ولا تزكية عملى ، وإنى لظلوم لنفسى إن لم يرحمنى ربى ، ولكنى خرجت غضبا لله ودينِه ، وداعيا إلى كتابه وسنة نبيه ، حين دَرست معالم الهدى ، وطَفِئَ نور أهل التقوى ، وظهر الجبّار العنيد المستحل الحرمة ، والراكب البدعة والمغيِّر السنة ؛ فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع ، على كثير من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم . وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيبه من أجابه منكم ؛ فاستخرت الله فى أمرى ، وسألته أن لا يكلنى إلى نفسى ؛ وهو ابن عمى فى نسبى ، وكفئى فى حسبى ؛ فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، ولايةً من الله وعَوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه .

أيها الناس ، إن لكم علىّ إن وليتُ أموركم أن لا أضع لبِنة على لَبِنة ولا حجراً على حجر ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخَصاصة أهله] ، وأقيم مصالحه ، بما يحتاجون إليه ويقوون به ؛ فإن فضَل شىء ردَدْتُه إلى البلد الذى يليه وهو من أحوج البلدان إليه ، حتى تستقيمَ المعيشةُ بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ، ولا أُجَمّركم فى بعوثكم فتفتتنوا وتفتتن أهاليكم ؛ فإن أردتم بيعتى على الذى بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن مِلْتُ فلا بيعة لى عليكم ؛ وإن رأيتم أحداً أقوى عليها منى فأردتم بيعته ، فأنا أول من يبايعه ويدخل فى طاعته : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

خطب بني العباس

العتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدي : خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمي خطبة لم يُسمَعْ أحسنُ منها ، وما دَرَيْنا أَوَجْهُه كان أحسن أم كلامه ! قال : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النُّبوّة ينطقون .

خطبة أبي العباس السفاح بالشام

٥

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي ، لما قُتل مروان بن محمد قال :

﴿ألم تر إلى الذين بَدَّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومَهم دار البوار ، جهنمَ يصلونها وبئس القرار﴾ نَكَص بكم يا أهل الشام آلُ حرب وآلُ مروان ، يتسكعون بكم الظلم ، ويتهوّرون بكم مداحِض الزلق ، يطئون بكم حَرَمَ اللهِ وحرمَ رسوله . ماذا يقول زعماؤكم غدا ؟ يقولون ربَّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضِعفاً من النار ! إذاً يقول الله عز وجل ﴿لِكلٍّ ضِعْفٌ ولكنْ لا تعلَمونَ﴾ أما أمير المؤمنين فقد ائتنف بكم التوبة ، واغتفر لكم الزَّلة ، وبسط لكم الإقامة ، وعاد بفضله على نقصكم وبحلمه على جهلكم ، فلتفرخ روعكم ولتطمئن به داركم ، وليُقطع مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

١٠

خطب المنصور

١٥

خطب أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن علي . لما قَتل الأمويين ، فقال :

أحرز لسان رأسه . انتبه امرؤ لحظه . نظر امرؤ في يومه لغده ؛ فمشى القصد وقال الفصل ، وجانب الهُجر .

ثم أخذ بقائم سيفه ، فقال : أيها الناس ، إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ؛ فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به : فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

٢٠

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شِنْشِنَةٌ أعْرِفها من أخْزَمِ * من يَلْقَ أبطالَ الرجالِ يُكْلَمِ

مهلا مهلا زوايا الإرجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفيتم ، والتخطى إلى ما حُذِّرتم ، قبل أن تتلف نفوس ، ويقلّ عدد ، ويدول عز ؛ وما أنتم وذاك ؟ ألم تجدوا ماوعد ربُّكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها حقا ؟ والجَحْدَ الجَحد ، ولكن خِب كامن ، وحسد مُكْمِد ، فبُعداً للقوم الظالمين .

وخطب أيضا

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله ...

فقام إليه رجل فقال : أُذَكِّرُكَ من ذكرتنا به يا أمير المؤمنين .

قال أبو جعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكَّر به ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذنى العزة بالإثم ؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . وأما أنت - والتفت إلى الرجل فقال - والله ما اللهَ أردتَ بها ، ولكن ليقال : قام فقال فعوقب فصبر ! وأهوِنْ بها ! [ويْلكَ] لو كانت العقوبة [فاهْتبلْها إذ عَفَرْتُ] ؛ وأنا أنذركم أيها الناس أختها ؛ فإن الموعظة علينا نزلت ، وفينا انبثت .

ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

وخطبة أيضا للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده ؛ وحارسُه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛ فقد جعلنى الله عليه قفلا ، إن شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم وقسْم أرزاقكم ؛ فإن شاء أن يُقفلنى عليها أقفلنى ؛ فارغبوا إلى الله وسلوه فى هذا اليوم الشريف

الذى وهب لكم من فضله ما أعلمكم به فى كتابه إذ يقول : ﴿ اليَومَ أكمَلْتُ لكمْ دِينَكم وأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعمَتِى ورَضِيتُ لكم الإسْلامَ دينا ﴾ أن يوفقنى للرشاد وللصواب ، وأن يلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وخطبة لسليمان بن على

٥

﴿ ولقد كتَبْنا فى الزَّبورِ من بَعدِ الذِّكرِ أنَّ الأرضَ يرِثُها عِبادِىَ الصَّالحونَ . إنّ فى هـذا لبَلاغاً لقَوْمٍ عابِدينَ ﴾ قضاءٌ مبرم ، وقولٌ فصل ، ماهو بالهزل ؛ الحمد لله الذى صدَق عبده ، وأنجز وعده ، وبُعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضا ، والفىء إرثا ، والدين هزوا ، وجعلوا القرآن عِضين ، لقد حاق بهم ماكانوا به يستهزئون ، فكأيّنْ ترى من بئر مُعطَّلة وقصْرٍ مَشيد ؛ ذلك بما قدمتْ أيديهم وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد ؛ أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب ، واضطهدوا العِترة ، ونبذوا السُّنة ، [وعَنَدوا] واعتدوا ، واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم ، فهل تحِسُّ منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم ركزاً ؟

١٠

خطبة عبد الملك بن صالح بن على

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ﴿ أفلا يَتَدبرونَ القرآنَ أم على قُلوبٍ أقفالُها ﴾ يأهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم فى الدين وأشباهَكم فى الأجسام ، فحذرهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وإذا رَأَيْتَهُمْ تُعجبكَ أجسامُهم وإن يَقولوا تَسْمَعْ لِقَولِهم كأنهم خُشُبٌ مُسنَّدةٌ يَحْسَبونَ كلَّ صَيْحةٍ عليهم ، هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهمْ ، قاتَلَهُم الله أنى يُؤْفَكُون ﴾ . قاتلكم الله أنى تُصرفون ! جثث مائلة ، وقلوب طائرة ، تشبُّون الفتن وتولون الدُّبر إلا عن حرم الله فإنه دريئتكم ، وحرمِ رسوله فإنه مغزاكم ؛ أما وحرمة النبوة والخلافة ، لتنفِرنّ خفافا وثقالا ، أو لأُوسِعنّكم إرغاما ونكالا .

١٥

٢٠

وخطب صالح بن على

يا أعضاد النفاق وعبُد الضلالة ، أغرّكم لين إبساسى وطولُ إيناسى ؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفُلول حد ، وفتور جد ، وخور قناة ! كذبت الظنون : إنها العِترة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليتم العافية فمندى فصال و فطام وسيف يقدّ الهام ، وإنى أقول :

٥

أغرّكمُ أنّى بأكرم شيمةٍ ۞ رفيقٌ وأنّى بالفواحِش أخرَقُ
ومثْلى إذا لم يُجزَ أحسنَ سعيِهِ ۞ تكلّمُ نُعمَاه بِفِيها فتنْطِق
لعمْرِى ! لقد فاحشْتنى فغَلبتنى ۞ هنيئاً مريئاً أنتَ بالفُحْشِ أرْفق

وخطب داود بن على بالمدينة

١٠ فقال : أيها الناس . حتّام يهتف بكم صريخُكم ؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه ؟ ﴿ كلا بلْ رانَ على قلوبِهم ما كانُوا يَكْسِبُون ﴾ ! أغركم الإمهالُ حتى حسبتموه الإهمال ؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوط فى كفى والسيف مُشهر :

حتى يُبيد قبيلةً فقبيلةً ۞ ويَعضّ كلَّ مُثقّفٍ بالهامِ
١٥ ويُقِمْنَ رباتِ الخدُورِ حواسِراً ۞ يَمسحْنَ عُرْضَ ذَوائبِ الأيْتام

خطبة داود بن على بمكة

وخطب داود بن على بمكة : شكراً شكراً ! والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبتنى فيكم قصراً ، أظَنّ عدو الله أن لن يُظفَر به ، إذ مُدّ له فى عنانه ، حتى عثر فى فضل زمامه ! فالآن عاد الأمر فى نصابه ، وطلَعت الشمس من مَشْرقها ، ٢٠ والآن تولّى القوس باريها ، وعادت النبل إلى النّزعة ، ورجع الأمر إلى مُستقرّه ، فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة ، فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا النّعم التى أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُتيح هلكتكم ، وتزيل النّعم عنكم .

خطبة المهدى

الحمد لله الذى ارتضى الحمد لنفسه ، ورضىَ به من خلقه ، أحمدُه على آلائه ، وأُمجّده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكُّل راضٍ بقضائه ، وصابرٍ لبلائه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ، ورسولُه إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمّة جاهلية ، مختلفة أمية ، أهل عداوة وتضاغن ، وفُرقة وتَباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرَناؤهم ، فاستشعروا الرَّدى ، وسلكوا العمَى ، يبشِّر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، ويُنذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ ليَهلِكَ مَن هَلكَ عن بيِّنة ويَحيَى من حيَّ عن بيِّنة وأنّ الله لَسميع عليم ﴾ .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ؛ وأُحُثُّكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاء إلى ما يقرّب من رحمته ويُنجى من سخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ؛ وجزيل المآب ؛ فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ؛ يوم توقَفون بين يدى الجبار ، وتعرَضون فيه على النار ﴿ يومَ لا تَكلَّم نفسٌ إلا بإذنه . فنهم شقىٌّ وسعيد ﴾ ؛ ﴿ يومَ يفرُّ المرء من أخيه ، وأُمّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه . لكلِّ آمرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه ﴾ ؛ ﴿ يومَ لا تَجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها عدْلٌ ولا تنفعُها شفاعة ولا هم يُنصَرون ﴾ ؛ ﴿ يومَ لا يَجزى والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدهِ شيئاً ؛ إنَّ وعْد الله حقٌّ فلا تغُرَّنّكمُ الحياة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغَرورُ ﴾ ؛ فإن الدنيا دارَ غُرور ، وبلاء وشُرور ، واضمحلالٍ وزوال ، وتقلُّبٍ وآنتقال ؛ قد أفنت من كان قبلكم ، وهى عائدة عليكم وعلى من بعدكم ؛ من ركَن إليها صَرَعَتْه ، ومن وثِق بها خانته ؛ ومن أمّلها كذَبته ، ومن رجاها خذلته ؛ عزُّها ذُل ، وغِناها فقر ؛ والسعيدُ من تركها ، والشقىُّ

فيها من آثرها ، والمغبون فيها مَن باع حَظَّهُ من دارِ آخرته بها ؛ فاللهَ اللهَ عبادَ الله والتوبةُ مقبولة ، والرحمة مبسوطة ؛ وبادِروا بالأعمال الزكية فى هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكَظم ، وتندموا فلا تُقالون بالندم ، فى يوم حسرةٍ وتأسُّف وكآبة وتلهُّف ؛ يومٌ ليس كالأيام ، وموقف ضنك المُقام ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وإذا قرِئَ القرآن فآستمعوا له وأنصِتوا لعلّكم تُرحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ! بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ألْهاكمُ التَّكاثر حتى زُرتمُ المقابِر . كلاَّ سوف تعْلمون . ثم كلاَّ سوف تعلمون . كلاَّ لو تعلمون عِلم اليقين لترَوُنَّ الجحيم . ثم لترَوُنَّها عيْنَ اليقين . ثم لتُسأَلُنَّ يومئذٍ عن النَّعيم ﴾ .

أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ، وأستغفر اللهَ لى ولكم .

خطبة هارون الرشيد

الحمد لله ؛ نَحمَده على نِعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقا ، ونتوكل عليه مفوّضين إليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعثه الله على فَترةٍ من الرسل ، ودروسٍ من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ بشيراً بالنعيم المقيم ؛ ونذيراً بين يَديْ عذابٍ أليم ، فبلّغ الرسالة ، ونَصح الأمّة ، وجاهد فى الله ، فأدّى عن الله وعدَه ووعيدَه حتى أتاه اليقين ؛ فعلى النبىِّ من الله صلاةٌ ورحمة وسلام .

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن فى التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ؛ وأحذركم يوما تَشخص فيه الأبصار ، وتُبلى فيه الأسرار ، يومَ البعث ويومَ التغابن ، ويوم التلاقى ويوم التنادى ، يوم لا يُستعتَب من سيئة ولا يُزداد من حسنة ؛ ﴿ يومَ الآزِفة ، إذ القلوبُ

لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ، يعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخفى الصدور ؛ واتقوا يوما تُرجَعون فيه إلى الله ، ثم تُوفَّى كلُّ نفس ما كسَبتْ وهم لا يُظلمون ﴾ .

عباد الله ؛ إنكم لم تُخلقوا عبثا ، ولن تُتركوا سُدًى ؛ حصّنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ؛ فقد جاء فى الخبر أن النبى ٥ صلى الله عليه وسلم قال : لا إيمانَ لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاةَ له . إنكم سَفْرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ؛ فإن الله تعالى ذِكره أوجب رحمتَه للمتقين ، ومغفرتَه ١٠ للتائبين ، وهُداه للمنيبين ؛ قال الله عز وجل وقوله الحق ﴿ ورحمتى وسِعتْ كلَّ شىء ، فسأكتُبها للذين يتَّقون ويُؤتون الزكاةَ ﴾ . وقال ﴿ وإنى لغفَّارٌ لمن تاب وآمن وعمِل صالحاً ثم اهتدى ﴾ . وإياكم والأمانىَّ ، فقد غرّت وأوردتْ وأوبقت كثيراً حتى أكذبتْهم مناياهم ، فتناوَشوا التوبةَ من مكان بعيد ، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون ؛ فأخبرَكم ربُّكم عن المَثلات فيهم ، وصَرّف الآيات ، وضرب ١٥ الأمثال ، فرغّب بالوعد وقدم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالى جِيلا لجيلا ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تَحُولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتْهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب ﴿ ليَجزىَ الذين أساءوا بما عملوا ويَجزىَ الذين أحسنوا بالحُسنى ﴾ .

٢٠ إنَّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله عز وجل ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمِعوا له وأنصِتوا لعلّكم تُرحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحدٌ ، اللهُ الصمدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولدْ ولم يكن له كُفُواً أحدٌ ﴾ . آمرُكم بما أمركم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأستغفر اللهَ لى ولكم .

خطبة المأمون فى يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ؛ أحمدُه وأستعينُه ؛ وأُومن به وأتوكل عليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أُوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتنجُّز لوعده ، والخوف لوعيده ؛ فإنه لا يسلَم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ؛ وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا ، فقد جُدّ بكم ، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم ، وكونوا كقوم صِيح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدّة . وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الأوْبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لَمُستحِقٌّ لأفضل العدّة ، فاتقى عبدٌ ربه ونصح نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته ، فإن أجلَه مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكّل به يزيّن له المعصية ليركبها ، ويُمنّيه التوبةَ ليسوّفها ، حتى تهجم عليه منيّته أغفلَ ما يكون عنها ، فيا لها حسرةً على كل ذى غفلة أن يكون عمرُه عليه حُجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شِقْوة ؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقصِّر به عن طاعة ربه غفلة ، ولا يَحِل به بعد الموت فَزْعة ، إنه سميع الدعاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، فعّال لما يريد .

خطبة المأمون يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يومٌ أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظّم حُرمته ، ووفّق له من خلقه صفوتَه ، وابْتلى فيه خَليله ، وفَدَى

فيه من الذبح العظيم نبيَّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومُقدَّم الأيام المعدودات من النفْر ، يومٌ حرامٌ من أيام عظام فى شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يومٌ دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عز وجل : ﴿ وأذِّنْ فى النّاس بالحجّ يأتُوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كل فجٍّ عميقٍ ﴾ فتقربوا إلى الله فى هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيِّب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿ لنْ يَنالَ اللهَ لُحومُها ولادِماؤُها ولكنْ ينالُهُ التّقوى منْكم ﴾ .

ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى ثم ذكر الموت ، ثم قال :

وما من بعده إلا الجنة أو النار ، عظُم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العمَلين وطالت مدة الفريقين ؛ الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللَّعِب ، والحقُّ لا الكِذب . وما هو إلا الموتُ والبعثُ والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوَى يومئذ فقد خاب . الخير كلُّه فى الجنة ، والشرُّ كله فى النار .

وخطبة المأمون فى الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : ألا وإن يومَكم هذا يومُ عيدٍ وسُنّة ، وابتهال ورغْبة ، يومٌ ختَم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيتِه الحرام ، فجعله [خاتمة الشهر ، و] أول أيام شهور الحج ، وجعله مُعقِّبا لمفروض صيامكم ، ومُتنفَّل قيامكم ، أحلّ الله لكم فيه الطعام ، وحرّم عليكم فيه الصيام ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه بتفريطكم . فإنه يقال : لا كبير مع ندم واستغفارٍ ، ولا صغير مع تمادٍ وإصرار .

ثم كبّر وحمد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبر والتقوى ، ثم قال :

اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذى اعتدل فيه يقينُكم ولم يحضر الشك
فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُستقال بعده عَثرة ،
ولا تُحظَر قبله توبة ؛ واعلموا أنه لا شىء [قبله إلا دونه ، ولا شىء] بعده إلا
فوقه : ولا يعين على جزعه وعَلَزِه وكُرَبه ، وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقه
٥ وهول مطلعه ومسألة ملَكيه — إلا العمل الصالح الذى أمر الله به ، فمن زلّت
عند الموت قدمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه ، ودعا من الرجعة إلى
ما لا يجاب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه ؛ فالله الله عباد الله ، كونوا
قوماً سألوا الرجعة فأُعطوها إذ مُنِعَها الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون
قبلكم ، إلا هذا الأجل المبسوط لكم : فاحذروا ما حذركم الله فيه ، واتقوا اليوم
١٠ الذى يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر
عبد ما يضع فى ميزانه مما يثقل به وما يملى فى صحيفته الحافظة لما عليه وله ؛ فقد
حكى الله لكم ما قال المفرّطون عند ما طال إعراضهم عنها ؛ قال جل ذكره :
﴿ ووُضِعَ الكِتابُ فترَى المُجْرِمين مُشْفِقين مِمَّا فيه ويقولونَ : يا وَيْلتَنا ما لهذا
الكِتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحْصاها ؟ ووَجدُوا ما عَمِلوا حاضِراً
١٥ ولا يَظْلِمُ ربُّك أحداً ﴾ . وقال : ﴿ ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليوْمِ القيامةِ
فلا تُظلَمُ نفسٌ شيئاً ، وإن كان مِثْقالَ حبّةٍ من خرْدل أتيْنا بها وكفى بنا
حاسِبين ﴾ ! ولست أنهاكم عن الدنيا بأكثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها ، فإن
كل ما بها يحذِّر منها وينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم مما رأته
أعينكم من فجائعها وزوالها ، ذمُّ كتاب الله لها والنهى عنها ؛ فإنه يقول تبارك
٢٠ وتعالى : ﴿ فلا يغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرورُ ﴾ . وقال :
﴿ إنما الحياة الدنيا لعِبٌ ولهْوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بينكُمْ وتكاثُرٌ فى الأمْوال
والأوْلادِ ﴾ . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوماً من عباد
الله أدركتهم عصمة الله فحذِروا مصارعها وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها
وأدركوا الجنة بما يتركون منها

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الوقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بنيّ ، أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أهْيَبُ لك منى لهم ! فقام عثمان فى الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيبا ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ، فقال :

الحمد لله الذى ألَّف بين قلوبنا وجعلنا متحابِّين بعد البِغضة ، الذى لا تُجْحَد نعماؤه ، ولا يزول مُلكه ؛ له الحمد كما حَمِد نفْسَه ، وكما هو أهله ، انتخب محمدا صلى الله عليه وسلم فاختاره بعلمه ، وائتمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعوانا قَذَف فى قلوبهم تصديقه ومحبّته ، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه وجاهدوا فى الله حق جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابح ، وبقى منهم من بقى ، لا تأخذهم فى الله لومةُ لائم .

أيها الناس ، رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذى علمتم ، فكنا مع والٍ حافظ ، حَفِظَ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبْرَدَيْن ، ويخفض بنا فى الظهائر ، ويتخذ الليل جملا ، يعجل الرِّحلة من المنزل الجدب ، ويطيل اللبث فى المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفُها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقعة السلاحْ فأقمنا أياما نَجِمُّ كُرَاعنا ! ونُصْلح سلاحنا ؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعَدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صَغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ؛ فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة ، نتأنَّاهم وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم ، قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت

بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين ، فبتنا وباتوا وللمسلمين دَوِىٌّ بالقرآن كدوىّ النحل ، وبات المشركون فى خمورهم وملاعبهم ؛ فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التى كنا عليها بالأمس ، فزحف بعضُنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبْنا غنائم كثيرة ، وفَيْئاً واسعا ، بلغ فيه الخُمُسُ خمسمائة ألف ؛ فصَفَق عليها مروان ابن الحكم ، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغناهم النفَلُ ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين أُبشّره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذلّ من الشِّرك ؛ فاحمدوا الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذى يُردُّ عن القوم المجرمين.

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليمٌ . يا بُنىّ : مازلت تنطق بلسان أبى بكر حتى صَمتَّ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ؛ فجعل لونه يحمرّ مرة ويصفر مرة ؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ فوالله إنه للبيب الخطباء ! قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير ملوم ! ثم تكلم فقال :

الحمد لله ، له الخلق والأمر والدنيا والآخرة ؛ يُؤتى المُلْكَ من يشاء ، وينزعُ المُلك ممّنْ يشاء ، ويُعِز من يشاء ، ويُذلُّ من يشاء . أما بعد : فإنه لم يُعِزَّ الله من كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأنامُ طُرًّا ؛ ولم يُذِل من كان الحقّ معه ، وإن كان فرداً . ألا وإن خبَراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذى أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوى ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذى أفرحنا فإن قتل المصْعب له شهادة ولنا ذخيرة ، أسلمه النّعام المصلَّم الآذان ؛ ألَا وإنّ أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقتَل فقد قُتِل أخوه وأبوه وابن عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين . وإنا والله لا نموت حتفا ، ولكن قَعْصاً بالرماح ،

وموتا تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان ! ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لايبيد ذكره . ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقْبل الدنيا على لم آخذها أخْذَ الأشِر البطر ؛ وإن تُدبر عنى لم أبكِ عليها بكاء الخرِق المهين ثم نزل .

خطبة زياد البتراء ٥

قال أبو الحسن المدائنى عن مسلمة بن محارب عن أبى بكر الهذلى قال : قدم زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان وضم إليه خراسان وسجستان ؛ والفِسق بالبصرة ظاهر فاشٍ . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه . اللهم كما زدتَنا نعماً فألهمنا شكراً . ١٠

أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعَمَى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا ، وسدّت مسامعه ١٥ الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تُسبقوا إليه ، من ترككم . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر ، والعددُ غير قليل . ألم يكن منكم نُهاة تمنع الغواة عن دلَج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة ، وباعدتم الدِّين ؛ تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على المختلس ؛ كلُّ امرئ منكم يذبُّ عن سفيهه ، صنيعُ من لا يخاف ٢٠ عاقبة ولا يرجو معادا ؛ ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرمَ الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم ،

كنوساً فى مكانس الرِّيب ؛ حرامٌ علىَّ الطعام والشراب حتى أُسَوِّيها بالأرض هَدْما وإحراقا .

إنى رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصلُح إلا بما صَلَح به أوله ، : لينٌ فى غير ضَعْف ، وشدة فى غير عُنْف ، وإنى أُقْسِمُ بالله لآخُذَنَّ الولِىَّ بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبِلَ بالمدبر ، والصحيح بالسقيم ؛ حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انجُ سعْد فقد هلكَ سُعَيد ! أو تستقيمَ لى قناتُكم . إنّ كذْبةَ الأمير بلْقاء مشهورة فإذا تعلقتم علىَّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى . مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له ؛ فإياى ودلَجَ الليل ، فإنى لا أُوتى بمدْلج إلا سفكتُ دمه ، وقد أجّلتكم فى ذلك بقدر ما يأتى الخبر الكوفةَ ويرجع إليكم ؛ وإياى ودعْوى الجاهلية ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذَنْبٍ عقوبة ، فمن غرّقَ قوما غرّقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقَب بيتا نقَبْنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفنّاه فيه حيا ؛ فكفّوا عنى ألسنتكم وأيديكم ، أكفَّ عنكم يدى ولسانى ؛ ولا يظهرنّ من أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف ماعليه عامّتُكم إلا ضربت عُنُقه . وقد كانت بينى وبين قوم إحَنٌ فجعلت ذلك دَبرَ أُذنى وتحت قدمى ؛ فمن كان محسنا فليزدَدْ فى إحسانه ، ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته ؛ إنى لو علمت أن أحدَكم قد قتله السلُّ من بُغْضِى لم أكشف له قناعا ولم أهتِك له ستراً حتى يُبْدِىَ لى صفحته . فإن فعل ذلك لم أنظره ؛ فاستأنفوا أموركم ، واستعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتئس بقدومنا سيُسَرّ ؛ ومسرورٍ بقدومنا سَيَبتئس .

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ؛ نسوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خَوّلنا ؛ فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببنا ؛ ولكم علينا العدل فيما ولِينا ؛ فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا ؛ واعلموا أنى مهما أُقصِّرُ عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابساً عطاء ولا رزقا عن إبّانه ، ولا مُجَمِّراً لكم بعثا ؛

فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ؛ فإنهم ساستكم المؤدّبون لكم ، وكهفكم الذى إليه تأوون ؛ ومتى يصلحوا تصلحوا ؛ ولا تُشربوا قلوبكم بغضهم ؛ فيشتد لذلك أسفُكم ، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا له حاجتكم ؛ مع أنه لو آستجيب لكم فيهم لكان شرا لكم . أسأل الله أن يُعين كلا على كل . وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم أمراً فأنفذوه على أذلاله ، وآيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرْعاى ، ثم نزل .

فقام إليه عبد الله بن الأهتم ، فقال : أشهد أيها الأمير ، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ! قال له : كذبت ! ذاك داود صلى الله عليه وسلم .

فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نُثنىَ حتى نبتلى . قال له زياد : صدقت !

فقام أبو بلال [مِرداس بن أُديَّة] وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله تعالى بخلاف ماقلت ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإبراهيمَ الذِى وفَّى ، أنْ لا تَزِرُ وازرَة وِزْرَ أُخرَى ، وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ماسَعى ﴾ . فسمعها زياد ، فقال : إنا لانبلغ من أصحابك ماتريد حتى نخوض إليهم الباطلَ خوضا .

وخطبة لزياد

استوصوا بثلاثٍ منكم خيراً : الشريفِ ، والعالم ، والشيخ ، فوالله لايأتينى شيخٌ بحدَثٍ آستخفّ به إلا أوجعتُه ، ولا يأتينى عالم بجاهل استخفّ به إلا أنكلتُ به ولا يأتينى شريفٌ بوضيع استخفّ به إلا ضربته .

وخطبة لزياد

خطب زياد على المنبر فقال :

أيها الناس لايمنعْكم سوء ماتعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ماتستمعون منا ، فإن الشاعر يقول :

أعْمَلْ بِقولى وإنْ قصَّرتُ فى عملى * ينفعْكَ قولى ولا يضْررْكَ تقْصيرى

وخطبة لزياد

العتبى قال : لما شهدت الشهود لزياد قام فى أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

هذا أمر لم أشهدْ أوله ، ولا عِلْمَ لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين مابلغكم ، وشهدَتِ الشهودُ بما سمعتم ، فالحمدُ لله الذى رفع منا ماوضع الناس ، وحفظ منا ماضيّعوا ، فأما عُبَيْدٌ فإنما هو والد مبرور ، أو كافل مشكور .

خطبة لجامع المحاربى

وكان شيخا صالحا خطيبا لَسِناً ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بنيتَها فى غير بلدك ، وأورثتَها غير ولدك !

وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقَم مذهبَهم وتسخَّط طريقتهم ، فقال له جامع : أما إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ماشنِئوك لنسبك ، ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع عنك ما يُبْعِدهُم منك إلى مايقرّبهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إنى والله ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف !

قال له : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج : الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله . وغضب الحجاج فقال : ياهَناه ، إنك من محارب . فقال جامع :

وللحرْبِ سُمِّينا وكنَّا مُحارباً ＊ إذا ما القَنا أمْسى من الطَّعْنِ أحْمَرا

والبيت للخضرى . قال الحجاج : والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب به وجهك !

قال جامع : إن صَدَقناك أغضبناك ، وإن غَشَشناك أغضبْنا الله ، فغضبُ الأمير أهون علينا من غضبِ الله ! قال : أجل .

وشُغِل الحجاج ببعض الأمر ، فانسل جامع ، فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ؛ فلما رأوه اشرأبُّوا إليه وبلغهم خروجُه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك ! فقال : ويحكم ! عُمّوه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التّمادِيَ ما عاداكم ، فإذا ظفرتم [به] تراجعتم وتعاقبتم . أيها التميمى ، هو أعدى لك من الأزدى ؛ وأيها القيسى ، هو أعدى لك من التَّغلِبيّ ؛ وليس يظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقى معه . ٥

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزفر بن الحارث .

خطبة للحجاج بن يوسف ١٠

خطب الحجاج فقال : اللهم أرنى الغىَّ غيًا فأجتنبَه ، وأرنى الهدى هُدًى فأتبعَه ، ولا تكلْنى إلى نفسى فأضِلَّ ضلالا بعيداً ! والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لى بعمامتى هذه ، ولما بقى منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج

قال الهيثم بن عدى : خرج الحجاج بن يوسف يوما من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيرا فى السوق ، فراعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ١٥

يأهل العراق ، يأهلَ الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وبنى اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإماء ، والفَقع بالقرقر ؛ إنى سمعت تكبيرا لا يُراد به الله وإنما يراد به الشيطان ؛ وإنما مثلى ومثلكم ما قال ابن براقة الهمدانى : ٢٠

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنِى غزوْتُهمْ ٭ فهل أنا فى ذا يالَهَمْدانَ ظالِمُ ؟

متى تجمَعِ القلبَ الذكىَّ وصارِمًا ٭ وأنفاً حميًا تجتنِبْكَ المظالِمُ !

أما والله لا تقرع عصًا بعصا إلا جعلتها كأمس الدابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهلَ العراق فقال :

يأهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف : ثم أفضى إلى المِخاخ والصماخ ، ثم ارتفع فعشش ؛ ثم باض وفرخ ، فحشاكم شقاقا ونفاقا ، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر : وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أنّ الله تعالى يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرْفى وأنتم تتسللون لِواذا ؛ وتنهزمون سراعا ؛ ثم يوم الزاوية : وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلُكم وتنازُعُكم وتخاذُلكم وبراءةُ الله منكم ونكوصُ وليِّكم عنكم ؛ إذ ولَّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها : لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجماجم : وما دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم ، بضربٍ يُزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

يأهل العراق والكفرات بعد الفجرات ؛ والغدرات بعد الختَرات ، والنَّزوة بعد النَّزوات ، إن بعثتكم إلى ثغوركم غُللتم وخُنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ؛ لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة !

يأهل العراق : هل استخفَّكم ناكث ، أو استغواكم غاوٍ ، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع — إلا وثقتموه وآويتموه وعزَّرتموه ونصرتموه ورضيتموه .

يأهل العراق ؛ هل شغَب شاغب ، أو نعَب ناعب ، أو نعق ناعق ، أو زفر زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره . يأهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يأهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم الذابّ عن فراخه ؛ ينفى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكنّها من المطر ، ويحميها من الضباب : ويحرُسها من الذئاب ؛ يا أهل الشام ، أنتم الجُنّةُ والرداء ، وأنتم العدة والحذاء .

٥

وخطبة للحجاج

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة ، فجلست قريبا من المنبر ، فصعد الحجاج ثم قال :

امرؤٌ حاسَبَ نفسه ؛ امرؤٌ راقب ربه ؛ امرؤٌ زوّرَ عمله امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا فى صحيفته ويراه فى ميزانه : امرؤ كان عند همه آمرا ، وعند هواه زاجرا ؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفّه . إننا والله ما خُلقنا للفناء ، وإنما خُلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار إلى دار .

١٠

خطابة الحجاج بالبصرة

اتقوا الله ما استطعتم . فهذه لله وفيها مثوبة . ثم قال : «واسمعوا وأطيعوا» . فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيبِ الله عبدِ الملك بن مروان ، والله لو أمرتُ الناسَ أن يأخذوا فى باب واحد وأخذُوا فى بابٍ غيرِه ، لكانت دماؤهم لى حلالا من الله ، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لى حلالا . عذيرى من هذه الحمراء ، يَرْ أحدُهم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خيرٌ . والله لأجعلنّهم كأمس الدابر ؛ عذيرى من عبْدِ هُذيل ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآنَ كأنه رَجَزُ الأعراب ؛ والله لو أدركتُه لقتلتُه .

١٥

٢٠

خطابة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كفانا مئُونَة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليتَه كفانا مئونةَ الآخرة وأمرنا بطالب الدنيا . مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجُهّالكم

لا يتعلمون ، وشِرارَكم لا يتوبون ؟ مالى أراكم تَحرِصون على ما كُفيتم ، وتُضَيِّعُون مابه أُمِرتم ، إن العلمَ يوشِك أن يُرفع ، ورفْعُه ذهابُ العلماء . ألا وإنى أعلم بشرارِكم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرؤن القرآنَ إلا هُجْرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً ؛ ألا وإن الدنيا عرَض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر ؛ ألا وإن الآخرة أجلٌ مستأخر يحكم فيه مَلِكٌ قادر ؛ ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿ لِيَجْزِىَ الذين أساءوا بما عَمِلُوا ويَجزىَ الذينَ أحسَنوا بالُحسنَى ﴾ ألا وإن الخيرَ كلَّه بحذافيره فى الجنة ؛ ألا وإن الشرَّ كلَّه بحذافيره فى النار ؛ ألا وإنّ من يعمل مثقالَ ذرّة خيرا يرَه ، ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرا يره وأستغفر الله لى ولكم .

وخطبة للحجاج

خطب الحجاجُ أهل العراق فقال : يأهل العراق إنى لم أجد لكم دواء أدوَى لدائكم من هذه المغازى والبعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفَل ، فإنها تعقب راحة وإنى لا أريد أن أرَى الفرحَ عندكم ولا الرَّاحةَ بكم ؛ وما أراكم إلا كارهين لمقالتى ، أنا والله لرؤيتكم أكرهُ ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَّلْتُ نفسى مُقاساتكم والصبرَ على النظر إليكم ؛ والله أسأل حُسْنَ العون عليكم ! ثم نزل .

خطبة الحجاج حين أراد الحج

يأهل العراق ، إنى أردتُ الحج ، وقد استخلفتُ عليكم ٱبنِى محمدا ، وما كنتم له بأهل ؛ وأوصيتُه فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار ؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم ، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ! ألا وإنكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفى ، تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ! وإنى أعجّل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة ! ثم نزل .

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها فى اثنى عشر راكباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة [فجأةً] حين انتشر النهار ، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثّم بعمامة خزّ ، فقال : علىّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهمُّوا به ، حتى إذا اجتمع الناس ٥ فى المسجد ، قام ، ثم كشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلا وطلّاعُ الثّنايا ٭ متى أَضعِ العِمامةَ تعرفونِى

صَليبُ العودِ من سَلَفى رياحٍ ٭ كنصْل السيفِ وضّاح الجبين

وماذا يبتغى الشُّعراءُ منى ٭ وقد جاوزتُ حدّ الأربعين

أخو خمسينَ مجتمِعٌ أشُدّى ٭ ونجّذنى مُداوَرة الشُّئون ١٠

وإنى لا يعودُ إلىّ قِرْنى ٭ غَداةَ العَبْء إلا فى قَرين

أما والله إنى لأحمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجْزيه بمثله ؛ وإنى لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لَصاحبُها ؛ وإنى لأنظر الدّماء بين العمائم واللّحى تترقرق :

٭ قد شمّرتْ عن ساقها فشمِّر ٭ ١٥

ثم قال :

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زِيَمْ ٭ قد لفّها الليل بسوّاق حُطَمْ

ليس براعِى إبلٍ ولا غنمْ ٭ ولا بجزّارٍ على ظهْرِ وضَم

ثم قال :

قد لَفها الليل بعَصْلبىّ ٭ أروعَ خرّاج من الدوىّ ٢٠

مهاجرٍ ليس بأعرابىّ

ثم قال :

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا ‌ ۝ ‌ ما علّتى وأنا شــيخٌ إد
والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ ‌ ۝ ‌ مثل ذراعِ البكر أو أشدُّ

إنى والله يأهل العراق ، ومعدنَ الشقاق والنفاق ، ومساوىَ الأخلاق ، لا يُغمز
٥ جانبى كتَغْماز التّين ، ولا يُقعقع لى بالشنان ؛ ولقد فُررتُ عن ذكاء . وفتّشتُ
عن تجربة ، وأُجريت إلى الغاية القصوى ؛ وإنّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه
ثم عجم عيدانَها ، فوجدنى أمرّها عوداً وأشدها مكسرا ، فوجهنى إليكم ، ورماكم بى ،
فإنكم قد طالما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن الغىّ ؛ وايم الله لألحُوَنّكم لحوَ
العصا ، ولأقرعنكم قرع المرْوة ، ولأعصبنكم عصب السّلمة ، ولأضربنكم
١٠ ضرب غرائب الإبل ؛ أما والله لا أعِد إلا وفيت ؛ ولا أخلُق إلا فَريت ؛
فإياى وهذه الشفعاء ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً . وما يقولون ؛ وفيم
أنتم وذاك ؟ والله لتستقيمُنّ على طريق الحق ، أو لأَدَعنّ لكلّ رجل منكم شُغلا
فى جسده ! من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه . وانتهبت ماله
وهدمت منزله .

١٥ فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب ؛ فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولىَ
العراقَ خيرُ ذكر .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعَى نبيَّكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه
٢٠ فقال ﴿ إنك ميّت وإنهم ميّتون ﴾ ؛ وقال ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من
قبله الرسلُ أفإن مات أو قتِل انقلبتمْ على أعقابِكم ﴾ ؟ فمات رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم
عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ؛ ثم وليكم البازل الذكر الذى

جرّبته الأمور ، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزيغ ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين ؛ فاختار الله له ما عنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شِبْهه فى العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ؛ فاسمعوا له وأطيعوه .

أيها الناس ؛ إياكم والزَّيغ ؛ فإن الزيغ لا يَحيق إلا بأهله ؛ ورأيتم سيرتى فيكم ، وعرفت خلافكم ، وقَبلتكم على معرفتى بكم ؛ ولو علمتُ أنّ أحداً أقوى عليكم منى ، أو أعرف بكم ، ما وليتُكم ؛ فإياى وإياكم ؛ من تكلم قتلناه ؛ ومن سكت مات بدائه غماً ! ثم نزل .

خطبة الحجاج

لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس ، محمَّدان فى يومٍ واحد ! أما والله لقد كنتُ أحبّ أنهما معى فى الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله فى الآخرة ؛ وآيم الله ليوشكن الباقى منى ومنكم أن يفنى ، والجديد منى ومنكم أن يبلى ، والحىّ منى ومنكم أن يموت ؛ وأن تُدال الأرض منا كما أُدِلنا منها ؛ فتأكل من لحومنا ؛ وتشرب من دمائنا ؛ كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ؛ ثم يكون كما قال الله ﴿ونُفخ فى الصُّور فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهم ينْسِلونَ﴾ .

ثم تمثل بهذين البيتين :

عَزائى نبىُّ اللهِ من كلِّ ميِّتٍ * وحسْبى ثوابُ الله من كلِّ هالكِ

إذا ما لَقيتُ اللهَ عنى راضياً * فإنّ سُرورَ النفسِ فيما هُنالك

خطب الحجاج فى يوم جمعة فأطال الخطبة ؛ فقام إليه رجل فقال : إن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذِرك ! فأمر به إلى الحبس ؛ فأتاه آل الرجل وقالوا : إنه مجنون ! فقال : إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خليتُ سبيله . فقال الرجل : لا والله لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى .

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق ؛ وقالوا : مات الحجاج ! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

يا أهل الشقاق والنفاق ! نفخ إبليس فى مناخركم فقلتم : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمَهْ ؟ والله ما أحب أن لا أموت ! وما أرجو الخيرَ كلَّه إلا بعد الموت ، وما رأيت الله عز وجل رضى الخلودَ لأحدٍ من خلقه ، إلا لأهونهم عليه : إبليس ؛ ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربَّه فقال ﴿ربِّ اغفرْ لى وهَبْ لى مُلْكا لا ينبغى لأحدٍ من بَعدى إنكَ أنت الوهَّابُ﴾ . ففعل ؛ ثم اضمحل كأن لم يكن .

خطبة للحجاج

خطب فقال فى خطبته :

سوْطى سيفى ، ونِجادُه فى عنُق ، وقائمه فى يدى ؛ وذبابُه قلادة لمن اغترنى ! فقال الحسن : بؤساً لهذا ! ما أغرّه بالله .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار ؛ ثم أتى زوجته ، فمنعتْه نفسَها فأتى ابنَ شُبرمة يستفتيه ؛ فقال : يابن أخى امض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرُّك أن تزنى .

هذا ما ذكرناه فى كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقى منها فهى مستقصاة فى كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا فى كتابنا هذا أن نأخذ من كل شىء أحسنه ونحذف الكثير الذى يُجتزَأ منه بالقليل .

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بنى هاشم والقواد وغيرهم فقال :

الحمد لله مالك الملك ، يُؤتى الملك من يشاء ، وينزعُ الملك ممن يشاء ، ويُعِز من يشاء ، ويُذِلُّ من يشاء ؛ ولا يُصْلح عمل المفسدين ، ولا يَهدِى كَيْد الخائنين ؛ ٥
إنّ ظهور غَلَبَتِنا لم يكن من أيدنا ولا كيدنا ، بل اختار الله لخلافته — إذ جعلها عمودا لدينه ، وقِوَاما لعباده — من يستقل بأعبائها ، ويضطلع بحملها .

خطبة عبد الله بن طاهر

خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج ؛ فقال : إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه ، الذابُّون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من ١٠
الاعتصام بحبله ، والطاعة لِوُلاةِ أمره ، الذين جعلهم رعاةَ الدين ، ونظام المسلمين فاستنْجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوّه وأهل معصيته ، الذين أشِرُوا وتمردوا وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومَرَقوا من الدين ، وسعَوْا فى الأرض فسادا ، فإنه يقول تبارك وتعالى : ﴿ إن تنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكم ويُثَبِّتْ أقدامكم ﴾ فليكن الصبر معقِلكم الذى إليه تلجئون ، وعُدتكم التى تستظهرون ؛ فإنه الوزَر المنيع ١٥
الذى دلكم الله عليه ، والجُنة الحصينة التى أمركم الله بلباسها ؛ غضوا أبصاركم ، وأخفِتوا أصواتكم فى مصافِّكم ، وامضوا قُدُماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به كما أمركم الله ؛ فإنه يقول : ﴿ إذا لقِيتُمْ فئةً فاثْبُتوا واذكُروا الله كثيراً لعلَّكُمْ تُفْلِحون ﴾ . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر .

خطبة قتيبة بن مسلم ٢٠

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثَروان — يعنى هَبنَّقة القيسى — كأنى بأميرٍ مزْجاءٍ وحَكَمٍ قد أتاكم يحكم فى أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم .

ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ؟ لعن الله الأعراب ! جمعتُهم كما يُجمع فَرْخُ الخرْبَق من منابت الشيح والقَيصوم ومنابت الفلفل ، يركبون البقر ، ويأكلون الهَبيد ، فحملتهم على الخيل ، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد ، وجبى بهم الفىء . قالوا : مُرْنا بأمرك . قال : غُرُّوا غيرى .

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل العراق ، ألستُ أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحى من أهل العالية فنَعَمُ الصدقة ، وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعِلْجة بَظْراء لا تَمنع رجليها ، وأما هذا الحىّ من عبد القيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحى من الأزد فعلوجُ خلق الله وأنباطه ؛ وآيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، وأما هذا الحى من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسان .

وقال الشاعر :

إذا كنتَ مِن سعدٍ وخالُكَ منهم ٭ بعيداً فلا يَغْرُرْك خالكَ من سعدِ

إذا مادُعوا كَيْسانَ كانت كُهولُهُمْ ٭ إلى الغدْر أدنى مِن شبابهم المُرد

وخطبة لقتيبةُ بن مسلم

يأهل خراسان ، قد جربتم الولاة قبلى ؛ أتاكم أُمية فكان كاسمه أمية الرأى ، وأمية الدين فكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان لو كان فى مطبخه لم يكفه ؛ ثم أتاكم بعده أبو سعيد ثلاثا ، لا تدرون أفى طاعة الله أنتم أم فى معصيته ؟ ثم لم يجب فَيْئاً ، ولم يَبلُ عدوًّا ؛ ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطْباء الكَلبة ؛ منهم ابن رَحْمة ، حِصان يضرب فى عانة ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ! ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد [وأمّن لكم السُّبل] حتى إنّ الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند فى غير جوار .

قوله أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبى صفرة . وقوله : ابن رحمة : يريد يزيد ابن المهلب .

خطبة ليزيد بن المهلب

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أيها الناس ، إنى أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف : منها سبعة معى ، واثنان علىّ ، وما مسلمة إلا جرادةٌ صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط ؛ أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء اللحم ، والله مالقوا قط حدًّا كحدكم ، ولا حديدا كحديدكم ، أعيرونى سواعدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم ؛ فإنما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

خطبة قس بن ساعدة الإيادى

ابن عباس قال : قدم وفدُ إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم يعرف قسَّ بن ساعدة الإيادى ؟ قالوا : كلنا يعرفه قال : فما فعل ؟ قالوا : هلك ! قال : ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول :

اسمعوا وعُوا : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ ؛ إنّ فى السماء لخبَرا ، وإنّ فى الأرض لعِبَرا ، سحائبٌ تمور ، ونجومٌ تغور ، فى فلكٍ يدور . يُقسِم قسٌّ قَسَما : إن لله دينا هو أرضى من دينكم هذا .

ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون ولا يَرجعون ؟ أرَضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا .

أيكم يروى من شعره ؟ فأنشد بعضهم :

فى الذاهبين الأولـــين منَ القرون لنا بصائرْ

لمّا رأيت مواردا ٭ للموْتِ ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قوْمى نحوها ٭ تمضى: الأكابر والأصاغرُ
لا يَرجعُ الماضى ولا ٭ يبقى من الباقين غابرُ
أيقَنْتُ أنى لا محا ٭ لة حيثُ صار القوْمُ صائرْ

خطبة عائشة أم المؤمنين

٥

رحمها الله يوم الجمل .

قالت : أيها الناس صَه صَه ؛ إنّ لى عليكم حق الأمومة ، وحقّ الموعظة ؛ لا يتهمنى إلا من عصى ربَّه ؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحْرى ؛ فأنا إحدى نسائه فى الجنة ، له ادخرنى ربى وخلّصى من كلّ بُضع ؛ وبى مَيَّز مُؤمنكم من منافقكم ، وبى أرْخصَ اللهُ لكم فى صعيد الأبواء ؛ ثم أبى ثانِى اثنيْنِ اللهُ ثالثهما ؛ وأول من سُمّى صِدّيقاً ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ؛ وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده ؛ فمسك أبى بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردة ، وأطفأ ماحشّت يهود ؛ وأنتم يومئذ جُحُظ العيون ، تنظرون العدْوَة ، وتسمعون الصيحة ؛ فرأب الثَّأى ، وأوذ من الغِلظة ، وامتاح من الهُوَة ؛ حتى اجْتَحى دفين الداء ؛ وحتى أعطن الوارد ، وأورد الصادر ، وعل الناهل ؛ فقبضه الله إليه واطئا على هامات النفاق ، مذكيا نار الحرب للمشركين ؛ فانتظمت طاعتكم بحبله ؛ فولى أمركم رجلا مُرْعِياً إذا رُكِن إليه ، بعيداً ما بين اللابتين إذا ضُلّ ، عُرَكة للأذاة بجنبه صفوحا عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل فى نُصرة الإسلام ؛ فسلك مسلك السابقيه ؛ ففرق شمل الفِتنة ، وجمّع أعضاد ماجمّع القرآن ، وأنا نُصْب المسْألة عن مسيرى هذا ؛ لم ألتمس إثما ، ولم أُورِّث فتنة أوطِئكُموها : أقول قولى هذا صدقا وعدلا ، وإعذاراً وإنذارا ؛ وأسأل اللهَ أن يصلى على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

خطبة عبد الله بن مسعود

أصدق الحديث كتابُ الله . وأوثقُ العُرى كلمةُ التقوى ، خير زاد ؛ وأكرم الملل ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وخير السنن سُنَّةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرُّ الأمور محدثاتُها ، وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى ، لَنفسٌ تحييها خير من إمارة لا تُحْصيها . خير الغنى غنى النفس . خيرُ ما أُلقى في القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حبائل الشيطان . الشبابُ شعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مفتاحُ المَعْجَزَة . شرُّ من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دُبُراً، ولا يذكر الله إلا هُجْرا . سِبابُ المؤمن فُسوق ، وقتاله كُفر ، وأكلُ لحمه معصية من يتألَّ على الله يُكذبه ، ومن يغفِر يُغْفر له . مكتوب فى ديوان المحسنين : من عفا عُفِىَ عنه . الشقىُّ شقى فى بطن أمه . السعيدُ من وُعِظ بغيره . الأمورُ بعواقبها . مِلاكُ الأمر خواتيمُه . أحسنُ الهدْىِ هَدْىُ الأنبياء . أقبحُ الضلالةِ الضلالةَ بعد الهدى . أشرفُ الموت الشهادةُ . من يعرف البلاء يَصْبِر عليه ، ومن لا يَعرِفِ البلاء يُنكرْه .

خطبة لعتبة بن مروان

بعد فتح الأبلة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقال :

إن الدنيا قد تولّتْ [حذّاء مدبرة] ، وقد آذنتْ أهلَها منها بصرم ، وإنما بقى منها صُبابَةٌ كصُبابة الإناء يصْطَبُّها صاحبُها ؛ ألا وإنكم مفارقوها لا مَحالة ، ففارقوها بأحسنِ ما يحضُرُكم ؛ ألا إنّ من العجَب أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجَرَ الضخمَ يُرمَى به فى شفير جهنم فيَهوِى فى النار سبعين خريفاً ، ولِجَهنَّم سبعةُ أبواب ، بين كل بابين منها مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، وليأتين عليها ساعةٌ وهى كظيظ بالزحام ؛ ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعَ سبعة ما لنا طعام إلا ورقَ البَشام ، حتى قَرِحت أشداقُنا ؛ فوجدت أنا وسعد

ابنُ مالك تمرة فشققتها بيني وبينه نصفين ، وما منا أحدٌ اليوم إلا وهو أميرٌ على مصرٍ وإنه لم يكن نبوةٌ قطُّ إلا تناسخت ؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفى أعين الناس صغيرا .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

٥ لما عقد معاوية ليزيد البيعة ، قام الناس يخطبون ؛ فقال [معاوية] لعمرو بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجل تأمنونه ؛ إن استضفتم إلى حلمه وَسِعكمْ ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدَكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جذَع قارح ، سوبِقَ فسبق ، ومُوجِدَ فمجد ، وقورع فقرع ؛ فهو خلف ١٠ أمير المؤمنين ولا خلف منه .

فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرج الرياشي : حدثنا ابن عائشة قال : قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه ١٥ وسلم ، فقعد عليه وغمّض عينيه وعليه جبةُ خزٍّ قرمز ، ومُطرف خز قرمز ، وعمامة خز قرمز ؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجابا بها ، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه ؛ فقال :

ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلىّ أبصارَكم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟ أغرّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فعفونا عنكم ؟ أما إنه لو أُثْبِتم بالأولى ٢٠ ما كانت الثانية ؛ أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائرنا منا رفيقا ، قد فنى غضبُه وبقى حلمه ؟ اغتنموا أنفسكم ، فقد والله ملّكناكم بالشباب المقتبل ، البعيد الأمل الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل فى الكبر ، حليم حديد ، ليِّن شديد

رقيق كثيف ، رفيق عنيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر ببصره ، واستقبله بأشره ، فهو إن عض نهس ، وإن سطا فرس ، لا يُقَلْقِل له الحصى ، ولا تُقرع له العصا ، ولا يمشى السُّمَّهَى .

قال : فما بقى بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قصمه الله .

خطبة لعمرو بمكة ٥

العتبى قال : استعمل سعيدُ بن العاص وهو وال على المدينة ابنَه عمرو بن سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقَهُ قرشى ولا أموى إلا أن يكون الحرث بن نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حارِ ، ما الذى منع قومَك أن يلقَونى كما لقيتَنى ؟ قال : ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتنى به ؛ والله ما كنيتَنى ، ولا أتممتَ اسمى ، وإنما أنهاك عن التكبّر على أكفائك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك . ١٠ قال : والله ما أسأتَ الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذى رأيت منى الخَلق . فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، معشرَ أهل مكة ، فإنا سكناها حِقْبة ، وخرجنا عنها رغبة ، ولذلك كنا إذا رُفعت لنا لُهوة بعد لُهوة أخذنا أسناها ، ونزلنا أعلاها ؛ ثم شَدَخ أمرٌ بين أمرين ، فقَتلنا وقُتلنا ؛ فو الله ما نزعنا ولا نُزع عنا ، حتى شرب الدمُ دما ، ١٥ وأكل اللحم لحما ، وقرع العظم عظما ؛ فولِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله إياه ، واختياره له ؛ ثم ولى أبو بكر لسابقته وفضله ؛ ثم ولى عمر ؛ ثم أُجيلت قِداحٌ نُزعن من شُعب حول نبعة ، ففاز بحظّها أصلبُها وأعتقها ، فكنا بعض قِداحها ؛ ثم شدخ أمر بين أمرين ، فقَتلنا وقُتلنا ، فوالله ما نَزعنا ولا نُزع عنا حتى شرب الدم دما ، وأكل اللحم لحما ، وقرع العظم عظما ، وعاد الحرام حلالا ، ٢٠ وأُسكت كل ذى حس عن ضرب مهنَّد ، عركا عركا ، وعسفا عسفا ، وخزا ونهسا ، حتى طابوا عن حقنا نفساً ، والله ما أعطوه عن هوادة ، ولا رضوا فيه بالقضاء ؛ أصبحوا يقولون : حقُّنا غُلبنا عليه ، فجزيناه هذا بهذا ، وهذا فى هذا .

يا أهل مكة ، أنفسَكم أنفسَكم ! وسفهاءَكم سفهاءَكم ! فإن معى سوطا نكالا ، وسيفا وبالا ، وكلٌّ منصوبٌ على أهله . ثم نزل .

خطبة للأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصِّهر ، وأشِقَّاؤنا فى النسب، وجيرانُنا فى الدار ، ويدُنا على العدو ؛ ٥
والله لأزدُ البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأزدُ الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ؛ فإن استشرف شنَآنُكم وأبَى حسدُ صدورِكم ، ففى أحلامنا وأموالنا سَعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر

١٠ قام خطيبا فقال : اتقوا الله عباد الله : فكم مؤمِّلٍ أملاً لا يبلغه ، وجامع مالاً لا يأكُله ، ومانعٍ عما سوف يتركه ؛ ولعله من باطلٍ جَمَعَهُ ، ومن حقٍّ منعَهُ أصابه حراما ، وأورثه عدوًّا حلالا ، فاحتمل إصْرَه ، وباء بوِزْرِهِ ، وورد على ربه أسِفاً لهِفا ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

خطبة لشداد بن أوس الطائى

١٥ حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا إن الدنيا عرَضٌ حاضر ، يأكل منها البَرُّ والفاجر ؛ ألا إن الآخرة وعدٌ صادق ، يحكم فيها مَلِكٌ قادر ؛ ألا إن الخيرَ كله بحذافيره فى الجنة ؛ ألا إن الشرَّ كله بحذافيره فى النار . فاعملوا ما عملتم وأنتم فى يقين من الله ، واعلموا أنكم معروضةَ أعمالُكُمْ على الله ، ﴿ فَمَنْ يعمَلْ مِثقالَ ذرّةٍ خيرًا يَره ، ومَنْ يعْمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ شرًّا يَره ﴾ وغفر الله لنا ولكم .

٢٠ خطبة لخالد بن عبد الله القسرى

صَعِد المنبر يوم جمعة وهو والى مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيراً ؛ فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم

الحجاج وذِكرِ عيوبه وإظهارِ البراءةِ منه : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن إبليس كان ملكا من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ماكانت الملائكة ترى له به فضلا ، وكان قد علم الله من غِشه وخبثه ماخفى على ملائكته فلما أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ماكان يخفيه عنهم ، فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهر منّ طاعة أمير المؤمنين ماكنا نرى له به فضلا ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ماخفى عنا ؛ فلما أراد [الله] فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، [فلَعَنه] ، فالعنوه لعنه الله !

خطبة لمصعب بن الزبير

قدم العراق فصعد المنبر ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسم تِلكَ آياتُ الكِتَابِ المُبينِ ، نتْلو عَلَيْكَ مِنْ نَبإِ مُوسَى وفرْعَوْنَ بالحقّ لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إنَّ فرْعَوْنَ عَلا فى الأَرْضِ وجَعلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتضعِفُ طَائفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ ويَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إنَّه كانَ مِنَ المُفسِدِينَ ﴾ وأشار بيده نحو الشام ﴿ ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ على الذِينَ اسْتُضْعِفوا فى الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمةً ونَجْعلَهُمُ الْوارِثِينَ ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿ ونُمكِّنَ لهُمْ فى الأرْضِ ونُرِىَ فرْعَوْنَ وهامَانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ماكانوا يَحْذَرُونَ ﴾ وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

قال : إنى والله ماوجدت مَثلى ومَثَلكم إلا الضبع والثعلب : أتيا الضبَّ فى جحره فقالا : أباحِسْل . قال : أجبتكما . قالا : جئناك نختصم . قال : فى بيته يُؤْتى الحكم . قالت الضبع : فتحتُ عينى . قال : فعلَ النساء فعلْتِ . قالت : فلقطتُ تمرةً . قال : حلواً اجتنيتِ . قالت : فاختطفها ثُعالةُ ! قال : لنفسه

بَغى [الخير] . قالت : فلطمتُه لطمة ! قال : حقًّا قضيتِ . قالت : فلطمني أخرى قال : كان حُرًّا فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدث امْرَأَةً حديثين، فإنْ أبتْ فاربَع ، أي : اسكت .

خطبة شبيب بن شيبة

٥ قيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ويستعد له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر لرجوتَ أن يفتضح ، قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد ، فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ؛ ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر ١٠ فأشبهَ منه صولتَه ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبه منه جودَه وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبه منه نورَه وضياءه ، وأما الربيع الناضر فأشبه منه حُسنَه وبهاءه . ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

وموْقفٍ مِثلِ حدِّ السَّيف قمتُ بِهِ ۝ أحمِي الذِّمارَ وتَرميِني بِهِ الحَدَقُ
فَما زلِقتُ وما ألْقَيتُ كاذبةً ۝ إذا الرِّجالُ على أمْثاله زَلِقُوا

١٥ خطب لعتبة بن أبي سفيان

بلغه عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً ، فإن لله فيكم ذبيحا لعثمان أرجو أن يوليَني نسْكه ؛ إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفُرقة ، فأعطى كلَّ ذي ٢٠ حقّ حقه وكان والله أذكركم إذا ذكِّر بخطة ، وأصفحَكم بعد المقدرة عن حقه ؛ نعمةً من الله فيكم ، ومنّة منه عليكم ؛ وقد بلغَنا عنكم نجْمُ قول ، أظهره تقدُّمُ عفو منا ، فلا تصيروا إلى وحْشة الباطل بعد أُنس الحق ، بإحياء الفتنة وإماتة

السُّنن ؛ فأطأكم لله وطأة لا رمق معها ؛ حتى تنكروا منى ما كنتم تعرفون ، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون ؛ وأنا أشهد عليكم الذى يعلم خائنةَ الأعين وما تخفى الصدور .

وخطبة لعتبة بن أبى سفيان

يا حاملى ألأمِ أنوف ، ركبت بين أعين ، إنما قلّمت أظفارى عنكم ليلين مَسّى إياكم ، وسألتكم صلاحَكم ؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أبيتم إلا الطعن على الولاة ، والتنقُّص للسلف ، فوالله لأقطعن على ظهوركم بطونَ السِّياط ، فإن حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا جُدتم لنا بالمعصية ، ولا أويسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التى هى أبرُّ وأتقى .

وخطبة لعتبة بن أبى سفيان

لما اشتكى شكاته التى مات فيها ، تحامل إلى المنبر فقال :

يا أهل مصر ، لا غنًى عن الرب ، ولا مهربَ من ذنب ؛ إنه قد تقدّمت منى إليكم عقوباتٌ كنت ارجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوِزْرَ منها ، فليتنى لا أكون آخترت دنياى على معادى ، فأصلحتكم بفسادى ؛ وأنا أستغفر الله منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خِفت ما كنتُ أرجو نفعا عليه ، ورجوتُ ما كنت أخاف آغتيالا به ، وقد شَقِىَ من هَلكَ بين رحمةِ الله وعفوِه ؛ والسلامُ عليكم ، سلامَ من لا ترونه عائداً إليكم . قال : فلم يَعدْ .

وخطبة لعتبة

العتبى قال : سعد القصر : احتبست عنا كتب معاوية ابن أبى سفيان حين أرجفَ أهل مصر بموته ، ثم قدم علينا كتابه بسلامته ؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب فى يده ، لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطرافِ الرماح وظُباتِ السيوف ،

حتى صرنا شجى فى لهواتكم ما تُسيغه حلوقكم ، وأقذاء فى أعينكم ما تطرف عليها جفونكم ، ألحين اشتدت عرى الحق عليكم عقداً واسترخت عقدُ الباطل منكم حَلا ، أرجفتم بالخليفة ، وأردتم تهوين الخلافة ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدمُ عهدِكم به حديث ، فآربحوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم ؛ فهذا كتاب أمير المؤمنين ٥ بالخبر السارِّ عنه والعهدِ القريب منه ؛ واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا ماظهر ، نكلْكم إلى الله فيما بَطن ؛ وأظهروا خيرا وإن أضمرتم شرا ، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون ؛ وعلى الله أتوكل وبه أستعين . ثم نزل .

خطبة عتبة فى الموسم

١٠ سعد القصر قال : قال مولى عتبة بن أبى سفيان : دفع عتبة بن أبى سفيان بالموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس حديثٌ عهدهم بالفتنة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إنا قد ولينا هـذا المقام الذى يُضعف الله فيه للمحسنين الأجر ، وللمسيئين الوزر ؛ ونحن على طريق ما قصدْنا له ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع ١٥ من دوننا ؛ ورب متمنّ حتفه فى أمنيته ، اقبلوا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها منكم ، وإياكم ولوًّا فإن لوًّا قد أتعبت مَن قبلكم ، ولن تُريحَ مَن بعدكم ؛ فأسأل الله أن يعين كلاًّ على كل .

فناداه أعرابى من ناحية المسجد : أيها الخليفة . قال : لست به ولم تُبْعِدْ فقال : يا أخاه ! فقال : أسْمَعْت فقُل .

٢٠ فقال : والله لأَنْ تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أحسنّا فإن كان الإحسان لكم فما أحقّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا . رجل من بنى عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويختص إليكم بالخئولة ، وقد كثر

عياله ، ووطئه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال عتبة : أستغفر اللهَ منكم ، وأسأله العون عليكم ، وقد أمرت لك بغناك ، فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

خطبة لعتبة بن أبى سفيان

سعد القصر قال : ٥

وجّه عتبة بن أبى سفيان ابن أخى أبى الأعور السلمى إلى مصر فمنعوه الخراج ، فقدم عليهم عتبة فقام خطيباً فقال :

يأهل مصر ، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم ؛ فقد وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ؛ فإن رددتم ردّكم بيده ، وإن استعصيتم ردّكم بسيفه ، ثم رجا فى الآخِر ما أمّل فى الأوّل ؛ إن البيعة مُشايَعة ، ١٠ فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ؛ فأيُّنا غدر فلا ذمّة له عند صاحبه ، والله ما انطلقتْ بها ألسنتنا حتى عُقدتْ عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ، ناجزاً بناجز ، ومَن حذَّر كمن بشَّر . قال فنادوه : سمعا سمعا ، فناداهم : عدْلا عدْلا .

وخطبة لعتبة ١٥

قدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر : إنّ قِبَلك قوما يطعنون على الولاة ويعيبون السلف . فخطبهم فقال :

يأهل مصر ، خفَّ على ألسنتكم مَدْحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمّ الباطل وأنتم تأتونه ، كالحمار يحمل أسفاراً أثقله حملها ولم ينفعه ثقلها ، وآيم الله لا أداويكم بالسيف ما صلحتم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتْنى الدِّرة ، ٢٠ ولا أبطئ عن الأولى مالم تسرعوا إلى الأخرى ؛ فالزموا ما أمركم الله به ، تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا ؛ وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال

فعل ويفعل ؛ وكونوا خير قوس سهماً . فهذا اليوم الذى ليس قبله عقاب ، ولا بعده عتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذمّ الدنيا

٥ صعد قطرى بن الفجاءة مِنبر الأزارقة ـ وهو أحد بنى مازن بن عمرو ابن تميم ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أمّا بعد ، فإنىَ أحذركم الدنيا ، فإنها حُلوة خضِرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغمرت بالآمال ، وتحلّت بالأمانى وزيّنت بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن فجعتها ؛ غدّارة ضرارة ، وحائلة زائلة ،
١٠ ونافدة بائدة ؛ لا تعدو ـ إذا [هى] تناهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها ـ أن تكون كما قال الله عز وجل ﴿ كماءٍ أنزلْناه من السّماء فاختلَط به نباتُ الأرضِ فأصْبَح هَشِيمًا تَذرُوه الرِّياحُ وكان اللهُ على كلّ شىء مُقتدِرًا ﴾ . مع أن امرءا لم يكن منها فى حبْرة ، إلا أعقبتْه بعدها عَبرة ؛ ولم يَلْق من سرائها بطنا ، إلا منحته من ضرائها ظهرا ؛ ولم تطُلَّه منها ديمةُ رخاء ، إلا هطلتْ عليه
١٥ مُزْنةُ بلاء ؛ وحرىٌّ إذا أصبحتْ له منتصرة أنْ تمسى له خاذلةً متنكرة ؛ وإنْ جانبٌ منها اعذوذب واحلولى ، أمَر عليه منها جانب فأوبا ؛ وإن لَبس امروٌ من غضارتها ورفاهيتها نعَما ، أرهقتْه من نوائبها غمًا ؛ ولم يُمْس امرؤ منها فى جَناحَ أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ؛ غرّارة ، غرورٌ ما فيها ؛ باقية ، فانٍ ما عليها ؛ لا خير فى شىء من زادها إلا التقوى ، من أقلّ منها استكثر مما
٢٠ يؤمّنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ، وزال عما قليل عنه ، واستكثر مما يوبقه ؛ كم واثق بها قد فجعتْه ، وذى طمأنينة إليها قد صرعتْه ، وكم من ذى اختيالٍ فيها قد خدعته ؛ وكم من ذى أُبّهة فيها قد صيّرته حقيرا وذى نخوة فيها قد ردّته ذليلا ، وذى تاج قد كبّته لليدين والفم ؛ سلطانها دوَل ، وعيشها

رنْق ، وعذبُها أُجاج ، وحُلوها مرّ ، وغذاؤها سِمام ، وأسبابها رِمام ، وقطافها سَلَع ؛ حيها بعَرَض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرَض اهتضام ؛ مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وصحيحها وسليمها منكوب ؛ وحائزها وجامعها محروب ؛ مع أنّ من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهولَ المُطّلع ، والوقوف بين يدى الحَكَم العدل؛ ليجزىَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزىَ الذين أحسنوا بالحسنى . ٥

ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح آثارا ، وأعدّ عديدا ، وأكثف جنودا ، وأعْندَ عَتادا ، وأطول عمادا ؟ تعبّدوا للدنيا أىَّ تعَبد ، وآثروها أى إيثار ، وظعنوا عنها بالكُرْه والصَّغار ؛ فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ، وأغنت عنهم فيما قد أمّلتهم به بخطب ! بل أثْقلتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفّرتهم للمناخر ، وأعانت عليهم ريبَ المَنون ، وعَقَرتهم بالمصائب ؛ وقد رأيتم تنكُّرَها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها ، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر الأمد . هل زوّدتْهم إلا الشقاء ، وأحلّتهم إلا الضنك ، أو نوّرت لهم إلا الظلمة ، وأعقبتهم إلا الندامة ؟ أفهذه تُؤثرون ، أم عليها تَحرصون ، أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله تبارك وتعالى ﴿مَن كان يُريد الحياةَ الدنيا وزينَتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يبخَسون ٭ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرةِ إلا النارُ وحَبِط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعْملونَ﴾ ؛ فبئست الدار لمن لم يتّهمها ، ولم يكن فيها على وجل منها ؛ اعْلَموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ ؛ فإنما هى كما نعت الله عز وجل ﴿ لَعِب ولهوٌ وزينة وتفاخُرٌ بينكم وتكاثُر فى الأموال والأولاد﴾ . فاتّعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية يعبثون ، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون ، وبالذين قالوا ﴿مَن أشدُّ منّا قوةً﴾ ؛ واتعِظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حُملوا إلى قبورهم فلا يُدْعون ركبانا ، وأنزلوا [الأجداث] فلا يدعَون ضِيفانا ، وجُعل لهم من الضريح أكنان ، ومن التراب أكْفان ، ومن الرُّفات جيران ؛ فهم جيرة

١٠ ١٥ ٢٠

لا يُجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضيْما ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحِطوا لم يقنطوا ، جمعٌ وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناءون وهم يُزارون ولا يزورون ، حلماء قد ذهبتْ أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجْعُهم ، ولا يُرجَى دفْعهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى ﴿ فتِلك مساكنُهم لم تُسْكن
٥ مِن بعدِهم إلا قليلاً وكنَّا نحن الوارِثينَ ﴾ استبْدَلوا بظهر الأرض بطنا ، وبالسعة ضيقا ، وبالآل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها حفاةً عُراةً فرادى ، غير أنْ ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كما بَدأْنا أوّلَ خلق نُعيدُه ، وعْداً علينا إنّا كنّا فاعلينَ ﴾ ، فاحذروا ما حذركم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصَمَنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم
١٠ أداء حقه . ثم نزل .

خطاب لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشاري بمكة ، فصعد المنبر متوكئاً على قوس عربية ، فخطب خطبة طويلة ، ثم قال :

يأهل مكة ، تعيِّرونني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب
١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا ؟ نعم الشباب مكتهلين ، عَمِيَةٌ عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، قد نظرَ الله إليهم في آناء الليل مُنثنيَةً أصلابُهم بمثاني القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية فيها ذكرُ النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلالَ ليلهم بكلال نهارهم ، أنضاء عِبادة ، قد أكلت الأرض جباهَهم وأيديَهم ورُكَبَهم ،
٢٠ مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستقلون لذلك في جنب الله ، موفون بعهد الله ، منجزون لوعد الله ، [حتى] إذا رأوا سهام العدوّ قد فوّقت ، ورماحهم قد أُشرعَت ، وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ــ استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، فمضى

الشاب منهم قدُما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد رُمِّلت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء : فكم من مُقْلة فى منقار طائر، طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كفٍّ بانت عن مِفْصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فى سجوده ، وكم من خدٍّ عتيق وجبين رقيق ، قد فُلق بعمَد الحديد ! رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها فى الجنان .

ثم قال : الناس منا ونحن منهم ، الا عابدَ وثن ، أو كفَرَة أهل الكتاب ، أو إماما جائرا ، أو شاذًّا على عضده .

وخطبة أبى حمزة بالمدينة

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطَبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب ، قال :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصِلة الرحم ، وتعظيم ما صَغرت الجبابرة من حق الله ، وتصغير ما عَظَّمت من الباطل ، وإماتة ما أحيَوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ويعصى العباد فى طاعته ؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسْم بالسوية ، والعدل فى الرعية ، ووضع الأخماس فى مواضعها التى أمر الله بها ؛ إنا والله ما خرجْنا أشراً ولا بَطَرا ولا لهوا ولا لعبا ؛ ولا لدولة مُلكٍ نريد أن نخوض فيها ولا لثأرٍ قد نيل ، منّا ؛ ولكنا لمّا رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجوْر قد ظهَرت ، وكثر الادّعاء فى الدين ، وعُمِل بالهوى ، وعُطّلت الأحكام ، وقُتِل القائم بالقسط ، وعُنِّف القائل بالحق — سمعْنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعىَ الله ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين فى الأرض ، فآوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا

يأهل المدينة ، أوّلكم خير أوّل ، وآخركم شرٌّ آخر ؛ إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛ فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

يأهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ما أصح أصلكم ، وأسقَمَ فرعَكم ! كان آباؤكم أهلَ اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة ؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والأمانىُّ فأضلتكم ؛ فتح الله لكم باب الدِّين فسددتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه ؛ سراعٌ إلى الفتنة ، بطاءٌ عن السُّنة ؛ عُمْى عن البرهان ، صُمٌّ عن العِرفان ؛ عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ؛ نِعْم ماورّثكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس ما تورّثون أبناءكم إن تمسكوا به ! نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ؛ كان عدد آبائكم قليلا طيِّبا وعددكم كثير خبيث ؛ اتبعتم الهوى فأرْداكم واللهو فأسهاكم ؛ ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدَجرون ، وتعبِّركم فلا تعتبرون ، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهم الذى يعدل ؛ أخذوا المال من غير حله ، فوضعوه فى غير حقه ؛ وجاروا فى الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله ؛ واستأثروا بفيئنا ؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا فى مهور النساء وفروج الإماء . وقلنا لكم : تعالَوْا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وجاروا فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلتم : لا نَقْوَى على ذلك ، ووددْنا أنا أصبنا من يكفينا ، فقلنا : نحن نكفيكم . ثم الله راعٍ علينا وعليكم ، إن ظفرنا لنُعطِيَنَّ كلَّ ذى حق حقه ؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله : فوالله لو قلتم لا نعرف الذى تقول ولا نعلمه لكان أعذر ؛ مع أنه لا عُذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن يَنطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به فى الآخرة .

ثم قال الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله ، أو متبعا له ، أو راضياً بعمله .

أسقطنا فى هذه الخطبة ماكان من طعنه على الخلفاء. فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبى طالب رضوان الله عليهما، وعمر بن عبد العزيز، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر، وكفَّر مَن بعدهما، فلعنة الله عليه؛ إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلا أصغى إلى الملاهى والمعازف وأضاع أمر الرعية فقال: كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم، وهو مضيِّع للدين والدنيا، اشتُرِى له بردان بألف دينار ائتزر بأحدهما والتحف بالآخر، وأقعد حبَّابة عن يمينه، وسلَّامة عن يساره، فقال: يا حبابة غنينى، ويا سلامة اسقينى؛ فإذا امتلأ سكراً وازدهى طربا شق ثوبيه وقال: ألا أطير؟ فَطِرْ إلى النار وبئس المصير! فهذه صفة خلفاء الله تعالى.

وخطبة لأبى حمزة

أما بعد، فإنك فى ناشئ فتنة، وقائم ضلالة قد طال جثومها، واشتد عليك غمومُها، وتلوّتْ مصايد عدو الله، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها، فلن يَهُدّ عمودَها، ولن يَنزع أوتادَها، إلا الذى بيده مُلْك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم: ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمها، ولم يشايعوا أهلها على شبهها؛ مصابيح النور فى أفواههم تزهو، وألسنتُهم بحجج الكتاب تَنطِق؛ ركبوا مَنْهج السبيل، وقاموا على العلَم الأعظم، هم خصماء الشيطان الرجيم، بهم يُصلِح الله البلاد، ويدفع عن العباد؛ طوبى لهم وللمستصبحين بنورهم، وأسأل الله أن يجعلنا منهم.

من أُرتِج عليه فى خطبته

عثمان بن عفان

أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه؛ فقال: أيها الناس، إن أول كلِّ مركب صعب؛ وإن أعِش تأتكم الخطب على وجهها؛ وسيجعل الله بعد عسر يُسراً إن شاء الله.

يزيد بن أبى سفيان

ولما قدم يزيد بن أبى سفيان الشام والياً عليها لأبى بكر، خطب الناس فأرتج عليه؛ فعاد إلى الحمد لله، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال: يأهل الشام

عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيّ بيانا ؛ وأنتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قطنة منبر سجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرتج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

٥ فإن لا أكنْ فيهم خطيباً فإننى * بسيْفى إذا جَدّ الوغَى لخطيب

فقيل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

معاوية — وخطب معاوية بن أبى سفيان لما ولى ، فَحَصِر ، فقال : أيها الناس ، إنى كنت أعددت مقالا أقوم به فيكم فحُجِبْت عنه ؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ كما قال فى كتابه ؛ وأنتم إلى إمام عدلٍ ، أحوج منكم إلى إمام خطيب ؛ وإنى آمركم بما ١٠ أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله ؛ وأستغفر الله لى ولكم .

خالد القسرى — وصعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر فأرتج عليه ، فمكث مليا لا يتكلم ؛ ثم تهيأ له الكلام فتكلم ، فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يجىء أحيانا ويعزب أحيانا ، فيسح عند مجيئه سَيْبه ، ويعزّ عند عزوبه طلبه ؛ ولربما كوبِر فأبى ، وعولج فنأى ؛ فالتأنى لمجيئه ، خير من التعاطى لأبيه ؛ وتَرْكُهُ عند تنكره ، أفضل من ١٥ طلبه عند تعذره ؛ وقد يُرْتَج على البليغ لسانه ، ويُختلَج من الجرىّ جنانه ؛ وسأعود فأقول إن شاء الله .

أبو العنبس — وصعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ... فأُرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا . قال : فما ينفعنى ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل .

٢٠ فلما كان فى الجمعة الثانية صعد المنبر وقال : أما بعد ؛ فأُرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل .

فلما كانت الجمعة الثالثة قال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن

أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى . قال : فليخبر الذى يدرى منكم الذى لا يدرى ! ثم نزل .

هاشمى
وأتى رجل من بنى هاشم اليمامة ، فلما صعد المنبر أُرتج عليه : فقال : حيّا الله هذه الوجوه وجعلنى فِداءها : قد أمرتُ طائفى بالليل ألا يرى أحداً إلا أتانى به ؛ وإن كنت أنا هو ! ثم نزل .

خالد بن عبد الله
وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظنّ الناس أنه يصنع الكلام ، لعذوبة لفظه وبلاغة منطقه ؛ فبينا هو يخطب يوما إذ وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سبحان مَن الجرادة مِن خلقه ، أدمج قوائمها وطرفها وجناحيها ، وسلطها على ما هو أعظم منها .

عبد الله بن عامر
خطب عبد الله بن عامر بالبصرة فى يوم أضحى ، فأُرتج عليه ، فمكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عِيًّا ولؤما . من أخذ شاة من السوق فهى له وثمنُها علىّ .

عبد الملك
قيل لعبد الملك بن مروان : عَجِل عليك المشيب يا أمير المؤمنين . فقال : كيف لا يعجَل وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين .

خطب النكاح

عنبسة بن أبى سفيان
خطب عثمان بن عَنبسة بن أبى سفيان إلى عُتبة بن أبى سفيان ابنته ، فأقعده على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

أقرب قريب ، خَطب أحبَّ حبيب ، لا أستطيع له ردّا ، ولا أجد من إسعافه بُدّا ؛ وقد زوّجتكها وأنت أعز علىّ منها ، وهى ألصق بقلبى منك : فأكرِمْها يعذُب على لسانى ذكرك ، ولا تُهنْها فيصغُر عندى قدرك ؛ وقد قرّبتُك مع قربك . فلا تُبعدْ قلبى من قلبك .

وخطبة نكاح

سوار القاضى

العتبي قال : زوّج شبيب بن شيبة ابنه بنتَ سوار القاضى ، فقلنا : اليوم يعبُ عُبابه ! فلما اجتمعوا تكلم فقال :

الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أمّا بعد ، فإن المعرفة منا ومنكم بنا

٥ وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذكر فلانة .

وخطبة نكاح

الحسن البصرى

العتبي قال : كان الحسن البصرى يقول فى خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :

أمّا بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ،

١٠ وجعل ذلك فى سُنّة من دينه ومنهاج [واضحٍ] من أمره ؛ وقد خَطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردّوا خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح

ابن الفقير

العتبي قال : حضرتُ ابنَ الفُقيْر خَطب على نفسه امرأة من باهلة ، فقال :

١٥ وماحسَنٌ أن يَمدح المرءُ نفسه ٭ ولكنّ أخلاقاً تُذمّ وتُمدحُ

وإن فلانة ذكرت لى .

وخطبة نكاح

عمر بن عبد العزيز

العتبي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تقصيره ؛ فخطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبى سفيان] إلى عمر بن عبد العزيز أخته ،

٢٠ فتكلم محمد بكلام طويل ، فأجابه عمر :

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أمّا بعد ، فإن الرغبة منك دعتْك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسنَ بك ظنًّا مَن أودعك كريمته ، واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوّجتكها على كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وخطبة نكاح ٥

بلال — خطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّيْن فهدانا الله ، عبدين فأعتَقَنا الله ، فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن تردّونا فالمستعان الله .

عمر بن عبد العزيز — وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : ١٠

قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا ، فقد أجزلتَ العطية ، وكفَيت المسألة .

نكاح العبد

خالد بن صفوان — الأصمعى قال : زوّج خالد بن صفوان عبدَه من أمته ، فقال له العبد : لو دعوتَ الناس وخطبتَ ! قال : ادعُهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان فقال : ١٥

إن اللهَ أعظمُ وأجلُّ من أن يُذكر فى نكاح هذين الكلبين ! وأنا أُشهدكم أنى زوّجتُ هذه الزانية ، من هذا ابنِ الزانية .

خطب الأعراب

لبعض الأعراب — الأصمعى قال : خطب أعرابى فقال : أمّا بعد ، فإن الدنيا دار ممرّ ، والآخرةَ دار مقرّ ؛ فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى ٢٠

عليه أسراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها
حَييتم ، ولغيرها خُلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ،
إنّ الرجل إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ فقدِّموا
بعضاً يكون لكم قرضاً ، ولا تتركوا كُلا فيكون عليكم كَلاً ، أقول قولى هذا
٥ والمحمودُ الله والمصلَّى عليه محمد ، والمدعوُّ له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر .
قوموا إلى صلاتكم .

وخطبة لأعرابى

الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبى محمد ، أما بعد ، فإنّ التعمق
فى ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنثنى حتى يُنثَنَى عنه ، والله تبارك وتعالى
١٠ لا يُدرك واصف كُنْه صفته ، ولا يبلغ خطيب منتهى مدْحته ، له الحمد كما مدح
نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فصلى .

خطبة أعرابى لقومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبى المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلى
أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشىء ويجتنبه ، وقد قال الأول :
١٥ ودعْ ما لُمت صاحبَه عليه * فذمٌ أن يَلومك مَن تلومُ
ألهمنا الله وإياكم تقواه ، والعملَ برضاه .

* * *

[إلى هنا ينتهى كتاب الواسطة فى الخطب ، وقد أُلحقتْ به فى بعض الأصول
الخطبة الآتية للإمام على كرّم الله وجهه ، وقد فات الناسخ أن يثبتها فى موضعها
من الكتاب ، تلو خطبة المأمون فى الفطر ، فأَلْحَقَها بالكتاب فى هذا الموضع] .

* * *

٢٠ جاء رجل إلى علىّ كرّم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا ، لعلى بن أبى طالب
لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فغضب علىٌّ كرّم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله ؛ ثم صعد المنبر وهو مُغْضَبٌ متغيرُ اللون ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

والحمد لله الذى لا يفِرُه المنع ، ولا يُكْديه الإعطاء ، بل كل مُعطٍ ينقص سواه ؛ هو المنان بفرائد النعم ، وعوائد المزيد ؛ وبجوده ضُمنت عيالة الخلق ، ونهج سبيلَ الطلب للراغبين إليه ، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال ، ولو وَهب ما آنشقت عنه معادنُ الجبال ، وضحكت عنه أصدافُ البحار ، من فِلزِّ اللجين ، وسبائك العقيان ، وشَذْر الدر ، وحصيد المرجان — لبعض عباده — ما أثّر ذلك فى ملكه ولا فى جوده ولا أنفد ذلك سَعَة ما عنده ، فعنده من الأفضال ما لا يُنفِده مطلبٌ وسؤال ، ولا يخطر لكم على بال ؛ لأنه الجواد الذى لا ينقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاح الملحّين بالحوائج وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ! . فما ظنُّكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره ، سبحانه وبحمده .

أيها السائل ، أعقل ما سألتنى عنه ، ولا تسأل أحداً بعدى ؛ فإنى أكفيك مئونة الطلب ، وشدة التعمق فى المذهب ؛ وكيف يوصف الذى سألتَنى عنه ، وهو الذى عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته ، وطولِ ولههم إليه ، وتعظيمهم جلالَ عزته ، وقربهم من غيب ملكوته ـ أن يعلموا من علمه إلّا ما علمهم ، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه ، فقالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فمدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علما ، وسمّى تركَهم التعمق فيما لم يكلفهم البحثَ عنه رسوخا ؛ فاقتصِرْ على هذا ولا تقدِّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ؛ واعلم أن الله الذى لم يحدُث فيمكن فيه التغير والانتقال ، ولم يتغير فى ذاته بمرور الأحوال . ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالى — هو الذى خلق الخلق على غير مثال آمتثلَه ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله . بل أرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب

ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته ، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يُفهمهم مبلغ قوته — ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته .

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متناهيا ، وما زال إذ هو الله الذى ليس كمثله شيء عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التى لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا ؛ وفات لعلوّه عن الأشياء مواقعَ وهم المتوهمين ؛ وليس له مِثل فيكون بالخلق مشبها ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزّها ، وكيف يكون من لا يُقدر قدرُه مقدراً فى رويّات الأوهام ، وقد ضل فى إدراك كيفيته حواسُّ الأنام : لأنه أجل من أن تحده ألبابُ البشر بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين .

ألا وإن لله ملائكةً صلى الله عليهم وسلم . لو أن مَلَكا هبط منهم إلى الأرض لما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكته مَن سد الآفاق بجناح من من أجنحته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكته مَن السموات إلى حُجزته وسائرُ بدنه فى جِرم الهواء الأسفل ، والأرَضون إلى ركبته ومن ملائكته مَنْ لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يصفوه ماوصفوه ، لبعد ما بين مفاصله ، ولحسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف مَن سبعُمائة عامٍ مقدارُ ما بين مَنكبيه إلى شحمة أذنيه ؟ ومن ملائكته مَن لو أُلقِيَت السُّفُنُ فى دموع عينيه لجرتْ دهرَ الداهرين ؛ فأين أين بأحدكم ؟ وأين أين أن يُدرك ما لايدرَك ؟

كتاب المجنبة الثانية
في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة

فرش الكتاب

لابن عبد ربه

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الخطَب وفضائلها وذكر طِوالِها وقِصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى التوقيعات ، والفصول ، والصدور ، وأدوات الكتابة ، وأخبار الكتّاب ، وفضل الإيجاز ؛ إذ كان أشرفُ الكلام كلّه حُسنا وأرفَعُه قدْرا . وأعظَمُه من القلوب مَوْقِعا ، وأقلّه على اللسان عَمَلا : ما دل بعضُه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهرُه على باطنه ، وذلك أن تقلّ حروفه وتكْثُرَ معانيه ؛ ومنه قولهم : رُبَّ إشارةٍ أبْلَغُ مِنْ لفْظ . أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام ، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان ؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسدَّ الكلام ، كانت أبلغ ؛ لخفة مؤنتها ، وقلة محملها .

لأبرويز

قال أبرويز لكاتبه : اْجْمَع الكثيرَ مما تريد من المعنى ، فى القليل مما تقول . يحضُّهَ على الإيجاز . وينهاه عن الإكثار فى كتبه ، ألا تراهم كيف طعنوا على الإسهاب والإكثار ، حتى كان بعضُ الصحابة يقول : أعوذ بالله من الإسهاب ؛ قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المُسْهِب الذى يتخلل بلسانه تخلُّلَ الباقر ، ويشول به شولان الرَّوق .

للنبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبغَضُكُم إلىَّ الثرثارُون المُتشَدقون » يريد : أهل الإكثار والتقعير فى الكلام .

الرد على الإيجاز

ولم أجد أحداً من السلف يذمُّ الإيجاز ويقدح فيه ، ولا يعيبه ويطعن عليه

وتحب العرب التخفيف والحذف، وهربها من التثقيل والتطويل ، كان قصرُ الممدود أحب إليها من مدِّ المقصور ، وتسكينُ المتحرك أخفَّ عليها من تحريك الساكن لأن الحركةَ عمل والسكونَ راحة .

ومن كلام العرب الاختصار والإطناب ، والاختصارُ عندهم أحمدُ فى الجملة ،
٥ وإن كان للإطناب موضع لا يصلحُ إلا له ، وقد تومئُ إلى الشىء فتستغنى عن التفسير بالإيماء ، كما قالوا : لَمْحَةٌ دالَّة .

جعفر وكتابه لابن مسعدة

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحرورى كتابا ، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع فى ظهره : إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا ، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عِيًّا .

مروان وكتاب لقائد

١٠ وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود ، فأمر عبد الحميد الكاتبَ أن يكتب إليه يلحاه ويعنفه ، فكتب وأكثر ، فاستثقل ذلك مروان ، وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله : أما إنك لو علمت عدداً أقل من واحد ، ولوناً شَرًّا من أسود ، لبعثت به .

ربيعة الرأى وأعرابى

وتكلم ربيعة الرأى فأكثر ، وأعجبه إكثاره ، فالتفت إلى أعرابىّ إلى
١٥ جنبه فقال له : ما تعدون البلاغة عندكم يا أعرابى ؟ قال له : حذف الكلام ، وإيجاز الصواب . قال : فما تعدُّون العىّ ؟ قال : ما كنت فيه منذُ اليوم ! فكأنما ألقمه حجرا .

أول من وضع الكتابة

آدم عليه السلام

أول من وضع الخط العربى والسريانى وسائر الكتب ، آدم صلى الله عليه
٢٠ وسلم ، قبل موته بثلثمائة سنة : كتبه فى الطين ثم طبخه ؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرضَ من الغرق ، وجَدَ كلُّ قوم كتابَهم فكتبوا به ، فكان إسماعيلُ عليه الصلاة والسلام وجد كتابَ العرب .

وروى عن أبى ذَر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط

بالقلم بعد ادم صلى الله عليه وسلم .

إسماعيل عليه السلام

وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه .

قوم من القدماء

وعن عمرو بن شبة بأسانيده ، أن أول من وضع الخط العربى ، أبجدُ وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ؛ وهم قوم من الجبلة الآخرة ، وكانوا نزولا مع ٥ عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس .

وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفا فى الألفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهى : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحن فى حروف الجُمَّل .

بنو إسماعيل

١٠ وعنه أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيْما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر .

طيئ

وحكوا أيضا أن ثلاثة نفر من طيئ اجتمعوا ببقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سِدرة ، وعامر بن جَدَرة ؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء ١٥ السريانية ، فتعلمه قومٌ من الأنبار .

فى الإسلام

وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنسانا ، وهم : على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ٢٠ والعلاء بن الحضرمى وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبى سَرح وحُويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاويه ولده ، وجُهيم بن الصلت ابن مَخرمة

استفتاح الكتب

للشيباني

إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تستفتح : باسمك اللهم ، حتى أنزلت سورة هود وفيها : ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْراها ومُرْساها ﴾ فكُتب بسم الله ؛ ثم نزلت بسورة بنى إسرائيل : ﴿ قُلِ ادْعوا الله أوِ ادعوا الرَّحمٰن ﴾ ، فكُتِبَ بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت بسورة النمل : ﴿ إنَّه مِن سُليمانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرحيمِ ﴾ فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنَّة . ٥

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمراء جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان .

وكذلك كانوا يكتبون إليه : يبدءون بأنفسهم ؛ فمن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر ، والعلاء بن الحضرمى ، وغيرهما ؛ وكذلك كُتب الصحابة والتابعين ؛ ثم لم تزل حتى ولى الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضا ، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا ، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأى الوليد ، والقوم عليه إلى اليوم . ١٠

ختم الكتاب وعنوانه ١٥

سبب ذلك

وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير مُعَنْوَنَة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس ، فلما قرأها ختمت الكتب وعنونت ؛ وكان يؤتى بالكتاب فيقال : مَن عُنِىَ به ؟ فسمى عنوانا .

لحسان فى عثمان

وقال حسان بن ثابت فى قتل عثمان :

٢٠ ضَحَّوْا بأشْمَطَ عنوانُ السُّجود به ٭ يُقطِّعُ الليلَ تَسْبيحاً وقُرْآنا

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وحاجةٍ دون أُخرى قد سَمَحْتُ بها ٭ جَعلتُها للذِى أحبَبْتُ عُنْوانا

لبعض المفسرين

وقال أهل التفسير فى قول الله تعالى : ﴿ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ : أى مختوم ؛ إذ كانت كرامة الكتاب خَتْمُه .

تأريخ الكتاب

سبب ذلك

لابد من تأريخ الكتاب ؛ لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقربِ عهد الكتاب وبُعْدِه إلا بالتأريخ ، فإذا أردت أن تؤرِّخ كتابك فانظر إلى مامضى من الشهر ٥
وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلة مضتْ من شهر كذا ؛ وإن كان الباقى أقل من النصف جعلت مكان مضت : بَقِيَتْ .

وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرَّخت إلا بما مضى من الشهر ؛ لأنه معروف وما بقى منه مجهول ؛ لأنك لا تدرى أيتم الشهر أم لا .

سحاءة الكتاب وطريقة لابن طاهر

١٠ ولا تجعل سِحاءة كتابك غليظةً ، إلا فى كتب العهود والسجلات التى يُحتاج إلى بقاء خواتمها وطوابعها ؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عمّاله على العراق كتابا ، وجعل سحاءته غليظة ، فأمر بإشخاص الكاتب إليه ، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عملك ، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها ؛ ولا تعظم الطينة جدا ،
١٥ وطِنْ كتبَك بعد كَتْبِكَ عناوينَها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طِينَتْ قبل العنوان فأدب منتحل .

تفسير الأمى

فأما الأمىُّ فمجازه على ثلاثة وجوه : قولهم أمى ؛ منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال : رجل أُمِّى ؛ إذا كان من أمّ القرى ، قال الله تعالى :
٢٠ ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، وأما قوله تعالى : ﴿ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ ﴾ ، فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والأمّيّة فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة : لأنها أدلُّ على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده ؟

المأمون والمنقرى

قال المأمون لأبى العلاء المنقرى : بلغنى أنك أُمِّىّ ، وأنك لا تقيم الشعر ، وأنك تلحن فى كلامك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه ، وأما الأمِّيَّة وكسر الشعر فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أُمِّيًّا ، وكان لا يُنْشِدُ الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتنى

٥ رابعاً ، وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفى أمثالك نقيصة .

شرف الكتاب وفضلهم

مما أثر فى فضلهم

فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ علم بِالقَلَمِ ، علَّم الإنسانَ مالم يَعْلَمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كِرَامًا كاتِبِينَ ﴾ ، وقوله : ﴿ بِأَيدى

١٠ سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ ﴾ .

وللكتَّاب أحكام بينة كأحكام القضاة يُعرفون بها وينْسبون إليها ويتقلدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم ، وبهم يقام أَوَدُ الدين وأُمور العالمين .

كتاب النبى صلى الله عليه وسلم

فمن اهل هذه الصناعة : على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحى ، ثم أفضت

١٥ عليه الخلافة بعد الكتابة ، وعثمان بن عفان - كانا يكتبان الوحى ، فإن غابا كتب أُبىُّ بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .

وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، يكتبان بين يديه فى حوائجه .

وكان المغيرةُ بن شعبة ، والحصين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينوبان

٢٠ عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم ، وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء .

وكان ربما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمار الحجاز .

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ماكان يكتبه من الوحى ؛ وقيل إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لى : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للمملى وأقضى للحاجة .

وكان معيقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفى ، ابن أخى أكثم بن صيفى الأسَيِّدى ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ؛ فغاب عليه أسلم ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزمنى وأذكرنى بكل شيء أنا فيه ؛ وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء .

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : الحق خالداً وقل له : لا تقتلنّ ذرية ولا عَسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرُّها ، فقالت فيه امرأة ؛ وحُكى أنه من قول الجن وهذا محال :

يا عجبَ الدهرِ لمحزونة * تبكى على ذى شَيْبةٍ شاحِب

إنْ تسألِى اليوْم ماشفَّنى * أُخبِرك ِقيلاً ليس بالكاذب

إنَّ سَوادَ العيْن أوْدى به * وجْدى على حنظلةَ الكاتب

لما وجّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعدا إلى العراق وكتب إليه أن

يسبّع القبائل أسباعا ، ويجعل على كل سُبُع رجلا ، فعل سعد ذلك ، وجعل السُّبُع الثالث تميما وأسداً وغطفان وهوازن ، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سُيِّر إلى يزدجرد يدعوه إلى الإسلام .

وكان الحصين بن نمير من بنى عبد مناة شهد بيعة الرضوان ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سُهيل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا . فكتب على بن أبى طالب .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، حين صالح قريشا ، كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب له ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شئت ! فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنّه ضربا بالسيف ؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان — وكان بينهما رَضاع — فقال : يارسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا . فأعرض عنه ، والأنصارى مُطيف به ومعه سيفه ، فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصارى : لقد تلوَّمْتُك أن توفِيَ بنذرك ! فقال : هلا أوْمَضْت إلىّ ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى لى أن أومِض .

أيام أبى بكر رضى الله عنه

كان يكتب لأبى بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت .

وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضا .

ولما تقلد الخلافة دعا بزيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى : فتتَبع القرآن فاجمعه وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمَنْ للقوافِى بعد حَسّان وابنهِ ٭ ومَن للمثانى بعد زيدِ بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن أرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعى — أبو طلحة الطلحات — على ديوان البصرة .

وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة بن الضحاك ، فلم يزل عليه إلى أن ولى عُبيد الله بن زياد ، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى . ٥

أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو حبترة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى همدان ، من قيس بن عيلان — يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاه ، وحُمران مولاه . ١٠

أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمدانى ، ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير ؛ وكان عبد الله بن جعفر يكتب له ؛ وروى أن عبد الله بن حسن كتب له ؛ وكان عبد الله بن أبى رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

[أيام بنى أمية] ١٥

كتاب بنى أمية

وكان يكتب لمعاوية بن أبى سفيان : سعيد بن أنس الغسانى .

وكاتب يزيد بن معاوية : سرجون بن منصور .

وكاتب مروان بن الحكم : حميد بن عبد الرحمن بن عوف .

وكاتب عبد الملك بن مروان : سالم مولاه ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . ٢٠

وكاتب الوليد بن عبد الملك : جناح مولاه .

وكاتب سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر .

وكاتب عمر بن عبد العزيز : الليث بن أبي رقية مولى أم الحكم ؛ وكتب له رجاء بن حيوة وخص به ؛ وإسماعيل بن أبي حكم مولى الزبير ؛ وسليمان بن سعد الحسنى على ديوان الخراج . وكان عمر يكتب كثيراً بيده .

٥ وكاتب يزيد بن عبد الملك : عبد الحميد أيضا ، ثم لم يزل كاتباً لبنى أمية إلى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بنى أمية ؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة ، وسهّل طرقها ، وفكّ رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

كتاب بني العباس

فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر : أبا أيوب المورياني الأهوازي .

١٠ وكاتب محمد المهدي بن المنصور : معاوية بن عبيد الله ، ثم يعقوب بن داود .

وكاتب موسى الهادي بن محمد المهدي : إبراهيم بن ذكوان الحراني .

وكاتب هارون الرشيد محمد المهدي : يحيى بن خالد البرمكي ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم إبراهيم بن صبيح .

وكاتب محمد ـ بن زبيدة ـ الأمين : الفضل بن الربيع .

١٥ وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد : الفضل بن سهل ، ثم الحسن ابن سهل ، ثم عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف .

وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة : الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .

وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم : محمد بن الملك الزيات أيضا .

٢٠ وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم : إبراهيم بن العباس بن صول ، مولى لبنى العباس .

وكاتب المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، ابن المتوكل : أحمد بن الخصيب .

ثم كتب للمستعين : أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعِيِّه ماأسخطه عليه ،

ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الجُرجانى ، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارتَه جعفر بن محمود الجرجانى ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل . ٥

وكاتب المهتدى محمد بن الواثق : جعفر بن محمود الجرجانى ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل : عبيد الله بن يحي بن خاقان ، فلما توفى استوزر بعده الحسن بن مخلد ؛ وكان سبب موته أنه صدمه غلام له فى الميدان يقال له رشيق ، فحُمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات . ١٠

وتقلد الوزارة للمعتضد : أحمد بن طلحة .

وللموفق بن جعفر المتوكل : عبيد الله بن سليمان بن وهب .

وتقلد الوزارة للمكتفى بالله أبى محمد على بن المعتضد بالله : القاسم بن عبيد الله ابن سليمان .

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله : على بن محمد بن الفرات ، ١٥ ثم محمد بن عبيد الله بن يحي بن خاقان ، ثم على بن عيسى ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن على بن مقلة ، الذى يوصف خطه بالجودة ؛ ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبد الله بن أحمد الكلوذانى ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقِّب بعميد الدولة ، وكان يكتب على كتبه : « من عميد الدولة أبى على بن ولى الدولة » وذُكر لقبُه على الدنانير والدراهم ؛ ثم الفضل بن جعفر ٢٠ ابن محمد بن الفرات .

وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبى منصور محمد بن المعتضد : محمد بن على بن مقلة ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصينى .

وتقلد الوزارة للراضى بالله أبى العباس محمد بن جعفر المقتدر : محمد بن

على بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير على بن عيسى ، ثم محمد ابن القاسم الكرخى ؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم محمد بن يحيى ابن شيرزاد .

وتقلد الوزارة للمتّقى بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر ؛ كاتبُه أحمد بن محمد ابن الأفطس ، ثم أبو إسحق القراربطى ، ثم على بن محمد بن مقلة .

وتقلد الوزارة للمستكفى بالله أبى القاسم عبد الله بن على المكنى بالله : الحسين ابن محمد بن أبى سليمان ، ثم محمد بن على السامرى المكنى أبا الفرج ؛ ثم ولى للمطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون .

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبى موسى الأشعرى .

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً بعد ذلك .

وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى — مع نبله وفقهه وورعه وزهده — كاتباً للربيع بن زياد الحارثى بخراسان ، ثم ولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقيل له : مَن ولّيت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيدَ التابعين الحسنَ بن أبى الحسن البصرى .

وكان محمد بن سيرين ـ مع علمه وورعه ـ كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان زياد بن أبيه ـ مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية فى ادعائه ـ يكتب للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُريز ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم لأبى موسى الأشعرى ؛ فوجّهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى فيه من الذكاء ، وقال له : لا ترجع لأبى موسى . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعَن خيانةٍ صرفتَنى أم عن تقصير ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى أكره أن أحمل فضلَ عقلِك على الرعية !

ثم وليَ بعد الكتابة العراقَ .

وكان عامر الشعبي — مع فقهه وعلمه ونبله — كاتبا لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ، ثم ولى قضاء الكوفة بعد الكتابة .

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم . ٥

وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعى ، أبو طلحة الطلحات ، كاتبا على ديوان البصرة لعمرو بن عثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنهما .

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . ١٠

وكان يزيد بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى .

أشراف الكتاب ١٥

كُتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتب له عشرة كتّاب : على بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، ولَدَا سعيد ابن العاص ؛ وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء ابن الحضرى ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام . ٢٠

* * *

من أشراف الكتاب

وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبى بكر ، ثم صار خليفة .

وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ، ثم صار خليفة .

وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتبا على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقُتل دونها .

٥ وكان المغيرة بن شعبة كاتبا لأبى موسى الأشعرى .

وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى كاتبا للربيع بن زياد الحارثى بخراسان .

وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلا .

وكان زياد كاتبا للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبى موسى الأشعرى ، ثم لعبد الله بن

١٠ عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس .

وكان عامر الشعبى كاتبا لعبد الله بن مطيع ، وهو والى الكوفة لعبد الله ابن الزبير .

وكان محمد بن سيرين كاتبا لأنس بن مالك بفارس .

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم .

١٥ وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتبَ نافع بن الحارث الخزاعى ، وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة .

وكان عبيد الله بن أوس الغسانى سيدُ أهل الشام كاتِب معاوية .

وكان سعيد بن نِمران الهمدانى سيدُ همدان كاتبَ على بن أبى طالب ، ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير .

٢٠ وكان عبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة .

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك .

وكان يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى

على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية ؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا

لبعضهم سرجون بن منصور الرومى : كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ؛ إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون يُدلُّ علينا بصناعته ، وأظن أنه رأى ضرورتنا إليه فى حسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحولتُ الحساب من الرومية إلى العربية . قال : افعل ، قال : أنظرْنى أعانى ذلك . قال : لك نظرةٌ ماشئت . فحوّل الديوان ، فولاه عبد الملك جميع ذلك .

وحسان النَّبطى كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبلة بن عبد الرحمن ، وقَحذم ، جدّ الوليد بن هشام القحذمى ؛ وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية .

ومنهم الفراء ، كاتب خالد بن عبد الله القسرى .

ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المقفع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام الجُنْدَيْسابورى ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس الصولى ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن محمد بن المدبر ؛ فهؤلاء نَبُلوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور كاتب الأفشين ، والفضل بن مروان ،

وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وأحمد بن الخصيب ؛ فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة وما دانوها .

لبعض الشعراء في ابن شيرزاد

وقال بعض الشعراء فى صالح بن شيرزاد :

حِمارٌ فى الكتابةِ يدعيها ٭ كدعْوى آل حرْبٍ فى زيادِ
٥ فدعْ عنك الكتابةَ لستَ منها ٭ ولو غرّقتَ ثوبك فى المِداد

لأبي أيوب في رثاء أم سليمان

ومنهم أبو أيوب بن أخت أبى الوزير . وهو القائل يرثى أمّ سليمان بن وهب الكاتب :

لأمِّ سليمانَ علينا مُصيبةٌ ٭ مُغلّقةٌ مثْلُ الحسام البَواتِرِ
وكنتِ سراجَ البيت يا أُمَّ سالِمٍ ٭ فأَضحى سراجُ البيت وسْطَ المقابِرِ

١٠ فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بى : ماتت أمى فرثيت بمثل هذا الشعر ، ونُقل اسمى من سليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

للشيباني

قال إبراهيم بن محمد الشّيبانى : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصِغر الهامة ، وخفّة اللهازم ، وكثاثة اللحية ، صدق الحسّ ، ولطف المذهب ، وحلاوة ١٥ الشمائل ، وحُسن الإشارة ، وملاحة الزّىّ ؛ حتى قال بعض المهالبة لولده : تَزيّوْا بزِىّ الكتّاب ؛ فإنّ فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقة .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكتابة ، أن يكون الكاتب نقىّ الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطِر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسَن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلوَ الإشارة ، مليحَ ٢٠ الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقرّ التركيب ، ولا يكون مع ذلك قَضْفاض الجُثّة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أنّ هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة .

لابن حميد

وأنشد سعيد بن حميد فى إبراهيم بن العباس .

رأيتُ لهازِمَ الكتّاب خفت * ولِهْزِمَتاك شأنُهما الفَدامَهْ
وكتّاب الملوك لهم بيانٌ * كمثل الدُّرّ قد رَصفوا نِظامَهْ
وأنت إذا نطقتَ كأنّ عيْراً * يَلوك بما يَفوه به لِجامه

لبعض الشعراء وقال آخر :

عليكَ بكاتبٍ لبقٍ رشيق * زكيٍّ فى شمائله جَدارهْ ٥
تُناجيه بطرْفك من بعيدٍ * فيَفهم رجْع لحظِك بالإشاره

لابن الخصيب ونظر أحمد بن الخَصيب إلى رجل من الكتاب قَدْمَ المنظر ، مضطرب الخَلق ، طويل العُثنون ؛ فقال : لأن يكون هذا فنطاس مركب ، أشبه من أن يكون كاتبا .

١٠ فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والأديب النّحرير ؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقوص الجمال ، مُنكسف الحس ، منحوس النصيب .

ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه

١٥ الشيبانى قال إبراهيم الشيبانى : أول ذلك حسن الخط ، الذى هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .

ولست أجد لحسن الخط حدّا أقف عليه ، أكثر من قول على بن رَبَن النصرانى الكاتب فى الكاتب ، فإنى سألته واستوصفته الخط ، فقال . أعلمك الخط فى كلمة واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك . فقال : لا تكتب حرفا حتى تستفرغ ٢٠ مجهودك فى كتابة الحرف ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ثم تنتقل إلى ما بعده .

وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمرّ بالحرف المعضل الذى

تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجه ؛ فإنى سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشكِل الحرف على القارئ أحب إلىّ من أن يعاب الكتاب بالشكل .

وكان المأمون يقول : إياكم والشُّونيز فى كتبكم . يعنى النقط والإعجام .

٥ ومن ذلك : أن يُصلح الكاتب آلته التى لا بد منها ، وأداته التى لا تتم صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنْعِمْ ربّها وإصلاحها ، وليتخيّر من أنابيب القصب أقله عقدا ، وأكثفه لحما ، وأصلبه قشرا ، وأعدله استواء ؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حادا ؛ لتكون عوناً له على بَرْيِ أقلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصبة ؛ واعلم أنّ محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس .

١٠ للأصمعى — قال العتابى : سألنى الأصمعى يوما فى دار الرشيد : أى الأنابيب للكتابة أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : مانَشِف بالهجير ماؤه ، وستره عن تلويحه غشاؤه ، من التِّبْرِيَّة القشور ، الدُّرِّيَّة الظهور ؛ الفضّيَّة الكسور . قال : فأىّ نوع من البرى أصوب وأكتَب ؟ فقلت : البرية المستوية القطة ، التى عن يمين سنها قرْنة تؤمَن معها المجة عند المدة والمطة ، للهواء فى شقها فتيق ، والريح فى ١٥ جوفها خَريق ، والمداد فى خرطومها رقيق . قال العتابى : فبقى الأصمعى باهتاً إلىّ ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا .

من صفات الكاتب — ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره .

وأفضل الكتاب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الأبيات ما دل أول البيت على قافيته ؛ فلا تُطيلنّ صدر كتابك إطالة تخرجه عن ٢٠ حدّه ، ولا تقصر به دون حدّه ؛ فإنهم قد كرهوا فى الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

الشعبى — وقيل للشعبى : أى شىء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

لابن وهب — وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة ، تجزأت فى أبدان متفرقة .

فأما الكاتب المستحقُّ آسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا

حاول صيغة كتاب ، سالت عن قلبه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب .

بين العتابى وصديق له

بلغنى أن صديقا لكلثوم العتابى أتاه يوما فقال له : اصنع لى رسالة . فاستمد مَدة ثم علق القلم ؛ فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له العتابى : إنى لما تناولت القلم تداعت علىّ المعانى من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ؛ ثم أجتنى لك أحسنها .

بين يزيد وكاتب له

قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يملى على كاتب له ؛ فأعجل الكاتبَ ودارَكَ فى الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد إملائه ؛ فقال له : اكتب ياحمار ! فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كلَّ القلم عن إدراك ماوجب عليه تقييده . فكان حضورُ جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد مَط حرفا فى غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان فى القلم .

ما يحتاج إليه الكاتب

فإن كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ماتستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ، ويطول به قلمك ؛ وآنظر فى كتب المقامات والخطب ، ومجاوبة العرب ، ومعانى العجم ، وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ، ووقائعهم ، ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب ، والوثائق والسور ، وكتب السجلات والأمانات ؛ لتكون ماهرا ، تنتزع آى القرآن فى مواضعها ؛ واختلاف الأمثال فى أماكنها ؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ؛ فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر

فإن اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء عيب ، إلا أن يكون الكاتب هو القارضَ للشعر والصانع له ، فإن ذلك يزيد فى أُبهتِه .

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادى قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : لما رجع المعتصم من
٥ الثغر وصار بناحية الرقة ، قال لعمرو بن مسعدة : مازلتَ تسألنى فى الرُّخجِىّ حتى وليته الأهواز ، فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه إلينا بدرهم واحد ؛ آخرج إليه من ساعتك . فقلت فى نفسى : أبَعْدَ الوزارة أصير مستحِثا على عامل خراج ؟ ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت : أخرج إليه يا أمير المؤمنين . فقال : آحلف لى أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا .
١٠ فحلفت له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرت ففرش لى زورق بالطبرى وغُشِّىَ بالسَّلْخ ، وطرح عليه الكز ، ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هِزْقل ودير العاقول ، إذا رجل يصيح : ياملاح ، رجل منقطع ! فقلت الملاح : قرب إلى الشط . فقال : ياسيدى ، هذا شحاذ ، فإن قعد معك آذاك . فلم ألتفت إلى قوله ، وأمرت الغلمان فأدخلوه ، فقعد فى كوثل الزورق ، فلما حضر وقت الغذاء عزمت
١٥ أن أدعوه إلى طعامى ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة ، إلا أنه نظيف الأكل ؛ فلما رفع الطعام ، أردت أن يستعمل معى مايستعمل العوام مع الخواص : أن يقوم فيغسل يده فى ناحية ؛ فلم يفعل ، فغمزه الغلمان ، فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت : ياهذا ما صناعتك ؟ قال : حائك ! فقلت فى نفسى : هذه شر من الأولى . فقال لى : جُعِلْت فدَاك ، قد سألتنى عن صناعتى فأخبرتك ، فما صناعتُك
٢٠ أنت ؟ قال : فقلت فى نفسى : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن أذكر له الوزارة فقلت : أقتصر له على الكتابة ؛ فقلت : كاتبٌ .

قال : جُعِلْت فداك ، الكتّاب على خمسة أصناف : فكاتب رسائل يحتاج إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب

والمقصور والممدود وجملا من العربية ؛ وكاتب خراج ، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشوال والطُّسوق والتقسيط والحساب ؛ وكاتب جند ، يحتاج أن يعرف مع الحساب الأطماع وشيات الدواب وحُلى الناس ؛ وكاتب قاض ، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شرطة ، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات ؛ فأيهم أنت أعزك الله ؟ ٥

قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرنى ، إذا كان لك صديق تكتب إليه فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أُمُّه ، فكيف تكتب له : أتهنيه أم تعزيه ؟

قلت : والله ما أقف على ما تقول . ١٠

قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيُّهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول ـ أصلحك الله ـ وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاءك قومٌ يتظلمون من بعض عمالك ؛ فأردت أن تنظر فى أمورهم وتنصفهم ؛ إذ كنت تحب العدل والبر ، وتُؤْثِرُ حسن الأحدوثة وطيب الذكر ، وكان لأحدهم قراح كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العطوف فى العمود وأنظر كم مقدار ذلك . ١٥

قال : إذاً تظلِم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة .

قال : إذاً تظلم السلطان . قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فما تقول فى رجلين ، اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ ٢٠

قال : كنت أكتب : أحمد الأعلم ، وأحمد الأعلم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ،

فتظلم صاحب الألف . قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب جند ؛ فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول ـ أصلحك الله ـ فى رجل توفى وخلف زوجة وسَرِّيّة . وكان للزوجة بنت وللسرية ابن ، فلما كان فى تلك الليلة
٥ أخذت الحرة ابن السِّرية فادّعتْه وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعتا فيه ، فقالت هذه : هذا ابنى . وقالت هذه : هذا ابنى . كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى ؟

قلت : والله لست أدرى ! قال : فلست بكاتب قاض ، فأيهم أنتَ ؟

قلت : كاتب شرطة . قال فما تقول ـ أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة مُوضحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجة مأمومة ؟ قلت ما أعلم . ثم
١٠ قلت : أصلحك الله ، فسِّر لى ما ذكرت . قال : أما الذى تزوجت أمه ، فتكتب إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجرى بغير محابِّ المخلوقين ، والله يختار للعباد ، خار الله لك فى قبضها إليه ، فإن القبر أكرمُ لها ! والسلام .

وأما القَراح ، فتضرب واحدا فى مساحة العطوف ، فمِنْ ثَمّ بابه .

وأما أحمد وأحمد ، فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحمد الأعلم ؛ والمقطوع
١٥ الشفة السفلى : أحمد الأشرم .

وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان [لبنُها] أخفّ فهى صاحبة البنت .

وأما الشجة ، فإن فى الموضحة خمسا من الإبل ، وفى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا ، فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا .

٢٠ قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لى كان عاملا على ناحية ، فخرجت إليه فألفيته معزولا ، فقُطع بى ، فأنا خارج أضطرب فى المعاش . قلت : ألست ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ، ولست بحائك الثياب .

قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره . وأدخل الحمام فطرحت عليه شيئا من

ثيابى ، فلما صرت إلى الأهواز ، كلمت الرُّخَّجِىَّ ، فأعطاه خمسة آلاف درهم .
ورجع معى ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ماكان من خبرك فى طريقك ؟
فأخبرته خبرى ، حتى حدثته حديث الرجل ، فقال لى : هذا لا يُستغنى عنه ، فلأى
شىء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين
البناء والمرمَّة ؛ فكنت والله ألقاه فى الموكب النبيل ، فينحطّ عن دابته ، فأحلف ٥
عليه فيقول : سبحان الله ! إنما هذه نعمتك وبك أفَدْتُها .

فضائل الكتابة

الجاحظ — قال أبو عثمان الجاحظ : مارأيت قوماً أنفذ طريقة فى الأدب من هؤلاء
الكتاب ؛ فإنهم التمسوا من الألفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا .

لبعض المهالبة — وقال بعض المهالبة لبنيه ، تزيّوْا بزى الكتاب فإنهم جمعوا أدَبَ الملوك ١٠
وتواضُعَ السُّوقة .

المنصور وقوم من الكتاب — وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكُتاب فأمر بحبسهم ؛ فرفعوا إليه
رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :

ونحن الكاتبونَ وقد أَسأْنا ٭ فهبْنا للكرام الكاتبِينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم . ١٥

للمؤيد — وقال المؤيد : كتّاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم
الناطقة ؛ والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهى صناعة جليلة تحتاج
إلى آلات كثيرة .

لسهل بن هارون — وقال سهل بن هارون : الكتابة أول زينة الدنيا ، التى إليها يتناهى الفضل ،
وعندها تقف الرغبة . ٢٠

ما يجوز فى الكتابة ومالا يجوز فيها

الشيبانى — قال إبراهيم بن محمد الشيبانى : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك ، والوزراء ،
والعلماء ، والكتّاب . والخطباء ، والأدباء ، والشعراء ، وأوساط الناس وسُوقتهم ؛

فخاطب كلا على قدر أُبَّهتِه وجلالته، وعلوّه وارتفاعه، وفطنتِه؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام: منها الطبقات العلية أربع، والطبقات الأُخَر وهى دونها أربع. ولكل طبقة منها درجة، ولكلٍّ قسمة لا ينبغى للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها.

٥ فالحدّ الأول الطبقات العليا، وغايتها القصوى الخلافة، التى أجلّ الله قدرها، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير.

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها، الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم، ويرتُقون الفتوق بآرائهم.

الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقُواد جنودهم؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم

١٠ على قدره وموضعه وحظه، وغنائه وجزائه، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم، وجلائل أعمالهم.

والرابعة القضاة؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء، وحلية الفضلاء، فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء.

وأما الطبقات الأربع الأُخر، فهم الملوك الذين أوجبت نعمُهم تعظيمَهم فى

١٥ الكتب إليهم، وأفضالهم تفضيلهم فيها.

والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم، الذين تُقرع أبوابهم، وبعناياتهم تستباح أموالهم.

والثالثة هم العلماء، الذين يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم، وعلوّ درجة أهله.

٢٠ والطبقة الرابعة لأهل القدْر والجلالة، والحلاوة والطلاوة، والظرف والأدب، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم، وشدة تمييزهم وانتقادهم، وأدبهم وتصفحهم، إلى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم.

واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار، باستغنائهم بمهناتهم عن هذه

الآلات ، واشتغالهم بمهنتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها فى مراسلتك إياهم فى كتُبك ، وتَزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعتَه ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتَسلك بهم غير مسلكهم ، وتُجرى شعاع بلاغتك فى غير مُجراه ، وتنظم جوهر كلامك فى غير سِلكه ؛ فلا تعتدّ بالمعنى الجزل مالم تُلبِسْه لفظا لائقا بمن كاتبتَه ، ومُلامساً لمن راسلْتَه ، فإن إلباسَك المعنى — وإن صحّ وشَرُف — لفظا متخلفا عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عادته ، تهجين للمعنى وإخلال بقدره . وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص ما يجب له ؛ كما أن فى اتباع تعارُفِهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنّتهم ، قطعا لعُذرهم ، وخروجا من حقوقهم ، وبلوغا إلى غاية مرادهم ، وإسقاطا لحجة أدبهم .

فن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوْحش منها فى كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعانى ، مثل : أبقاك الله طويلا ، وعمَّرك مَلِيًّا . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلا ؛ ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا ، وأنبه قدراً فى المخاطبة ؛ كما أنهم جعلوا : أكرمك الله وأبقاك ، أحسن منزلا فى كتب الفضلاء والأدباء ، من : جُعِلْت فداك ، على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداه من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقاص : آرم فداك أبى وأمى ، لكرهنا أن يكتب بها أحد ؛ على أن كتّاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم ، وجعلوها مُجّيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كلُّ مَن حلَّ سُرَّ مَن رَّا مِن النا * س ومَن قد يُداخل الأمْلاكا

لو رأى الكلبَ مائلاً بطريق * قال للكلب : يا جُعِلْتُ فداكا !

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمتع بك ؛ إلا فى الابن

والخادم المنقطع إليك ، وأما فى كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحُلْتَ عما عهدت من أدبكْ * أم نلت مُلكا فتهت فى كتُبِكْ

أم قد ترى أنَّ فى مُلاطفة الإخوان نقصاً عليك فى أدبكْ

٥ أكان حقًّا كتاب ذى ثقةٍ * يكون فى صدره : وأمتعَ بكْ !؟

أتعبتَ كفَّيك فى مُكاتبتى * حسبُك ممَّا لقيت فى تعبكْ

فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف أخون الإخاء ياأملى * وكل شىء أنال من سَبَبِكْ

أنكرْت شيئاً فلست فاعلهُ * ولن تَراه يُخَطُّ فى كتُبكْ

١٠ إنْ يكُ جهلٌ أتاك من قِبَلى * فعُدْ بفضلٍ علىَّ من حَسَبِكْ

فاعفُ فدَتْك النُّفوسُ عن رجل * يعيش حتى الممات فى أدبك

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزن ، ينبغى للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله :

١٥ وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مَذِقُ الحديث يقول ما لا يَفعلُ

وهذا معنى صحيح فى المدح ، ولكنهم أجلُّوا قدر الملوك أن يُمدَحوا بما تُمدَح به العوام ؛ لأنّ صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح ، فهو واجبٌ على العامة ، والملوك لا يُمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحُهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تَزْنى بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ٢٠ ما استودعت ، وإنك لتصدُق فى وعدك وتفى بعهدك ؛ فكأنه قد أثنى بما يجب ؛ ولو قصد بثنائه إلى مقصده كان أشبه فى الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا فى الخلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلا فقلت : إنه لعاقل كنتَ مدحتَه عند الناس ، وإن قلت : إنه لكيّس كنت قد قصّرت به عن وصفه، وصغَّرتَ من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ؛ لأن العامة لاتلتفت إلى معنى الكلمة . ولكن إلى ماجرت به العادة من استعمالها فى الظاهر ؛ إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصِغَرِ السن . ٥

وقد روينا عن على كرم الله وجهه أنه تسمى بالكيّس حين بنى سجن الكوفة ، فقال فى ذلك :

أَمَا تَرانِى كيِّسًا مُكيِّسَا * بَنَيْتُ بعدَ نافعٍ مُخيِّسَا

حِصْناً حصِيناً وأميراً كيِّسَا

وقال الشاعر : ١٠

* ما يَصنَعُ الأحمقُ المرْزُوقُ بالكَيْسِ *

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء .

كذلك روينا عن ابن عباس .

وسمع سعدُ بن أبى وقاص ابن أخ له يُلَبِّى ويقول فى تلبيته : لبَّيك ياذا المعارج . فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذا كنا نلبى على عهد ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول : لَبَّيك اللهم لبيك .

وكان أبو إبراهيم المُزنى يقول فى بعض ماخطب به داود بن خلف الأصبهانى : « فإن قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله » فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما ردَّ عليه : نحمَدُ الله على أن نُخرِجَ آمْرَأً مُسْلِماً من الإسلام ؟ وهذا موضع استرجاع ، وللحمد مكانٌ يليق به ، وإنما يقال فى المصيبة : ﴿ إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعون ﴾ . ٢٠

فامتثل هذه المذاهب ، وآجرِ على هذه القواعد ، وتَحفظْ فى صدور كتبك وفصولها [وافتتاحها] وخواتمها وضَعْ كلَّ معنى فى موضع يليق به ، وتَخَيَّر لكل لفظة معنًى يشاكلها ، وليكن ماتختم به فصولَك فى موضع ذكر البلوى بمثل :

نسأل الله دفع المحذور ، وصَرْف المكروه ؛ وأشباهِ هذا ؛ وفى موضع ذكر المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون وفى موضع ذكر النعمة : الحمدُ لله خالصاً ، والشكرُ لله واجبا ، [وما يُشاكل ذلك] ؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها ويتحفَّظ فيها ؛ فإنّ الكاتب إنما يصير كاتبا بأن يضع كل معنى فى موضعه ، ويعلّق كل لفظة على طبقتها من المعنى . ٥

واعلم أنه لايجوز فى الرسائل استعمال ما أتت به آى القرآن من الاختصار والحذف ، ومخاطبةِ الخاص بالعام والعام بالخاص ؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما] خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه — جل ثناؤه — أمرَه ونهيَه ومرادَه ؛ والرسائلُ إنما يخاطَب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .

١٠ وكذلك ينبغى للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : ﴿ وٱسأَلِ القَرْيَةَ التى كُنّا فيها والعِيرِ التى أَقْبلنا فيها ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ بل مكْرُ اللّيلِ والنهارِ ﴾ ، احتاج الكاتب أن يبيّن معناه : اسألْ أهل القرية وأهل العير ، وبل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

١٥ وكذلك لايجوز أيضا فى الرسائل والبلاغات المنثورة مايجوز فى الأشعار الموزونة ؛ لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيَّد بالوزن والقوافى ؛ فلذلك أجازوا لهم صرْفَ ما لاينصرف من الأسماء ، وحذْفَ ما لايحذف منها ؛ واغتفروا فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار فى موضع الإظهار : وذلك كله غير سائغ فى الرسائل ، ولا جائز فى البلاغات ، فمّما أُجِيزَ فى الشعر ٢٠ من الحذف مثل قولُ الشاعر :

* قواطِنا مكّةَ مِنَ ورْقِ الحَمَا *

يعنى الحمام ؛ وقول الآخر :

* صِفْر الوِشاحَيْنِ صَموت الخلْخَلِ *

يريد الخلخال، وكقول الآخر :

* دارٌ لِسَلْمى إذْهِ مِنْ هواكا *

يريد إذهى ؛ وكقول الحطيئة :

فيها الرِّماحُ وفيها كلُّ سابِغَةٍ * جَدلاء مسرُودةٍ من نَسْجِ سلَّام

يريد سليمان ؛ وقول الآخر : ٥

مِنْ نَسْجِ داوُدَ أبى سلَّامِ * والشَّيْخِ عُثمانَ أبى عفانِ

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وسائلةٍ بثعْلَبَةَ بنِ ســيْرٍ * وقد عَلِقَتْ بثعلَبةَ العَلُوقُ

وأراد ثعلبة بن سَيَّار ؛ وكما قال الآخر :

ولستُ بآتِيهِ ولا أسْــتَطِيعُهُ * ولاكِ اسْقِنِى إن كانَ ماؤكَ ذا فضلِ ١٠

أراد ولكن .

وكذلك لا ينبغى فى الرسائل أن يُصَغر الاسمُ فى موضع التعظيم ، وإن كان ذلك جائزاً ، مثل قولهم : « دويهية » تصغير داهية ، « وجُذيل » تصغير جِذل ، « وعذيق » تصغير عَذق . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بينهُمْ * دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأنامِلُ ١٥

وقال الحُباب بن المنذر يوم سقيفة بنى ساعدة : أنا عُذَيْقُها المُرَجَّبُ ، وجُذيْلُها المُحَكَّكُ ، وقد شرحه أبو عبيد .

ومما لا يجوز فى الرسائل وكرهوه فى الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كلمت إياك ، وأعنى إياك ، وهو جائز فى الشعر :

وأحسِنْ وأجْمِل فى أسيرِكَ إنَّهُ * ضعيفٌ ولم يأسِرْ كإيَّاكَ آسِرُ ٢٠

وقال الراجز : * إيَّاكَ حتى بلَغَتْ إيَّاك *

فتخيَّرْ من الألفاظ أرجحَها لفظا وأجزلها مَعنى ، وأشرفها جوهراً وأكرمَها حسبا ، وأليَقها فى مكانها ، وأشكَلها فى موضعها ؛ فإن حاولت صنعة رسالة

فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرَضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنَحت؛ فإنه ربما مر بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ: أنا فاعل، أحسن من أن تكتب: أنا أفعل، وموضع آخر، يكون فيه: استفعلت، أحلى من: فعلت؛ فأدِرِ الكلام على أماكِنِه، وقلِّبه على جميع وجوهه؛ فأىّ
٥ لفظة رأيتَها أخفَّ فى المكان الذى ندبتها إليه، وأنزعَ إلى الموضع الذى راودتَها عليه فأوقِعها فيه؛ ولا تجعل اللفظة قَلِقَةً فى موضعها، نافرة عن مكانها؛ فإنك متى فعلت [ذلك] هجَّنت الموضع الذى حاولت تحسينه، وأفسدت المكان الذى أردت إصلاحه؛ فإن وضع الألفاظ فى غير أماكنها، وقصْدك بها إلى غير مُصابها، إنما هو كترقيع الثوب الذى لم تتشابهْ رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه،
١٠ خرج عن حد الجدّة وتغيّر حسنه، كما قال الشاعر:

إنّ الجديدَ إذا مازيدَ فى خَلَقٍ * تبيَّن الناسُ أنّ الثَّوْبَ مَرْقُوعُ

كذلك كلما آحاولى الكلام وعذُب وراق وسهلت مخارجه، كان أسهلَ وُلوجاً فى الأسماع، وأشدّ اتصالا بالقلوب، وأخفَّ على الأفواه؛ لاسيما إن كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مُونق شريف ومُعاراً بكلام عذب لم يَسِمْه التكلف بميسَمِه
١٥ ولم يفسده التعقيد باستغلاقه.

ابن لهيعة وأخوه
وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبى الحسن، وزوّر كلامه وجاوز المقدار فى التنطع؛ فوقّع فى أسفل كتابه:

أنَّى يكون بليغا * مَنِ اسمُه كان عِيّا
وثالث الحرف منه * أذَّ كُفيتَ مُسِيّا

٢٠ قال: وبلغنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة، فخرج عنه ومر بباب الطاق، فإذا بطير يدعى الشّفانين، فاشتراه وبعث به إليه، وكتب كتابا يتنطع فى بلاغته، وذكر: إنه يقال له شفانين، أرجو أن يكون شفاءً من أنين! فوقع فى أسفل الكتاب: والله لو عطستَ ضبّا ما كنتَ عندنا إلا نبطيا، فأقصر عن تنطّعك وسهّل كلامك.

قوله : لو عطست ضبّا ، يريد : أن الضِّباب من طعام الأعراب وفى بلدهم يقال : لو عطست فنثرت ضبًا من عُطاسك ، لم تُلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا .. وقد جاء فى بعض الحديث : أن القط من نَثْرة عَطْسَة الأسد ، وأن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ؛ فقال هذا : لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطيا . ٥

لخلد يهجو حبيبا

وفى هذا المعنى قال مخلد الموصلى يهجو حبيبا :

أنت عنـــدى عرَبى ليس فى ذاك كلامْ
شـــعرُ ساقيْكَ وفخْـ ذيْك خُزامَى وثُمـام
وقَذَى عينيــك صَمغٌ ونَواصـيك ثغـام
وضلوعُ الصَّدر من شِيـ ـوك نبْع وبَشـام ١٠
لو تحرَّكتَ كذا لانْـ جفَلتْ منـك نَعام
وظِبـاءٌ راتِعات ويَرابيـعٌ عِظـام
وحَمـام يتغـنَّى حبَّـذا ذاك الحمام
أنا ما ذنْبى لأنْ كذَّبنى فيك الأنام ؟
وفتًى يَحلف ما إنْ عرَّقتْ فيه الكرام ١٥
ثم قالوا جاسـمى من بنِى الأنْباط حام
كذَبوا ما أنت إلا عربىٌّ والسَّـلام !

وقد رأيتهم شبَّهوا المعنى الخفىّ بالروح الخفى ، واللفظَ الظاهر بالجثمان الظاهر ؛ وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقا ، وتضاءل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح ، كتضاؤل الحسناء فى الأطمار الرثة . ٢٠

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ؛ وقد ذكر له أرسطاطاليس صنفاً خامساً فى كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى

النّصبة ، والنّصبة الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهى الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليك بغير يد ؛ وذلك ظاهر فى خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعانى وسافرة عن وجوهها .

٥ وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان : هما القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرْجُمان ؛ فأمّا اللسان فهو الآلة التى يخرج الإنسان بها عن حدّ الاستبهام ، إلى حدّ الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حدّ الإنسان ، الحىُّ الناطق .

لهشام — وقال هشام بن عبد الملك : إنّ الله رفع درجةَ اللسان فأنطقه بين الجوارح .

١٠ وقال على بن عبيدة : إنما يبين عن الإنسان ، اللسان وعن المودّة العينان .

لبعضهم — وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه .

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

وما المرءُ إلا الأصغَران : لسانُه ۞ ومعقوله ، والجسمُ خَلق مصوَّرُ

١٥ فإنْ طُرّةٌ راقتْكَ يوما فربّما ۞ يَمرّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة . ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامه فى الإيضاح عند المشهد ويفضُله عند المغيب ؛ لأنّ الكتب تقرأ فى الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرّقة ، وتدرس فى كل عصر وزمان ، وبكلّ لسان ؛ واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يعْدو سامعه

٢٠ ولا يُجاوزه إلى غيره .

البلاغة

لسهل بن هارون — قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة .

لجعفر — وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرّب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير .

لابن المقفع — وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلة الحَصَر ، والجراءة على البشر . قيل له : فما العِيّ ؟ قال : الإطراق من غير فكرة ، والتنحنح من غير علة .

لبعضهم — وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تطويل القصير ، وتقصير الطويل . ٥

لأعرابي — وقيل لأعرابي : ما البلاغة ؟ فقال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .

لأرسطاطاليس — وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاستعارة .

لجالينوس — وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المعضل ، وفك المشكل .

للخليل — وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قرُب طرفاه ، وبعُد منتهاه

لابن صفوان — وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد للحجة . ١٠

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصوير الحق فى صورة الباطل ، وتصوير الباطل فى صورة الحق .

لإبراهيم — وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار فى الكتب

وأمّا تضمين الأسرار فى الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه ، ففيه ١٥ أدب يجب معرفته ، وقد تعلقت العامّة بكتاب القُمّىّ والأصبهانىّ .

الأصبهانى : وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لى منه أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك ممكن لكل إنسان ، غير أنّ اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حليباً فتكتب به فى القِرْطاس ، فيذرّ المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس ، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله ؛ وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ، ٢٠ فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمَرّ عليه شيئاً من غبار الزاج . وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السُّلَحفاة .

قولهم فى الأقلام

لبعضهم

قالوا : القلم أحدُ اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة ، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلّفة ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكر ، ونتاجها التدبر ، تَخْرَس منفردات ، وتَنطق مزدوجات ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسُنٍ محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حرّف باريه قَطَّتَه ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس المدادُ عليه ، فهنالك استمدّ القلم بشقه ، ونثر فى القرطاس بخطه حروفا أحكمها التفكر ، وجرى على أَسَلَتِه الكلام الذى سَدّاه العقل ، وألحمه اللسان ، ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء .

لأبى الحسن الهاشمى

وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأَسْمَرَ طاوِى الكَشْحِ أَخْرس ناطقٍ * له ذَمَلانٌ فى بطونِ المَهارِقِ
إذا آستعجلتْه الكفُّ أَمْطَر وبْله * بلا صوْت إرعادٍ ولا ضوء بارق
إذا ما حَدا غُرَّ القوافى رأيتَها * مُجلِّلة تَمضى أمام السَّوابق
كأنّ عليه من دُجى الليل حُلَّةً * إذا ما اسْتَهلّت مُزْنُه بالصَّواعق
كأن اللّآلى والزَبَرجد نُطقَه * ونَور الُخزامى فى عيون الحدائق

للعلوى

وقال العلوى فى صفة القلم :

وعُريانَ من خِلْعَةٍ مُكْتَسٍ * يَميس من الوشْيِ فى يَلْمَقِ
تَحدَّرُ من رأسه رِيقة * تَسيل على ذِرْوة المَفرق
فكم من أسيرٍ له مُطْلَقٍ * وكم من طَليق له مُوثَق
يُقيمُ ويُوطِن غرْبَ البلادِ * ويَنهى ويأمر بالمَشرق
قليل كثير ضروبِ الُخطو * ط وأخرس مُستَمَعُ المَنْطق

يسير بِركْبٍ تلالٍ عِجَــال * إذا ما حدا الفكر فى مهرقِ

لبعضهم فى القلم وقال آخر فى القلم :

لك القلمُ المطيعُكَ غير أنّا * وجدنا وسمهُ غــير المطاع
له ذَوقان منْ أرْيٍ هنِيٍّ * ومن شرْى وبِىٍّ ذى آمتناع
أحدُّ اللفظِ ينطق عن سِوَاه * فيسمع وهْو ليس بِذى استماع ٥
إذا آستسقى بلاغَتَكَ آستهلّت * عليه سماء فكرِكَ باندفاع

وقال :

وبيتٍ بعليــاء الفلاةِ بنيتُه * بأسمر مشقوقِ الخياشيم يُرْعف
كأنّ عليه مُلْبساً جِــلْدَ حيةٍ * مقيم فما يَمضى ولا يتخلّفُ
جليلُ شُئونِ الخطْبِ ، ماكان راكباً * يسير ، وإن أرْجلْتهُ فضَعّف ١٠

لحبيب وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لكَ القلمُ الأعلى الذى بِشباتِه * يُصابُ من الأمرِ الكلى والمفاصِلُ
لعابُ الأفاعى القاتلاتِ لعابُه * وأرْىُ الجَنى آشتارتْه أيدٍ عواسِل
له ريقةٌ طلٌ ولكنّ وقْعها * بآثارهِ فى الشرق والغربِ وابل
فصيحٌ إذا اسْتَنطَقْته وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجل ١٥
إذا ماآمتطى الخمس اللّطافَ وأفرغت * عليه شعابُ الفكر وهْى حوافل
أطاعتْه أطرافُ القَنا وتقوضت * لِنجواه تقْويضَ الخيامِ الجحافِل
إذا آستغزَر الذِّهْنَ الجلىّ وأقبلت * أعاليه فى القِرطاس وهْى أسافل
وقد رفدَته الخنصرانِ وسدّدت * ثلاثَ نواحيهِ الثلاث الأنامل
رأيت جليلا شأْنُه وهو مرهَفٌ * ضَنًى ، وسميناً خطبه وهو ناحل ٢٠

ولما قال حبيب هذا الشعر حسدهُ الخثعمى ، فقال لابن الزيات :

ما خُطبَةُ القلم التى أُنبِئتُها * وردت عليك لشاعر مجدود

البحترى فى قلم

وأنشد البحترى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تألق فى النَّدِىِّ كلامه الـ ٭ ـمصقول خِلْت لسانَه من عضبهِ
وإذا دجت أقلامُه ثم آنتحت ٭ برقت مصابيحُ الدُّجى فى كتبه
باللفظِ يقرُبُ فهمه فى بُعْدِه ٭ منَّا ، ويبعُدُ نيـــله فى قربه
٥ حِكم فسائحها خـــلالَ بنانِه ٭ متدفِّقٌ وقليبُها فى قلبـــه
وكأنهـا والسمْع معقودٌ بها ٭ شخصُ الحبيبِ بدا لعيْنِ مُحِبِّـــه

لأبن أبى طاهر

وأنشد أحمد بن أبى طاهر فى بعض الكُتَّاب ويصف القلم :

قلمُ الكتابةِ فى يمينِكَ آمنٌ ٭ ممَّا يعود عليه فيما يكتُبُ
قَـــلم به ظُفْر العدو مقلَّمٌ ٭ وهو الأمانُ لما يُخاف ويُرهَب
١٠ يُبدى السرائرَ وهو عنها محجبٌ ٭ ولسانُ حُجَّتِه بصمتٍ يعرِب

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى القلم :

بكفِّه ساحر البيان إذا ٭ أداره فى صحيفةٍ سحـــرا
ينطِقُ فى عجمةٍ بلفظته ٭ نصَمُّ عنه ويُسمِع البصرا
نوادر تُقرع القلوب بهــا ٭ إن تستبِنْها وجدتها صورا
١٥ نِظـــام دُرٍّ الكلام ضمَّنه ٭ سِلكا لخطِّ الكتاب مُستطرا
إذا امتطى الخِنْصران أذكرمن ٭ سحبانَ فيما أطال واختصرا
يخاطِبُ الغائبَ البعيدَ بمــا ٭ يخاطب الشاهدَ الذى حضرا
ترى المقاديرَ تستدفُّ له ٭ وتنفذُ الحـادثاتُ ما أمرا
شخْتٌ ضئيلٌ لفعلِه خطرٌ ٭ أعظِم به فى مُلِمَّةٍ خطرا
٢٠ تمجُّ فكاهُ ريقةً صغرت ٭ وخطبها فى القلوبِ قد كبِرا
يواقع النفْسَ منه ماحذرتْ ٭ وربمــا جنِّبت به الحذرا
مهفهفٌ تزدهى به صُحفٌ ٭ كأنمــا حُلِّيت به دُرَرا

كأنها تُرفع العيون بها * خلالَ روْضٍ مكلّلٍ زهرا
إن قُرّبت مرّطت طوابعها * ما فُضّ طينٌ لها ولا كسِرا
يكاد عنوانُهـا لروعته * ينْبيكَ عن سرّها الذى اسْتَترا

لذى الرمة — ومن أحسن ما شبهت به الأقلام وشبه بها، قول ذى الرُّمّة :

كأنّ أنوفَ الطير فى عَرَصاتِها * خراطيمُ أقلام تَخط وتعجم ٥

لابن الرقاع — ومثله قول عدى بن الرقاع :

يخرُجن من فُرُجات النقع دامِيةً * كأنّ آذانهـا أطرافُ أقلام

ومن قوله فى ولد البقرة :

تزجى أغَنّ كأنّ إبرة روقه * قلمٌ أصاب من الدواة مِدادها

للمأمون — ومنه قول المأمون : ١٠

كأنمـا قابل القِرْطاس إذ مشقت * منها ثلاثةُ أقلامٍ على قـلم

لابن عبد ربه — ومثله قولنا فيه :

إذا أدارت بنانُه قلماً * لم تدر للشّبه أيُّها القلمُ

ومن قولنا فى الأقلام :

ومعشرٍ تنطق أقلامُهم * بحكمةٍ تلقنها الأعيُنُ ١٥
تلفظها فى الصكّ أقلامُهم * كأنمـا أقلامهم ألسُن

ومن قولنا فى الأقلام :

ياكاتباً نقشَت أنامل كفّه * سحرَ البيان بلا لسانٍ ينطقُ
إلا صقيل المَتنِ ملموم القوى * حُزّت لهازمه وشق المفْرق
فإذا تكلم رغبةً أو رهبةً * فى مغربٍ أصغى إليه المشرق ٢٠
يدلِى بريقةِ أريِه أو شريِه * يبكى ويضحكُ من نَداه المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم . القلمُ يخدُم الإرادة ؛ ولا يمل

الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق ساكتا ؛ على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء .

لابن وهب

وقال سليمان بن وهب وزير المهدى : كل قلم تطيل جلفته ؛ فإن الخط يخرج به أوقص .

٥ وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

أما بعد ، فليكن قلمك بحريا لا سمينا ولا رقيقا ، ما بين الرقة والغلظ ، ضيق النقب ، فأبره بريا مستويا كمنقار الحمامة : أعطف قطته ، ورقق شفرته ؛ وليكن مدادك صافيا خفيفا ، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه فى الدواة ؛ وليكن قرطاسك رقيقا مستوىَ النسج ، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ؛ فليست ١٠ تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر تمطيطك فى طرف القرطاس الذى فى يسارك ، وأقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا فرقت القليل كان قبيحا ، وإذا جمعت الكثير كان سمجا ؛ ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله ، واخططه بعرضه ، واختمه بأسفله ؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطة ١٥ العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، ورأس كل مرسل برأس القلم ؛ واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء ، والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم ، والمط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا إلا بالنظر إلى اليد فى استعمالها الحركة . والسلام .

لابن طاهر

٢٠ وقال ابن طاهر لكاتبه : ألق دواتك ، وأطل سنّ قلمك ، وفرّج بين السطور ، وقرمط بين الحروف .

لابن جبلة

وقال إبراهيم بن جبلة : مر بى عبد الحميد وأنا أخط خطًّا رديئا ، فقال لى : أ [لا] تحب أن يجود خطُّك ؟ قلت : بلى . قال : أطلْ جلفة القلم وأسمنها ؛ وحرّف قطّتك وأيمنها . ففعلت فجاد خطى .

للعتابى — وقال العتابى : ببكاء القلم تبتسم الكتب .

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم .

لحبيب — وقال حبيب الطائى :

لولا مُناشــدةُ القُربى لغادرَكم * حصائدَ المُرهِفَيْنَ : السيْف والقلمِ

لأرسطاطاليس — وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سِنِّ أقلامهم . ٥

لأبى حكيمة — وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف ، فمر بى علىُّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقال : أجلِلْ قلمك . فقصمت من قلمى قصمة ، فقال : هكذا نوره كما نوره الله .

لابن سيرين — وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مشقا ، وقال : أجود الخط أبيَنُه .

لابن وهب — وقال سليمان بن وهب : زيِّنوا خطوطكم بإسبال ذوائبها . ١٠

لابن مسعدة — وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملأ أقطار الظنون .

لابن عبيدة — وذكر على بن عُبيدة القلم فقال : أصمُّ يسمع النَّجوى ؛ أعْيا من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ؛ يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ؛ ويجعل الكتب بين الإخوان أَلْسُناً ناطقة ، وأعينا لاحِظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن عند المشاهدة . ١٥

لابن يوسف — وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغوانى فى خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام فى خدود الكتب .

للعتابى — وقال العتابى : الأقلام مطايا الفِطَن .

لغلامين — وتخاير غلامان فى بعض الدواوين ، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما ، فكره أن يفضّل أحدهما على الآخر ؛ فقال لأحدهما : أما خطُّك أنت فوَشْىٌ محُوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت فذهبٌ مسْبُوك ؛ تكافأتما فى غاية ، وتوافيتما فى نهاية . ٢٠

لبعضهم

وقال آخر : دخلت الديوان ، فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عِقيان ، وعليه مكتوب :

وا بأبى ! وا بأبى * مِن كفٍّ من يكتب بى

لأبى هفان

وقال أبو هِفان يصف القلم :

٥ وإذا أمَرَّ على المهارق كفّه * بأناملٍ يحملن شختاً مُرْهَفا
ومُقصّراً ومُطوّلا ومُقطّعاً * ومُوَصّلا ومُشتّتاً ومُؤلفا
كالحية الرّقشاء إلا أنه * يَستنزلُ الأروى إليه تَلطُّفا
يهفو به قلم يَمُجُّ لُعابَه * فيعود سيْفاً صارماً ومثقّفا

لبعض الشعراء

وقال آخر فى وصف الدواة :

١٠ ومُسْودّة الأرجاءِ قد خُضتُ جالها * ورويّت مِن قعرٍ لها غير مُنْبَط
خَميصَ الحشا يَرْوَى على كلّ مَشْرب * أمينا على سرّ الأمين المسـلّط

لبعض الكتاب

وقال بعض الكتّاب :

وما روْضُ الربيع وقد زهاهُ * ندى الأسحارِ يَأرَجُ بالغَداةِ
بأضوَعَ أو بأسطَع من نسيمٍ * تُوَدّيه الألاقةُ مِن دَواة

١٥ وقال آخر فى وصف محبرة :

ولُجّة بحرٍ أجمّ العُبـا * بِ بادٍ وأمواجُهُ تَزخرُ
إذا غاص فيه أخو غَوْصةٍ * سريعُ السّباحةِ ما يَفْتُرُ
فأنفِسْ بذلك مِن غائصٍ * بديع الكلام له جوْهرُ
وأكرِمْ ببحرٍ له لُجّةٌ * جواهرُها حِـكَمٌ

لابن أشرس

٢٠ وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرته الأقلام ، لم تطمع فى درسِهِ الأيام .
ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تخُطّ خطًّا حسنا ، فقال فيها :

وزادت لدينا حُظوةً حين أطرقت * وفى إصبَعيْها أسمرُ اللون أهيَف
أصمُّ سميع ، ساكنٌ مُتحرّكٌ * ينال جَسيماتِ المنى وهو أعجف

لبعض الكتاب وقال بعض الكتاب :

إذا ما التقَيْنا وآنتضَيْنا صوارماً • يكاد يُصِم السامعين صريرُها
تساقَط فى القِرْطاس منها بدائعٌ • كمثْل اللآلى نظمُها ونثيرُها

لابن المعتمر قال بشر بن المعتمر : القلب معدِن ، والحلم جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم صائغ ، والخط صيغة . ٥

لابن هارون وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره .

وقالوا : حُسْن الخط يناضل عن صاحبه ، ويوضح الحجة ، ويمكّن له درْك البغية .

لبعضهم وقال آخر : الخط الردىء زمانة الأديب .

لابن وهب وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جُودة بَرْىِ القلم ، وإطالة جِلْفَتِه ، وتحريف قَطّه ، وحُسْن التأنى لامتطاء الأنامل ، وإرسال المدة ١٠ بقدر اتساع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .

لابن حميد وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلمه فى أحسن أجزائه ، وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقه .

لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : كلُّ كتاب غير مختوم فهو غُفل . ١٥

وفى تفسير قول الله تعالى : ﴿ إنى أُلقِىَ إلىَّ كتابٌ كريمٌ ﴾ قال : مختوم .

لابن طاهر ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعجامها ، فقال : ما أحسن ما كتبت إلا أنك أكثرت شُونِيزَها .

لأبى عبيدة وقال أبو عبيدة : لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهى زجاجة ، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهى خِوَان ؛ ولا قلم إلا إذا بُرى ، ٢٠ وإلا فهى قصبة .

لبعضهم وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المخنّثين عند النخاسين ، وجلوس الطفيليين عند الطباخين .

لابن الأزهر

وكتب على بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه :

أما بعد ، فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم ؛ فحلت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصُّخرِيَّة أسرع فى الكواغد ، وأمَرّ فى الجلود ، كما أن البحرية منها أسلَس فى
٥ القراطيس ، وألْين فى المعاطف ، وأشدُّ لتصريف الخط فيها ؛ ونحن فى بلد قليل القصب رديئه ، وقد أحببت أن تتقدم فى اختيار أقلام بَحْرية ، وتتأنق فى انتقائها قِبَلك ، وتطلبها فى مظانّها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تيمم فى اختيارك منها الشديد المُحْص ، الصلبة المقصّ ، النقية الجلود ، القليلة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على
١٠ الكتابة ، وأبعد من الجفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرِّقاق القُضْبان ، المقومات المُتون ، المُلْس المعاقد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبسا وهى قائمة على أصولها ، لم تُعجَل عن إبّان ينعها ، ولم يؤخَّرْ إلى الأوقات المخوفة عليها من خصَر الشتاء ؛ وعفن الأنداء ؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ،
١٥ قطعا رفيقا ؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأَوعية ، ووجهتها مع من يؤدى الأمانة فى حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بعِدَّتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم فى الحبر

لبعض الكتاب

قال بعض الكُتَّاب : عَطِّروا دفاتر آدابكم بجيِّد الحبر ، فإن الأَدب غوانى
٢٠ والحبر غوالى .

لجعفر بن محمد

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره ، فقال له :

لا تجزعَنَّ منَ المداد فإنه ... عِطْرُ الرجال وحِلْيةُ الكُتّاب

وكيع وقريب له

وأتى وكيع بن الجراح رجلٌ يمت إليه بحرمة ، فقال له : وما حُرْمَتُك ؟ قال له :

كنتَ تكتب من محبرتى عند الأعمش . فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنانير ، وقال له : آعذُرْ فما أملك غيرها .

وفى الأقلام

لابن الحرون

أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاما ؛ فكتب إليه :

إنه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظمَ الأمور ، وقِوامَ الخلافة ، ٥ وعمودَ المملكة ؛ خصصتُك من آلتها بما يخِفُّ محمله ، وتثقل قيمته ، ويعظُم نفعُه ويجلّ خطرُه ؛ وهى أقلام من القَصب النابت فى الصُّحر الذى نَشِف فى حر الهجير ماؤه ، وستَرَهُ من تلويحه غِشاؤه ؛ فهى كاللآلئ المكنونة فى الصَّدَف ، والأنوار المحجوبة فى السَّدف ؛ تِبرية القشور درّية الظهور ، فِضية الكسور ؛ قد كسَتْها الطبيعة جوهراً كالوشى المحبر ، وفرند الديباج المنيّر . ١٠

قولهم فى الصحف

لبعض الشعراء

نِعمَ الأنيسُ إذا خلَوْتَ كِتابُ * تلهو به إنْ ملّكَ الأحبابُ
لا مُفشيًا سِرًّا إذا استَوْدعْته * وتُفادُ منه حكمة وصوابُ

وقال آخر :

ولِكلّ صاحِب لذّةٍ مُتنَزَّهٌ * أبداً ، ونُزهةُ عالِمٍ كُتُبُهْ ١٥

حبيب

وقال حبيب :

مِدادُ مثلُ خافِيةِ الغُرابِ * وقِرْطاسٌ كرَقراقِ السَّرابِ
وألفاظٌ كألفاظِ المثاني * وخطٌّ مثْلُ وشْمِ يَد الكَعابِ
كتبْتُ ولو قدرْتُ هوًى وشوْقاً * إليك لكنتُ سطراً فى الكتابِ

وقال فى صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب : ٢٠

لقد جَلّى كِتابُك كلَّ بَثٍّ * جوٍ وأصاب شاكِلَةَ الرَّمىِّ
فضَضْتُ خِتامَه فتبلّجَت لى * غرائبُه عنِ الخبَرِ الجليِّ
وكان أغضّ فى عيْنِى وأندَى * على كبدِى مِنَ الزهرِ الجَنِىِّ

وأحسَنَ موْقعاً عِندى ومنّى ٭ مِنَ البُشْرَى أتت بعدَ النَّعِىّ
وضُمِّن صَدْرُه مالم تضَمَّنْ ٭ صدورُ الغانِيات منَ الحُلِىّ
فكائِنْ فيه من مَعنًى خطيرٍ ٭ وكائن فيه من لفظٍ بهِىّ
فيا ثَلْجَ الفؤادِ وكان رِضْفاً ٭ ويا شِبَعِى بِرَوْنقِه ورِيِّى
٥ فكم أفصحت عن بِرٍّ جليلٍ ٭ به ووأيت من وأيٍ سَنِىّ
كَتَبْتَ به بِلا لفظٍ كريهٍ ٭ على أُذُنٍ ولا خطٍّ قمِىّ
رسالةَ من تَمَتَّعَ مُنْذ حينٍ ٭ ومتَّعَنا مَنَ الأدبِ الرَّضِىّ
لئِن غربْتَها فى أرضِ بِكْرٍ ٭ لقد زُفَّت إلى قلبٍ وفِىّ
وإن يكُ من هداياكَ الصَّفايا ٭ فرُبَّ هديّةٍ لك كالهدِىّ

١٠ وقال ابن أبى طاهر فى ابن ثوابة : لابن أبى طاهر

فى كلِّ يومٍ صدورُ الكتْبِ صادِرةٌ ٭ من رأيهِ ونَدَى كفَّيْهِ عن مَثَلِ
مِن خطِّ أقلامِه خطّ القضاءِ على الـ ٭ ـأعداءِ والموْتُ بين البيضِ والأسَلِ
لعابُها عِلَل فى الصدرِ تنفُثُه ٭ ورُبما كان فيه النَّقعُ لِلغُلَل
كأنّ أسطارَها فى بطْنِ مُهْرَقِها ٭ نَوْرٌ يُضاحِكُ دمعَ الواكِفِ الخضِلِ

١٥ وقال البحترى فى محمد بن عبد الملك الزيات : البحترى

قد تصرفْتَ فى الكِتابةِ حتى ٭ عطّل الناسُ فنَّ عبدِ الحميدِ
فى نظامٍ مِن البلاغةِ ما شَـ ٭ ـكّ امْرُؤٌ أنّه نظامُ فريدِ
وبديعٍ كأنه الزهرُ الضَّا ٭ حِكُ فى روْنقِ الربيعِ الجديد
ما اعْتَدتْ منه فى بُطونِ القراطيـ ٭ ـسِ وما حُمِّلَت ظهورُ البَريد
٢٠ حُجَجٌ تُخرِسُ الألدّ بِألفا ٭ ظٍ فُرادَى كالجوْهَرِ المعدود
حُزْنَ مُستعمَلَ الكلامِ اختياراً ٭ وتَجنَّبْن ظُلمةَ التَّعْقيد
كالعذارى غدوْن فى الحُللِ البيـ ٭ ـضِ إذا رُحْنَ فى الخطوبِ السُّود

لابن الجهم — وقال عليّ بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جيِّد :

مارُقعةٌ جاءتْكَ مَثْنيَّةٌ ۰ كأنها خَـــدٌّ على خدِّ
نَثْرُ سوادٍ فى بياضٍ كما ذُ ۰ رَّ فتيتُ المِسكِ فى الوردِ
ساهِمةُ الأسطُرِ مصروفةٌ ۰ عنْ جِهةِ الهزْلِ إلى الجِدِّ
ياكاتِباً أسْـــلَمَنِي عَتْبُهُ ۰ إليك،حسبي مِنك ماعندى ! ٥

لأبان — وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيبانى : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق إلى الفضل بن يحيى بن خالد، رقعةً بأبياتٍ له يصِفُ فيها قامتَه ، وكثافة لحيته ، وحلاوةَ شمائله ، وبراعة أدبه ، وبلاغةَ قلبه ؛ فقال :

أنا مِن بُغيَةِ الأميرِ وكَنْزٌ ۰ مِن كُنوز الأميرِ ذو أرباحِ
كاتبٌ حاسِبٌ أديبٌ لبيبٌ ۰ ناصحٌ زائدٌ على النُّصَّـــاحِ ١٠
شاعِرٌ مُفْلِقٌ أخفُّ مِن الرِّيـ ۰ ـشَةِ مِمَّا يكونُ تحت الجناحِ
لِى فى النَّحوِ فِطنَـــةٌ ونفاذٌ ۰ أنا فيــه قِلادةٌ بوشَـــاحِ
لو رمَى بِىَ الأميرُ أصلَحَه اللهُ رِماحاً صدَمْتُ حدَّ الرِّماحِ
ثم أروِى من ابنِ سيرينَ فى الفِقْ ۰ ـهِ بقولٍ مُنَوَّرِ الإفصاحِ
لستُ بالضَّخمِ فى رُوائى ولا الفدْ ۰ مِ ولا بالمجعَّدِ الدَّحداحِ ١٥
لِحْيَـةٌ كثَّةٌ وأنفٌ طويلٌ ۰ واتِّقادٌ كشعلةِ المِصباحِ
وكثيرُ الحديثِ مِنْ مُلَحِ النا ۰ سِ بصيرٌ بخافِياتٍ مِلاحِ
كم وكم قد خَبأتُ عِندى حديثاً ۰ هُو عند الأميرِ كالتُّفَّـــاحِ
أيْمَنُ الناسِ طائراً يومَ صيْدٍ ۰ فى غُدُوٍّ أو بُكرةٍ أو رواحِ
أعلمُ الناسِ بالجوارِحِ والصَّيْـ ۰ ـدِ وبالخُرَّدِ الحِسانِ المِلاحِ ٢٠
كلَّ هـذا جَمعتُ والحمــدُ للهِ على أنني ظريفُ المُزاحِ
لستُ بالنّاسِك المُشَمِّرِ ثوْبَيْـ ۰ ـهِ ولا الفاتِكِ الخليعِ الوقاحِ
لو دعانى الأميرُ عايَنَ مِنِّى ۰ شمَّريًّا كالبلبـــلِ الصدَّاحِ

قال : فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له : أجب . فأجاب بما فى غرضه وأحسن ، فأمر له بألف ألف درهم ؛ وكنا نَراه أولَ داخل وآخر خارج ؛ وكان إذا ركب فركابُه مع ركابه .

لأبى نواس

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعرُ أبا نُوَاس ، فقال :

٥ أنتَ أوْلى بقِلّةِ الحظِّ منّى ٭ يامُسَمَّى بالبلبل الصدّاح

قد رأوْا منهُ حين غَنّى لديهم ٭ أخرَسَ القوْلِ غيرَ ذى إفصاح

ثم بالرِّيشِ شبَّه النَّفس فى الخِ ٭ ـفّةِ ممّا يكونُ تحتَ الجناح

فإذا الشُّم من شماريخِ رضْوى ٭ خِفّة عِنْدَهُ نوى المِسْباح

لم يكُن فيكَ غيرُ شيئَيْن ممّا ٭ قلتَ فى نعْتِ خَلْقِك الدَّحداح

١٠ لحيةٌ جعْـدةٌ وأنفٌ طويلٌ ٭ وسِوى ذاك ذاهبٌ فى الرياح

فيك ما يَحملُ الملوكَ على السُّخْـ ٭ ـفِ ويُزرِى بالماجِدِ الجَحجاح

باردُ الطرْفِ ، مُظلِم اللُّبِّ ، تيًّا ٭ هٌ ، مُعيدُ الحديثِ ، سَمْجُ المُزاح

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم ! فبعث إليه أبو نواس : لو أعطيتنى مائة ألف ألف درهم لم أجد بُدًّا من إذاعتها . فيقال :

١٥ إن الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبى نواس قال : لا حاجة لى فى أبان ، لقد رُمِىَ بخمس فى بيت لا يقبَلُه على واحدة منهن إلا جاهل . فقيل له : كذَب عليه . فقال : قد قيل ذاك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبانِ بن عبد الحميد اللاحق ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالاً يفرّقه فى الشعراء ، ويعطى كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبى نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إنى

٢٠ أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندى . فهجاه لذلك .

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبى وقاص فى بنيان يبنيه ، فوقّع فى أسفل كتابه : ابنِ ما يُكنُّك من الهواجر وأذى المطر .

ووقع إلى عمرو بن العاصى : كن لرعيتك كما تحبُّ أن يكون لك أميرك . ٥

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع فى قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بِوَجْءِ أعناقهم : ﴿ فإن عصوْك فقل إنى برىءٌ مما تعملون ﴾ .

ووقع فى قصة رجل شكا عيلة عليه : قد أمَرْنا لك بما يُقيمك ، وليس فى مال الله فضل للمسرف . ١٠

على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله : فى بيته يؤتى الحَكَم .

ووقع فى كتاب جاءه من الحسن بن على رضى الله عنه : رأيُ الشيخ خير من مشهد[1] الغلام .

ووقع فى كتاب سلمان الفارسى ـ وسأله كيف يحاسَب الناس يوم القيامة ؟ ـ : ١٥ يُحاسَبون كما يُرزَقون ..

ووقع فى كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أنّ السيف قد أكثر فى ربيعة : بقية السيف أنْمَى عددا .

وفى كتاب جاءه من الأشتر النخعى فيه بعض ما يكره : مَن لك بأخيك كلّه ؟

(١) فى بعض الأصول : « جلد » . ٢٠

وفى كتاب صعصعة بن صُوحان يسأله فى شىء : قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسن .

معاوية بن أبى سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر فى أمر عاتبه فيه ، فوقع فى أسفل كتابه : بيت أمية فى الجاهلية أشرف من بيت حبيبٍ فى الإسلام ، فأنت تراه .

٥ وفى كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقطِعَه مالا بالطائف : عشْ رَجباً تَرَ عَجَباً .

وفى كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس فى خلافته : إن أبا سفيان وأبا الفضل كانا فى الجاهلية فى مِسلاخ واحد ، وذلك حلْفٌ لا يَحُله سوء أدبك .

١٥ وكتب إليه ربيعة بن عِسل اليربوعى يسأله أن يعينه فى بناء داره بالبصرة باثنى عشر ألف جذع : أدارُك فى البصرة ، أم البصرة فى دارك ؟

يزيد بن معاوية

وقع فى كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصته : احكمْ لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم . فحكم [لهم] بتسعمائة ألف ؛ فأجازها .

١٠ وكتب إليه مسلم بن عقبة المرى بالذى صنع أهلُ الحرّة ، فوقع فى أسفل كتابه : ﴿ فلا تأسَ على القوم الفاسقين ﴾ .

وفى كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه فى الخراج : قليلُ العتاب يُحكم مرائر الأسباب ، وكثيرُه يَقطع أواخىَ الانتساب .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان : القرابة واشجة ،
٢٠ والأفعال متباينة ؛ فخذْ لرَحِمك من فعلك .

وإلى عبيد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك ، فاحرص أن تكون كلّها .

عبد الملك بن مروان

وقع فى كتاب أتاه من الحجاج [يشكو إليه نفراً من بنى هاشم ويُغريه بهم] جنّبْنى دماء بنى عبد المطلب ، فليس فيها شفاءٌ من الطلب .

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ، ويستأذنه فى قتل أشرافهم ، فوقع له : إنّ من يُمْن السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن شُؤمه أن يختلف به المؤتلفون . ٥

وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بضَعْفك قوىَ ، وبخُرقك طلع .

ووُقع فى كتاب ابن الأشعث :

فما بالُ مَن أسعى لأجْبُرَ عظْمَه * حِفاظًا ، وينوى من سَفاهته كَسْرى ؟

ووقع أيضاً فى كتاب : ١٠

كيف يَرجون سِقاطى بعدَما * شمِل الرأسَ مشيبٌ وصَلعْ

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خَرِق فيما خلّف له عبد الملك ، ينكر ذلك عليه ويعرّفه أنه على غير صواب ، فوقع فى كتابه : لأَجْمَعَنّ المال جمعَ من يعيش أبدا ، ولأفرِّقنّه تفريق من يموت غدا . ١٥

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز ، قد رأب الله بك الداء ، وأوذم بك السِّقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدّده بالخلع ، فوقع فى كتابه :

زعَم الفَرزدَق أنْ سيقتُلَ مِربَعاً * أَبْشِر بطُول سلامةٍ يامِربَعُ

ووقع فى كتابه أيضا : العاقبة للمتقين . ٢٠

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده : ﴿ وإن تصبِروا وتتَّقوا لا يضُركم كيدُهم شيئا ﴾ .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه فى مَرَمّة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : آبنها بالعدل ، ونقِّ طُرُقها من الظلم .

وإلى بعض عماله فى مثل ذلك : حصِّنْها ونفْسَك بتقوى الله .

وإلى رجل ولاه الصدقات ، وكان دميما فعدل وأحسن : ﴿ ولا أقولُ للذين تَزدرى أعيُنُكم لن يُؤتيَهمُ اللهُ خيرا ﴾ .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : آرضَ لهم ما تَرضى لنفسك ، وخذْ بجرائمهم بعد ذلك .

وإلى عدى بن أرطاة فى أمر عاتبه عليه : إنّ آخِرَ آيةٍ أُنزلتْ ﴿ واتّقوا يومًا تُرجَعون فيه إلى اللهِ ﴾ .

وإلى عامله على الكوفة ـ وكتب إليه أنه فعل فى أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب ـ : ﴿ أُولٰئك الذين هَدى اللهُ فبِهداهمُ آقتَدِهْ ﴾ .

وإلى الوليد بن عبد الملك ـ وعمرُ عامله على المدينة ـ فوقع فى كتابه : اللهُ أعلم أنك لست أوّل خليفة تموت .

وأتاه كتاب عدىّ يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع فى كتابه : لا تَطلب طاعةَ من خذل عليًّا ، وكان إماما مرضيا .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعطيَه موضعاً يبنيه ، فوقع : كن من الموت على حذر .

وفى قصة متظلم : العدل أمامك .

وفى رقعة محبوس : تُبْ تُطلَق .

وفى رقعة رجل قَتل : كتاب الله بينى وبينك .

وفى رقعة متنصّح : لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك .

وفى رقعة رجل شكا أهل بيته : أنتما فى الحق سيّان .

وفى رقعة امرأة حُبس زوجُها : الحقُّ حَبسه .

وفى رقعة رجل تظلم من ابنه : إن لم أُنصِفْك منه فأنا ظلمتُك .

يزيد بن عبد الملك

٥

وقع إلى صاحب خراسان : لا يغرنّك حسنُ رأى ، فإنما تفسده عثرة .

وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقِل .

وفى قصة متظلم : ﴿ سيَعْلمُ الذين ظَلموا أىَّ مُنقلَبٍ ينْقلِبونَ ﴾ .

وفى قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ماكان عليك لو صَفَحْتَ عنه واستوصَلْتنى .

١٠

هشام بن عبد الملك

فى قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحلَّ بك النكال إن كنت كاذبا ؛ فتقدم أو تأخر .

وفى قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما أدَّعيْتم عليه عزلناه وعاقبناه .

وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : احذر ليالىَ البَيات .

١٥

وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار : احفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهَبْهم له .

وقع فى رقْعة محبوس لزمه الحد : نزل بحدّك الكتابُ .

ووقع فى قصة رجل شكا إليه الحاجة وكثرةَ العيال وذكر أن له حرمة : لعيالِك فى بيت مال المسلمين سهم ، ولك بحرمتك منّا مثْلاه .

٢٠

وإلى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضَعْ سيفك فى كلاب النار ، وتقرب إلى الله بقتل الكفار .

وإلى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم: لَنُفَوْضَنَّكم فى خصمكم دونكم .

وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار فى بلده : مُرْهُم بالاستغفار .

وإلى سهل بن سيار : خَفِ الله وإمامَك ، فإنه يأخذك عند أول زَلة .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

٥ وقع إلى مروان [بن محمد] : أراك تُقدم رجلا وتؤخّر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيّهما شئت .

وإلى صاحب خراسان فى المسوّدة : نَجم أمرٌ أنت عنه نائم ، وما أراك منه أو منّى بسالم .

مروان بن محمد

١٠ كتب إلى نصر بن سيار فى أمر أبى مسلم : تحوُّل الظاهر يدل على ضعف الباطن ، والله المستعان .

ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان : الأمر مضطرب ، وأنت نائم ، وأنا ساهر :

وإلى حوثَرَة بن سُهيل حين وجهه إلى قحطبة : كن من بيات المارقة ١٥ على حذَر .

ووقع حين أتاه غَرَقُ قحطبة وانهزامُ ابن هبيرة : هذا والله الإدبار ، وإلا فمن رأى ميّتاً هزم حيًّا ؟

وفى جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه

أرى خَلل الرّمادِ وميض جمرٍ ... ويوشك أن يكون له ضِرام

٢٠ الحاضر يرى ما لايرى الغائب ، فأحسم الثؤلول .

فكتب نصر : الثُّؤلول قد امتدت أغصانه ، وعظمت نكايته .

فوقع إليه : يداك أَوكَتا وفُوكَ نفخ .

توقيعات بنى العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أُخِذَت منهم وأُدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أُسِّس على غير تقوى ثم أمر بدفع قِيَم منازلهم إليهم . ٥

ووقع فى كتاب أبى جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حلمَك أفسد علمَك ، وتراخيك أثر فى طاعتك ، فخذلى منك ، ولك من نفسك .

ووقع إليه فى ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : لست منك ولستَ مِنِّى إن لم تقتله .

وجاءه كتاب من أبى مسلم يستأذنه فى الحجّ وفى زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذنُك لك . ١٠

ووقع فى كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر فى الشدة شارك فى النعمة . ثم أمر بأرزاقهم .

وإلى عامل تُظُلِّم منه : ﴿ وما كنتُ متَّخِذَ المضِلِّينَ عَضُدا ﴾ .

وفى قوم شكوا غرق ضياعهم فى ناحية الكوفة : ﴿ وقيل بُعْدًا للقومِ الظَّالمين ﴾ . ١٥

أبو جعفر

وقع فى كتابه إلى عبد الله بن على عمه : لا تجعل للأيام فىّ وفيك نصيباً من حوادثها .

ووقع إليه أيضا : ﴿ ٱدْفع بالتى هىَ أحْسَنُ فإذا الذى بينكَ وبيْنَه عداوة كأنه ولِىٌّ حميم ، وما يلقَّاها إلا الذين صبرُوا وما يلقَّاها إلا ذو حظّ عظِيم ﴾ فاجعل الحظ لك دونى يكن لك . ٢٠

ووقع إلى عبد الحميد صاحبِ خراسان : شكوتَ فأشكيناك ، وعتَبْت فأعتبناك ، ثم خرجت عن العامّة فتأهب لفراق السلامة .

وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونون يُؤَمَّر عليكم

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : ﴿ لا ينالُ عهْدِى الظالمين ﴾ .

٥ وفى قصة رجل شكا علة : سل الله من رزقه .

وفى قصة رجل سأله أن يبنى بقُر به مسجدا فإن مُصلاه على بعد : ذلك أعظم لثوابك .

وفى قصة رجل قُطعت عنه أرزاقه : ﴿ ما يفْتح اللهُ للناسِ من رحْمة فلا مُمْسِكَ لها وما يُمسكْ فلا مرسِلَ له من بعدِهِ وهو العزيزُ الحكيم ﴾ .

١٠ وفى قصة رجل شكا الدَّين : إن كان دينُك فى مرضاة الله قضاه .

وإلى صارورةٍ سأله أن يحج : ﴿ ولله على الناس حِجُّ البيت مِن استطاع إليه سبيلا ﴾ .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهِّر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد .

١٥ وإلى عامله على حمص ، وجاء منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكاتبك وإلا آستُبدل بك .

وإلى صاحب أرمينية : إن لى فى قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ؛ ولهما أربع آذان .

وإلى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله .

٢٠ وفى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه ، وكسروا أقفال بيت المال وأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلتَ لم يَشغَبُوا ولو وفّيت لم ينتهبوا .

المهدى

وقّع فى قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملَكم قدناه إلى الحق كما يقاد الجمل المخشوش . يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : ﴿خُذِ العفْو وأمُرْ بالعُرْف وأعْرِض عن الجاهلين﴾ . ٥

وإلى صاحب خراسان فى أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفى قصة قوم أصابهم قحط : يقدّر لهم قوت سَنة القحط ، والسنة التى تليها .

وإلى شاعر — أظنه مروان بن أبى حفصة — : أسرفت فى مديحك فقصّرنا فى حِبائك .

وفى قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دَينك وتقر به عينك . ١٠

وفى قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوْث .

وإلى رجل من بطانته استوصل : ليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وفى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إشخاصه إلى بابه : قد أنصف القارَةَ من راماها . ١٥

وفى قصة رجل حُبس فى دم : ﴿ولكُمْ فى القِصاص حياةٌ يا أُولى الأَلباب﴾ .

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذهم بالعدل فى المكيال والميزان .

وإلى يوسف البَرَم حين خرج بخراسان : لك أمانى ومؤكّد أيمانى .

موسى الهادى ٢٠

كتب إلى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه : قد أنكرناك منذ لزمت أبا حنيفة ؛ كفاناه الله .

وإلى صاحب أفريقية فى أمر فَرَط منه : يابن اللخناء أنى تتمرّس .

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحَك لا يتسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أن تُخرب خِزانتى وخزانة أخى يوسف فيأتيك منى ما لا قِبَلَ لك به ، ومنَ الله أكثر منه .

ووقع فى قصة رجل من البرامكة : أنبَتْه الطاعة وحصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كن منى على مثل ليلة البيات .

وإلى عامل خراسان : إن الملوك يؤثر عنهم الحزْم .

وإلى خُزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية : لا أمّ لك ! تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟

وفى قصة محبوس : من لجأ إلى الله نجا .

وفى قصة متظلم : لايجاوَز بك العدل ، ولا يقصّر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السِّند إذ ظهرت العصبية : كل من دعا إلى الجاهلية تَعَجَّلَ إلى المنية .

وإلى عامله على خراسان : كل من رفع رأسه فأزِله عن بدنه .

وفى رقعة متظلم من عامله على الأهواز ، وكان بالمتظلم عارفا : قد ولّيْناك موضعه ، فتنكبْ سيرته .

وفى كتاب بكار الزُّبيرى إليه ؛ يخبره بسرٍّ من أسرار الطالبيِّين : جزى الله الفضل خيْرَ الجزاء فى اختياره إياك وقد أثابك أميرَ المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر : يامحفوظ ، اجعل خرج مصر خَرجاً واحداً ، وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطالوا ليلى بالسهاد ، ونفَوْا عن عينى لذيذ الرقاد .

ووقع إلى السندى بن شاهك : خَفِ الله وإمامك ، فهما نجاتُك .

وإلى سليمان بن أبى جعفر فى كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحيْت بشيخ ولده المنصور ، أن يهرب عمن ولَدَهُ كندة وطيئ ؛ فهلا قابلتَهم بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك ، وبذلت لهم نصيحتك ، وكنت كمروان ابن عمك أذ خرج مصلتاً سيفه متمثلا ببيت الجحاف بن حكيم : ٥

مُتقلّدين صَفائحاً هنـــديّةً ٭ يَتركْنَ من ضربوا كمن لم يولَدِ

فجالد به حتى قُتل ؛ لله أمٌ ولدتْه ، وأبٌ أنهضه .

وكتب متملك الروم إلى هارون الرشيد : إنى متوجه نحوك بكل صليب فى مملكتى ، وكلِّ بطلٍ فى جندى . فوقع فى كتابه : ﴿ وسيَعْلمُ الكافرُ لِمَنْ عُقْبى الدارِ ﴾ . ١٠

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدْل ، وستَقْدُمُ فتعلم . فوقع فيه الرشيد : الحكم الذى رضيته فى الآخرة لك ، هو أعْدى الخصم فى الدنيا عليك ، وهو من لا يُردُّ حكمه ، ولا يُصرفُ قضاؤه .

المأمون ١٥

وقع إلى على بن هشام فى أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يَظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ؛ فأى الرجلين أنت ؟

وإلى هشام : لا أُدنيك ولك ببابى خصم .

وإلى الرستمى فى قصة مَن تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آنيتُك من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ وجارُك طاوٍ . ٢٠

وفى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، عَمِّر نعمتك بالعدل ؛ فإن الجوْر يهدمها .

وفى قصة متظلم من أبى عباد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

وفى قصة متظلم من أبى عيس أخيه : ﴿ فإذا نفخ فى الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلونَ ﴾ .

وفى قصة لمتظلم من حميد الطوسى : يا أبا غانم ، لا تغترّ بموضعك من إمامك ، فإنك وأخسّ عبيدِه فى الحق سِيَّان .

٥ وإلى طاهر صاحب خراسان : أحمدْ أبا الطيب ، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فما لك موضعٌ تسمو إليه نفسُك إلا وأنت فوقه عنده .

وفى كتاب بشر بن داود : هذا أمانٌ عاقدت الله فى مناجاتى إياه .

وفى كتاب إبراهيم بن جعفر فى فَدَك حين أمره بردّها : قد أرضيت خليفة الله فى فدك ، كما أرضى الله رسوله فيها .

١٠ وفى قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسى : قد احتملنا بَذاءك وشكاسَةَ خلُقك ، فأما ظلمك للرعية فإنا لانحتمله .

ووقع إلى بعض عماله : طالع كلّ ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصيك بما فيه استصلاحها .

وكتب إليه إبراهيم بن المهدى فى كلام له : إن غفَرْت فبفضلك ، وإن أخذْت فبحقك . فوقع فى كتابه : القدرة تُذْهب الحفيظة ، والندم جزء من التوبة ١٥ وبينهما عفو الله .

ووقع فى رقعة مولًى طلب كسوة : لو أردت الكُسوة لَلزِمْت الخدمة ، ولكنك آثرْت الرُّقاد لحظِّك الرؤيا .

ووقع فى يوم عاشوراء لبعض أصحابه وقد وافته الأموال : يؤمر له ٢٠ بخمسمائة ألف لطول همته ، ولثمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه ما لا يعنيه ، ولأبى محمد اليزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لكبره ، وللمعلى بخمسمائة ألف لصحيح سنّته ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصدق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ، ولأحمد بن أبى خالد بألف ألف لمخالفة شهوته ،

ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته ، وللرّبسى بثلثمائة ألف لإسباغ وضوئه ، ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وقّع إلى بعض عماله : قد كنت على الدُّعّار وإخالك ذاعرا . ٥

وكتبت إليه عائشة فى وَصاة برجل ، فوقع فى كتابها : هو بَيْنَ أبويه .

وإلى صاحب خراسان فى أمر خالفه فيه : استر بعض دِينِك ببعض ، وإلا ذهب كله .

وإلى عامله بالكوفة أَمِطِ الحدودَ عن ذوى المروءات .

وفى قصة متظلم : أنا معك . ١٠

وفى قصة قومٍ رفعوا على عامل رفيعة : من أماله الباطلُ قَوَّمَه الحق .

وفى قصة مستمنح : لك المُواساة .

وإلى عامله فى خوارج خرجوا بالبصرة : النساءُ تُحارِبُهم دونك .

وفى قصةِ سارق : القطع جزاؤك .

وفى قصة امرأة حُبس زوجها : حُكْمُهُ إلى الله . ١٥

وفى قصة قوم نَقبوا : تُنْقَبُ ظُهورُهم .

وفى قصة نبّاش : يُدْفَنُ حيًّا فى قبره .

وفى قصة متظلم : الحقُّ يَسعُك .

وفى قصة متنصح : « مهلا فقد أبلغت إسماعى »

وفى قصة متظلم : كُفِيتَ . ٢٠

وفى قصة رجل شكا إليه عقوقَ ابنه : ربما كان عقوقُ الولد من سوء تأديبِ الوالد !

وفى قصة رجل شكا الحاجة : لك فى مال الله نصيبٌ أنت آخِذُه .

وفى قصة رجل جارح : الجروح قصاص .

وفى قصة محبوس : التائبُ من الذَّنْبِ كمن لا ذنب له .

وفى قصة قوم شكوا غرق ضياعهم : لاتعرُّضَ فيما تفرّد الله به .

٥ وفى قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لاحكم فيما استأثر الله به .

الحجاج بن يوسف

وقع فى كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد ، وذهاب الغلات ، وما حل بالناس من القحط : إذا أزِفَ خراجُك فانظر لرعيتك فى مصالحها ، فبيتُ المال أشدُّ اطلاعا لذلك من الأرمَلة واليتيم وذى العَيلة .

١٠ وفى كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لاتخاطِرْ بالمسلمين حتى تعْرِفَ موضِعَ قدمك ، ومرمى سهامك .

وفى كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم : ما ظنُّك بقومٍ قَتلوا من كانوا يعبدونه ؟

وفى قصة محبوس ذكروا أنه تاب : ﴿ ما على المُحْسِنين من سبيلٍ ﴾ .

١٥ وإلى قتيبة : خُذْ عسكرك بتلاوة القرآن ، فإنه أَمْنَعُ من حُصُونك .

وفى كتابه إلى بعض عماله : إياك والملاهى حتى تستنظف خراجَك .

وفى كتاب إلى ابن أخيه : ماركب يهوديٌّ قبلك مِنبَرا .

وفى كتابه إلى يزيد بن أبى مسلم : أنت أبو عبيدة هذا القَرْنُ .

أبو مسلم

٢٠ وقع فى كتاب سليمان بن كثير الخزاعى : ﴿لكل نبإٍ مستَقر وسوف تعلمون﴾.

وإلى أبى العباس فى يزيد بن عمر بن هبيرة : قَلَّ طريقٌ سهل تُلْقَى فيه الحجارةُ إلا عاد وعْراً ؛ والله لايَصلُحُ طريقٌ فيه ابنُ هبيرة أبدا .

وإلى ابن قحطبة : لا تنسَ نصيبك من الدنيا .

وإليه : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمةِ والموْعظةِ الحسَنةِ ﴾ .

وإليه : ﴿ ولا تَرْكنوا إلى الذينَ ظلَموا فتَمَسَّكُم النارُ ﴾ .

وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه : ﴿ وأمّا بِنِعْمة ربكَ فحدّث ﴾ .

وكتب إليه قحطبة : إن بعض قُوّاده خرج إلى عسكر بن ضُبارة راغبا . فوقّع فى كتابه : ﴿ ألم تَرَ إلى الذينَ بدَّلوا نعمَةَ اللهِ كُفراً وأحلُّوا قومَهُم دارَ البوارِ جَهنَّم يَصْلَوْنَها وبِئْسَ القرارُ ﴾ .

وإلى عامله ببلخ : لا تؤخر عمل اليوم لغد .

وإلى أبى سلمة الخلال حين أنكر نيته : ﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خَلوْا إلى شياطِينِهم قالوا إنّا معكُم ﴾ .

جعفر بن يحيى

وقّع فى قصة محبوس : ﴿ لِكلِّ أجلٍ كِتابٌ ﴾ .

وفى مثله : العدل يُوبقه ، والتوبة تطلِقه .

وفى قصة متنصح : بعضُ الصدق قبيح .

وفى رجل شكا بعضَ عُمّاله : قد كثُر شاكوك ، وقل شاكروك ؛ فإما عدلت ؛ وما اعتزلت .

وفى قصة رجلٍ شكا بعض خدمه : خذ بأذُنه ورأسه فهو مالك .

وإلى عامل فارس فى رجل كتب إليه بالوصاة : كن له كأبيه لو كان مكانك .

وإلى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه : إنه رغب إلى شعبك فارغب فى اصطناعه .

وفى قصة متظلم من بعض عماله : إنى ظلمتك دونه .

وفى قصة محبوس : الجناية حبسته والتوبةُ تطلِقه .

وإلى قوم : عينُ الخليفة تكلؤكم ونظرُه يَعُمُّكم .

وفى رقعة صرورة استأذنه فى الحج : من سافر إلى الله أنجح .

وفى قصة رجل شكا عزوبة : الصومُ لك وِجاء .

وفى رقعة رجل سأل ولاية : لا أوَلى بعض الظالمين بعضا .

وفى قصة رجل سأل أن يُقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه : غيبةُ يوسف
٥ صلى الله عليه وسلم كانت أطْوَل .

وفى قصة رجل تظلم من عماله : إنَّا لَمِثْلُه حتى نُنصفك .

وفى قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته : يرحل عنكم .

وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يَدِرُّ لغيرك كما درّ لك .

وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابٌ غَمَّه وكربه : كثرة ملاحاة الأوِدّاءِ ،
١٠ رُبما أراقت الدماء .

وإلى منصور بن زياد فى أمر عاتبه فيه : لم نزرعك لنحصدَك .

وإلى بعض عماله : اجعل وسيلتك إلينا ما يَزيدك عندنا .

وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضَمِّك .

ووقع إلى متنصل من ذنب : حكم الفلتات خلاف حكم الإصرار .

١٥ الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما يبيت خليفة الله إلا على ذكرك .

وإلى طاهر : لخيرِ ما اتضعْت .

وإليه : لشرٍّ ما سَموْتَ .

وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يُحَلُّ ماعقدت .

٢٠ وفى قصة متظلم : كفى بالله للمظلوم ناصرا .

وفى قصة نقب بيت المال : يُدْرَأ عنه الحد إن كان له فيه سهم .

ووقع إلى حاجبه : تمهّل وتسهّل .

وإلى صاحب الشرطة : تَرفَّق تُوفَّق .

وإلى رجل شكا غلبة الدَّين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسَنَشفعُها بمثلها ، ليرغب المستمنحون .

وفى قصة متظلم : طِبْ نفساً فإنّ الله مع المظلوم .

وإلى رجل شكا إليه الدَّين : الدَّين سوء يهيض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . ٥

وفى قصة قوم قطعوا الطريق : ﴿ إنما جزاء الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويَسعوْن فى الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهم وأرجلَهم من خلافٍ أو يُنفوْا من الأرض ، ذلك لهم خزىٌ فى الدنيا ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ﴾ .

وفى أمرئٍ قاتلٍ شهد عليه العدول فشُفع فيه : كتاب الله أحقُّ أن يُتَّبع . ١٠

وفى قصة رجل شهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضرَب دون الحد ويُشهر ضربُه .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقَّع فى قصة متظلم : يُنْظَر فيما رَفع ، وإنّ الحق منيع ، وإلا فشفاء السقيم دواء السقم . ١٥

وفى قصة قوم تظلموا من والِيهم : الحقُّ أولى بنا ، والعدل بُغيَتنا ، وإن صح ما ادّعيتم عليه صرفناه وعاقبناه .

وفى قصة آمرأة حُبس زوجُها : الحق يَحبسه والإنصاف يُطلقه .

وفى رقعة رائد : قد أمرنا لك بشىء هو دون قدرك فى الاستحقاق ، وفوق الكفاية مع الاقتصاد . ٢٠

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيتُ فى النومِ أنى راكبٌ فرساً ٭ ولِى وصِيفٌ وفى كفِّى دنانيرُ

فقال قومٌ لهم فهْمٌ ومعـــرفة ٭ رأيتَ خيراً وللأحلامِ تعبيرُ
رؤْياك فسّر غداً عند الأمير تجدْ ٭ تعبيرَ ذاك وفى النوم التَّباشير

فوقع فى أسفل كتابه ﴿أضغاثُ أحلامٍ ومانحن بتأويلِ الأحلامِ بعالِمِين﴾ وأطلق له ما التمسه .

٥ ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده :

أغْفيْتُ عند الصبح نومَ مسهَّدٍ ٭ فى ساعةٍ ماكنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتنى بولِيدةٍ ٭ رُعْبوبَةٍ حسَنٍ علىَّ قيامُها
وببَـــدرةٍ حُمِلتْ إلىَّ وبغلةٍ ٭ دَهماء مُشرِقةٍ يَصِلُّ لجامها
فدعوْت ربى أن يُثيبك جنةً ٭ عِوضاً يُصيبك بَردُها وسلامها
١٠ تلك المنابرُ يابنَ مرْوانَ النَّدى ٭ أضحتْ وأنت خَطيبها وإمامها

فقال له : أبشر فى كل شىء أصبت إلا البغلة ، فإنى لا أملك إلا شُهبا ، فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتُها إلا شهبا ، إلا أنى غَلِطت .

طاهر بن الحسين

وقَّع فى كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شَبيب : طلبتَ الحق فى ١٥ دار الباطل .

وفى قصة رجل طلب قَبالةَ بعض أعماله : القبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت صلاحا ماكنتَ لها موضعا .

وإلى السِّندى بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه : عِشْ مالم أرَك .

وإلى خُزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصنيعة باستدامتها وإلى الغاية ٢٠ ما جرى الجواد ، فحُمد السابق وذُمّ الساقط .

وإلى العباس بن موسى الهادى واستبطأه فى خراج ناحيته :

وليس أخُو الحاجات مَن بات نائماً ٭ ولكن أخوها مَن يَبيت على رَحْلِ

وفى رقعة متنصح ﴿ سَنَنظر أصدَقتَ أم كنت من الكاذِبين ﴾ .

وفى قصة محبوس : يُطلَق ويعتق .

وفى رقعة مستوصل : يُقام أَوَدُه .

وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أباعثمان ، أعِنّى بأصحابك ، فإنهم أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع فى كتابه : ٱرفع علمَ الحق يتبعْك أهله . ٥

توقيعات العجم

وقّع أردشير فى أزمة عمت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملِك ورعيّته محزونون . ثم أمر ففُرِّق فى الكور جميع ما فى بيوت الأموال .

ورفع رجل إلى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أنّ جماعة من بطانته قد فسدتْ نيّاتهم وخبُثت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان ؛ فوقع فى أسفل كتابه : إنما أمْلك ظاهر الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر . ١٠

ووقع كسرى فى رقعة مدح : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحِقا ، وللداعى إذا كان للإجابة أهلا . ١٥

وكتب إليه متنصح أنّ قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة ، فعابوه وثلبوه ، فوقّع : لئن كانوا نطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجُرحُك أرغَب ، ولسانك أكذب .

ورفع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم ، فوقع : ما أنصفكم مَن إلى الشَّكيّة أحوجكم . ثم فرّق بينهم ما وسعهم وأغناهم . ٢٠

ووقع أنوشروان إلى صاحب خراجه : ما ٱستُغزِر الخراج بمثل العدل ، ولا ٱستُنزِر بمثل الجوْر .

ووقع فى قصة رجل تَظلم منه : لا ينبغى للملِك الظُّلم ومن عنده يُلتَمس

العدل ، ولا يبخل ومن عنده يُتوقع الجود . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدى المُوبذ

ووقع فى قصة محبوس : من رَكِبَ مَانُهِىَ عنه حيل بينه وبين مايشتهى

ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف

٥ كذبه ، فوقع : إن الله خفف ظهرك فثقَّلْتَه ، وأحسن إليك فكفَرْتَه فتب إلى الله يَتُبْ عليك .

ووقع فى قصة رجل سعى إليه بباطل : باللسان آحفظ رأسك .

ووقّع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله : لاتصلح العامة إلا ببعض الحيف على الخاصة ؛ فإن كنت صادقاً أبحْتُكَ جميع مايملكه .

١٠ فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

فصول فى المودّة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرانى إلى محمد بن سهل :

أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد علمت أنى استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تَسْتدعه ، واعتمدتك من الرغبة

١٥ فيك بما لم توله .

وفصل لأبى على البصير : قد أكد الله بيننا من الودِّ ما نأمن الدهر على حل عقده ونقض مِراره ، وما يستوى منه ثقتنا بأنفسنا لك وثقتُنا بما عندك .

وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنس والثقة ، وبسط اللسان بالاستزادة ؛ وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التى

٢٠ تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجمعنا حبلها ، والصناعة تؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ فى لقاء ، أو تخلف فى مكاتبة ، موضوع بيننا ، يوجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبٌّ إليك، سامى الطرف نحوك ، وذكرك ملصقٌ بلسانى ، وآسمك حُلْوٌ على لهواتى ، وشخصك ماثلٌ بين عينىّ ، وأنت أقرب الناس من قلبى ، وآخَذُهم بمجامع هواى .

وفصل له : لنحن أحقُّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة ، إلا أنك أحق بالفضل الذى سبقتَ إليه . ٥

وفصل لسعيد بن حميد : إنى أهديت مودّتى رغبة إليك ، ورضيت بالقبول منك مثوبة ، فصرتَ بقبولها قاضيا لحق ، ومالكا لرق ، وصرت بالتسرع إلى الهدية ، والتنظُّر للمثوبة ، مرتهن اللسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إنى صادفت منك جوهرَ نفسى ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لأن النفس يقودها بعضُها بعضا . ١٠

وقال أبو العتاهية :

وللقلبِ على القلبِ ٭ دليـــل حين يلقاهُ

وللناس من الناسِ ٭ مقاييسٌ وأشـــباه

وفصل له : لسانى رطبٌ بذكرك ، و[مكانك من قلبى] معمور بمحبتك ، حضرتَ أو غِبت ، سرْتَ أو أقمتَ . كقول أخى أبى دلف : ١٥

لعمرى لئِن قرّت بِقربكَ أعيُنٌ ٭ لقد سَخِنَتْ بالبيْنِ منكَ عيونُ

فسِرْ أو فقِف، وقفٌ عليك مودّتى ٭ مكانُك من قلبى عليكَ مَصون

وفصل لإبراهيم بن المهدى : كتابى إليك كتاب مخبِر وسائل ، فأما الإخبار فعن تصرُّف الخطوب بما يوجب العذرَ عند صديقى العزيز على فى إبطائى بالتعهد له ، وأما السؤال فعن إمساك هذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك وإن العذر كاشف ما سلف ، مصلح لما استأنف . ٢٠

فصول فى الزيارة

كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صّديق له :

نحن فى مأدُبة لنا تشرف على روضة تُضاحك الشمس حسنا ، قد باتت السماء تكلُها ، فهى شرقة بمائها ، حالية بنُوّارها ، فبادر إلينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض ؛ فكتب إليه :

هذه صفة لو كانت فى أقاصى الأطراف لوجب انتجاعها ، وحثّ المطىّ فى ابتغائها ؛ فكيف فى موضع أنت تسكنه ، وتجمعُ إلى أنيق منظرِه ، حُسْن وجهك وطيب شمائلك ! وأنا الجواب !

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى أحمد بن يوسف فى المصير إليه وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدى ؛ فكتب :

عندى من أنا عنده ، وحُجّتنا عليك إعلامُنا إياك .

وفصل : إنه من ظَمِئ شوقه من رؤيتك ، استوجب الرّىّ من زيارتك . ثم كتب تحت هذا :

سر إلينا تَفديك نفسى من السُّو ء فقد طال عهــدُنا بالتلاقى

واجعلَنْ ذاك ـ إن رأيْتَ ـ جوابى فلقد خِفتُ سـطوةَ الإشتياق

وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرْط الحزن من فراقك ، وظلم الأيام بعدك ؛ وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا أظلم العيْشُ بعدها وعند غروبِ الشمسِ يُعرف فقدُها

وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التى حسنت بك كأنها أعياد، وقصرَتْ كأنها ساعات ـ يُفَوِّت الصفاء ؛ ومما يجدده ويكثر دواعيه ، تصاقُبُ الديار ، وقربُ الجوار ، تمم الله لنا النعمة المجددة فيك ، بالنظر إلى الغرة المباركة التى لا وحشة معها ، ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلُنا أعزك الله فى قرب تجاورنا وبُعد تزاورنا ، ما قيل فى أهل القبور :

هُم جيرة الأحياء ، أما مزارُهُم * فدانٍ ، وأمّا الملتقى فبعيدُ !

وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ، للشغف بك ، والثقةِ بحسن نيتك ؛ وسنأخذ بقول أبى قيس بن الأسلت : ٥

ويُكرمُها جاراتُها فيزرْنَها * وتعتلُّ عن إتيانِهِنَّ فتُعْذَرُ

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : يا أخى ، إن أيام العُمُرِ أقلُّ من أن تحتمل الهجر ! والسلام .

فصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطيعةُ الصديق ؛ لأنهـا لا تخلو من أحد وجهين إما ضعف فى نفس الاختيار ، وإما ملل ؛ وكلاهما حجة فيه . ١٠

وفصل : طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عنـد الالتقاء ، وقد جعلك الله للسرور نظاما ، وللأنس تمـاما ، وجعل المشاهِـدَ موحِشةً إذا خلتْ منك .

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجبَ العذْرَ فى تراخى اللقاء * ما توالى من هذه الأنواء ١٥

فسلامُ الإلهِ أهـديه منى * كلَّ يومٍ لسـيِّد الوزَراء

لست أدرى ماذا أقولُ وأشكو * من سماءٍ تعوقُنى عن سماء

غير أنى أدعو على تلك بالثُّكـ * ـلِ وأدعو لهـذهِ بالبقاء

وقال آخر :

أزُور محمّداً فإذا التقيْنا * تكلَّمتِ الضمائرُ فى الصدورِ ٢٠

فأرجعُ لم ألُمْـه ولم يَلُمْنى * وقد رضِىَ الضميرُ عنِ الضّمير

فصول فى وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق فى ابن أبى الشيص :

كتابى إليك خططتُه بيمينى ، وفرغت له ذهنى ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها منى ، أُترانى أقبل العذر فيها ، وأقصّر فى الشكر عليها ؟ وابن أبى الشيص قد عرفته ونسبَه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببرّه ما عدانا إلى غيرنا ، فاكتف بهذا منا .

وفصل : كتابى إليك كتاب معْنِيّ بمن كَتب له ، واثقٍ بمن كُتِب إليه ، ولن يَضيع بين الثقة والعناية حاملُه .

وفصل : كتب العتابى فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار ، فكتب :

حامل كتابى إليك أنا ، فكن له أنا ! والسلام .

وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكى إياك فى أمره ، فإن الصنيعة حرمة المصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنِعه ، فبسط الله يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .

وفصل له : موصِّل كتابى إليك أنا ، فكن له أنا ، وتأمله بعين مشاهدتى وخُلَّتى ، فبلسانه أشكرُ ما أتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول فى عتاب

كتب أحمد بن يوسف :

لولا حسنُ الظن بك ـ أعزَّك الله ـ لكان فى إغضائك عنى ما يَقبِضنى عن الطِّلْبة إليك ، ولكن أمسكَ برمقٍ من الرجاء على برأيك فى رعاية الحق ، وبسْط يدك إلى الذى لو قبضتها عنه ، لم يكن له إلا كرمُك مذكِّراً ، وسودَدُك شافعا

فصل : أما بعدَ البرء من مريض داؤه فى دوائه ، وعلّته فى حمِيَتِه ! أنا منك كالغاصِّ بالماء لامساغ له .

وكما قال الشاعر :

كنت مِن كُرْبتى أفرُّ إليهم * وهُمُ كُرْبتى ، فأين الفرارُ ؟

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين : عُتْبى تكون منك ، أو عقبى تغنى عنك !

فصل : أما بعد ، فقد كنت لنا كُلَّك ، فاجعل لنا بعضك ، ولا نرضى إلا بالكل لك منا .

فصل : أنا أُبقى على وُدِّك من عارض يغيِّره ، أو عتاب يقدح فيه ، وآمل عائدا من حسن رأيك ، يغنى عن اقتضائك .

فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل . لو أن كل من نازع إلى الصرْم قلَّدناه عِنان الهجر ، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن نَرُدُّ عليك من نفسك ونأخذ لها منك .

فصل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين :

أما بعد ، فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك : ابتدأتنى بلطف عن غير خبرة ، وأعقبْته جفاء من غير ذنب ؛ فأطمعنى أولك فى إخائك ، وآيسنى آخرك من وفائك ؛ فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك ؛ فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف !

فصل : إذا جعلت الظن شاهدا تعدل شهادته بعد أن جعلته حكما يحيف فى حكومته ، فأين الموئل من جَوْرك ؟ ولست أسلك طريقا من العتب عليك إلا شدة ما أنطوى عليه من مودتك ، ولا سبيل إلى شكاينك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ، وما أحقَّ من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سبباً !

وقال الشاعر :

عَجِبْتُ لقلبك كيف انقلبْ * ومن طول وُدِّك ، أنى ذَهَبْ

وأعجبُ من ذا وذا أننى * أراك بعيْن الرّضا فى الغضب !

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى مع عتبك علىّ من اللؤم وإن إمساكى عنها فى حال ضرورة إليها مع علمى بكرمك فى السخط والرضا ، لعجزٌ ؛ غير أنى أعلم أن أقرب الوسائل فى طلب رضاك ، مساءلتُك ما سنح من الحاجة ؛ إذ كنت لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

٥ وفصل : لو كانت الشكوك تختلجنى فى صحة مودتك وكريم إخائك ودوام عهدك ، لطال عتبى عليك ، فى تواتر كتبى واحتباس جواباتها عنى ؛ ولكن الثقة بما تقدم عندى ، تعذرك وتُحسّن ما يُقبّحه جفاؤك ، والله يديم نعمته لك ولنا بك .

وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل ، والتقريع اللطيف ؛
١٠ فلولا ما غلب علىّ من السرور بسلامتك ، لتقطعت غمّا بعتابك ، الذى لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة ، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ؛ فلا أعدمَنى الله رضاك مجازيا به على ما استحقّه عتبُك ، فأنت ظالم فيه ، فهو ولىُّ المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : إعتاب الأخ خيرٌ من فقده .

١٥ وقال الشاعر :

إذا ذهب العِتابُ فليس وُدٌّ * ويبقى الوُدُّ ما بقى العِتابُ

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ * وتعتِب فى كلّ يومٍ عليّا

طلبْتُ رضاك ، فإنْ عزّنى * عددْتُك مَيْتاً وإن كنت حيّا

٢٠ ولا تُعجَبَنّ بما فى يديْك * فأكثر منه الذى فى يدَيّا !

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب ؛ فليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

وفصل : قد حميت جانب الأمل فيك ، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلمنى

اليأس منك إلى العَزاء عنك ؛ فإن ترغب من الآن فصفْحٌ لا تثريب معه ، وإن تماديت فهجْرٌ لا وصال بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مُكرِم : لاوَ عظيمِ أملي فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنباً مخطئاً ولا متعمِّدا ، ولعل فلتة لم أُلق بالا ، فأوطئ لها اعتذارا ، وإلا تكن فَنفثة حاسد زخرفها على لسان واشٍ ، نبذها إليك في بعض غِرّاتك ، أصابت مني مقتلا وشفَتْ منه غليلا .

وفصل : ليس يُزيلُني عن حُسن الظنّ بك فعلٌ حَمَلك الأعداء عليه ، ولا يقطعني عن رجائك عَتْب حَدَثَ عليَّ منك ؛ بل أرجو أن تتقاضى كرمَك إنجاز وعدك ، إذ كان أبلغ الشفعاء إليك ، وأوجب الوسائل لديك ،

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء على ذنب لم أَجنِه بيد ولا لسان ، بل جناه عليْ لسان واش ، فأما قولك : إنك لا تُسهِّل سبيل العذر ؛ فأنت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأعرف بالشرف وأحفظ لذماماته من أن ترد يدَ مؤمِّلك صِفراً من عفوك إذا التمسه ، ومن عذرك إذا جعل فضلك شافعاً فيه وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت بالمذنب معذرته .

وفصل : يا أخي ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام عليّ ، وسوء أثر الدهر عندي ، وأني معلق في حبائل مَن لا يَعرِف موضعي ، ولا يحلُو عنده موقعي ، أطلب منه الخلاص فيزيدني كلفا ، وأرتجي منه الحق فيزداد به ضنًّا ، فالثواء ثواء مقيم ، والنية نية ظاعن والزِّماع زَماع مرتحل : ما أذهَب إلى ناحيةٍ من الحيلة إلا وجدْت من دونها مانعاً من العوائق ؛ فأحمل الذنب على الدهر وأرجع إلى الله بالشكوى ، وأسأله جميل العقبى وحسن الصبر .

فصول فى حسن التواصل

للمُفْضِّل أن يخص بفضله من شاء ، وله الحمد فيما أعطى ، ولا حجة عليه فيما منع . وكن كيف شئت ، فإنى قد أوليتك خالصة سريرتى ، أرى ببقائك بقاء سرورى ، وبدوام النعمة عندك دوامها عندى .

٥ وفصل : قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك ؛ لأن حسن الظن بالله فيك ، وتأميل نجح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك .

وفصل : قد أفردتك برجائى بعد الله ، وتعجلت راحة اليأس ممن يجود بالوعد ويضن بالإنجاز ، ويحب أن يفضّل ويزهد فى أن يُفْضِل ، ويعيب الكذب ولا يصدق .

١٠ وفصل : ضَعْفِى — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعت نفسى من رجائك . أصاب الله بمعروفك مواضعه ، وبسط بكل خير يدك .

وفصل : لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب إليك ، فمرة أتوقف توقف المخفف عنك من المئونة ، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المِقَة ؛ لا أعدمَنا الله دوام عِزّك ، ولا سلَب الدنيا بهجتَها بك

١٥ ولا أخلانا من الصنع لك ؛ فإنا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعما إلا فى ظلك ؛ ولئن كانت الرغبة إلى بَشَرٍ من الناس خساسة وذلا ، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزًّا ؛ لأنك لا نعرف حُرًّا قعد به دهرُه ، إلا سَبقْت مسألته بالعطية وصُنْت وجهه عن الطلب والذِّلة .

وفصل : لى عليك حق التأميل والشكر ، بما ابتدأت من المعروف ، ولك علىّ

٢٠ حق الاصطناع والفضل ، والتنويه بالاسم والشكر ؛ وليس يمنعنى علمك بزيادة حقك على ما أبلغه من شكرك ، من مساءلتك المزيد ؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود ، وخرجت من منزلة الإضاعة والتقصير ، وإذ كنت تسمح بالحق عليك ، وتطيب نفساً عن حقك اليسير ، ولا تكلف أحداً شكرك على الكثير .

فصل : لك — أصلحك الله — عندى أيادٍ تشفع لى إلى محبتك ، ومعروفٌ يوجب عليك الرَّبَّ والإتمـام .

فصل : أنا أسأل الله أن يُنْجِزَ لى مالم تزل الفِراسةُ تعِدُنيه فيك .

فصل : قد أجلَّ اللهُ قدْرَكَ عن الاعتذار ، وأغناك فى القول عن الاعتلال، وأوجب علينا أن نقنع بمـا فعلت ، ونرضى بما أتيت ، وصَلت أو قطعت. ٥

فصول فى الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراسانى ، فكان فى فصل منه :

لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة منتظرة له ، لكفى . ١٠

ثم قال لمحمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قُرطان بينهما وجهٌ حسن .

وفصـل للحسن بن وهب : منْ شكَرك على درجة رفعْتَه إليهـا أو ثروةٍ أقْدَرْتَهُ إياها ؛ فإن شكرى لك على مهجةٍ أحييْتَها ، وحُشاشةٍ أبقيْتَها ، ورمق أمسكْت به وقُمْتَ بين التلف وبينه ؛ فلكل نعمـة من نعم الدنيا حـد يُنْتهى ١٥ إليه ، ومدًى يُوقفُ عنده ، وغايةٌ من الشـكر يسمو إليهـا الطَّرْف ، خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف ، وطالت الشـكرَ وتجاوزت قدره . وأنت من وراء كل غاية ، رددت عنا كـيد العدو ، وأرغمت أنت الحسود ؛ فنحن نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكنف كريم : فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهدُ المجتهد ؟ ٢٠

وقال إبراهيم بن المهدى يشكر المـأمون :

رَدَدْتَ مالى ولم تَمْـنُنْ علىّ بِهِ ۝ وقبلَ ردِّكَ مالى قد حقَنْتَ دمِى
فأبْتُ مِنكَ وقد جلَّلْتنى نِعَمًا ۝ هى الحيَاتَانِ من موتٍ ومن عُدُمِ

فلو بَذَلتُ دمى أبغِى رضاكَ بِه ٭ والمالَ حتى أسُلَّ النَّعْلَ من قدَمِى
ما كان ذاك سِوَى عاريَّةٍ رجعَتْ ٭ إليكَ لو لم تُعِرْها كنتَ لم تُلَمِ
البرُّ بِى منك وطَّى العُذْرَ عِندك لى ٭ فيما أتيتُ فلم تعْتِبْ ولم تَلُمِ
وقامَ عِلْمك بِى يَحْتجُّ عِنْدَك لى ٭ مقامَ شاهِدِ عدْلٍ غيْرِ مُتَّهَمِ

فصول فى البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس: وصل كتابك، فما رأيت كتاباً أسهل فنوناً، ولا أملسَ متوناً، ولا أكثر عيونا، ولا أحسنَ مقاطعَ ومطالعَ منه: أنجزْتَ فيه عِدَةَ الرأى، وبشرى الفِراسة، وعاد الظنُّ يقيناً، والأمل مبلوغا، والحمد لله الذى بنعمته تتِمُّ الصالحات.

فصل: الكلام كثيرةٌ فنونه، قليلةٌ عيونُه؛ فمنه ما يُفَكِّهُ الأسماع، ويُؤْنس القلوب، ومنه ما يُحمِّل الآذان ثقلاً، ويملأ الأذهان وحْشة.

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر:

إن جميعَ أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل، فإذا انتهوا إليك أقروا لك ويتنافسون فى المنازل، فإذا بلغوك وقفوا دونك؛ فزادك الله وزادنا بكَ وفيك وجعلنا ممن يقبَلُه رأيُك ويُقدِّمُه اختيارُك، ويقع من الأمور بموقع موافقتك، ويجرى فيها على سبيل طاعتك.

وفصل له: إن من النعمة على المثْنِى عليك، أن لايخاف الإفراط، ولا يأمن التقصير، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهى به المدح إلى غاية إلا وجد فضلَك تجاوزها، ومن سعادةِ جَدِّك أن الداعىَ لا يعْدَمُ كثرة المشايعين له والمؤمِّنين معه.

وفصل: إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عندك، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك، أنك أخذتَها بحقها، واستوجبتها بما فيك من أسبابها؛ ومن

شأن الأجناس أن تتآلف وشأنَ الأشكال أن تتعارف ، وكل شىء يتقلقل إلى معدنه ، ويحنّ إلى عُنْصُره ، فإذا صادف منبته ونزل فى مغرِسِه ، ضرب بعرقه ، وسَمَق بفرعه ، وتمكن تمكن الإقامة . وتفتَّك تفتُّك الطبيعة .

وفصل : إنى فيما أتعاطى من مدحك ، كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر ، والقمر الباهر ، الذى لا يخفى على كل ناظر ؛ وأيقنت أنى حيث انتهى بى القول ، منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فانصرفت من الثناء عليك إلى الدعاء لك ؛ ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وفصل لمحمد بن الجهم : إنك لزمت من الوفاء طريقة محمودة ، وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها ؛ فتنافس الإخوان فيك ، يبتدرون ودك ، ويتمسكون بحبلك ؛ فمن أثبت الله له عندك وداً فقد وُضعتْ خُلتُهُ موضع حِرزها .

وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدأ استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جِدّته ويظهر فِرندُه ، للين طبيعته ، وكرم جوهره ؛ ولم أصف نفسى لك عجباً ، بل شكراً .

وفصل له : زاد معروفَك عندى عظما أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زادَ معروفَكَ عِندى عِظَمًا ٭ أنّهُ عِنـدَكَ مسْتور حقير

تتَناساهُ كأن لم تأتِه ٭ وهْوَ عِنْدَ الناسِ مشهورٌ كبيرُ

وفصل للعتابى : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل بيتك ، المسدود به ثلمهم ، المجدد به قديم شرفهم ، والمُحْيا به أيامُ سعيهم . وإنه لم يَخمل من كنتَ وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالكَ سبيله ، ولا امّحتْ أعلام من خلفتَه فى رتبته .

فصول فى الذم

كتب أحمد بن يوسف :

أما بعد ، فإنى لا أعرف للمعروف طريقا أوْعَرَ من طريقه إليك ، فالمعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايتُك فى المعروف أن تَحْقِرَه ، وفى وليّه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

أما بعد ، فإنى توسلت إليك فى طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاء للغنى ، فازددت بهما بُعْدًا مما فيك تقرَّبْتُ ، وقربا مما فيه تبعّدت ، وقد قسمتُ اللائمةَ بينى وبينك ؛ لأنى أخطأتُ فى سؤالك ، وأخطأتَ فى منعى ؛ أُمِرْتُ باليأس من أهل البخل فسألتُهم ، ونُهيتَ عن منع أهل الرغبة فمنعتَهُمْ ؛ وفى ذلك أقول :

فررْتُ مِنَ الفقرِ الذى هو مُدْرِكى ٭ إلى بُخلِ محظورِ النّوالِ مَنوعِ
فأَعقَبنى الحِرمانَ غِبَّ مَطامِعى ٭ كذلِكَ مَن يلقاهُ غيرَ قنوعِ
وغيرُ بديعٍ منْعُ ذى البُخلِ مالَهُ ٭ كما بذْلُ أهلِ الفضلِ غير بديعِ
إذا أنتَ كشّفْتَ الرِّجال وجدْتَهم ٭ لِأعراضِهم من حافِظٍ ومُضيعِ

وفصل لإبراهيم بن المهدى : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت شَين القبيح ، ورأيتك آثرُ القولِ عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنا ، كما قال زهير بن أبى سلمى :

وذِى خطَلٍ فى القوْلِ يَحْسب أنّهُ ٭ مُصيب فما يُلْمِم به فهْوَ قائلهْ
عبأت له حِلْماً وأكرمْتُ غيْرَهُ ٭ وأعرَضْت عنه وهو بادٍ مقاتلهْ

فصل : إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار ، تميل معهما وتصرَّف فى آثارهما ؛ وقد كنت أُحِلُّ مودّتك بالمحل النفيس ، وأُنزِلُها بالمنزل الرفيع ، حتى رأيت ذلتك عند القِلّة ، وضرعتك عند الحاجة ، وتغيُّرَك عند الاستغناء ، واطّراحك

لإخوان الصفاء ؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذرى فى قطيعتك ، عند من يتصفح أمرى وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى ، ولا ترى القبيح حسنا .

فصل للعتابى : تأتّينا إفاقتك من سكرتك ، وترقّبنا انتباهك من رقدتك ، وصبرنا على تجرّع الغيظ فيك ، حتى بان لنا اليأس من خيرك ، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك ؛ فها أنا قد عرفتك حق معرفتك فى تعديك لطورك ، وآطراحك حقّ من غلط فى اختيارك .

فصول فى الأدب

كتب سعيد بن حميد :

إنّ من أمارات الحزم صحة الرأى فى الرجل : يترك التماس ما لا سبيل إليه ، إذا كان ذلك داعيةً لغنى لا عزة له ، وشقاء لا دَرَك فيه ؛ وقد سمحتَ فى أمر يُخبرك أوائله عن أواخره ، ويُنْبِيك بدوّه عن عواقبه ، لو كان لهذا الخبرَ الصادق مستمعٌ حازم . ورأيتُ رائد الهوى قد مال بك إلى هذا الأمر ميلاً أيأس من رغب فيك ، ودل عدوّك على معايبك ، وكشف له عن مَقاتلك ؛ ولولا علمى بأنّ غلط الناصح يؤدّى إلى نفع فى اعتقاد صواب الرأى ، لكان غير هذا القول أولى بك ، والله يوفقك لما يحب ، ويوفق لك ما تحب .

وفصل : أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ؛ فقدِّم على نفسك من قدّمك على نفسه .

وفصل : من أخطأ فى ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين ، كان أحرىٰ أن يُخطئ فى أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينامُ دون الظفَر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم ، ولا يكن غيرُك فيما يبلّغه أوثق من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال يرضى بها حر ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغى لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مَغْنَم ، وأنا دافع مغرم ، فإن كنت شاكراً لما مضى ، فاعذر فيما بقى .

٥ وفصل للعتابى : أما بعدُ ، فإن قريبك من قرب منك خَيْرُه ، وابن عمك من عمَّك نفعه ، وعشيرك من أحسَن عِشرتك ، وأهدى الناس إلى مودّتك مَن أهدى برَّه إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالى ـ أكرمك الله ـ فى الاغتمام بعلتك حالَ المشارك فيها بأن ١٠ ينالنى نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل اجتمع على منها أنى مخصوصٌ بها دونك ، مُؤْلَم منها بما يؤلمك ؛ فأنا عليل مصروف العناية إلى عليل كأنى سليم ؛ فأنا أسأل الله الذى جعل عافيتى فى عافيتك ، أن يخصَّنى بما فيك ، فإنها شاملة لى ولك .

وفصل : إنّ الذى يعلم حاجتى إلى بقائك ، قادرٌ على المدافعة عن حوبائك ؛ ١٥ فلو قلتُ إنّ الحق قد سقط عنى فى عيادتك لأنى عليل بعلتك ، لقام بذلك شاهد عدلٍ فى ضميرك ، وأثرٌ بادٍ فى حالى لغيبُتك ؛ وأصدق الخبر ما حققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة ، لَمَا أغفلَ قلبى ذكرَك ، ولا لسانى فحصاً عن خبرك فحْص مَن تقسّم جوارحه وَصَبُك ، ٢٠ وزاد فى ألمها ألَمُك ؛ ومن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء ، ولما بلغتنى إقامتك كتبت مهنئاً بالعافية ، مُعْفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله .

ولأحمد بن يوسف : قد أذهب الله وَصَبَ العلة ونَصَبَها ، ووفَّر أجرَها

وثوابها ، وجعل فيها من إرغام العدو بعُقباها ، أضعاف ما كان عنده من السرور بقبح أولاها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنَّيت به فكرتك فما هو إلا سعيد يوثر أو شقى يوتر . ٥

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أميرُ المؤمنين محمودَ السيرة ، عفيف الطعمة ، كريمَ الشيمة ، مبارَك الضريبة ، محمودَ النقيبة ، مُوفِّياً بما أخذ اللهُ عليه ، مضطلعاً بما حمَّله منه ، مؤدياً إلى الله حقَّه ، مقرًّا له بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلا ؛ ولا ينطق إلا فصلا عِبْناً لدينه وأمانته ؛ كافًّا ليده ولسانه . ١٠

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إنّ حقّ الأولياء على السلطان : تنفيذ أمورهم ، وتقويم أوَدهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدّم محسنَهم ، ويؤخر مسيئهم ؛ ليزدادَ هؤلاء فى إحسانهم ، ويزدجرَ هؤلاء عن إساءتهم .

وفصل له : إن من أعظم الحقّ حقّ الدين ، وأوجب الحُرمة حُرمةَ المسلمين ؛ فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له حسب ما راعاه الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه . ١٥

وفصل له : إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خلفائه بسطَ العدل والرأفة ، وإحياء السُّنَن الصالحة ؛ فإذا أدّى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه ، كان ذلك سبباً لتمام النعمة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة . ٢٠

وفصل : ليس من نعمة يجددها الله لأمير المؤمنين فى نفسه خاصة ، إلا اتصلت برعيته عامّة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم

شكره عليها : لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتدبيره وذَبّه عن دينه حِفْظ حريمهم ، وبحياطته حقْن دمائهم وأمْن سبيلهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مؤيّدا بالنصر ، معزَّزاً بالتمكين ، موصول البقاء للنعيم المقيم .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معمودَ النية بطاعته ، منطوىَ القلب على مناصحتهم ، مشحوذَ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفَر ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا ، وبرا وبحرا .

وفصل : أفعال الأمير عندنا معسولة كالأمانى ، متصلة كالأيام ؛ ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ، ونواصل الدعاء له مواصلة بره ؛ إنه الناهض بكلنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولايخلو من إحدى منزلتين ، ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة : إما تقصير فى عملك دعاك للإخلال بالحزم والتفريط فى الواجب ، وإما مظاهرة لأهل الفساد ومداهنة لأهل الريب ؛ وأية هاتين كانت منك لمحلة النكر بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا مايلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم فى الإعذار والإنذار ؛ وفى حسن ماأقلت من عظيم العثرة ، مايوجب اجتهادك فى تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدى :

أما بعد ، فإنه عزيز علىّ أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ؛ غير أنه بلغنى عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغنى فقليلٌ ما كتبت به كثير لك [1] ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ؛ وقد كتبت فى أسفل كتابى أبياتا فتدبرها :

(١) فى بعض الأصول : « فكثير ... قليل » .

رُكوبُكَ الهوْلَ مالم تلقَ فرصَتهُ ، جهلٌ رمَى بك بالإقحامِ تغريرُ
أهْوِن بدنيا يصيبُ المخطِئونَ بها ، حظَّ المصيبينَ ، والمغْرُورُ مَغْرورُ
فازرَع صواباً وخذْ بالحزْمِ حيطته ، فلن يُذمّ لأهلِ الحزْمِ تَدبيرُ
فإن ظفِرْت مصيباً أو هلكتَ به ، فأنت عندَ ذوِى الألبابِ معذُور
وإن ظفِرت على جهلٍ ففزتَ بِهِ ، قالوا جهُولٌ أعانته المقـــادِير ! ٥

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتمم النِّعم برحمته ، الهادى إلى شكره بفضله ؛ وصلى الله على سيدنا محمدٍ عبده ورسوله ، الذى جمع له من الفضائل ما فرّقه فى الرُّسل قبله ، وجعل تُراثه راجعا إلى من خصه بخلافته ، وسلم تسليما .

فصول لعمرو بن بحر الجاحظ ١٠

منها فصول فى عتاب :

أما بعد ، فإن المكافأة بالإحسان فريضة ، والتفضل على غير ذوى الإحسان نافلة .

أما بعد فليكن السكوت على لسانك إن كانت العافية من شانك .

أما بعد ، فلا تزهد فيما رَغِب إليك ، فتكون لحظّك معاندا ، وللنعمة جاحداً ١٥

أما بعد ، فإن العقل والهوى ضدان ، فقرينُ العقل التوفيق ، وقرينُ الهوى الخذْلان ، والنفس طالبة ، فبأيهما ظفرتْ كانت فى حزبه .

أما بعد ، فإن الأشخاص كالأشجار ، والحركات كالأغصان ، والألفاظ كالثمار .

أما بعد ، فإنّ القلوب أوعية والعقول معادن ، فما فى الوعاء ينفد إذا لم يمدّه المعدن . ٢٠

أما بعد ، فكفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشَرت معرفة ، وبذكرك الموت زاجرا .

أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لذع الغضب ، أهون من إطفائه بالشتم والقذَع .

أما بعد ، فإن أهل النظر فى العواقب أولوا الاستعدادِ للنوائب ؛ وما عظمت نعمةُ امرئ إلا استغرقت الدنيا هِمَّته ، ومن فرغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام مطايا عمله والآخرةَ مقيلَ مُرْتَحِله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد فى الرزق والأجل ، والاستغناء غير ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلُم أمسك ، وقد يستجهل الحليم حتى يستخفه الهُجر

أما بعد ، فإن أحببت أن تتم لك الثقة فى قلوب إخوانك فاستقل كثيرا مما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس فى العاقبة ، مَن لطف حتى كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز ، واستلّ حقدَه بالرفق والتحبب .

وكتب إلى أبى حاتم السجستانى وبلغه عنه أنه نال منه :

أما بعد ، فلو كففت عنا من غربك لكنا أهلا لذلك منك ، والسلام .

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح .

وله فصول فى وصاة :

أما بعد ، فإن أحق من أسعفته فى حاجته ، وأجبته إلى طِلبَته ، من توسل إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبح الأحدوثةَ من مستمنح حَرمته ، وطالب حاجةٍ رددْته ، ومثابِر حجبتَه ، ومنبسط إليك قبضتَه ، ومقبِل إليك بعنانه لويتَ عنه ، فتثبّت فى ذلك ولا تُطع كل حلافٍ مَهين ، همّاز مشاءٍ بنميم .

أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك ، ويكون مكافأةً لحقّه علينا

أما بعد ، فقد أتانا كتابُك فى فلان ، وله لدينا من الذمام ما يُلزمنا مكافأته

ورعاية حقه ، ونحن من العناية بأمره على ما يكافئ حرمته ويؤدى شكره .

وله فصول فى استنجاز وعد :

أما بعد ، فقد رسفنا فى قيود مواعيدك ، وطال مقامنا فى سجون مَطْلك ، فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديدِ غمِّها بنَعَم منك مثمرةٍ أو [لا] مريحة .

أما بعد ، فإن شجرَ مواعيدك قد أورقت ، فليكن ثمرُها سالما من جوائح المطل . ٥

أما بعد ، فإن سحائب وعدك قد برقت ، فليكن وبلُها سالما من صواعق المطل والاعتلال .

وله فصول فى الاعتذار :

أما بعد ، فنعم البديلُ من الزَّلة الاعتذار ، وبئس العوَضُ من التوبة الإصرار .

أما بعد ، فإن أحق ما عطفْت عليه بحلمك من لم يتشفّع إليك بغيرك . ١٠

أما بعد ، فإنه لا عوض من إخائك ، ولا خلَفَ من حُسن رأيك ، وقد انتقمت منى فى زلتى بجفائك ، فأطلق أسير تشوقى إلى لقائك .

أما بعد ، فإنى بمعرفتى بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك .

أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذِّب نفسَه بما يبدو للناس منه . ١٥

أما بعد ، فقد مسنى من الألم مالم يشفِه غيرُ مواصلتِك ، مع حبسك الاعتذار من هفوتك ؛ ولكن ذنبك تغتفره مودّتُك ، فامنن علينا بصلتك ، تكن بدلا من مَساءتك ، وعوضا من هفوتك .

أما بعد ، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات الإخوان . ٢٠

أما بعد ، فإن أولى الناس عندى بالصفح ، مَن أسلمه إلى ملكك التماسُ رضاك من غير مقدرة منك عليه .

أما بعد ، فإن كنت ذممْتنى على الإساءة ، فلم رضيت لنفسك المكافأة !

وله فصول التعازى :

أما بعد ، فإن الماضِىَ قبلك الباق لك ، والباق بعدك المأجور فيك ﴿وإنّما يوفى الصّابِرون أجْرهُم بغَيْر حساب﴾ .

أما بعد ، فإن فى الله العزاء من كل هالك ، والخَلَفَ من كل مصاب ، وإنه مَن لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة . ٥

أما بعد ، فإن الصبر يعقبهُ الأجر ، والجزعَ يعقبه الهلع ؛ فتمسك بحظك من الصبر ، تنل به الذى تطلب ، وتدرك به الذى تأمُل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظا ، ولذوى الألباب زاجرا ؛ فعليك بالتلاوة تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية .

صدور إلى خليفة

١٠

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلّده ، وأيده وأصلح به ، وعلى يديه .

أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر ، وأيده بالنصر فى دوام نعمته ، وحاط الرعية بطول مدّته .

صدور إلى ولى عهد

متّع الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعلَ الجميل ، وآنس بولايته المؤمنين . ١٥

مدّ الله للأمير النعمة ، وأسعد بطول عمره الأمة ، وجعله غِياثا ورحمة .

أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنعمة والسلامة ، ومتّع به الخاصة والعامة .

متع الله بسلامتك أهل الحرمة ، وجمع لك شمل الأمة ، واستعملك بالرأفة والرحمة

صدور إلى والى شرطة

٢٠

أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيّدك بالتثبت ، ووفّقك للصواب .

أرشدك الله بالتوفيق، وأنطقك بالصواب، وجعلك عصمة للدين، وحصنا للمسلمين

أعانك الله على ما قلدك، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فعلك.

سدَّدك الله وأرشدك، وأدام لك فضل ما عوّدك.

زادك الله شرفا فى المنزلة، وقدراً فى قلوب الأمة، وزلفة عند الخليفة.

نصر الله بعدْلِكَ المظلوم، وكشف بك كربة الملهوف، وأعانك على أداء الحقوق. ٥

صدور إلى قاض

ألهمك الله الحجة، وأيّدك بالتثبت وردّ بك الحقوق.

ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم، والتثبت فى الحكم.

ألهمك الله الحكمة وفصل الخطاب، وجعلك إماما لذوى الألباب.

زيّن الله بفضلك الزمان، وأنطق بشكرك اللسان، وبسط يدك فى اصطناع المعروف ١٠

أدام الله لك الإفضال، وحقق فيك الآمال.

صدور إلى عالم

جعل الله لك العلم نوراً فى الطاعة، وسبباً إلى النجاة، وزلفة عند الله.

نفع الله بعلمك المستفيدين، وقضى بك حوائج المتحرِّمين، وأوضح بك سنن الدين، وشرائع المسلمين. ١٥

أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب، وأنجح بك حاجة الطالب، وأمّنك مكروه العواقب.

صدور إلى إخوان

متع الله أبصارَنا برؤيتك، وقلوبَنا بدوام ألفتك، ولا أخلانا من جميل عشرتك، ووهب لك من كريم نفسك، بحسب ما تنطوى عليه مودتك، وأبهج ٢٠ الله إخوانك بقربك وجمع ألفتهم بالأُنس بك، وصرف الله عن ألفتنا عواقب القدَر، وأعاذ صفْوَ إخائنا من الكدر، وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشَكَر.

مَنّ الله علينا بطول مدتك ، وآنس أيامَنا بمواصلتك ، وهنأنا النعمة بسلامتك .
قرّب الله منا ما كنا نأمل منك ، وجمع شمل السرور بك .
نزّه الله بقربك القلوب ، وبرؤيتك الأبصار ، وبحديثك الأسماع .
أقبل الله بك على أودائك . ولا ابتلاهم بطول جفائك .
٥ أزال الله حَردَنا من فتورك عنا ، ورغبتَنا عنك من تقصيرك فى أمورنا .
حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده ، وردّ إلينا ما كنا نألفه ونعهده .
رحم الله فاقة الحنين إليك ، وما بى من تباريح الحزن عليك ، وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك .
يسّر الله لنا من صفحك ما يسع تقصيرنا ، ومن حلمك ما يردُّ سخطك عنا .
١٠ زين الله أُلفتنا بمعاودة صِلتك ، واجتماعَنا بزيارتك .
أعاد الله علينا من إخائك وجميل رأيك ما يكون معهوداً منك بالوفاء لك .

صدور فى عتاب

أنصف الله شوقنا إليك من جفائك لنا ، وأخذ لبِرّنا بك من تقصيرك عنا .
وكتب[1] معاوية إلى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر : وفّقك الله لرشدك ؛
١٥ بلغنى كلامك ، فإذا أوّله بَطَر ، وآخره خَوَر ؛ ومن أبطره الغنى أذلّه الفقر ، وهما ضدان مخادعان للمرء من عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يَبين له الداء ، والسلام.
فأجابه : طاولتك النعم وطاولت بك ؛ علو إنصافك يؤمن سطوة جورك ؛ ذكرتَ أنى نطقت بما تكره وأنا مخدوع ، وقد علمت أنى ملت إلى محبتك ولم أُخدَع ، ومثلك شَكَر مَسْعى مُعْتذر ، وعفا زلّة معترِف .

---

٢٠ تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، ويليه إن شاء الله الجزء الخامس وأوله : كتاب المسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم

(١) يلاحظ أن هذا وما بعده ليس من فصول الجاحظ .

صحيفة

٢ كتاب المسجدة فى كلام الأعراب

خالد بن صفوان وأعرابى .
٣ قول الأعراب فى الدعاء . لعمر بن عبد العزيز :
٤ لأعرابى فى الطواف ٥ لأعرابى بعرفات
٦ لأعرابى بمنى . لآخر فى فلاة .
٨ لأعرابية تودع ابنها . لأعرابى مات ابنه .
قولهم فى الرقائق .
٩ لأعرابى فى حزنه على ولده . لآخر فى ذهاب شبابه . لآخر فى نحول جسمه . لآخر فى الكبر
١٠ لأعرابى فى القطيعة . لآخرين فى تغير الديار .
١١ لأعرابية ترثى ابنها . لأعرابى فى وصف بلد .
قولهم فى الاستطعام . معن بن زائدة وأعرابى .
١٢ المهدى وأعرابية فى الطواف . بين عتبة بن أبى سفيان وأعرابى .
١٣ أعرابى أغير على إبله . بين خالد القسرى وأعرابى .
١٤ ابن طوق وأعرابى .
١٥ أعرابى فى حلقة يونس
١٦ لأعرابية مع عبد الرحمن بن أبى بكر . شعر لبعض الأعراب .
١٧ الأصمعى يروى بعض أخبار الأعراب .
١٨ هشام وأعرابى .
١٩ المأمون وأعرابى . أعرابى فى مجاعة .
٢١ قولهم فى المواعظ والزهد . هشام وأعرابى .
لأعرابى يعظ أخاه . ٢٢ لابن عباس .
٢٣ أخبار متفرقة للأعراب . ٣٠ قولهم فى المدح .
٣٥ قولهم فى الذم . ٤٢ قولهم فى الغزل .
٤٤ قولهم فى الخيل . ٤٧ قولهم فى الغيث .
٤٩ قولهم فى البلاغة والإيجاز .
٥٠ قولهم فى حسن التوقيع وحسن التشبيه .
٥٢ قولهم فى المناكح . ٥٧ قولهم فى الإعراب .

صحيفة

٥٨ قولهم فى الدين . ٦١ قولهم فى النوادر والملح .
٦٤ قولهم فى التلصص . ٦٨ قولهم فى الطعام .
٦٩ أخبار أبى مهدية الأعرابى .
٧٠ خبر أبى الزهراء ٧٥ لبعض الأعراب .
٧٦ الرشيد والأصمعى .

٧٨ كتاب المجنبة فى الأجوبة

٧٨ جواب عقيل بن أبى طالب لمعاوية وأصحابه .
٨٠ جواب ابن عباس لمعاوية وأصحابه .
٨١ ابن أبى مليكة فى ابن عباس .
٨٣ ابن عباس وابن العاص .
٨٥ مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير
٨٩ ابن الزبير ومعاوية .
٩٠ مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه .
٩٢ مجاوبة بين معاوية وأصحابه .
٩٣ مجاوبة بين بنى أمية . ٩٥ الجواب القاطع .
٩٧ مجاوبة الأمراء والرد عليهم . معاوية وابن قدامة
٩٨ معاوية والأحنف . معاوية وعدى . الأحنف وشامى لعن عليا .
٩٩ معاوية وعقيل فى أمر على .
١٠٠ معاوية وابن الخطل . معاوية وخريم الناعم . عبد الملك وعطاء . المضحك
١٠١ عبد الملك بن مروان وابن ظبيان . هشام بن عبد الملك وزيد بن على
١٠٢ عمر بن الخطاب وأبو مريم .
١٠٣ معاوية والأنصار .
١٠٤ عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير . الرشيد وابن مزيد . المأمون وابن أكثم
١٠٥ عتبة بن عبد الرحمن وخالد القسرى .
١٠٦ عمر بن الخطاب وابن العاص .
١٠٧ ابن الجارود وابن العاص .

١٠٨ جواب فى هزل . المغيرة وأعرابى يؤاكله . ابن عتبه وإبراهيم بن عبدالله فى حضرة هشام .
١٠٩ مسلمة بن عبد الملك وموسوس . النخعى والأعمش . ابن أسماء فى سجن الكوفة .
١١٠ هشام بن القاسم والفرزدق .
١١١ خالد بن صفوان والفرزدق . معن بن زائدة وابن عباس المتوف .
١١٢ حسان وعائشة . الحجاج وابن ظبيان .
١١٣ خالد بن يزيد والحجاج . وهب بن منبه . ولهبى . يزيد بن منصور وابن مزيد . الفرزدق . وعبد الجبار والمجاشعى .
١١٤ ابن صفوان وابن جعفر . معاوية وابن عامر جواب فى فخر . الأبرش وخالد بن صفوان
١١٥ هشام وقوم من اليمن . الحجاج وعبد الملك . عبدالرحمن بن خالد ومعاوية الزبير وعثمان بن عفان
١١٦ احمد بن يوسف وابن الفضل . زياد ومعاوية قريش وقيس . عتبة وأعرابى .
١١٧ فيروز ورميلة . بن مسمح وشقيق . قتيبة بن مسلم وهبيرة
١١٨ أجوبة لابن أبى دواد جواب فى تفحش .
١١٩ موسى بن مصعب وامرأة مدنية يونس النحوى ورجل من الأزد . بين أعرابيين
١٢٠ للفرزدق . بين جرير والفرزدق .
١٢١ الفرزدق ومسجد الأحامرة . بين الجاز وضيف

كتاب الواسطة فى الخطب

لابن عبد ربه . عبد الملك وابن سلمة .
١٢٣ لمعاوية فى زياد . لأبى دواد . بشر بن المعتمر وابن جبلة .
١٢٤ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع
١٢٦ خطب أبى بكر .
١٢٩ خطب عمر بن الخطاب .
١٢٣ خطبة عثمان بن عفان . خطب على بن أبى طالب كرم الله وجهه .
١٤٧ خطب معاوية .
١٤٨ عبيدالله بن زياد عند معاوية .
١٥٣ ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه .
١٥٤ خطبة لعبد الملك بن مروان . خطبة للوليد بن عبد الملك .
١٥٥ خطبة لسليمان بن عبد الملك ومعن . خطب عمر بن العزيز .
١٥٦ خطبة لعبدالله بن الأهتم بين يدى عمر بن عبدالعزيز
١٥٩ خطبة ليزيد بن الوليد .
١٦٠ خطبة للسفاح بالشام . ومن خطب المنصور .
١٦٢ خطبة لسليمان بن على . خطبة لعبدالملك بن صالح
١٦٣ خطب لصالح بن على . ومن خطب داود بن على .
١٦٤ خطبة المهدى . ١٦٥ خطبة هارون الرشيد .
١٦٧ من خطب المأمون
١٧٠ من خطب عبدالله بن الزبير
١٧٢ الخطبة البتراء لزياد ١٧٥ خطب لجامع المحاربى
١٧٦ من خطب الحجاج
١٨٤ خطب لطاهر بن الحسين . خطبة عبد الله بن طاهر . خطبة قتيبة بن مسلم .
١٨٦ خطبة ليزيد بن المهلب . خطبة قس بن ساعدة الإيادى
١٨٧ خطبة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل
١٨٨ خطبة لعبدالله بن مسعود . خطبة لعتبة بن مروان
١٨٩ من خطب عمرو بن سعيد الأشدق
١٩١ خطب للأحنف بن قيس . خطبة ليوسف بن عمر . خطبة لشداد بن أوس الطائى . خطبة لخالد بن عبدالله القسرى
١٩٢ خطبة لمصعب بن الزبير . خطبة للنعمان بن بشير
١٩٣ خطبة لشبيب بن شيبة . من خطب لعتبة بن أبى سفيان

١٩٧ من خطب الخوارج . خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا
١٩٩ من خطب ابن أبى حمزة
٢٠٢ من أرتج عليه فى خطبته
٢٠٤ خطب النكاح ٢٠٦ خطب الأعراب
٢٠٧ خطبة لعلى كرم الله وجهه
٢١٠ كتاب المجنبة الثانية
لابن عبد ربه . النبى صلى الله عليه وسلم
٢١١ أول من وضع الكتابة
٢١٢ الكتابة فى الإسلام
٢١٣ استفتاح الكتب . ختم الكتاب وعنوانه
٢١٤ تأريخ الكتاب تفسير : الأمىّ
٢١٥ شرف الكتاب وفضلهم . كتاب النبى ﷺ
٢١٧ كتاب أبى بكر رضى الله عنه
٢١٨ كتاب عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . كتاب بنى أمية
٢١٩ كتاب بنى العباس ٢٢١ من كتب لغير الخلفاء
٢٢٢ أشراف الكتاب
٢٢٤ من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا . من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها
٢٢٥ صفة الكتاب
٢٢٦ ماينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه
٢٢٩ خبر حائك الكلام
٢٣٢ فضائل الكتابة . ما يجوز فى الكتابة ومالا يجوز
٢٤١ البلاغة . تعريف العلماء للبلاغة
٢٤٢ تضمين الأسرار فى الكتب
٢٤٣ قولهم فى الأقلام ٢٥١ قولهم فى الجد
٢٥٢ قولهم فى الصحف
٢٥٦ توقيعات الخلفاء عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم
٢٥٧ توقيع معاوية رضى الله عنه . توقيع يزيد ابنه
٢٥٨ توقيع عبد الملك بن مروان . توقيع الوليد وسليمان بنى عبد الملك
٢٥٩ توقيعات عمر بن عبد العزيز
٢٦٠ توقيعات يزيد بن عبد الملك . توقيعات هشام بن عبد الملك
٢٦٠ توقيعات مروان بن محمد .
٢٦٢ « السفاح . توقيعات المنصور .
٢٦٤ « المهدى . توقيعات موسى الهادى .
٢٦٥ « هارون الرشيد . ٢٦٦ المأمون .
٢٦٧ « الأمراء والكبراء . توقيعات زياد .
٢٦٩ « الحجاج بن يوسف . توقيعات أبو مسلم
٢٧٠ توقيعات جعفر بن يحيى .
٢٧١ « الفضل بن سهل . ٢٧٢ الحسن بن سهل
٢٧٣ « طاهر بن الحسين . ٢٧٤ العجم .
٢٧٥ فصول فى المودة .
٢٧٧ « فى الزيادة .
٢٧٩ « فى وصاة . فصول فى عتاب .
٢٨٢ « فى التنصل .
٢٨٣ « فى حسن التواصل .
٢٨٤ « فى الشكر .
٢٨٥ « فى البلاغة . فصول من المدح .
٢٨٧ « فى الذم . ٢٨٨ فى الأدب
٢٨٩ « إلى عليل .
٢٩٠ « إلى خليفة وأمير .
٢٩٢ « لعمرو بن بحر الجاحظ .
٢٩٥ صدور إلى خليفة . صدور إلى ولى عهد صدور إلى والى شرطة .
٢٩٦ صدور إلى قاض . صدور إلى عالم . صدور إلى إخوان .
٢٩٧ صدور فى عتاب .

تم الفهرس

